بسم الله الرحمن الرحيم

مجموع مواعظ وكلام

الإمام العلامة الحبيب

أحمد بن عمر بن سميط

مجموع مواعظ وكلام

الإمام العلامة الحبيب

أحمد بن عمر بن سميط

جمع تلميذه

الشيخ دحمان بن عبد الله بن عمر العجم باذيب

ويليه

تقريب شاسع في ترتيب وظيفة الجامع

اعتنى به وقدم له

محمد بن أبي بكر بن عبد الله باذيب

دار الفتح للدراسات والنشر

رقم الإيداع لدى دائرة المكتبة الوطنية
(٢٤٠٥/١٠/٢٠٠٥)

٢١٥،٩٢
سميط، أحمد عمر
مجموع كلام ومواعظ الإمام أحمد بن عمر بن سميط/ أحمد بن عمر بن سميط، تحقيق: محمد أبو بكر باذيب
عمان: دار الفتح ٢٠٠٥
ر.إ: (٢٤٠٥/٥/٢٠٠٥).
الواصفات: / الدعوة الإسلامية // الوعظ والإرشاد // الآداب الإسلامي // الإسلام // المسلمون /

*** تم إعداد بيانات الفهرسة والتصنيف الأولية من قبل دائرة المكتبة الوطنية**

(رقم الإجازة المتسلسل لدى دائرة المطبوعات والنشر ٢٤٠٧/١٠/٢٠٠٥)

الطبعة الأولى ١٤٢٦هـ - ٢٠٠٥م
جميع الحقوق محفوظة ©
قيـاس القطـع: ١٧ × ٢٤
الرقم المعياري الدولي: ISBN 9957-23-049-2

دار العلم والدعوة
الجمهورية اليمنية، تريم (حضرموت)
تلفاكس ٤١٩٣٣٦ (٠٠٩٦٧٥)، ص.ب ٥٨٠٧٦

دار الفتح للدراسات والنشر
ص.ب ١٨٣٤٧٩، عمّان ١١١١٨، الأردن
هاتف وفاكس: ٥١٥٦٢٠١ (٦ ٠٠٩٦٢)

All rights reserved. No part of this book may be reproduced, stored in a retrieval system or transmitted in any form or by any means without prior permission in writing.

جميع الحقوق محفوظة. لا يسمح بإعادة إصدار هذا الكتاب أو أيّ جزء منه أو تخزينه في نطاق استعادة المعلومات أو نقله بأيّ شكل من الأشكال دون إذن خطّي سابق.

بين يدي «المجموع»

لستُ أدري بماذا أبدأُ في الكتابة عن هذا العلَم الكبير، هذا الجبل الشامخ الأشمّ؟ إنه كبير الدعاة في عصره، ورأس المصلحين في (حضرَموتَ) في القرن الثالثَ عشرَ الهجري.

ذلك الإمام، الذي منذ صغري وأنا أسمع ذكره يتردد علىٰ مسمعي، منذ أن كنت طفلاً صغيراً، لأنني ولدت ورُبيت في (شِبام)، بلد ذلك الإمام، وكم كنت أتردد إلىٰ (مَحْضرة أم الستة) التي هي منطلق دعوة ذلك الإمام، إذ يقع منزل أسرتي إلىٰ جوارها.. تلك (المحضرة) التي كم شهدت من أكابر القوم، وزعماء (حضرموت) علماً وسياسة.

(أم الستة)... مجتمع أهل (شِبامَ) في أعيادهم واحتفالاتهم الدينية، لا سيما في أيام قراءة قصة المولد النبوي في ربيعٍ الأول، وفي ذكرىٰ الإسراء والمعراج في رجب، وقراءة دعاء ليلة النصف من شعبان.

(أم الستة)... تلك الغرفة الواسعة، التي ترتكز علىٰ ستة أعمدة خشبية (سواري)، وهي المسمّاة بـ (الأسهم) في الدارجة الشبامية من هنا جاء اسمها وشهرتها، تقع في أسفل دار الإمام المترجَم له، ولها مدخل خاص بها، ويقع تحتَها مُصلّىٰ الإمام ووالده رضي الله عنهما، وهي خلَواتٌ مباركة، وبأسفل الدار بئرٌ عميقة يُستخرَج منها الماء إلىٰ جابية خُصِّصت لذلك، تفي بأغراض

المعتكف فيها من وضوء وغُسل. ترتيبٌ وتهيئة رائعة، لم يُسبَق إلىٰ مثلها ــ فيما أعلم ــ السادةُ آلُ سُميطٍ في تهيئة أماكن العبادة والاعتكاف.

وفي هذه «المحضرة» كان أهل شبامَ يتسابقون إذا رُزق أحدهم بمولود، فيأتي به إلىٰ القائم في المقام، ليباركَ عليه، ويدعوَ له، ويُقرَعَ عنده بالاسم، ثم تقرأُ الفاتحة بعد اختيار الاسم، وسط بهجة أهل المولود، وفرحة الوالد.. مشاعرُ لا توصف.. وحسبُ المولود فخراً أن يسمى في يوم سابعِه في «أم الستة».

وكثيراً ما أسمع سيدي الوالد يردد علىٰ مسمعي قول الحبيب الجليل أحمد بن محمد المحضار، المتوفىٰ سنة ١٣٠٤هـ، في مدح شبام، والإشادة بهذا الإمام:

وشِبام ذي قد شُيِّدتْ أركانها بالبحرِ، واحمدْ بنْ عمرْ سُلطانها

ويعني بالبحر: الإمام الكبير الحبيب الحسن بن صالح البحر، أجلَّ تلامذة الإمام أحمد بن عمر بن سُميط، توفي بذي أصبحَ سنة ١٢٧٣هـ.

* * *

كان الحبيب أحمد إماماً بحق.. وسلطاناً من سلاطين الدعاة إلىٰ الله تعالى، بحاله ومقاله. وإنّ ما سيجده القارىء الكريم في أعطاف هذا الكتاب.. من حِكَم، ونصائح، وإرشادات.. ليؤكِّدُ، بصريح العبارة، صحة هذه المقولة، وصحة ما يقال في حق أحمد بن عمر بن سُميط.

وكم سمعنا ــ ولا نزال نسمع ــ تلك المقولةَ التي تروىٰ عن الحبيب الإمام أحمد بن حسن العطاس، المتوفىٰ بحريضةَ سنة ١٣٣٤هـ رحمه الله، عندما مرّ تحت أحد البيوت في شبام، فسمع امرأة من داخل الدار وهي تطحن

البُر علىٰ رحاها، رافعة صوتَها تردد ما تحفظه من كتاب «فتح الرحمن»، وتُردد حديث جبريل الشهير الذي رواه مسلمٌ في «صحيحه» عن أمير المؤمنين عمر بن الخطاب رضي الله عنه، وتقول: جاء جبريلُ إلىٰ النبي ﷺ فقال: يا محمد، أخبرني عن الإسلام. . . إلىٰ آخره.

فوقف ذلك الإمام رضي الله عنه يستمع وقد خنقته العَبرة، وقال: لله دَرُّك يا أحمدُ بنَ عمر! جئت بجبريل من السموات العلىٰ إلىٰ عند هذه المرأة الجالسة علىٰ الرَّحىٰ.

فللّهِ أبوه من إمامٍ اقتعد منصةَ الشرف العلي:

أتتْـهُ الخـلافـةُ مُنقـادةً إليـه تُجـرجِـرُ أذيـالَهـا
فلم تكُ تصلُحُ إلاّ لهُ ولم يكُ يصلُحُ إلا لها

إن الحبيب أحمد بن عمر كان ذا عقلية فذة، وحصافة في التفكير، وبُعد في الرؤية، عاش مجاهداً لله وفي سبيله. . داعياً ومرشداً ومذكِّراً وواعظاً. استخدم ـ في دعوته ونهضته الإصلاحية ـ أنواعاً مختلفة من الأساليب النافعة المفيدة، وسنأتي علىٰ ذكرها في فصل خاصّ، نتكلم عن دعوته، وعن تأثيره في المجتمع الحضرمي.

❊ ❊ ❊

الأسرة السُّميطية في شِبام
وإشارةٌ إلىٰ تاريخِها العلميِّ والدَّعَويِّ المجيد

قدِمَ القـرن الثالثَ عشرَ الهجـري علىٰ أهل (حضـرَموت) وهـي تعيش فوضىٰ سياسية واضطراباً في حبل الأمن. . فقد غزت القوات اليافعيةُ الأراضي الحضرمية للمرة الثانية، وكان قدومهم بطلب مُلِحٍّ من منصب عِيْنات آنذاك: الحبيب علي بن أحمد بن الشيخ أبي بكر بن سالم، أو أخيه الحبيب شيخ. . فكـان قدوم الشيـخ عمر بن صالح ابن الشيـخ علـي هرهـرةَ اليافعـي فـي عام ١١١٧هـ، نجـدةً للسلطـان المغلـوب علـى أمره: بدر بن محمـد المـردوف الكثيري.

أما قدومهم في المـرة الأولى فكـان في القـرن العـاشر الهجـري، أيامَ السلطان بدر بوطويرق الكثيري. وجرت بينهم وبين بعض الأمراء من آل كثير حروب ووقائع لا نطيل بذكرها. . ولكن هذا يهمنا في معرفة الحالة التي كانت تعيشها (حضرَموتُ) آنذاك. . واستمرت هذه الفوضىٰ إلىٰ ما بعد وفاة مترجَمِنا الجليل في النصف الثاني من القرن الذي يليه. وكان الحكام الكثيريون ضعفاء جداً، لم يستطيعوا أن يسيطروا علىٰ الأوضاع في البلاد.

فنعرف ــ من هنا ــ أن تأوُّهات صاحب الترجمة، من عدم وجود والٍ عادل، أو خليفة صالح يضبِط الأمور. . كان في محلِّه، فـ(أمُّ المناكيرِ أرضٌ ما

لها سُلطانُ). . حتىٰ كان يَأمُر مؤذن المسجد الجامع في (شبامَ) أن يردِّدَ هذا البيت في المسجد بصوت عالٍ بعد أن يؤذن لصلاة الصبح، وما ذاك إلا لتجشُّمه القيام بالدعوة إلىٰ إصلاح (حضرَموت)، والمبادرة إلىٰ انتخاب والٍ عادل يقوم بحفظ الأمن وسياسة الناس.

ـــ الإمامُ الحدّاد:

نعود إلىٰ القرن الثانيَ عشر، الذي بزغ فجره والراية الحدادية ترفرف علىٰ (تَريم)، وجماعة من طلاب العلم يفِدون علىٰ تلك الحضرة البهية. . أفراداً معدودين؛ لأن ذلك الإمامَ الجليل كان في حيّز من الخفاء، بحيث لا يأتيه إلا جماعة عُرِفوا بصحبته، وتآخَوا في الله علىٰ طلب العلم، ودعوة الناس إلىٰ الله، وتذكيرهم بأيام الله بالحكمة والموعظة الحسنة.

الإمام شيخ الإسلام: عبدالله بن علوي الحداد، المولود سنة **١٠٤٤**، والمتوفىٰ سنة **١١٣٢**، كان علماً بارزاً في عصره، لكن دعوته إنما انتشرت بعد موته، شاهِدُ ذلك ما حكاه تلميذه المخلص النجيب: السيد محمد بن زين بن سُميط، عندما سأل شيخه العلامة أحمد بن زين الحبشي مستغرباً من عدم إقبال الناس علىٰ مجالس الإمام الحداد، فقال له شيخه الحبشي: لو علم الناس بقدْر الإمام الحداد لما وجدتُ أنا وأنت موضعاً في مجلسه، ولما أمكننا القراءة عليه إلا بصعوبة.

ولا يخفىٰ فضل الإمام الحداد ومكانته في نشر العلم والنهوض به في (حضرَموت). . كان ــ رضي الله عنه ــ مدرسة جامعة، تفرعت عنها مدارس عديدة، والمدرسة السُّميطية الشبامية ما هي إلا واحدة من تلك المدارس التي تفرعت عن المدرسة الحدادية الأم. . قَوامها العلم، وعمادها التقوىٰ، ومَظهرها الدعوة إلىٰ الله تعالى بالحكمة والموعظة الحسنة.

ـ السيدُ زينُ بنُ سُميطٍ وأولادُه :

وكان السيد الفاضل زين بن علوي بن سُميط من خيار أهل (تَريم)، وكان من محيي العلم، وكان له تردد علىٰ مجالس الإمام الحداد.. ولد سنة ١٠٧٦هـ، ونشأ نشأةَ تقوىٰ وصلاح، ولما رزقه الله تعالىٰ بابنه الأكبر السيد محمد، الذي وُلد علىٰ رأس ذلك القرن (سنة ١١٠٠هـ)، اعتنىٰ بتربيته ونشأته، فشب محافظاً علىٰ العبادة، محباً لمجالس العلم.

فاستصحبه معه إلىٰ مجالس شيخه الإمام منذ سن تمييزه، فامتلأ ذلك الشابّ بمحبة الشيخ الجليل، وأكبره جداً.. وعكف علىٰ مجالسه ودروسه ينهَل منها ويعلّ، ويكرَعُ من مَعين نبوي صافٍ ويغترف، حتىٰ تفتح ذهنه وصَفَت قريحته، وتفتقت مواهبه العلمية.. ولم يتوفَّ شيخُه إلا وقد اطمأن عليه وعلىٰ سيره وسلوكه، وكان متعلقاً به جداً، لا يكاد يفارقه إلا لحاجاته الضرورية.

وكان يشاركه في الأخذ أيضاً أخوه: عمر بن زين، ثاني أبناء السيد زين، الذي ولد سنة ١١٢٠، وأدرك من حياة الإمام الحداد اثني عشر عاماً، كانت كفيلة بأن تقدح في ذهنه كثيراً من الذكريات، وتلقحه بفيض من الفيوضات والنفحات الربانيات، «هم القومُ لا يشقىٰ بهم جليسُهم». ومن كان مُجالساً لعبدالله الحداد أصاب ــ بلا شكّ ولا ريب ــ نصيباً من السعادة، لا سيما إذا اقترن ذلك بالمحبة الصادقة، والرغبة في نيل العلا.

توفي الإمام الحداد سنة ١١٣٢ وقد بلغ الحبيب محمد بن زين ٣٢ عاماً، وأخوه عمر ١٢ عاماً.. وكان أبوهما لا يفارق (تَريمَ) إلا مدةً يسيرة يسير فيها إلىٰ نواحي المهرة وصنعاءَ لإقامة بعض أسباب المعاش، ثم يسارع بالرجوع حرصاً علىٰ تربية أولاده، وخوفاً عليهم من الاختلاط بغيرهم من أبناء وقتهم.

ـــ **الإمامُ الحبَـشيّ:**

كان الحبيـب أحمد بن زيـن الحبشي أحدَ كبـار خريجـي مدرسة الإمام الحداد، وحامل لواء الدعوة والتبليغ من بعده، قد حل في بلدة معروفة بأعلىٰ (حضرَموتَ) تسمى (خلع راشد) ــ وتنسـب إلىٰ السلطان العالم: عبد الله بن راشد المتوفىٰ سنة ٦٩١هـ ــ وكان بها نخلٌ من خلعه، أي: غرسه، فنُسبت إليـه، وحلّ في غربـي تلك البلـدة في موضـع يقال لـه: (البهاء)، وسكنه مع مجموعةٍ من مريديه وطلابه، فسميت (حُوطة البهاء) ــ ولعلماء (حضرَموتَ) تعريـف لمسمّىٰ الحوطة، أطال النفَسَ فيه الإمام محمـد بن عمرَ باجمالٍ في كتابه النافع المفيد «مقال الناصحين» ــ ثم بعد ذلك اتسعت الحُوطة لتشمَل كل منطقةِ خلع راشد، فصار اسم الحوطة علَماً لها.

وكان الإمـام أحمد بن زين الحبشـي من أقـرب الناس إلـىٰ قلب السيد محمد بن سُميط، وكان هو شيخَه الثاني بعد شيخه الأكبر: الإمام الحداد.. فكان يركَنُ إليه، ويطمئن بمحادثته ومجالسته، وعليه كان تخرجه وانتفاعه.

فبعد وفاة الإمام الحداد.. ضاقت علىٰ السيد محمد بن سُميط الأرضُ بما رحُبت، وضاقت عليه (تَريم)، وتكدّر صفاء عيشه فيها، إلىٰ درجة جعلته يبـادر بالخروج منها بعد مـدة وجيزة من وفاة شيخه، فسـار إلىٰ حوطة شيخه الحبشي، ونزل عنده أيامـاً معدودات، أخبـره فيها بنيتـه المسير إلىٰ (دُوعنَ) لزيـارة أخيه في الله ورفيقه في الطلـب عند الإمام الحداد، وهو السيد الجليل الحبيب عمر بن عبد الرحمن البارّ.. عله يجـد عند البارّ في دوعـنَ متنفساً له ليرتاح من العناء والمشقة التي لاقاها بعد وفاة شيخه.

فأذن له الإمام الحبشي بالمسير، ودله علىٰ الطريق.. وهو: أن يذهب إلىٰ بلدة (شِبامَ) لكونها في وسط الوادي، وعندها تجتمع القوافل، ومنها يسير

المسافرون إلىٰ حيث يريدون.

فذهب إلىٰ (شبام)، وكان يقف كل صباح عند سُدتها، (بوابتها)، في انتظار ركب أو قافلة تسير إلىٰ دوعن، ولكن لم يجد.. وهكذا، مرّ يوم فيومان، فأسبوع فأسبوعان.. حتى أكمل شهراً وهو علىٰ جمر الانتظار.

وبعد أن مر عليه الشهر ــ وهو في أشد حالات الضيق ــ عاد إلىٰ الحوطة، فاستقبله شيخه، وأعلمه بما جرىٰ له.. فهدّأ من رَوْعه، وقال له بصوت الرجل العارف الواثق ما معناه: قد علمتُ أنه لا يتيسر لك المسير إلىٰ دوعن، ولكني أردت أن ترىٰ بلدة (شبام) وتتعرفَ عليها وعلىٰ أهلها.. فإنّ شيخنا الإمام الحداد كان يشير علي بالنزول فيها، ولأن أهل (شبام) إذا عرَفوا الولي تمسكوا به ولم يتركوه.

ــ ولماذا شِبام؟

وكان كلام الإمام الحبشي صحيحاً وفي محله.. إذ بَعُدَ عهدُ أهل (شبامَ) بوجود الزعماء الدينيين الروحيين، والمرشدين الواعظين.. فبعد أن أُخرِج الشيخ معروف باجمال رضي الله عنه في القرن العاشر من (شبام)، سنة ٩٤٤هـ تحديداً، لم يظهر فيها بعده من يخلُفه أو يحمل لواء دعوته، لأسباب سياسية في غالب الأحيان، ولموقع (شَبامَ) التجاري.

نعم.. كان هناك الفقهاء والمفتون من أهل البلد، ولكن الفقيه لا يكون مرشداً وواعظاً في الأغلب، بمعنىٰ: أن تحرير الفتاوىٰ ومراجعة الأحكام الشرعية، لا تمكّن الفقيه من أن يكون واعظاً أو مرشداً روحياً، لانشغاله بفصل القضايا والأحكام، ولأن الدعوة إلىٰ الله تحتاج إلىٰ تفرغ، إضافة إلىٰ الربانية، وهي العنصر الأهم الذي عليه المدار في جذب القلوب إلىٰ الله، وضربِ المثل الأعلىٰ في الطاعة والعبادة والزهد.

هذا ما فُقِد من (شبامَ) بعد أن كانت مزدهرة بأكابر أهل عصرهم. . وما ظهورُ الشيخ محمد بن أبي بكر باعبّاد، والشيخ أحمد بن جبير شراحيل، والشيخ معروفِ باجمال، والشيخين: إبراهيم بن محمّد وحفيده إبراهيم بن عبد الله آلَ باهرمز، وهؤلاء عاشوا في القرن التاسع والعاشر الهجري. . إلا نماذجُ عظيمة وجليلة جداً، تبرهن لنا أن (شبام) ــ حرسها الله ــ كانت مهداً للصالحين، ومنبِتاً لأكابر الرجال العارفين.

بل من أهلها من طبّقت شهرته الآفاق، وسارت بذكره الرُّكبان، كالشيخ أحمد بن عبد القادر بن عُقبة، الذي توفي في (مصر) سنة ٨٩٥، شيخ الشاذلية في وقته، ومن عليه تدور سلاسل الأسانيد الشاذلية في مختلف أصقاع العالم.

فترةٌ من الزمان مرّت علىٰ (شبام). . حتىٰ أدركها الله تعالىٰ برجال مُخلَصين صادقين، يعيدون لها شيئاً من سالف مجدها العلمي. وقد كان للإمام الحداد في (شبام) محبون ومريدون، من آل باذيبٍ وآل باشراحيل، وبعض الأسر المباركة الأخرى.

وكان الإمام الحداد يحب أهل (شبام)؛ لأن أكثر من ناصره في دعوته، وقام إلىٰ جواره في مِحَنِه التي لاقاها من أهل (تَريم). . هم أهل (شبام)، وفي ذلك وقائعُ نذكر منها علىٰ سبيل المثال قصةً رواها الحبيب أحمد بن عمر في هذا «المجموع»، وحاصلها أنه قدِمَ رجل من أهل (شبام) من آل باذيب إلىٰ (تَريم). . لقضاء بعض المصالح والأغراض الخاصة، وكان معه جملة من الكتب يريد تجليدها عند مُجلِّد معروف (بتَريم)، فناول الشبامي المُجلِّد ما لديه من كتب، وجلس عنده ينتظر فراغه من عمله ليحمل كتبه معه.

فلما حان وقت صلاة الظهر. . نهض الشبامي من مكانه، وقال للتَّرِيمي: أمّا أنا فسأذهب إلىٰ الحبيب عبد الله الحداد لأُصلي الظهر بمعيته

ثم أعود إليك.

فنظر التَّرِيمي إلىٰ الشبامي وسأله مستغرباً ومستنكراً: ومن هو الحداد هذا الذي تريد الذهاب إليه؟ فنزلت كلمته علىٰ مسمع الشبامي نزول الصاعقة، فصاح به: وأنتَ! ألا تعرفُ الحبيب عبدَ الله حدّاد؟ وآلىٰ علىٰ نفسه أن لا يتعامل معه بعد ذلك اليوم.

وفي هذه الواقعة، التي رواها لنا الثقات، ما يغني عن التعليق عليها، وفيها ما يدل علىٰ حسن ظنهم في الإمام الحداد، وقوة رابطتهم به، وتعلقهم بمجالسه وحرصهم علىٰ الاستفادة منه في كل حين، مهما كان الوقت ضيقاً، كوقت أداء الفريضة.

وكان الإمام الحداد ـ عليه الرحمات السابغات ـ كثيراً ما يقول: «شِبامُ عِمامة علىٰ رأسي»، لشدة محبته لأهلها كما ذكرنا، لمناصرتهم له رضي الله عنه.

ـ الهجرةُ السُّميطيةُ إلىٰ شِبام:

نعود إلىٰ ذكر الإمام الحبشي وتلميذه ابن سُميط، فبعد أن عاد من انتظاره ذلك، وسمع ما سمعه من شيخه الحبشي..

وقع ذلك الكلام موقعاً من نفسه؛ لأنه ليس له مطمَع في الحياة إلا النفع والانتفاع، فقد جرد نفسه لخدمة الشريعة ونصرة الدين، ولا يغيب عنه حديث: «لأنْ يهدي الله بك..»، كما أنه يريد أن يكون في مكان قريب من شيخه الحبشي، ليتسنىٰ له إتمام أخذه عنه ومواصلة القراءة عنده في كتب العلم، والأنس بصحبته، فذلك أقصىٰ ما يتمناه المريد.

فعاد إلىٰ (تَريم).. وتشاور مع والده السيد زين بن علوي، وأخبره بما

قالـه الإمـام الحبشي، فما كان من الوالد إلا الموافقة التامة، والقبول المطلق لذلك الأمر، ولكن لم يتمَّ الانتقال تماماً إلا بعدَ ما يزيدُ علىٰ السنة، فكان من السيد محمـد بن سُميـط أن تردّد مراتٍ عديـدةً إلىٰ (شبام)، حتىٰ كان النزوح التام إليها في سنة ١١٣٥ .

وكان أن اشتروا «دار آل جرهـوم» الواقعةَ في الجهة البحرية (الجنوبية) من (شبـام). . وكان بيت الجميع في بـادىء الأمـر، ثم لمـا توسعـوا وكثُرت ذريتهم، انتقلوا إلىٰ غيره.

أما منطلـق الدعوة. . فكـان من مسجـد (بن أحمـد) الواقـع في غربـي (شبـام)، وهو مسجد قديم يعود بناؤه إلىٰ القرن العاشر الهجري، يقال: إن الذي بناه هو الشيخ أحمد بن جبير شراحيل، ثم جدده ورمَّمه الحبيب أحمد بن زين الحبشي، وذلك قبـل قدوم الســادة آل سُميـط إلىٰ (شبام)، حتى أنه قال للسيد محمد بن سميط: هذا مسجد بن أحمد، قد بنيناه وجعلنا فيه زاوية لكم، وهي زاوية آل أبي علوي.

وزاوية (بن أحمد) معروفة، وهي زاوية مباركة، كانت تعقد فيها مجالس العلم، وكان الحبيب محمد بن زين ووالده وإخوته يعتكفون بها.

حتى أن والدهم السيد زيناً توفي بها وهو في اعتكافه سنة ١١٤٠ حسبما نقله الثقات، وتوفي معه في نفس العام ابنه علي، وهو ثالث أبنائه، وليس له عقب. وقد كان عالماً فقيهاً مشهوداً له بالخير والصلاح، توفيا إثر إصابتهما بحمىٰ.

ولست هنا بصددِ التفصيل في تاريخهم وتراجمهم، ولكني أحببت أن أُلمِع إلماعة سريعة إلىٰ ذلك، فتراجمهم تقتضي سرد كثير من الأحداث، وذكر ما كانوا عليه من عبادة ومجاهدات وأعمال صالحات.

الحبيبُ أحمدُ بنُ عمرَ بنِ سُمَيط
(١١٧٧ ـــ ١٢٥٧هـ)

في أجواءِ عام ١١٧٧[1] . . برزت إلىٰ الوجود غُرة هذا العلَم الجليل، من أبوين كريمين. أمّا والده فهو نبراس التقوىٰ، والمتمسك بركنها الأقوىٰ، الحبيب العارف بالله تعالىٰ، الإمام الصالح، وليّ الله: عمر بن زين بن علوي ابن سميط، المتوفىٰ (بشبام) سنة ١٢٠٧. وأما والدته فهي الحرة بنت السيد الصالح عبد الرحمن بن محمد بارقبة باعلوي المتوفىٰ سنة ١١٥٣، الذي كان الإمامُ الحداد يجله، وله أقوال كثيرة في الثناء عليه، منها قوله: «الإحياء في زاوية من صدر عبد الرحمن بارقبة!» وهذا ثناء بالغ.

ـــ نسَبُه الشريف:

هو: أحمـدُ بنُ عمـرَ بنِ زينِ بنِ علَـويٍّ بنِ عبـدِ الرحمنِ بنِ عبدِ الله بنِ محمّدٍ (الملقَّبِ سُمَيطاً) ابنِ عليٍّ (الشنهزي) بنِ عبدِ الرحمنِ (صاحبِ بابطينةَ) ابنِ أحمدَ بنِ عَلويٍّ بنِ الفقيه أحمدَ بنِ عبدِ الرحمنِ بنِ علَويٍّ (عمِّ الفقيه) ابنِ

---

(١) كذا وجدته مكتوباً في بعض الكناشات القديمة، ووجدت تاريخاً آخر وهو ١١٧٨، ونقلته من ورقة قديمة أيضاً سأورد نصها في الصفحات القادمة. وبهذا، فإني أشكك في صحة ما ورد في «تاريخ الشعراء» من أن مولده كان سنة ١١٨٣، وقد تابع السيدُ ضياء شهاب صاحبَ «الشعراء» علىٰ هذا الخطأ. . والله أعلم.

محمّدٍ (صاحبِ مِرْباط) ابنِ عليٍّ (خالعِ قَسَم) ابنِ علَويٍّ بنِ محمّدِ بنِ علَويٍّ بنِ عبيدِ الله بنِ المُهاجرِ إلىٰ الله: أحمـدَ بنِ عيسـىٰ بنِ محمّـدِ بنِ عليٍّ (العُرَيضيِّ) ابنِ جعـفرٍ (الصادقِ) ابنِ محمّـدٍ (الباقـرِ) ابنِ عليٍّ زينِ العابـدينَ بنِ الحُسينِ السِّبـطِ الشهيـدِ بكربلاءَ، ابنِ فاطمةَ الزهراءِ بنتِ سيّدِ المرسلينَ محمّدٍ صلّىٰ الله عليه وآلِـه وسلَّـم، وابنِ الإمامِ أميـرِ المـؤمنينَ عليِّ بنِ أبي طالبٍ كرَّم الله وجهَه.

ـــ نشأتُه:

تربىٰ ـــ نفَع الله به ـــ في حجر والده، وكان ترتيبه بين إخوته الخامس، إذ وُجد قبلَه لوالده أربعة من البنين في (تَريمَ) قبل هجرتهم إلىٰ (شبام)، وهم السادة: علي وأبو بكر وعبد الرحمن وحسين، ووُلد صاحب الترجمة وأخوه محمد في (شبامَ) كما ذكرنا. . والأربعة الأوَّلون أشقاء، وأمهم أخت الأولىٰ، دخل عليها والدهم بعد وفاة أختها.

وليـس للحبيب عمر بن زيـن عقِبٌ إلا من ابنه محمد، وهو الأصغر في بنيه، توفي في مكة المكرمة قبل موسم حج ١٢١٨، أما البقية فلم يعقبوا كما ذكـر المؤرِّخون. نعم، أعقـب عبد الرحمن ولداً بالمدينـة المنـورة ثم قُرِض نسله، وكانت وفاة علي وعبد الرحمن في حياة والدهما، وأما أبو بكر فتوفي سنة ١٢١٠، والحسين سنة ١٢١٧.

وكان الحبيب عمر بن زين ـــ رحمه الله ونفع به ـــ سائراً علىٰ نهج أهل (تَريم) وطريقتهـم في تعليـم أولادهم، إذ إنهم يبـدؤون بتعليم الطفل القرآن الكريـم في (عُلمة باغريب)، ثم إذا كبـر أدخلـوه قبة أبي مُريِّم، ثم يترقىٰ بعد ذلك في المعارف وطلب العلم.

فدرس رضي الله عنه في (علمة باغريبٍ) لدىٰ الشيخ العالم الصالح عمر

ابن عبد الله باغريب، الذي توفي سنة ١٢٠٥هـ، وكان سنه قريباً من سن والد المترجم، أي: إنه أدرك سنوات من حياة الإمام الحداد ورآه. ونقل المترجم عن شيخه الحبيب حامد بن عمر قولَه في حق الشيخ عمرَ باغريب: إنه (سعْدُ وقتِه)، أي: إن حاله قريب من حال الشيخ سعد بن علي السويني، وهو أحد كبار رجال القرن التاسع، توفي سنة ٨٥٩هـ.

ـ حِلْيتُه:

قال في حقه تلميذه الإمام الجليل، الذي لازمه مدة عشر سنوات، مَن تدور عليه سلاسل الإجازات والأسانيد في (حضرَموت)، الحبيب: عيدروس ابن عمر الحبشي، في «عقد اليواقيت»: «الثالث من أشياخي: سيدي الإمام، الهزبر الضرغام، دوحة الولاية التي طالت إلىٰ عرش القطبية، وكانت سدرة منتهاها نيْلَ تلك الرتبة العلية، خلاصة أعيان الزمان، ومجدد العصر والأوان.. إلخ».

وقال العلامة ابن عبيد الله السقاف في «إدام القوت»: «ومن آل سُميط: القطب المجدد الداعي إلىٰ الله، الإمام أحمد بن عمر بن زين بن سُميط. لقد كان علَم هدىٰ، ونبراس دجىٰ، ونورَ إسلام، وفرْد أعلام، أردت أن أتمثل له بما يناسب، لكن رأيت مقاماً عظيم الشأن، فحيرني، فلم يحضرني إلا قول الشريف الرضيّ:

إرثُ آباءٍ علَوْا فاقتَعدوا ... عَجُزَ المَجدِ وأعطَوْكَ السَّناما
شُغِلُوا قِدَماً عن الناسِ العُلا ... ورمَوْا عن ثُغَرِ المجدِ الأناما
لم يعِشْ من عاشَ مذمُوماً، ولا ... ماتَ أقوامٌ، إذا ماتوا، كِراما
يعظُمُ الناسُ، فإن جئنا بكمْ ... كنتمُ الرَّاعينَ، والناسُ سَوامَىٰ

ـــ شيوخُه :

كـان تخرُّجـه وفتوحُـه علىٰ يـد والـده الإمـام، وكان كثيرَ القراءة عليه ليـلاً ونهـاراً، لا يكُـفُّ عن ذلك، حتـىٰ صار ذلك له عـادة وديْدنـاً لا ينفـك عنه.

ومن حُبّ الحبيب عمر للقراءة أنه جعلها بمثابة التذكير والدعوة للغير، وكانـت له فيها نيـةٌ عظيمة، فممّا يحكـىٰ عنـه: أنْ دعـاه بعـض أهـل (شبامَ) لوليمة، فلبىٰ الدعوة، وجاء متأخراً قليلاً كما هي عادته، إذ هو لا يحب صدر المجالس، فجلس في آخر المجلس، وأمر ابنه الحبيب أحمد، المترجَم له، أن يقرأ في كتابه، فاستدار الناسُ كلهم إلىٰ جهته، ولم يزل الحبيب أحمد يقرأ حتىٰ أتي بالطعام.

ومن مقروءاتـه عليـه: «إحياءُ علوم الدين» للإمـام الغزالي، ومصنفاتُ الإمام الحـداد، و«ديوانُه»، و«مناقبُه» لعمـه محمد بن زين، ومصنفاتُ الإمام أحمد بن زين الحبشي، و«ديوانُ السودي»، و«مناقبُ آلِ باقشير»، وجملة من الكتب لا تعد كثرة.

وللحبيب أحمد مدائح في والده في حياته وبعد مماته، منها قوله:

ليـس إلا بكـم أنـالُ مُـرادي ... يا أُحيْبابَ مهجتي وفؤادي
من له مقصِدٌ سواكمْ فإني ... أنتمُ قصدي وغايةْ مرادي
دائماً أرتجي لنيْلِ عطاكم ... فامنَحوني المُرادَ أهلَ وِدادي
لا أُبالي إذا رضِيتُم بمن لم ... يرْضَ عني ولم يُرِدْ إسعادي
مذهبي حبُّكمْ علىٰ كلِّ حالِ ... فارتَضوني عُبَيدَكم أسيادي
خصَّكـمْ ربُّكـمْ بفضـلٍ ومـنٍّ ... بعـدَ تـوقيفِـه لـلاستعـدادِ

ومنها:

هوَ شخصٌ تجمَّعَ الفضْلُ فيهِ … وهْوَ شمسُ الضُّحىٰ بوقتِ الرَّدادِ
استقامَ علىٰ الصراطِ وحازَ … قصَبَ السَّبْقِ، يا لهُ من مُرادِ
ورَقىٰ بالتواضعَ أسْنىٰ مَقام … قامَ بالحقِّ لجميعِ العبادِ
ونسِيْ حقَّه لديهم جميعاً … ودعاهم ودلَّهم للرشادِ
لا عُلوّاً ولا فساداً يريدُ … قد تَحامىٰ عن العلُوْ والفسادِ
شاكرٌ ذاكرٌ، تحلّىٰ بصبْرٍ … عندَ حمْلِ البلاءِ والإجهادِ
زادَه الزُّهدُ واليقينُ وهديٌ … هُوَ ــ واللهِ ــ بُغيةُ العُبّادِ

وقولُه متوسلاً به:

بجِرْبِ هيصمٍ لنا أَحِبّهْ … همْ عُدّةٌ عندَ كلِّ كَرْبهْ
لمَنْ إليهِمْ بصدقِ قصْدٍ … يَخرُجْ، يَنالُ الذي أحبّهْ
من آلِ بيتِ النبيْ محمّدْ … وآل علوي خيرُ نِسبهْ
كنَجْلِ زينِ الشُّجاعِ شيْخي … عُمرْ، فريدِ الزّمانِ، قُطبهْ

وقال السيد العلامةُ علوي بن أحمد بن حسن الحداد في «المواهب والمنن»: «ولما جاء الخبر بوفاة سيدي عمر، أخذتُ المصحف لأنظر فيه، فوقع نظري فيه علىٰ قول الله تعالى: ﴿وَمَا عِندَ ٱللَّهِ خَيۡرٞ لِّلۡأَبۡرَارِ﴾ [آل عمران: ١٩٨]، وأجزاء «الإحياء» عندي كما أمر سيدي العيدروس الأكبر، فأخذت جزءاً، وكان من ربع المهلكات، فوقع نظري علىٰ البيتين:

رضِيتُ بما قسَمَ اللهُ لي … وفوَّضتُ أمري إلىٰ خالقي
كما أحسَنَ اللهُ فيما مضىٰ … كذلك يُحسِنُ فيما بقِيْ

فعرفت أن سره في ابنه.. وقد قال لي ابنه الحسين: إن والدي قطع لنا ثياباً جدُداً، وقال: أمّا أحمد ابني فله قميصي الذي لبسته؛ لأنه كماي

جعثوث. والكلمة الأخيرة ليرضي بها إخوته، لئلا يحنَقوا.

فقرأ أحمد علىٰ والده كتباً كثيرة من كل فن، واجتهد في خدمة والده، وحظِي به آخرَ العمُر، مع شقيقه محمد».

ثم قال: «وأمّا أحمدُ هذا.. فهو الذي قام بعد والده في الدعوة إلىٰ الله تعالى وتدريس العلوم، والزهد والتواضع، والفِرار من الدنيا وأهلها وجاهها ومالها، وإليه يشار بالصلاح واستمداد الدعاء.

حج بيت الله الحرام، وزار جده ــ عليه وعلىٰ آله الصلاة والسلام ــ سنة ١٢١٢». انتهىٰ كلام السيد علوي الحداد.

كما طلب العلم (بتَريمَ) أيضاً عند عدد من أعلامها.

وبعد وفاة والده انقطع إلىٰ الحبيب **حامد بن عمر حامد**، آخرِ تلامذة الحبيب عبد الله الحداد وفاة، إذ عُمِّر طويلاً وتوفي سنة **١٢٠٩**، وكان هو ووالده من خواص الإمام الحداد، فلازمه الحبيب أحمد بن عمر إلىٰ وفاته، وقرأ عليه، وهو شيخُ فتوحِه بعد والده، ومما له في مدحه، قولُه من قصيدة مطلِعُها:

يا نفْسُ صبراً علىٰ اللّذاتِ واغتَنمي ... ساعاتِ عمْرٍ بفعلِ الخيرِ منصرمِ

حتىٰ تخلّصَ إلىٰ المديح، بقوله:

اطِلْ ــ إلٰهي ــ بقاءَ العارفينَ لنا ... همُ الأمانُ لنا من صَوْلةِ النِّقَمِ
مثلِ الإمامِ وحيدِ الدهرِ بهجتِهِ ... الحامدِ الأسَدِ المِحضَارِ في الأزمِ
العالمِ القانتِ الأوّابِ، ديْدَنُهُ ... طولُ التهجُدِ للرحمنِ في الظُّلَمِ
وفي الصَّباحِ إذا ما جئتَ تشهَدُه ... يدعو إلىٰ الله بالتعريفِ والهِمَمِ
فكم هَدىٰ اللّهُ ربُّ العالمينَ بهِ ... منَ الضَّلالةِ حيراناً وكمْ وكَمِ

نشا علىٰ قدمِ الأسلافِ من صِغَرٍ بذا بذا شهِدَ القمقامُ خيرُ كمي
أعني الشجاعَ الذي شاعتْ فضائلُه وذكرُه ما أُحَيْلاهُ بوَسْطِ فمي

ثم بعدَهما، أي: والده وابن حامد، ألقىٰ عصاه عند الحبيب العلامة الجليل **عمر بن سقاف بن محمد السقاف**، المتوفىٰ بـ (سِيُونَ) سنة ١٢١٦، ولازمه أتمَّ الملازمة، وقرأ عليه شيئاً كثيراً، ومن مقروءاته عليه: «الرسالة القُشيرية». وكان يسير إليه إلىٰ بلدته (السوم) مرةً كل أسبوع.

ومن شيوخِه أيضاً:

٤ ـ السيد الجليل الحبيب **أحمد بن حسن بن الإمام عبد الله الحداد**، المتوفىٰ (بتَريمَ) سنةَ ١٢٠٤، أخذ عنه أخذاً تاماً.

٥ ـ ومنهم: الحبيب العلامة الجليل **عمر بن عبد الرحمن بن عمر البارّ**، المعروف بالجُلاجلي، المتوفىٰ سنةَ ١٢١٢.

٦ ـ ومنهم: ابن عمه السيد الجليل، الحبيب **عبد الرحمن بن محمد بن زين بن سُميط**، المتوفىٰ (بشبام) سنةَ ١٢٢٣، أخذ عنه الفقه، وقرأ عليه «فتح المعين» للمليباري.

٧ ـ ومنهم: السيد العلامة المتفنن ذو التصانيف الكثيرة **علوي بن أحمد ابن حسن الحداد**، ابن المتقدم، المتوفىٰ سنةَ ١٢٣٢.

٨ ـ ومنهم: العلامة الفقيه الشيخ **علي بن عمر بن قاضي باكثير**، المتوفىٰ سنةَ ١٢١٠. كان الحبيب أحمد يسير إليه إلىٰ (تريسَ) مرةً كل أسبوع.

ـ إجازةُ مفتي زَبيدَ له:

وممن أجازه مكاتبةً معاصرُه السيد العلامة الإمام، مفتي (زَبيد) **عبد الرحمن بن سليمان الأهدل**، المولود سنةَ ١١٧٣، والمتوفىٰ سنةَ ١٢٥٠.

قال في «عقد اليواقيت»[1]: «وكتب إليه مكتوباً عظيماً يشتمل علىٰ أبهىٰ من الدر النظيم، قال فيه:

«ولقد عظُمَ عليّ ما ذكرتم من الإجازة، فإني لست أهلاً لذلك، ولا من سُلاك هذه المسالك، ومنكم الإجازة مستمدة، وقد تفضل الله عليّ بإجازة والدكم سيدي القطب العظيم نفعنا الله به، وأرجو أن تتموا ذلك، بإعادة الإجازة منكم، فإن أخاكم ليس في العير ولا في النفير، فافضلوا بذلك، وقد حققت لمولاي ـ حماه الله ـ موجبَ امتثالِ أمرِه الشريف، بكتْبِ هذا السند للطريقة الأهدلية، والأمل أن يحقق الله كل أمنيّة، ويحسن العمل والنية، آمينَ آمينَ آمين.

وشريفُ السلامِ عليكم ورحمةُ الله»

يروي سند الطريقة الأهدلية سيدي الوالد السيد العلامة نفيس الإسلام سليمان بن يحيىٰ بن عمر مقبول الأهدل رحمه الله تعالىٰ، عن شيخه العلامة صفي الدين أحمد بن محمد مقبول الأهدل رحمه الله، عن شيخه السيد العلامة عماد الإسلام يحيىٰ بن عمر مقبول الأهدل، عن شيخه العلامة حسن بن علي ابن عمر العجيميِّ رحمه الله، عن شيخه العلامة أحمد بن محمد القشاشي رحمه الله، عن شيخه العلامة أحمد الشناوي رحمه الله، عن والده الشيخ الواصل علي بن عبد القدوس رحمه الله، عن الشيخ العلامة أحمد بن حجر الهيتمي رحمه الله، عن السيد عبد الله بن شيخ رحمه الله، عن عمِّه القطب أبي بكر بن عبد الله العيدروس، عن شيخه محمّد بن أحمد بافضل رحمه الله، عن الشيخ جمال الدين محمد بن مسعود باشكيل الأنصاري رحمه الله، عن العلامة

---

(١) (١ : ٩٣).

محمد بن سعيد بن كبن الطبري، عن الشيخ العلامة أبي العباس أحمد بن الرَّداد، عن الشيخ القطب أبي الذبيح إسماعيل الجبَرْتي، عن السيد الكبير والشيخ العظيم فخر الإسلام أبي بكر بن أبي القاسم بن عمر بن علي الأهدل الحسيني، عن والده الشيخ أبي القاسم بن عمر الأهدل، عن عمه الشيخ أبي بكر بن علي الأهدل، وهو والشيخ أبو الغيث بن جميل والفقيه سالم صاحبُ مِرْباط عن الشيخ الكبير نور الدين علي بن عمر الأهدل الحسيني، عن الشيخ علي الأحوري، عن الشيخ الكبير سيد عبد القادر الجيلانيِّ بسنده المتصل إلىٰ رسول الله صلّىٰ الله عليه وعلىٰ آله وصحبه وسلم.

وهذه الطريقة ذكرها العلامة حسن بن علي العجيمي في «رسالته» في طرائق السادة الصوفية نفعنا الله بهم، وثَمّ طريقة مسلسَلة بالأهدليين، وهي مشهورة، والله أعلم. وصلّىٰ الله علىٰ سيدنا محمد وعلىٰ آله وصحبه وسلم». انتهت الإجازة.

ـ فائدة:

وجدتُ ـ بخط بعض تلامذة المترجَم رضي الله عنه أو بعض أسباطه ـ هذه الفائدة، وهي عبارة عن ترجمة موجزة مختصرة له، فأحببت أن أفيد بها القارىء الكريم:

«بِسۡمِ ٱللَّهِ ٱلرَّحۡمَٰنِ ٱلرَّحِيمِ

وُلد رضي الله عنه سيدي وحبيبي وقرة عيني، الحبيبُ أحمد بن سيدي قطب السالكين، وإمام المحققين الحبيب عمر بن زين بن سُميط، لعله في تاريخ ١١٧٨، ونشأ في حجر والده، وابتدأ في تعلم القرآن عند واحد من عامة أهل البلد.

وبعدما تعلم عند الذي من عامة أهل البلد، سمع قراءته والدُه، وكأنْ لم

يستحسن تلك القراءة، فأرسله والده إلىٰ (تَريم) لأجل تعلم القرآن العظيم، فتعلم القرآن علىٰ المعلم عمر بن عبد الله باغريب، وبقي مدة لأجْل تعلم القرآن (بتَريم). ثم بعد تلك المدة وتعلُّم القرآن رجع إلىٰ بلده (شبامَ) عند والده، وكان ملازماً لوالده إلىٰ أن توفي والده إلىٰ رحمة الله.

وكانت جُلّ قراءته عليه وانتفاعِه به، وكان لا يفتُر والده بسماع قراءة الكتب ليلاً ونهاراً.

وبعد وفاة والده لازم ابن عمه الإمام عبد الرحمن بن القطب محمد بن زين بن سُميط، والقراءةَ عليه.

وكذلك يسير إلى (تَريم) هو وصِنوه محمد للقراءة عند سيدنا الإمام حامد بن عمر حامد.

وكذلك يسير في الأسبوع إلىٰ السومِ وتريسَ للقراءة عند الحبيب عمرَ بنِ سقاف، وعند الشيخ علي بن قاضي، هو وصنوه محمد، وقرأ رضي الله عنه «رسالة القُشيري» علىٰ سيدنا عمر بن سقاف رضي الله عنهما.

فلما بلغ المقام الأكبر، ومنتهىٰ العلم. . ابتدأ بالعمل مما حصله من مشايخه الكبراء العارفين». انتهىٰ ما وجدته، ولم أعرف كاتب ذلك.

ـــ ذريتُه:

تزوج الحبيب أحمد بإحدىٰ بنات السيد الفاضل سقافِ بنِ شيخِ بنِ محمّدٍ باهاشم، من أهالي وادي عمد ـــ وآلُ باهاشم من بني عمومة آل سُميط ـــ وأعقب منها عدداً من البنات، ولم يخلف ذكراً من الأولاد. وزوجتُه هذه خالة السيد العلامة الحبيب صالح بن عبد الله العطاس صاحب «وادي عمد»، وكان المذكور يزورها عليها أحياناً كما جاء في «تاج الأعراس».

ولما توفي أخوه السيد محمد بن عمر في مكة مع طلوعه للحج عام ١٢١٨، وكان قد أعقب ولداً هو السيد عمر بن محمد، فقام بتربيته، ولما كبر وبلغ مبلغ الزواج زوجه بإحدىٰ بناته.

ـ تلامذتُه:

لا شك أن شخصية إمام كالحبيب أحمد بن عمر بن سُميط، الذي كان يزدحم علىٰ مجالسه أهل العلم والفضل، ويتنافس في القراءة عليه طلاب العلم الذين يأتون إليه من كل حدب وصوب.. يصعب أن يحصىٰ تلامذته أو يحصروا، ولكن يذكر الباحث أسماء بعض من اشتهروا منهم، كنماذج تكون موضِّحة ومكملة للترجمة.

فممّن أخذ عنه ولازمه من ذويه وبني عمومته: ابن أخيه الحبيب عمر بن محمد بن عمر بن سُميط، المتوفىٰ سنةَ ١٢٨٥، وأبناؤه الكبار: حسين، ومحمد، وطاهر، وعلي، والسيد أحمد بن زين بن محمد بن سُميط، المتوفىٰ سنة ١٢٨٠، والحبيبُ عبد الله بن عبد الرحمن بن سُميط، المتوفىٰ سنة ١٢٧٧، وإخوته: مصطفىٰ وعليٌّ وجعفر، والسيد أبو بكر بن عبد الله بن عبد الرحمن بن سُميط، المتوفىٰ بزنجبارَ سنةَ ١٢٩٠.

ومن أجلِّ الآخذين عنه: الحبيب الإمام عيدروس بن عمر الحبشي، الذي لازمه وتردد عليه مدة عشر سنوات، قرأ عليه فيها عدداً من الكتب، وأخذ عنه الأخذ التام.

ومنهم: مولانا الحبيب الحسنُ بنُ صالح البحر، فقد أخذ عنه بعد أخذه عن أبيه الحبيب عمر، وكان من كبار المؤازرين له في الدعوة إلىٰ الله.

ومنهم: العبادلة السبعة، أعيان علماء وفقهاء (حضرَموت): الشيخ عبد الله باسودان، والسيد عبد الله بن علي بن شهابِ الدين، والسيد المفتي

عبد الله بن حسين بلفقيه، والسيد الإمام عبد الله بن حسين بن طاهر، والسيد المفتي عبد الله بن عمر بن يحيىٰ، والشيخ المعلم الفقيه عبد الله بن سعد بن سمير، والسيد الأديب عبدُ الله بنُ أبي بكرٍ عيديد.

وممن تخرج به من أهالي (شبام): سيدي الشيخ الفقيه الصالح أبو بكر ابن محمد بن عبود باذيب، المتوفىٰ سنةَ ١٣١٢، وأخوه سالم المتوفىٰ سنةَ ١٣٢٠، والفقيه الصالح محمد بن أحمد بن عوض باذيب، المتوفىٰ سنة ١٢٨٨. ومن كبار تلامذته: سَمِيُّه الشيخ العلامة الأديب، باذل الروح في سبيل الله: أحمد بن عمر بن سالم باذيب، المتوفىٰ بسنقافورا سنةَ ١٢٨٦ تقريباً، وسنأتي علىٰ ذكر بعض مدائحه في المترجَم، والشيخ الصالح دحمان بن عبد الله لعجم باذيب جامعُ هذا «المجموع»، وستأتي ترجمته مستقلة.

ومن أهل (شبام): الشيخ محمد بن أحمد عبدون شراحيل، والشيخ العلامة الفقيه عمر بن إبراهيم مشغان، والشيخ النحْوي محمد بن أبي بكر (بكار) معاشر، والمعلم عبد الله بن علي بلفقيه، والشيخ عوض بن محمد عقبه سديس، والشيخ معروف بن محمد باجمال، وابنه الشيخ عبد الله.

ومنهم: السادة آل السقاف أهل سيون، كمولانا الحبيب مُحسن بن علوي السقاف، والحبيب عبد الرحمن بن علي بن عمر بن سقاف.

ومن (تَريم): العلامة المتفنن الحبيب أحمد بن علي الجنيد، وخاله عيديد المتقدم الذكر، والحبيب محمد بن حسين الحبشي، والحبيب عمر بن حسن الحداد، والحبيب محمد بن إبراهيم بلفقيه.

ومن دوعن: الشيخ باسودان، والحبيب أحمد بن محمد المحضار، والحبيب طاهر بن عمر الحداد، والحبيب صالح بن عبد الله العطاس، والحبيب أبو بكر بن عبد الله العطاس، والحبيب هادون بن هود العطاس.

وغيرهم جماعات كثيرة متكاثرة، ومن ذكرتهم هنا. . هم من العلماء العاملين، والفقهاء المحققين، والأدباء والدعاة إلىٰ الله، وكلهم لهم مآثر ومناقب فاخرة، ولبعضهم مؤلفات مفيدة نافعة.

وفي ظني أنه لم يتوفر لعلَم من أعلام (حضرَموت) أن أخذ عنه مثل هؤلاء الأكابر، ولم يجتمع لأحد من سادات وزعماء (حضرَموت) أن أذعن له كافة علماء وفقهاء (حضرَموت): من شرقه إلىٰ غربه. . مثلُ ما اجتمع للإمام أحمد بن عمر بن سُميط.

ــ آثاره:

لئن كان مولانا الحبيب أحمد بن عمر رضي الله عنه مُقلاً من التصنيف، فإن أعظم آثاره الرجالُ الذين خلفهم، والأئمة الذين خرجهم من مدرسة الدعوة إلىٰ الله، الرجالُ الذين كان بهم نفع البلاد والعباد. . هذا هو أعظم تأليف له.

ومما ينسب له: «تتمتُه» لمتن «فتح الرحمن» للعلامة الجليل الشيخ محمد بن زياد الوَضّاحي الزَّبيدي، المتوفىٰ سنةَ ١١٣٥، هذا المتن يظن الكثيرون من أهل (شِبام) أنه من تأليف الحبيب أحمد بن عمر، والحق أنه لابن زياد كما ذكرنا. ولكن، للحبيب أحمد بن عمر مِنّةٌ لذلك المؤلف بنشره وإذاعته بين الناس، واعتنائه به اعتناءً كبيراً، حتىٰ جعله من أوراد أهل (شِبام) ووظائفهم اليومية، فكان يتلىٰ عقب الصّلَوات في الجامع، لا سيما الصبحُ والعصر مع اجتماع الناس، ويُقرأ خلف الجنائز، وفي المجامع الكبيرة كالموالد والحضَرات، يرددُه الحاضرون بصوت واحد.

وجاء في كلامه رضي الله عنه حثٌّ علىٰ الإكثار من مجالس العلم،

وضرْب المثل لطالب العلم بمن يحرص علىٰ قراءة كتاب «فتح الرحمن»، قال ــ نفع الله به ــ لمُجالسيه: لو دخل عليك النبي ﷺ، ورآك في مولدك أنت ومن معك، ورأىٰ شخصاً آخر يجتمع مع إخوانه علىٰ قراءة «فتح الرحمن»، مع من تُراه يجلس؟

فأجابه بعض الحاضرين بأنه سيجلس مع من يقرأ «فتح الرحمن».

فقال له: إذن عليك أن تبدأ بالأهم قبل المهم، واحرص على اغتنام عمرك في طلب العلم النافع . . أو كما قال.

وقد زاد علىٰ هذا الكتاب فصولاً مهمة ومقدمة، وطبع «فتح الرحمن» مع هذه الزيادات في (مصر) و(عدن) طبعات كثيرة.

وشرَحَه ــ مع زياداته ــ الشيخ سالم بن عبد الرحمن باصهي الشبامي المتوفىٰ (بشبامَ) سنةَ ١٣٣٦هـ، رحمه الله تعالىٰ. أما شُراحه من غير الزيادات فهم كثيرون، منهم: الشيخ سعيد باعشن في كتابه «مواهب الديان»، وفي مقدمة «المواهب» ذِكرٌ لجماعة آخرين من الشراح.

وللحبيب أحمد بن عمر في مدح «فتح الرحمن»:

لقد فتحَ الرحمنُ فضلاً بفتْحِه الـ ــمُضافِ إلىٰ الرحمنِ لابنِ زيادِ
جزاه إلهُ العرشِ أفضلَ ما جَزىٰ بــهِ نــاصحــاً لله يــومَ مَعــادِ
وأتحَفَ من يحفظْهُ بالعلمِ والتُّقىٰ وبلَّغَــه الــرحمــنُ كــلَّ مُــرادِ

ومن آثار الحبيب أحمد: «ديوانه»، وقد طبع في (المطبعة السلفية) (بمصر) القاهرة في ذي القعدة من عام ١٣٤٦، علىٰ نفقة المرحوم الشيخ علي ابن أحمد بن سالم باذيب، ساكن الشحر، رحمه الله.

وعدد صفحات هذا «الديوان» (٢١٠) صفحات، كما توجد منه نسخ

خطيـة عديـدة في (شبام)، ويكاد يكون موجوداً في كل بيـت من بيوت أهل (شبام).

وفي هذا «الديوان» عدد من القصائد المطولات، كالجيمية، والرائية، والنونية. ويكاد «الديوان» لولاها يأتي في صفحات معدودات. . لأن النونية طويلة جداً، وهي عبارة عن فصول في: أحكام الدين والشرائع والآداب، بعضها من نظم الحبيب أحمد، وشاركه في النظم الحبيب طاهر بن حسين، وأخوه الحبيب عبد الله بن حسين آل طاهر، والشيخ عبدُ الله باسودان، والشيخ عبد الله بن سمير، والمفتي السيد عبد الله بن يحيىٰ، فجاءت نظماً محكماً متيناً نافعاً مفيداً.

ـــ بعضُ ما قيلَ فيه من مدائحَ وقصائدِ شعر:

امتدحه ــ رحمه الله ــ عدد من تلامذته، منهم من مدحه بشعره، ومنهم من مدحه بنثره، ولن نطيل هنا بسرد كل ما قيل، ولكننا نورد نماذجَ من ذلك، ومقتطفاتٍ مما هنالك.

فمـن مديحة مطولة للسيـد الأديب الفاضـل أحمـد بن عمر بن عبد الله الجفْري، بلغت أبياتها (١٨٣) بيتاً، قال في مطلِعِها:

ألا حبُّكـمْ فـي مُقْلتـي ونَـواظـري ... وأُبديه في نُطْقي، وأُخفي بخاطري
أُقاسي هواكُمْ كلَّ حينٍ وساعةٍ ... ولا لَـذَّ لـي عيـشٌ هنـيٌّ ولا مَـرِيْ
فيا حاديَ الأضعانِ وادي ابنِ راشدٍ ... أمـامَـك يَمِّمْـهُ تفُـزْ بـالبشـائـرِ

ومنها:

وإنّ شهابَ الدِّينِ شيْخي وعُمْدتي ... وعـروتـيَ الـوُثقـىٰ ونـورُ البصـائـرِ
صَفِـيٌّ لـدِيـنِ الله أحمـدُ قـدوتـي ... وإبنُ الجَمالِ الفخْرِ كَنْزُ الذخائرِ

وأسرارُهمْ وَأعْلامُهمْ وعُلومُهمْ … حواها شهابُ الدِّينِ من كلِّ فاخرِ
أرىٰ الصَّيدَ في جوفِ الفِرا محتوىٰ بهِ … وأكـرِمْ بـه مـن كـلِّ نـاهٍ وآمِـرِ

وقال الشيخ العلامة عبد الله بن أحمد باسودان مادحاً لأهله ومن تابعهم علىٰ نشر الهدى والدين:

بآلِ سُميطٍ في الدُّعا نتوسّلُ … وفي نشرِ حُسنىٰ فضلِهم نترسّلُ
فهـم أهـلُ وُدِّ الله خَصُّـوا بحُبِّـهِ … مَواليَهم، بالمكُرماتِ مُسربَلُ
فخيرُهمُ الفيّاضُ في أُمّةِ الهُدىٰ … تَوالىٰ علىٰ الأزمانِ وهْوَ مُكمّلُ
وطوبىٰ لمَنْ والاهمُ وأعانَهمْ … علىٰ هدْيِهم، في عزْمِهِ متحمَّلُ

وقـال تلميـذه العلامة السيـد أبو بكـر بن عبد الله بن سُميط، المولـود (بشبام) والمتوفىٰ في زنجبار بإفريقيا سنة ١٢٩٠، فيما وجدته بخطه:

إمـامٌ أشـاعَ الله فـي النـاسِ ذِكْـرَهُ … وأوقفَـــه فينـــا مقـــامَ النبـــوّةِ
دعـــانـــا إلـــىٰ الله العظيـــم بهمـــةٍ … فـأنقـذنـا مـن فَـرْطِ جهـلٍ وغفلـةِ
ودعوَتُه في الناسِ كالشمسِ أشرقَتْ … وعمّتْ جميعَ الخلقِ حتىٰ البداوةِ

ولتلميذه النابغة العلامة الداعية الأديب الشيخ: أحمد بن عمر بن سالم باذيـب، وليـدِ (شبام) ودفيـنِ (سنغافورا) رحمـه الله.. عـدة قصائد في مدح شيخه المترجَم، مبثوثة في «ديوانه»، ونكتفي من شعره بمرثيته الحزينة الدامعة في شيخه المترجَم، وستأتي في موضعها.

ـــ وفاتُه والمراثي التي قيلتْ فيه:

قال الشيخ عبد الله بن معروف باجمال تلميذُه، فيما أملاه علىٰ بعض خاصته من أفاضل أهل (شبام)، وهو الشيخ علي بن عمر جرهوم الشبامي المتوفىٰ سنةَ ١٢٧٠، ما نصه، ومن خطه نقَلْت:

«الحمد لله الباقي بعد فناء خلقه، وصلىٰ الله علىٰ سيدنا محمد أكملِ من قام بحقه، وعلىٰ آله وصحبه، الحاملين لواء الحمد في ميدان الفضل وسبقه.

وبعد..

فلما كان في ليلة الأربعاء سابعَ عشرَ شهر ذي القَعْدة سنة ١٢٥٧، كانت وفاة سيدنا وشيخنا وقدوتنا، ووسيلتنا إلىٰ عالم سريرتنا، زخّارِ العلوم والعرفان، وعارضِ الفضل الهتان، والحامل لواء الإرث من سيد ولد عدنان، منةِ الله السابغة، وحجته علىٰ المعاندين البالغة، الإمام العارف بالله ورسوله، الحبيب المحبوب، والعلامة الموهوب، الحريِّ به قولُ الشاعر:

سقىٰ الله أرضاً نورُ وجهِكَ شمسُها وحيّا بلاداً أنتَ في أفقِها بدرُ

أعني بذلك: أحمد بن الحبيب العلامة العلَم المفرد عمر بن زين بن علوي بن عبد الرحمن بن سُميط علوي، تغمده الله برحمته والرضوان، وبوأه الفسيح من غرفات الجنان.

وصلىٰ عليه سيدُنا الإمام شيخ الطريقة، وبحر الشريعة والحقيقة، الوالهُ في محبة الله، والمستغرق في شهوده صباحَه ومساه: الحسن بن صالح ابن عيدروس البحر الجفري باعلوي، في جمع عظيم بمسجد (الجامع) في مدينة (شبام) (حضرَموت)، بعد صلاة العصر، ودفن قبيل الغروب من تاريخه بمقبرة (هيصم) بجنب والده عمر إلىٰ ناحية الشرق. أعاد الله علينا من بركاته في الدارين، آمين.

وجاء تاريخه بالجمّل: «شيخ الأكابر وداعياً».. والسلام». انتهىٰ.

* * *

ولئن لم تصلنا جملة المراثي التي قيلت فيه رحمه الله، فإنه يكفينا أن

وصلتنا مرثية تلميذه النابغة الشيخ باذيب، كيف لا.. وهو سَمِيُّه، وهو من هو في تعلقه بشيخه وشدة محبته له.. فلم يكن يفضّل عليه أحداً، ولا حتىٰ والده.. قال رحمه الله من مطولة بلغت (٩١) بيتاً:

يا أحمدُ، بوركْتَ قُطباً جامعاً غَوْثاً مَكيناً عارفاً متحقِّقا
ما مثلُ موتِكَ في الزمانِ مصيبةٌ كلّا ومَن فلَقَ الصَّباحَ وأشرَقا
أيتمْتَ دهرَكَ بانتقالِك فهْوَ في ثُكلٍ عليك بهِ أحاطَ وأحدَقا
لِمَ لا؟ ومنكَ فَخارُه وعليكَ ثَمَّ مَدارُه يا بدرَه المتألقا
يا أمْنَه، يا حِصْنَه، يا حِرزَه يا عزَّه، بل يا أباه الأشفَقا
أبكي عليكَ وقد سئمْتُ لِفقْدِكَ الدنيا، فواسِعُها غدا بي ضيِّقا
لا خيرَ لي في العيشِ بعدَك، إنما حكَمَ الإلهُ عليَّ بعدَكَ بالبَقا
لمّا أتاني عِلْمُ موتِكَ خِلتُني بكَ أوّلَ الثَّقلَينِ في أنْ ألحقَا
فبقِيتُ بعدَكَ في عناءٍ من أسىً متأسِّفاً متلِّهفاً متحرِّقا
البستُ قلبيَ درعَ صبْرٍ فاصطلىٰ حرُّ الشجونِ نياطَه فتشقَّقا

ومنها:

أمُجدِّدَ الدِّينِ الحنيفيِّ الذي أبلاه فَرطُ الجهلِ حتىٰ اخلولَقا
أمُقيمَ سُنةِ جدِّه لما عَفَتْ وبها أحاطَ الاغترابُ وحَلّقا
أمتوِّجَ القرآنِ تاجاً مُعلَماً من حُسنِه يكسو البَها والرَّونقا
أمُعيدَ هدْيِ الصالحينَ إلىٰ قُوَىٰ سنِّ الشبيبةِ حينَ شاخَ وأملَقا
لو أنَّ بعدَ المصطفىٰ مِن مرسَلٍ كنتَ الأحقَّ به وكنتُ الأليَقا

ومنها:

لكنْ (شِبامُ) تجرَّعَتْ لِفراقِه كأساً أمرَّ من الضريع تذوُّقا
تبكي بكاءَ الثكْلِ لا يُرقأْ لها دمعٌ، وأحشاها تذوبُ تحرُّقا

فلها أسىً كادت تُهَدُّ قصورُها هـدّاً بـه، وتصيـرُ قـاعـاً سَلْمَقـا
مـا راعَهـا رُزْءٌ كـرُزءِ وفـاتِـهِ أصلاً، ولم تعهَدْ كذلكَ مطلقا
صبراً وتفويضاً (شِبامُ) لخالقٍ لا مهـرَبٌ ممّـا قضـاه ولا اتِّقـا
وتَـذكَّـري عِظـةً مصيبـةَ طِيبـةٍ بـأجـلِّ عبـدٍ صـادقـاً ومصـدَّقـا
علَـمِ الهُـدىٰ خيـرِ الأنـامِ محمـدٍ صلـىٰ عليـهِ الله مـا ذُكِـرَ النَّقـا

إلىٰ آخرها.

* * *

ومما رثي به قولُ الشيخِ عبدِ الله باسودانَ من قصيدة طويلة وصلَنا منها قوله:

أرىٰ الأحبابَ مالوا للتداني إلـىٰ قُـربِ الإلـهِ بـلا تَـوانـي
وحثُّـوا للمطـايـا واستعـدوا بـأعمـالِ التصـافـي والتـدانـي
ومطلبُهم رضا الرحمنِ عنهمْ وذلك عندَهمْ أقصىٰ الأماني

* * *

وقال العلامة الحبيب محسن بن علوي السقاف من مطولةٍ يرثيه بها:

خـلِّ ادّكـارَكَ ذاتَ الجِيـدِ والكفَـلِ ومِلْ بنا من ذواتِ الحُلْيِ والحُلَلِ
ودَعْ تـذكُّـرَ رَبّـاتِ الحِجـالِ، ودَعْ دَوارسَ الربعِ والتشبيبِ بالغزَلِ
وما مضىٰ وانقضىٰ يا صاحِ من قِدَمٍ منَ الصّفا والوَفا في الأعصُرِ الأُوَلِ
وارجِعْ بنا نندُبِ الأعلامَ إذ رَحَلوا عنّا، وكنا بهمْ في غايةِ الجَذَلِ
مِـن آلِ طٰـه وأبنـاءِ البَتـولِ، كِـرا مِ الاصلِ والمَحتِدِ السامي، ذوي العمَلِ

إلىٰ آخرها. وهناك غيرها من المراثي لا شك، لكن لم تصل إلينا وإلا لأثبتنا منها ما تيسر.

ـــ دعوتُه :

قال العلامة الجليل، سيدي الحبيب علوي بن عبد الله بن شهاب الدين، المتوفىٰ (بتَريمَ) سنةَ ١٣٨٦ : «قال بعض العارفين: دعوة الحبيب أحمد بن عمر طرَقتِ المسامع أكثر من دعوة الإمام الحداد». انتهىٰ.

ومن هذه الكلمة نعرف ما لصاحب الترجمة من عظيم القدر، لاضطلاعه بأعباء الدعوة إلىٰ الله تعالىٰ. وقد ورد في هذا «المجموع» ما يمكن للباحث أن يورده كشواهدَ للتدليل علىٰ عظَم اهتمامه بأمور الدعوة، وأيضاً في «ديوانه» المبارك ما يضاف إليه.

ومن ذلك قوله ــ رحمه الله ونفع به ــ داعياً لمن يهتم بكتب الإمام الحداد:

إلهَ الورىٰ سهِّلْ علىٰ كلِّ من قَرا ... تصانيفَ حدّادِ العُلا ما تَعسَّرا
وأصلِحْ له كلَّ الشؤونِ، وجُدْ لهُ ... بعافيةٍ كبرىٰ، وأحسِنْ له القِرىٰ
وجدِّدْ لهُ في كلِّ حينٍ كرامةً ... وفضلاً، وأنعِشْهُ إذا ما تعثَّرا

ويحسُنُ بي هنا أن أنقل ما كتبه السيد المؤرخ النسابة محمد ضياء شهاب، المتوفىٰ بمكةَ سنةَ ١٤٠٥ رحمه الله، عن دعوة الإمام المترجَم. قال رحمه الله:

«نشر هذا السيد الدعوةَ مبنية علىٰ رأي ثاقب وعلم واسع، كما قام بمعالجة أمراض الهجرة، فشدد ــ مثل من سبقه ــ في شجب المهاجرة، كما يشدد علىٰ كل عالم ومتعلم، ويلومه في ترك الدعوة، ولا يتركه حتىٰ يأخذ عليه العهد بالدعوة، فإذا جاءه ثانياً سأله عما فعل.

أخذ يرسل الدعاة ويطلب لهم المعونة المالية، فاستقصىٰ قريةً بعد

قرية، فكان الدعاة يجوبون طرقها، وينادون بها علىٰ المنابر، وبعدَ الصلوات، ويمشون في الطرق أول الليل، وقد يصعد منهم جماعة علىٰ المئذنة بجامع قرية، فيدعون الناس إلىٰ الله، فيجتمع الناس في سطوح بيوتهم، يستمعون إليهم ويتعلمون منهم، وقد ينادي أحدهم من المئذنة: «الصلاة جامعة»، فيجتمع أهل القرية في المسجد، فيخطُبُ فيهم ويعظهم.

ثم أخذ السيد في تعميم الكتاتيب للتعليم، ووضع لها نظاماً، وخص البواديَ بمزيد من العناية، وجعل البواديَ التي لا قرىٰ لها، أو كانت بعيدة القرىٰ، لا يتبلغها أقدام الدعاة، جعل لهم لياليَ للتعليم والدعوة إذا جاءوا إلىٰ (شبام) بقوافلهم.

وكان الدعاة يأتونهم ليلاً، فيسمرون في محطاتهم علىٰ الرمل، وكان الأعرابي يأتي وأنفُه في خِزامةِ الشيطان. . فينقلب مبصراً بنور الإيمان.

كان السيد يرىٰ وجوب تثقيف البنت، فالفتاة التي لا علم لها ولم يتمكن الإيمان من قلبها لا تستطيع أن تهذب أطفالها، ولا أن تربيهم على الآداب وحب الخير، فاجتهد في تعليم البنات، فلم تمض مدة وجيزة حتىٰ كانت البيوت تحِنُّ بالتعليم والقراءة، وصرن مهاميزَ للرجال إلىٰ أعمال الخير. وطالما عيرنهم علىٰ المظالم، وقبحنهم علىٰ ما يرتكبون منها.

ثم أخذ يدعو إلىٰ إقامة والٍ عادل، ويحث علىٰ إصلاح الوادي كله بوجود الوالي العادل، فكان ينشر رأيه في كل مكان، وفي مجالسه وخطبه وأشعاره، ويناقش أهل الفضل وذوي الرِّياسة، ويبين عظَم المهمة الملقاة علىٰ عواتقهم، وثقل العبء الذي وكله الله إليهم، ولكن لا بد للوالي من مال تقام به الدعوة والدولة، في حينَ ينفق الناس أموالهم في كماليات، فحث علىٰ الاقتصاد وعدم الإسراف في الكماليات.

ثم أخذ في تحسين الشؤون المالية في أهل بلده (شبام)، فجاء إلىٰ أصحاب رؤوس الأموال، فقرن لكل منهم فقيراً يُقارضه: علىٰ المُتموِّل رأس المال، وعلىٰ الآخر العمل، ويقسِم الربح بينهما، وتركهم علىٰ ذلك سنة، ثم استدعاهم وقد توفرت أرباحهم، وكلهم دعا وشكر، مغتبطاً بما صار إليه من تاجر وعامل.

سأل رجل لسد نقص في العمل، فقال: لو كان في البلد مُرابٍ لكانت التجارة علىٰ أحسن ما يرام. فالعميل في الشحر يرسل إلى الشخص بضاعة، ثم يحوِّل عليه بثمنها بعد عشر، فتأتي الحوالة قبل تصريف البضاعة ووجود النقد، فلو كان في البلد مُرابٍ لأمكننا أن نأخذ منه دراهم، فنسلم مقابل الحوالة وننتظر البضاعة إلىٰ سوقها، ولكننا الآن قد نضطر إلىٰ بيعها في غير سوقها، أو بربح قليل، أو بخسارة، لندفع مقابل الحوالة.

فاقترح السيد أحمد أن تُجمع الدراهم بقدر معين، فيوضع عند السائل هذا، ويكون مُرصَداً لاقتراض من يحتاج إلىٰ دراهم يدفعها إلىٰ غريم مُلحّ، أو حوالة معجلة، وعليه أن يرد ما اقترضه في مدة معينة، ويرد معه شيئاً من الدراهم من عنده، بصفة وقف دائم، برسم قرض، حتىٰ إذا توفر من ذلك مبلغ كافٍ يرَدُّ رأس المال لأهله، وتبقى الدراهم موقوفة لقرض المحتاجين كما هي. فاجتمعت دراهم وافرة، وأخذ أهل المال رؤوس أموالهم، وانتفع الناس بذلك[١]. علىٰ أنه مكث أربعين سنة علىٰ ذلك، يدعو بالحسنىٰ، فكانت النتيجة مثمرة.

---

(١) مصدر هذه الحكاية: ما رواه السيد علوي بن عبد الله القاضي السقاف عن شيخه العلامة ابن عبيد الله السقاف، عن شيخه الحبيب حسن بن أحمد بن سميط، عن الحبيب أحمد المترجَم له.

وبقي من آثار هذا السيد (بشبام) أمور حسنة، منها: أن المؤذن بعد أذانه للصلاة يتلو سورة الفاتحة والتشهد بصوت عال، فتسمع ذلك ربات البيوت، فيحفظن ما سمعنه بالتكرار، وقد يتلو المؤذن غير ذلك مما يفيدهن، ولذلك فإن النساء والعامة لا يغرُبُ عنهم شيء من ذلك.

ومن آثاره: أن المرأة يجب أن ترتديَ سروالاً طويلاً إلىٰ القدم تحت الثوب، ولم تعد المرأة هناك تغني الأغنية الخلاعية حين تزاول أعمالها، ولكنها تتلو ما يقربها إلىٰ الله من الأناشيد الدينية.

كتب السيد أحمد بن عمر بن سُميط إلىٰ السيد محمد بن إبراهيم بلفقيه بهذه الأبيات:

وقد أوجبَ الديّانُ فرضاً محتَّماً ... علينا: نقيِّمْ والياً ليس نُعذَرُ
لنهيٍ وأمرٍ واتباعِ شريعةٍ ... يعينُ لذي التقوىٰ، وللضدِّ يَقهَرُ
وقطرٌ خلا منه فاعدُدْه فارغاً ... إقامتُه ضيمٌ وعيشٌ مُكَدَّرُ

ولمّا عظُم الخطب.. أخذ السيد يستنكر المظالم، ويقاوم الظالمين علناً، ولكن الخوف قد استحوذ علىٰ النفوس لدىٰ الأكثرية، فدعا إلىٰ الهجرة عن (شبام)، حتىٰ يرتدع الظالم». انتهى كلام السيد ضياء رحمه الله.

وقال العلامة ابن عبيد الله: «وقد اهتم بإقامة دولةٍ (لحضرَموت)، واشتد أسفه لذلك، ولئن مات بحسرة علىٰ ذلك فقد كلل الله أعماله بالنجاح في نشر الدعوة إلىٰ الله تعالىٰ، حتىٰ انقشعت الجهالة، واندفعت الضلالة، وانتبه الجَمَّاءُ من النوم، وتقيّلَ آثارَه أراكينُ القوم». انتهىٰ.

ـــ مقتَطفاتٌ من قصائدِه الدَّعَوية :

حفَل «ديوان» صاحب الترجمة بالعديد من القصائد التي فيها حث علىٰ العمل الدَّعوي، والتحضيض لجمهور العلماء والفقهاء وطلاب العلم علىٰ القيام بذلك .

كما حفَل بالعديد من القصائد التحذيرية والإرشادية لجمهور الناس، من ارتكاب المخالفات الشرعية، وإتيان المحظورات والمنهيات .

وأسلوبُ الحبيب أحمد في النصح والتقريع شديد، ليس فيه ممالأة ولا مجاملة، بل هو صريح في أقواله، ناصح لا يوارب ولا يخادع . . رضي الله عنه، وكثر في المسلمين من أمثاله .

فمن ذلك قوله :

ألا يا صاحِ لا يصحَبْكَ عاتٍ ... من الأشرارِ قطّاعُ الصلاةِ
ولا تُدخِلْه داراً أنت فيها ... ولا تلقاه إلا بالعِظاتِ
وبالتوبيخِ والتقريعِ حتىٰ ... يؤوبَ لفرْضِه أوْبَ التُّقاةِ

وفي معرض تشجيعه علىٰ طلب العلم، وتحذيره من المفاخرة بالأنساب، قال رحمه الله :

من كان ذا طبعٍ أبي ... لم يكفِه «كانَ أبي»
ليس الفتىٰ من يكتفي ... ويغترِرْ بالنسَبِ

ومنها :

في ﴿ وَٱلَّذِينَ جَٰهَدُواْ ... فِينَا ﴾ فحسبُكَ ارغَبِ
في طلبِ العلمِ ولا ... تترُكْ ملسحَ الأدبِ
فالعلمُ أُسُّ العَملِ ... بل هُوَ أسنىٰ القُرَبِ

وقال:

مَن حازَ العلمَ وذاكَرَهُ ... صَلَحتْ دُنياه وآخرتُهْ
فأَدِمْ للعلمِ مُذاكرةً ... فحياةُ العلمِ مُذاكرتُهْ
وحياةُ القلبِ مجَالسُهُ ... وخَرابُ القلبِ مهاجرتُهْ
ويموتُ القلبُ إذا اندرسَتْ ... وعفَتْ في الناسِ مُدارَستُهْ
فالعلمُ مَزِيتُهُ ارتفعتْ ... ودليلُ الخيرِ ممارستُهْ
ومياهُ العلمِ بها طُفِئتْ ... نيرانُ الجهلِ وغائلتُهْ
ومِدادُ كتابتِه ورَدَتْ ... بدَمِ الشهداءِ موازنتُهْ

وقال:

لا شيءَ كالعلمِ قطُّ ... سيروا إليهِ وحُطّوا
في مجلسِ العلمِ سرٌّ ... بهِ الذنوبُ تُحَطُّ
من يطلبِ العلمَ يحظىٰ ... برُتبةٍ لا تُحَطُّ

ومنها:

إن شئتَ تظفَرْ بحظٍّ ... منه ويأتيكَ قِطُّ
كنْ في البكورِ غُراباً ... وفي التملقِ قِطُّ
ثم احتمِلْ مثلَ كلبٍ ... وذا لنُجحِكَ شرطُ

إلىٰ غير ذلك مما ورد في «الديوان». . مما لا نطيل بذكره في هذه الترجمة الموجزة، ولنا إسهاب وتطويل في ترجمته المطولة بإذن الله تعالىٰ.

ـ تشجيعُه علىٰ التأليف:

لقد كان الإمام أحمد بن عمر بن سُميط ـ كما ذكرنا سابقاً ـ من أكبر المشجعين علىٰ الدعوة إلىٰ الله تعالىٰ، وعلىٰ التعلم وطلب العلم، وفوق ذلك

أيضـاً . . كان من كبار المشجعين علىٰ التأليـف، وقامـت في عهده الميمون الزاهـر حركـة تأليفية كبيرة، في (شبامَ) وخارجَها، وكُتبت كثير من الكتب والمؤلفات النافعة بإيعاز وإشارة منه رضي الله عنه .

من ذلك : تحفيزه لمن حوله من العلماء على وضع المختصرات الفقهية والتجويدية، ونظْم المنظومات المفيدة الجامعة، ووضع الشروح علىٰ بعض الكتب والقصائد والمنظومات النافعة . . والأمثلة علىٰ ذلك كثيرة، أذكر منها علىٰ سبيل الإجمال لا الحصر :

ـ طلبَه من الشيخ عبد الله باسودانَ شرحَ منظومة العلامة الرملي «رياضة الصبيـان»، فشرحهـا بشرح سماه «سِمْط العِقيان» تشـرفت بخدمتـه وتحقيقه وطُبع .

ـ وطلبَه من الشيخ عبد الله بن سمير أن يختصر كتاب الإمام ابن حجر الهيتمـي «أسنىٰ المطالب في صلـة الأقـارب»، فاختصره بكتاب سماه «كافي الطالب» كما ورد في ثنايا هذا «المجموع» .

ـ اهتمامـه بعلم التجويد، وعنايتـه بمنظومـة الشيـخ عبد الله باشعيب المسماةِ «باكورة الوليد في علم التجويد»، فوضع تلميذه العلامة أحمد بن علي الجنيـد شرحاً عليهـا سمـاه «سلم المريد»، كما وضع منظومة أخرىٰ في هذا العلم تلميـذه الشيخ محمد بن أحمد عبدون شراحيل، ووضع تلميذه الشيخ عمر مشغان كتاباً مختصراً مفيداً في التجويد سماه «فتح الكريم المجيد»، طبع الأخير بتحقيقي .

ـ عنايته بعلم النحو، فوضع تلميذه الشيخ الصالح محمد بن أبي بكر (الملقبُ بكاراً) معاشر مختصراً في النحو، سماه «مذاكرة الطلاب في قواعد الإعراب» (مخطوط) .

ـ حثه المتواصل علىٰ العناية بالخُطبة الطاهرية، فقد ورد في هذا الكتاب حث كثير عليها، ومدْح وثناء لصاحبها، وكان من نتاج ذلك الحث والاهتمام. . أنِ اهتم تلامذته وشيوخ عصره بهذه «الخطبة» اهتماماً كبيراً فنظموها وشرحوها، فنظمها الشيخ أحمد بن عمر باذيب في «منظومة» بلغت أبياتها ألف بيت إلا خمسين بيتاً. كما شرحها الشيخ عبد الله باسودان وغيره بشروح وافية.

ـ وكذلك طلبه أن تُنظم مقدمة كتاب «الدعوة التامة» للإمام الحداد، لاحتوائها علىٰ خلاصة موضوع الكتاب وكبير الفائدة الحاصلة منها، فنظَمَ تلك المقدمة المذكورة عدد من الأكابر، منهم: الشيخ أحمد بن عمر باذيب، والشيخ عبد الله بن سمير، والحبيب عبد الله بن أبي بكر عيديد، وغير ذلك.

ـ ومن أبرك الكتب التي وضعت بإشارته: المتن الشهير المسمى «سفينة النجا» أو «النجاة»، لتلميذه الشيخ الفقيه الصالح سالم بن عبد الله بن سمير المتوفىٰ بسورابايا بإندونيسيا سنة ١٢٧٠هـ. وهذا الكتيب الصغير الحجم نال شهرة واسعة، وانتشر في الآفاق، وشرحَه كثير من أهل العلم في كثير من الأقطار.

وما هذه إلا أمثلةٌ كما ذكرت، وهناك بلا شك الكثير الكثير، مما يدلنا دلالة واضحة وأكيدة علىٰ سَعة وشمولية وانتشار الحركة العلمية التي عاشتها مدينة (شبام)، خاصة في عهد ذلك الإمام، بل (حضرَموت) كافة، لتفرق طلابه ومريديه فيها، رضي الله عنه وعنهم.

وبعدُ،

فإلىٰ هنا. . نصل إلىٰ نهاية المطاف، من ترجمة الإمام أحمد بن عمر ابن سُميط، أحد أئمة هذا الدين، مَن هو معدود بحق من الأئمة المجددين،

وهو حقيق بذلك.

وأرجو أن أكون قد وُفقت في عرض سيرة حياته، وتصويرها واضحة جلية، وإلا فالتقصير حليف الكاتب، وأنىٰ يعبِّر البنان عما تضمنه الجَنان؟. . وما هذا إلا جهد المقل، أسأل الله سبحانه وتعالىٰ أن يسبل علىٰ قبره وضريحه شآبيب الرحمة والرضوان، وأن يبلغه مني التحية والسلام.

وعسىٰ أن يكون في هذه السطور أداء لبعض الدَّين الذي لا يزال منوطاً بأعناق الشباميين، ولمّا يقوموا بسداده والقيام بحقه، وهيهاتَ أنىٰ يبلغ الضالع من الضليع.

وحسبي أني نقلت هٰاهنا نصوصاً نادرة، لم يسبق لأحد أن وقف عليها أو نقلها قبلي، وأني اجتهدت في ذلك أقصىٰ اجتهاد إلىٰ ما سبق ذلك من حصول بعض المبشرات المنامية رآها لي بعض الإخوة الصادقين، بشرتني بحصول المأمول من خدمة هذا الجبل الأشم، والحمد لله رب العالمين.

❋ ❋ ❋

هذا «المجموع»

يؤثَر عن الحبيب الولي الصالح أبي بكر بن عبد الله العطاس، المتوفىٰ بحُريضةَ سنةَ ١٢٨٢، وهو من تلامذة الحبيب أحمد بن عمر: أنه كان لا يفارق هذا «المجموع» لا حضراً ولا سفراً، حتىٰ أنهم وجدوه إلىٰ جواره عند وفاته رحمه الله.

ويعود هذا الاهتمام من قبل هؤلاء الأكابر، الذين لهم حرص علىٰ الدعوة إلىٰ الله تعالى، بهذا «المجموع»، لما حواه من صدق اللهجة، ونصاعة الأسلوب، ووضوح الكلام، والخوض في شؤون الناس وأحوالهم، وتبيين أحوال المدعُوّين وما هم عليه من الخطأ، ثم معالجة ذلك الخطأ بأسلوب راق، وبيان شاف.

***

هذا، وقد حفَل هذا «المجموع» النفيس بأمور كثيرة، وخصائص ومميزات، لم أشأ أن أدعها تمر عليّ دون أن أقيدها وأُفرِدَها بالذكر هنا، تنويهاً بها، وتنبيهاً علىٰ أهميتها، فمنها:

ـ كثرة استشهاده بالآيات الكريمة والأحاديث النبوية، وهذا دليل علىٰ حفظه رضي الله عنه، واهتمامه بالسنة، كما هي طريقة الإمام الحداد، أقول هذا رداً علىٰ من قال: إن أهل (حضرَموتَ) ليس لهم عناية بالحديث الشريف

والسنة المطهرة عموماً.

وقد ذكر ــ رحمه الله تعالىٰ ورضي عنه في هذا الكتاب ــ أن الإمام الحداد أعطىٰ للشيخ محمد بن عوض لعجم باذيب نسخته من «صحيح الإمام البخاري»، ليجلدها في بعض البلدان البعيدة مع سفره إليها، فلما عاد بها مجلَّدة كما طلب منه، فرح الإمام واغتبط بها، وقال له: يا محمد! لو جئت لي بمركب شاحن من كل غالي، ما فرحت به كمثل فرحي «بالبخاري». قال الحبيب أحمد: فانظر تعظيمه لحديث رسول الله، ولا بعد كلام الله إلا كلام رسوله ﷺ، فأكثروا من كتب الحديث.

ــ ومنها: إيراده لجملة من الأخبار من واقع حياة والده العارف الجليل، وعمه الإمام النبيل، وبعض ما روَوْه عن الإمام الحداد من وقائع وأحوال، وجميل خلال. وذكْرُه لبعض شمائل شيوخه، ونقله جملة من كلامهم ومواعظهم، ووقائع وأحوال جرت لهم، في ذكْرِها فائدة كبيرة، ولكون سندها قوياً متصلاً، لقرب قائلها وراويها من أزمانهم.

ــ ومنها: اهتمامه البالغ بتعليم الصغار، ولا سيما أبناءُ البادية وأهل الحِرف، وأبناء القبائل: المحاربة والمسلحة؛ لأن في تعليمهم تغييراً لأفكار عششت في رؤوس أهاليهم وآبائهم من معاداة أهل العلم وعدم الجلوس معهم، ولأن تعليمهم يقتضي أن ينشأ جيل صالح يحب الإصلاح الديني، ويقدم الدين والعلم والشرف علىٰ شرع القبولة والثأر المعهود عند القبائل، ويقضي علىٰ العادات السيئة المنتشرة بين تلك الأقوام.

ــ ومنها: حثُّه علىٰ الاقتصاد في المعيشة، وتحذيره المتكرر من البخل ومن الإسراف، وأمره بالتقلل من الأمور الكمالية، وضربُه المَثَلَ بما كان سائداً في عصره من شرب القهوة وإضاعة الأوقات في شربها والجلوس عليها، إلىٰ

غير ذلك، رحمه الله تعالىٰ. . فكيف لو رأىٰ ما بُلِيَ به الناس اليوم في عصرنا من المُلهيات الكثيرة الجمة، التي لا تعد ولا تحصىٰ!!

ــ ومنها: ذكره لمناقب وسير أهل (شبام) ــ وهي بلدته ومسقِط رأسه رضي الله عنه ــ في عصره أو العصور التي سبقته، مع تسميته لهؤلاء الأعلام، وتذكيره لمن عاصرهم من ذرياتهم بالاستمرار علىٰ نهج الآباء المحمود، وطريقهم المعهود، وتحذيره إياهم أشد التحذير من تنكُّب ذلك الصراط والتخلف عن سِمَاطهم الممدود.

وفي إيراده ما ذكرنا من أخبارهم فائدة كبرىٰ وأي فائدة، فلولا هذا التدوينُ المبارك لما علمنا عنهم ولا عن أخبارهم شيئاً، وأيضاً فهي حافز لأبناء المذكورين وأسرهم إلىٰ الاقتداء بهم، وتتبع سيرهم ومناقبهم، ومدَعاة للتشبه بهم.

ــ ومنها: إشادته بجماعة من تلامذته، وحثه إياهم علىٰ بذل الجهد في الدعوة إلىٰ الله، كتلميذه النابغة الشيخ أحمد بن عمر باذيب، فقد استشهد الحبيب أحمد ببعض شعره، كقوله من القصيدة اليائية:

ومن رامَ إصلاحاً لعاقبِ أمرِهِ فلا بدَّ من أن يُصلِحنَّ المَباديا

وذِكْرُه أيضاً لنظم تلميذه الشيخ باذيب المذكور لمتن «خُطبة الحبيب طاهر»، إذ إن الشيخ باذيب نظم «الخُطبة المذكورة» في منظومة طويلة، تقرُبُ أبياتها من الألف بيت، وهي لدينا بحمد الله تعالىٰ.

ومنهم بعض معاصريه من علماءِ وأعيان (حضرَموت)، وبذله الدعاء لهم بالعافية وطول العمر، كما جرى ذلك للشيخ عبد الله بن سمير.

ــ إشادته ببعض الكتب النافعة لعلماءَ حضارمةٍ وغيرهم، كالحال في

«مقال الناصحين» للشيخ محمد بن عمر باجمال، و«الحديقة الأنيقة» للشيخ محمد بحرق، و«الخُطبة» للحبيب طاهر بن حسين، وكتب الإمام الحداد.. وغير ذلك.

ـ هذا عدا كلامَه الجم في الحث علىٰ الاقتصاد، والتأكيد علىٰ إقامة والٍ عادل يحكم (حضرَموت)، وذِكْرَه لبعض السلاطين الذين عاصر قيامهم وسقوطهم، وقد علقنا علىٰ كل ذلك في موضعه.

ـ قوة استحضاره لشعر الإمام الحداد، واستشهاده به في مواطن كثيرة من كلامه هذا، مما يدلنا علىٰ تعلقه الكبير بآثار ذلك الإمام، ويؤكد القول بأنه أظهر دعوته بعد أن كانت مستترة زماناً طويلاً. وكلامه في هذا الموضوع مبثوث هنا.

ـ تحذيره من الاغترار بأحوال الأولياء والصالحين، والنظر إلىٰ حالهم في أواخرِ أعمارهم، دون النظر إلىٰ حالهم في أول حياتهم، وصرْفِ النظر عما كانوا عليه أيام نشاطهم من طلب للعلم، فقال: القمراه الكبيرة أن يُقتدىٰ بالولي في حال كماله، ولا ينظر إلىٰ بدايته!

ـ ذُكِر في هذا «المجموع» جملة من الكتب التي كانت تُقرأ عليه في مجالسه، فلم تكن مجالسه كلها وعظية، بل للعلم فيها مجال واسع، وهذا أمر معروف بطبيعة الحال، وإنما ذكرتُ ذلك لأنفيَ عن ذهن المطالع ما قد يتوهمه من انشغال أولئك القوم بالرقائق والصوفيات البحتة، أو انهماكهم بقراءة كتب الكرامات، وغير ذلك مما ينشأ عن التوهم الفاسد.

ـ ذُكِر في «المجموع» جملة من قصائده ـ رحمه الله ـ وتعليقُه عليها، مما يدلنا علىٰ أن «ديوانه» قد قرىء عليه، وأنه قام بتصحيحه والتعليق علىٰ مواطن منه، وهذه فائدة.

ـ وخاتمة هذه الملاحظات أن هذا «المجموع» كتب بلغة سهلة مفهومة، ومعظمه بالدارجة الحضرمية، لكي يكون مفهوماً عند العامة والخاصة، وليتم المقصود منه وحصول الفائدة المرجوة. وهو في هذا كغيره من كتب أمالي الشيوخ المعروفة عند أهل (حضرَموت).

هذه أبرز النقاط التي أحببت أن أسجلها في معرض الحديث عن هذا «المجموع»، رجاءَ إفادةِ القارىء الكريم، وإيقافه علىٰ جواهر هذا الدر النظيم.

ويكفيني هنا أن أورد تقريظ الشيخ أحمد بن عمر باذيب علىٰ هذا «المجموع»، فقد كتبه بقلم الأديب البليغ، والكاتب المترسل البديع.

❊ ❊ ❊

تقريظُ الشيخِ أحمدَ بنِ عمرَ باذيب
علىٰ هذا «المجموع»

وهذا نص تقريظ الشيخ الجليل الأديب: أحمد بن عمر بن سالم باذيب، وليدِ (شبامَ) ودفينِ (سنغافورا) سنةَ **١٢٨٦** تقريباً قال رحمه الله:

«هذا ما يسَّر الله جمعه من الكلام والأنفاس الزكية، بل الرياحين الذكية، والنفحات العِطرية الشذية المِسكية، بل الرشْفات العذبة السكَّرية، المغترفة من أعذب المناهل والمعارف الخلقية والأمرية. مجمع بحرَي الأحوال والمقامات الذوقية والشهودية، ومنبع مَعِين فيض الإمدادات الكرمية الجودية، جامع أسرار أهل العرفان والتمكين، وبدر هالة سماء أهل الكشف واليقين، وإكليل تاج الصوفية المتقين، ومفرد قلادة العلماء الراسخين.

رحمة الله المخبوءة لأهل القرن الثالثَ عشر، وعناية الله المحبوة بها الناحيةُ اليمانية، لا سيما النواحي الحضرمية، خصوصاً دارةَ البلد المحمية (شبام) التي من خلايا ديارها تألق ضياء هذا البدر المنير وانتشر.

مجدد القرن وكهف الأمن، سيد الدعاة إلىٰ الله في عصره، وأكمل المرشدين إلىٰ الله في سره وجهره، وقطب رحى الوجود، والبركة الشاملة لكل موجود، سيدنا ومولانا وملاذنا وكهفنا وعياذنا وشيخنا وأستاذنا، وارث

الأسرار النبوية، ومطلِـع الأنوار المصطفوية، سيدنا الشهاب المنير أحمد ابن القطب الجامع الشجاع عمر بن زين بن سُميط نفعنا الله به وأعاد علينا من بركاته في الدارين، آمين، آمين، آمين، يا رب العالمين».

❋ ❋ ❋

ترجمةُ كاتبِ هذا «المجموع»
الشيخِ دحمانَ بنِ عبدِ الله لعجم باذيب

هو: الشيخ الصالح المعلم عبدُ الرحمنِ (المعروفُ بلقَبِ دحمانَ) بنُ عبدِ الله بنِ عمرَ بنِ محمّدِ بنِ عوض لعجم باذيب، الشباميُّ الحضرَميّ.

ــ مولده:

وُلِدَ (بشبام)، وعلىٰ التخمين كان في حدود سنة ١٢٣٠، ونشأ في حجر والده الشيخ الصالح عبد الله بن عمر لعجم الذي توفي (بشبام) في ١٦ ربيعٍ الأول سنةَ ١٢٥٠.

وكان والده المذكور من الأخيار، قال في حقه الحبيب أحمد بن عمر بن سميط: «إنه من الأخيار، ومن الذين يدفع الله بهم البلاء، ومن الذين يحييهم الله في عافية، ويميتهم في عافية» كما نقله عنه ابنه في هذا «المجموع».

ــ نشأتُه:

نشأ الشيخ دحمان نشأة أبناء الصالحين، فعكف علىٰ طلب العلم، وتفقه في الدين، ثم كانت له الحَظوة والمزية الكبرىٰ بملازمته مجالسَ شيخه سيدنا الحبيب أحمد بن عمر، في تلك المجالس البهية كان الشيخ دحمان يعلق وينتقي من تلك الحدائق والبساتين المثمرة المغدقة أشهىٰ الثمار وأطيبها مذاقاً

وألذها مطعماً، وجمعها بين دفتي هذا «المجموع» الذي فاق بحسنه وحلاه ما عداه.

فكان له عظيم المنة علىٰ تلامذة الإمام، وعلىٰ كل من يمُتّ بصلة أو قرابة إليه، بل على كل الحضارم.. وبالأخص سكان مدينة (شبام).

قال الشيخ علي بالربيعة الشبامي المتوفىٰ (بشبام) سنة **١٣٨٢** رحمه الله في حق الشيخ دحمان المترجَم: «نشأ وعاش في دوحة العلم والصلاح، وأخذ القرآن ومبادىء العلوم الدينية عن علماء زمانه، وصحب شيخه المبرز السيد العلامة أحمد بن عمر بن سُميط، وكان ألصقَ تلامذته به، حتى جاز له أن يجمع كلامه المنثور».

وكان الشيخ دحمان يتنقل بين (شبامَ) والشحر، وكان يقيم بها بعض الأسباب المعاشية، ولم يفتأ مع ذلك يدعو ويعلم ويعظ ويذكر.. مشياً علىٰ طريقة شيخه، التي لازمها طيلة حياته، ولم يفتر عنها وعن القيام بأعبائها.

ــ دعوتُه وشعرُه:

عثرت ــ أثناء بحثي عن التراث الشبامي وتقييدي لمآثر آبائنا ــ علىٰ عدة منظومات من شعر الشيخ دحمان رحمه الله، كلها دعوة ونصح وتذكير، نظمها بأسلوب سهل بسيط يفهمه الخاص والعام، ولعلها كانت تُقرأ في المجامع، لاحتوائها علىٰ مواعظ ووصايا هامة.

فمن ذلك قوله من قصيدة بلغت (٧١) بيتاً، ينصح أهل (شبام) بالعموم، ويرشدهم ويذكرهم علىٰ فترة من وفاة شيخه:

أيها الإخوانُ في هذا البلَدْ   عَظِّمُوا الدِّينَ هُدِيتُمْ للرّشَدْ
وأشيدوا مِن بِنَاهُ ما وهىٰ   وأقيموا ما عراه من أوَدْ

عظِّموا ما عظَّمَ الرحمنُ منْ | واجباتِ الشرعِ من فرضٍ وحَدّ
فجميعُ الخيرِ في تعظيمِ ما | عظَّمَ الله لَهُ عز الأحدْ
لن ينالَ الله لحمٌ ودمٌ | وينالُ الله تقوىٰ مَن قصَدْ
صورُ الأعمالِ لا تنفَعُ مِنْ | غيرِ تعظيمٍ منَ القلبِ مُمَدّ

ــ **نصيحةٌ للنساء:**

وهذه القصيدة العجيبة المبنىٰ، العظيمة المقصِد والمعنىٰ، في نصح النساء في عصره ــ وكيف يقول لو رأىٰ نساء عصرنا؟! ــ يعظهن فيها عن الخروج من ديارهن بلا حاجة مع الزينة والتعطر، وغير ذلك مما يدل علىٰ قلة الاحتشام، مما يؤذن بخطر جسيم؛ لأنه منكر عظيم، والأمر لله فيما عرىٰ أهل الإسلام في كافة الأقطار.

وهذه هي القصيدة، وهي تقع في (٧١) بيتاً، مطلعُها قوله:

يا نساءَ الحيِّ خِفْنَ ذا الجَلالْ | واتَّقِينَ للكبيرِ المُتعالْ
لا تبرَّجْنَ ولا تَخرُجْنَ بالطيبِ والزينةِ والْزَمْنَ الحِجالْ
ثم لا تخضَعْنَ بالقولِ فيطـ | ـمَعَ مَن في قلبِه سُوءُ الفِعالْ
فالتي تخرُجُ من منزِلِها | في لِباسٍ مَعَ طيبٍ واكتحالْ
تقصِدُ المسجدَ، لم تُقبَلْ لها | قطُّ ما صلّتْه من قبلِ اغتسالْ
بئستِ المرأةُ مَن ترضىٰ بما | يورِثُ التهمةَ في قُبحِ الخِصالْ
كيفَ لا تُصغي إلىٰ قولِ النبيْ | في التي مِن طيبِها شَمُّ الرجالْ
أنها زانيةٌ، أَخْسِسْ بمَنْ | خالفَ الشرعَ ومَن هُوْ عنه مالْ

إلىٰ آخرها.

القصيدةُ الوعْظية

وله ــ رحمه الله ــ هذه القصيدة التي خمّسَ أشطارَها بقوله: «له التصرفُ مولانا ونحن العبيدْ»، وهي طويلة، وفيها كلامٌ يكاد يَسيلُ من عذوبته، ونصائحُ قيّمة جداً، كل الناس في غفلة عنها.

ويبين فيها كيف كانت طريقة سيدنا الإمام أحمد بن عمر بن سُميط في الدعوة إلىٰ الله، وإرساله الدعاة إلىٰ البوادي للدعوة والإرشاد، كما عليه العملُ اليومَ في (تَريمِ) الغَنا، حفظ الله أهلها من كل سوء وَعنا.

وتقع هذه القصيدة التخميسية في (٤٤) مقطعاً، قال ــ رحمه الله ونفع به ــ في مطلِعِها:

يا غافلاً أصغِ للذكرىٰ بقلبٍ شهيدْ ... وأقبِلْ علىٰ الله والزَمْ بابَهُ لا تَحيدْ
يكفيكَ من همٍّ دنياكَ يومُ الوعيدْ ... جلَّ المهيمنُ ذو الفضلِ الغنيُّ الحميدْ
له التصرفُ مولانا ونحنُ العبيدْ

واعلَمْ بأنك لم تُخلَقْ أُخَيُّ سوىٰ ... لخَصلَتينِ لها نصُّ القرانِ حَوىٰ
العِلمِ ثم العبادةِ، فاتّبِـعْ ما رَوىٰ ... واحذَرْ تخالفُ ذا البطشِ المَهُولِ الشديدْ
له التصرفُ مولانا ونحن العبيدْ

واصرِفْ زمانَكَ في علم وفي عمَلِ ... واخلِصْ لربِّكَ، كنْ منه علىٰ وجَلِ
لِنهْيِـهِ، فـاجتَنِـبْ والأمـرَ فـامتثِـلِ ... واسألْه يهديكَ للنهجِ القويمِ السديدْ
له التصرفُ مولانا ونحن العبيدْ

وذاكَ نهجُ شفيعِ الخلقِ هادي الأنامْ　　لطاعةِ الله يدعوهم، لدارِ السلامْ
فـاقتَـدْ بـهِ وتمسّـكْ واتّخِـذْهُ إمـامْ　　تنَلْ محبةَ ذي العرشِ العظيمِ المجيدْ
له التصرفُ مولانا ونحن العبيدْ

وقال في آخرها:

وخُـصَّ أهلَـكَ بـالتعليـمِ والأدبِ　　فالاعتناءُ بهِمْ من أفضلِ القُرَبِ
ولا تُضِعْهم تضِعْ في البعدِ والغربِ　　في طلبِ الرزقِ بالسعيِ البليغِ الشديدْ
له التصرفُ مولانا ونحن العبيدْ

فقِّـهْ بنـاتِـكَ والأولادَ فـي الصِّغَـرِ　　من بعدِ سبعٍ، فذاكَ النقشُ في الحجَرِ
فمن أضاعَ صبياً ضاعَ في الكبرِ　　فاغرِسْ به مُوجباتِ الخيرِ تَدْعُ مجيدْ
له التصرفُ مولانا ونحن العبيدْ

وقـمْ عليهـم وعلِّمْهـم لمَـا جهِلـوا　　من المُهِمِّ وإن همْ عنه ما سألوا
فـذاكَ فـرضٌ فـلا تُهمِلْـه يـا رجـلُ　　تـأثَـمْ ويـأثَـمُ منهـم بـالـغٌ ورشيـدْ
له التصرفُ مولانا ونحن العبيدْ

ويكفِ ذا اللُّبِّ والإنصافِ ما ذَكَرا　　حدادُنا القطبُ، مَن للدِّينِ قد نَصَرا
بالقولِ والفعلِ أحيا منه ما دُثِرا　　فهْو المُجدِّدُ حقاً في الزمانِ فريدْ
له التصرفُ مولانا ونحن العبيدْ

فكـم نصـائـحَ أهـدانـا وكـم غُـرَرا ... وكم تصانيفَ: مبسوطاً ومُختصَرا
بها غدا الحقُّ بينَ الناسِ منتشرا ... كالشمسِ في الظُّهرِ بل في النفعِ تلكَ تَزيدْ
له التصرفُ مولانا ونحن العبيدْ

جـــزاه ربّـــي وبـــوّأه وأسكنَـــهُ ... جناتِ عدنٍ وفي الفردوسِ مكّنَهُ
وبـالـرضـا عنـه فيهـا قَـرَّ أعينَـهُ ... فهْوَ الجَوادُ الكريمُ ولديهِ مَزيدْ
له التصرفُ مولانا ونحن العبيدْ

* * *

ـ تلامذتُه:

لم أقف علىٰ ذكر المترجَم ـ رحمه الله ـ في الأثبات الشبامية، ولعله كان مقيماً أكثرَ وقتِه في الشِّحر، ولم أعثر ـ حتىٰ زمن كتابة هذه المقدمة ـ علىٰ من أخَذَ عنه سوىٰ العلامة الفاضل، خطيب مدينة الشحر، السيد أحمد بن عمر بن إسماعيل السقاف، المتوفىٰ سنةَ ١٣١٩، فقد ذكر الشيخَ دحمانَ في مقدمة شيوخه، وذكر أنه تعلم عنده القرآن الكريم، في بندر الشحر.

والسيد أحمد المذكور من أعلام الشحر، وكان من العلماء الأتقياء، أخذ عنه جملة من أهل العلم، منهم السيد عبد الله باحسن جَمَل الليل، صاحب «نشر النفحات المسكية في أخبار الشحر المحمية» المتوفىٰ سنة ١٣٤٧.

ـ وفاةُ الشيخِ دحمان:

كانت وفاته علىٰ الأغلب في آخر القرن الثالثَ عشرَ أو مفتتَح الرابعَ عشر، أي: قبل سنة ١٣١٢.

رحم الله الشيخ دحمان رحمة الأبرار، وأسكنه جنات تجري من تحتها الأنهار، ومن أراد المزيد فعليه بكتابنا «بغية الأريب».

عملي في هذا «المجموع»

ـ اعتمدت في إخراج نص الكتاب علىٰ نسختين:

الأولى: نسخة (تَريم) التي كتبها الحبيب محمد بن علوي بن شهاب الدين المتوفىٰ سنة ١٤٠٠.

والثانية: نسخة (شبام)، وهي النسخة المحفوظة بمنزل السادة آل سُميط (بشبام) (في محضرة أم الستة)، والتي نسخها الشيخ سالم بن محمد شَمّاخ سنة **١٣١٢**.

ولم أذكر في الهوامش الفروق بين النسختين، لقلتها، ما لم يكن الفرق كبيراً، أو في ذكره فائدة، وإلا فإني أصحح النصَّ حسبما يتفق مع السياق.

ـ قمت بتخريج الأحاديث الشريفة.

ـ ترجمت للأعلام الذين ذكروا في صلب «المجموع»، لا سيما أهل (حضرَموت).

ـ عزوت الأبيات إلىٰ قائليها غالباً.

ـ قمت بشرح الكلمات العامية، التي قد لا يفهمها غير الحضارمة، لكونها بالدارجة؛ لأن المقصود حصول الانتفاع من هذا الكتاب لكل الناس، ومن الواجب توضيح هذه الغامضات.

ـ شرحت بعض المسائل الفقهية بالرجوع إلىٰ المصادر المعتبرة عند الشافعية.

هذا ما قمت به من خدمة، وهي حقاً جهد المقل، فإن أصبت فمن الله، وإن أخطأت فمن نفسي، وما توفيقي إلا بالله، عليه توكلت وإليه أنيب.

محمد أبو بكر باذيب

جدة في: ٢١ / ١ / ١٤٢٤هـ

صُوَرٌ من صَفَحات الأُصُول المعتَمَدة في التحقيق

بسم الله الرحمن الرحيم

الحمد لله ذي الفضل العظيم والجود السابغ العميم
هذا ما جرى به القلم على حسب المذاكرة في مجالس
سيدي الحبيب احمد بن سيدنا القطب الغوث
عمر بن زين بن سميط علوي نفع الله به ورضي
عنه ونفعني والمسلمين به آمين مما تكلم به
وسمعته عنه وربما لم تكن العبارة بعينها فكتبت
او كما قال او ما هذا معناه وقد سمعته رضي الله عنه
يقول: اذا كتب الانسان حديثا او كلاما وحصل
معه شك في لفظه فليكتب في آخره او كما قال
فإنه يكون تبريا من الكذب منه على القايل
واستغفر الله من الكذب على اولياء الله والتجري
عليهم والمقصود حفظ المذاكرة لينتفع بها من وقف
عليها ببركة المتكلم وهمته نفع الله به آمين
كان كثيرا ما يقول الحمد لله على كل حال مر
وحال ماض وحال. الحمد لله على قبيح ما ستر وجميل
ما نشر وقال رضي الله عنه: قال بعضهم من كانت
غريزته اليقين لم تضره الذنوب يعني انه يتذكر
ويرجع كما قال تعالى اذا مسهم طيف من الشيطا

تذكروا

صورة الصفحة الأولى من نسخة تريم

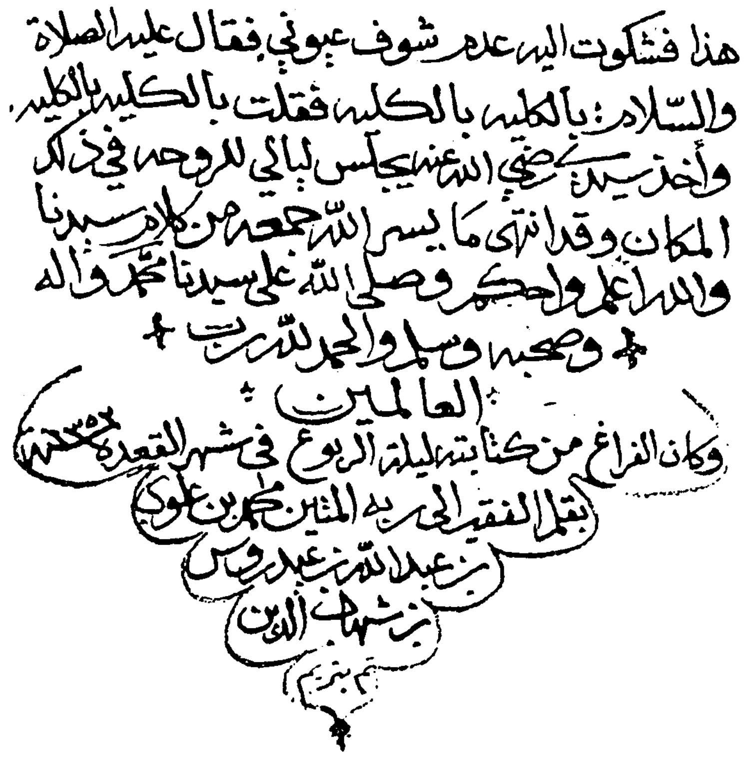

هذا فشكوت اليه عدم شوف عيوني فقال عليه الصلاة
والسلام: بالكليه بالكليه فقلت بالكليه بالكليه
وأخذ سيدي رضي الله عنه يجلس لياليّ للروحة في ذلك
المكان وقد انتهى ما يسر الله جمعه من كلام سيدنا
والله اعلم واحكم وصلى الله على سيدنا محمد وآله
وصحبه وسلم والحمد لله رب
العالمين
وكان الفراغ من كتابته ليلة الربوع في شهر القعدة سنة ١٠٥٢
بقلم الفقير الى ربه المتين محمد بن علوي
بن عبدالله بن عيدروس
بن شهاب الدين
تم بتريم

صورة الصفحة الأخيرة من نسخة تريم

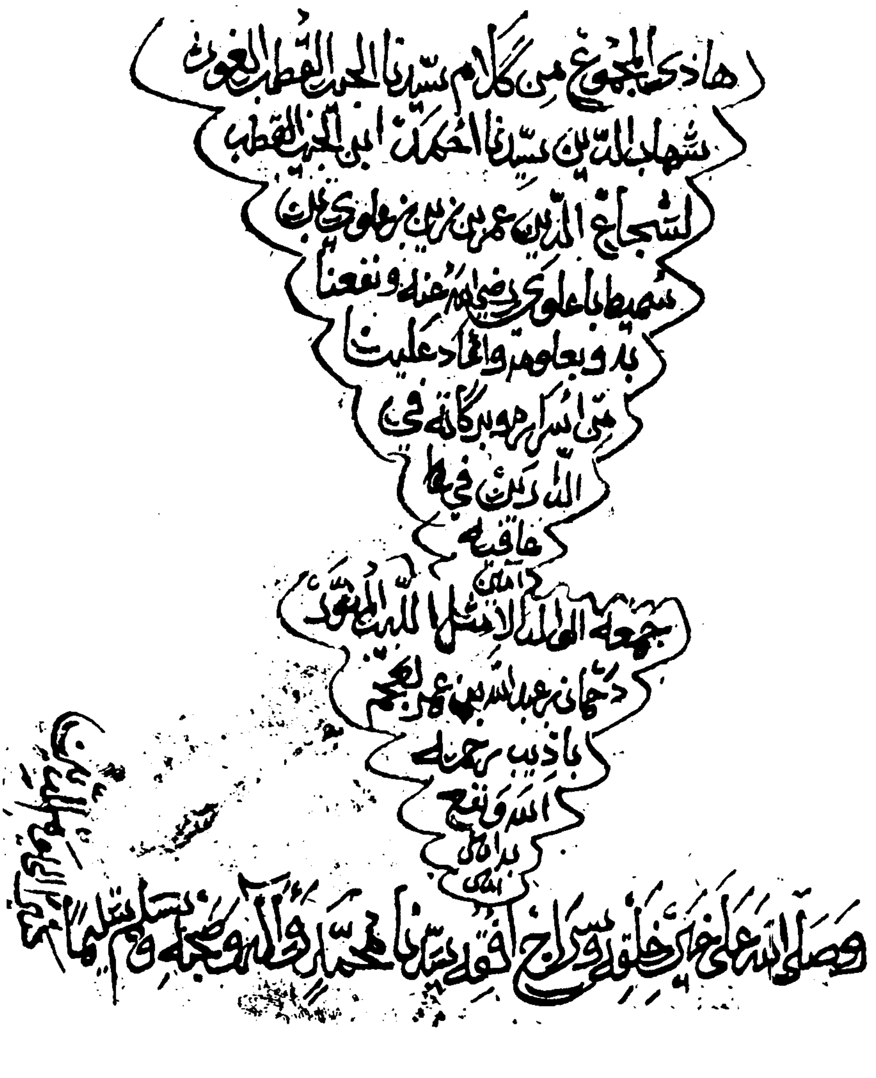

هاذي المجموع من كلام سيدنا الحبيب القطب الغوث
شهاب الدين سيدنا أحمد ابن الحبيب القطب
لشجاع الدين عمر بن زين بن علوي بن
سميط باعلوي رضي الله عنه ونفعنا
به وبعلومه وأعاد علينا
من أسراره وبركاته في
الدارين في خير
وعافية
آمين
جمعه الولد الأمثل للحبيب المذكور
[illegible] عبد الله بن عمر [illegible]
باذيب رحمه
الله ونفع
به آمين
وصلى الله على خير خلقه وسراج أفقه سيدنا محمد وآله وصحبه وسلم تسليما [illegible]

صورة الصفحة الأولى من نسخة شبام

انتهى المجموع من كلام سيدنا وقدوتنا وحبيبنا الحبيب
القطب الشجاع الهمام القطب الغوث
شهاب الدين أحمد بن سيدنا القطب الشجاع
الهمام عمر بن زين بن علوي بن سميط باعلوي
الذي [illegible] الولد حامد بن عبد الله
بن عمر بن محمد باذيب رحمه الله
ونفع بالجميع وأعاد
علينا من أسرارهم
وبركاتهم في
الدارين
آمين
رب العالمين وصلى الله على سيدنا محمد وآله
وصحبه وسلم والتابعين لهم بإحسان
إلى يوم الدين وكان الفراغ
من كتابته ضحوة الثلوث
وعشر خلت من
ربيع الأولى سنة ١٣١٢ ... من الهجرة على صاحبها أفضل الصلاة

صورة الصفحة الأخيرة من نسخة شبام

مجموع مواعظ وكلام

الإمام العلامة الحبيب

أحمد بن عمر بن سميط

جمع تلميذه

الشيخ عبد الرحمن بن عبد الله بن عمر العجم باذيب

ويليه

تقريب الشاسع في ترتيب وظيفة الجامع

اعتنى به وقدم له

محمد بن أبي بكر بن عبد الله باذيب

دار الفتح للدراسات والنشر

بِسۡمِ ٱللَّهِ ٱلرَّحۡمَٰنِ ٱلرَّحِيمِ

الحمدُ لله، ذي الفضلِ العظيم، والجُودِ السابغ العميم.

هذا ما جرىٰ به القلمُ علىٰ حسَب المذاكرة في مجالس سيدي الحبيبِ: أحمدَ ابن سيدنا القطب عمرَ بن زينِ ابن سُميط علَوي نفع الله به ورضي عنه ونفَعَني والمسلمينَ به، آمين، مما تكلّمَ به وسمِعْتُه عنه، وربّما لم تكنِ العبارةُ بعينها، فكتبتُ: «أو كما قال»، أو: «ما هذا معناه».

وقد سمعتُه رضي الله عنه يقول: إذا كتَبَ الإنسانُ حديثاً أو كلاماً ما، وحصَلَ معَه شكٌّ في لفظِه، فلْيكتُبْ في آخره: «أو كما قال»، فإنه يكونُ تبرّياً منَ الكذب منه علىٰ القائل. وأستغفرُ الله من الكذب علىٰ أولياء الله والتجَرّي عليهم، والمقصودُ حفظُ المذاكرة لينتفعَ بها مَن وقَفَ عليها ببركةِ المتكلِّم وهمّته، نفَعَ الله به، آمين(١).

* * *

---

(١) هذه المقدمة من نسخة (تريم)، وأما نسخة شبام فقد بدأت هكذا:

«بسم الله الرحمن الرحيم

الحمد لله علىٰ كل حال، مرٍّ وحال، . . . هذا ما جرىٰ به القلم علىٰ حسَب المذاكرة. . .» إلخ.

كان كثيراً ما يقول: «الحمدُ لله علىٰ كل حال، مُرٍّ وحال، ماضٍ وحالّ. الحمدُ لله علىٰ قبيحِ مَا سترَ، وجميلِ ما نَشَر.

❊ ❊ ❊

وقال رضي الله عنه: قال بعضُهم: من كانت غَريزتُه اليقينَ لم تضُرَّه الذنوب. يعني: أنه يتذكرُ ويرجِع، كما قال تعالىٰ: ﴿ إِنَّ ٱلَّذِينَ ٱتَّقَوۡاْ إِذَا مَسَّهُمۡ طَٰٓئِفٌ مِّنَ ٱلشَّيۡطَٰنِ تَذَكَّرُواْ فَإِذَا هُم مُّبۡصِرُونَ ﴾ [الأعراف: ٢٠١]، حتىٰ أن الشيطانَ الذي أغراهم بالذنْبِ يندَم علىٰ فعلِه؛ لأنهم يجدُّون في السيرِ بعد وقوعِ الذنب أعظَمَ مما قبلَه، فيحزَنُ الشيطانُ من ذلك، ولهذا ما جرىٰ بين الصحابة، الأوْلىٰ السكوتُ عنه؛ لأنَّ يقينَهم يحمِلهُم علىٰ التذكّر، وقد فاقوا جميعَ الخلْق بقوّة اليقين.

ولقد أنصفَ سيدُنا عمَرُ بنُ عبدِ العزيز حينَ سُئل: مَن أفضل: أنت أم معاوية؟ فقال: الترابُ الذي دخَلَ في منخر فرسِ معاويةَ وقتَ الجهاد مع رسولِ الله أفضلُ من عمرَ وآلِ عمر، أو كما قال سَيدُنا رضي الله عنه، أو ما هذا معناه.

❊ ❊ ❊

وقال رضي الله عنه ونفع به: ويقال: مَن ضيَّق علىٰ نفسِه في العالَم الدُّنياويّ، نفَّس الله عليه في العالم الأُخراويّ، والعكسُ بالعكسِ.

❊ ❊ ❊

وقال رضي الله عنه: رأىٰ سيدُنا أحمدُ ابنُ حنبلٍ رضي الله عنه الحقَّ سبحانَه وتعالىٰ في المنام، فسأله: ما أفضلُ ما يَتقرَّبُ به المتقرِّبون إليك يا ربّ؟ قال: فسمعَ الحقَّ يقول: بكلامي يا أحمد. فقال: بفهْمٍ أو بغيرِ فَهْم؟ قال: بفهْمٍ أو بغيرِ فهم[١].

قال والدي عمر: لكنه مع الأدب. أو كما قال سيدُنا.

❋ ❋ ❋

وقال رضي الله عنه: قيل: إن الإنسانَ يكتُبُ أحسنَ ما يسمَع، ويذاكرُ بأحسنِ ما يكتب.

❋ ❋ ❋

رأىٰ سيدُنا رضي الله عنه في يومِ الجمُعَةِ في شهر صفرٍ سنةَ (١٢٤٦هـ): ستٍّ وأربعينَ ومائتين وألف، كأنه في تَرِيمَ في عُلْمةِ المعلِّم عمر باغَرِيب[٢]، وكأنَ المعلمَ المذكورَ جالسٌ في العُلمةِ يُعلِّمُ الصِّبيان، وهو في حالةٍ جميلة، أحسنَ مما يعهَدُها سيدُنا وكأنه يعلِّمُ الصغارَ الأبياتَ التي للحبيبِ طاهر بنِ حسين بن طاهر[٣] التي في أثناء «النونيةِ» نظْمِ سيدِنا، وهي:

---

(١) «مناقب الإمام أحمد ابن حنبل» لابن الجوزي (٤٣٤).

(٢) توفي بتريم سنة (١٢٠٥هـ) تقريباً. وعُلْمةُ باغريب هي زاويةٌ صغيرةٌ بتريم تأسّستْ في القرنِ التاسع الهجريّ زمنَ العيدروس الأكبرِ المتوفى سنة (٨٦٥هـ)، وغلبت عليها النسبة لآل باغريبٍ لكونهم المدرسين بها.

(٣) المتوفىٰ بالمسيلة سنة (١٢٤١هـ).

أيا صاح، ذي الدارُ دارُ عَنَا ... وما كان فيها جميعاً فـفَانْ

إلىٰ آخرِها، وكانت تُعجبُه ويستعيدُها إذا قُرئتْ مراراً.

ثم انتبَهَ سيدُنا رضي الله عنه، وقصَّ الرؤيا كما ذُكرت. فقال: عَلِّموا القصيدةَ المذكورة الصغارَ لأجْلِ ترسَخ في قلوبِهم محبةُ الآخرة قبلَ محبةِ الدنيا، الحَذَر تخلُّونه يسبقُ ماء عُقْران[1] إلىٰ الجروب (يعني محبةَ الدنيا)، فيجي ماء سَرّ (يعني محبةَ الآخرة)، فلا عاذْ يحصِّل مَحَلّْ.

ثم قال رضي الله عنه: وكان المعلمُ عمرُ باغريبٍ المذكورُ سِنُّه قريبٌ من سنِّ الحبيبِ عمرَ والدي، والفقيرُ تعلّم عند المعلمِ المذكور.

وقال الحبيبُ حامد بن عمر[2]: إنّ المعلمَ باغريبٍ «سَعْدُ وقتِه»، يعني: مثلَ سعدٍ السوينيِّ[3] في وقتِه، أو كما قال.

* * *

وقال رضي الله عنه: قال بعضُ السلفِ رضي الله عنهم: إنِ استطعْتَ أن تجعلَ آنيةَ بيتك خزَفاً فافعَلْ ، يشيرُ إلىٰ القناعة.

---

(١) وادٍ معروفٌ بحضرموت، قريبٌ من بلدة (هينن).
سَرّ: وادٍ معروفٌ قُرْبَ شبام.

(٢) الإمام الجليل، ممن أدرك الإمام الحداد وأخذ عنه، توفي سنة (١٢٠٧هـ) بتريم.

(٣) الشيخ سعد السويني من كبار العارفين، توفي بتريم سنة (٨٥٩هـ) أفرده بالترجمة تلميذُه الإمام علي بن أبي بكرٍ السكران.

وقال رضي الله عنه: هُمّوا بالخير يرفعْكم الله في الدارَين: الدنيا والآخرة.

وقال: أَنْوُوا الخيرَ يُظَفِّرْكمُ اللهُ به في عافية؛ لأن المؤمن ما زادَ علىٰ سائرِ الناس إلّا بالنيّات الصالحة، أما أعمالُ الظاهرِ فقد تتأتىٰ منَ المنافقين: ﴿لَن يَنَالَ ٱللَّهَ لُحُومُهَا وَلَا دِمَآؤُهَا وَلَٰكِن يَنَالُهُ ٱلتَّقْوَىٰ مِنكُمْ﴾ [الحج: ٣٧]، يعني النياتِ الصالحة.

قال سيدُنا عمرُ بن عبد العزيزِ رضي الله عنه: هُمّوا بالأمورِ العالية، وإياكم وأسافلَ الأمور، فإني ما هَمَمْتُ بأمرٍ إلّا نِلْتُه(١). أو كما قال، حتىٰ أنّه همَّ بالمُلكِ فبلَّغه اللهُ إياه، ثم عزَفَتْ نفْسُه إلىٰ المُلكِ الأبديِّ، فاللهُ سبحانَه وتعالىٰ بايبلِّغه إياه، أو كما قال.

* * *

وقال رضي الله عنه: عاونوا علىٰ هذا الأمرِ الذي ندعو إليه(٢)، ولا يخذُلنّكم الشيطان، فإنه ما له ولهذا الشأن. عاونوا يا إخواني، تنصُروا الرسول، أو بغيتوا التوبيخَ في القبور. عسىٰ الله ينوِّر البصيرة ويشرَحُ الصدور.

ويسهُلُ علىٰ الإنسان إذا كانتِ المعاونةُ في بناءِ مسجدٍ أو سقاية، ولو كان في هذا الشأنِ عَسُرَ عليه؛ لأنه يُخذِّلُ عليه الشيطان، أو كما قال، أو ما هذا معناه، وأستغفرُ الله.

---

(١) «مناقب عمر بن عبد العزيز» لابن الجوزي (٨١).

(٢) أي: الدعوة إلىٰ الله تعالىٰ.

وسمعتُ سيدي رضِي الله عنه يقول: ينبغي لمن رأىٰ أحداً يُخِلُّ بشيءٍ من المأمورات، أن يُنبِّهَه برِفق، ويعتقدَ في قلبِه أنه أفضلُ منه[١].

ويذكُرُ قصةَ الشيخ أحمدَ ابن حجرٍ[٢] فيما يُنْقَلُ عنه، حين عبَرَ ومعَه تلامذتُه علىٰ الشيخِ المجذوب الفرغانيِّ وهو جالسٌ علىٰ مَزْبَلةٍ، فخَطَرَ بخاطِرِ الشيخ ابن حجرٍ قولُ بعضِهم: ما اتخذَ اللهُ مِن وَليٍّ جاهل، فكاشَفَه الفَرغانيُّ وقال له: اتخَذَني علىٰ رغم أنفِك. فحصَلَ بعدَ ذلك علىٰ الشيخِ ابن حجر، فيما أظن، بعضُ نسيان لِمَا يَعلم. فشَكَا ذلك إلىٰ العلماء، فلم يدُلَّه أحدٌ منهم علىٰ شيء، حتىٰ أتى إلى بعضِهم، فأخبَرَه بالقصّة، فقال له: اعتذِرْ إلى الشيخِ الفَرغانيِّ ويحصُلْ لك الشفاء. فاعتذَرَ إليه، فرضِيَ عنه وأمَرَه بذبْح ديكٍ معروف[٣] وقال له: عاد علمك[٤] إلاّ في حَوْصَلةِ ديك، أو كما قال، وأستَغْفِرُ اللهَ إن كنتُ سهَوْتُ في شيء، حيث قصْدي حفظُ المُذاكرة، واللهُ غفورٌ رحيم.

وكذلك يذكُرُ قصةَ الشيخِ عمرَ ابنِ الفارض وفتوحَه على يدِ شيخٍ رآه يتوضأ مُنكِّساً، فنبَّهَه على ذلك، فكاشفه الشيخُ بفتوحِه. والقصةُ مشهورة، سمعْتُه من سيّدي رضِي الله عنه.

---

(١) أي: إنه يجري علىٰ قلبه أنّ ذلك الرجلَ أفضل منه عند الله من باب حُسن الظن وهضم النفس؛ لأنه قد يدخل في نفسه شيءٌ من الزهو عند قيامه بالنصيحة، والله أعلم.

(٢) هو الهيتمي، المتوفى بمكة سنة (٩٧٤هـ).

(٣) أي: فيه عَرْفٌ على رأسه.

(٤) أي: لايزال علمك.

وقال سيدُنا رضِي الله عنه: قال بعضُهم: العافيةُ عشرةُ أجزاء، كلُّها في التغافل. فيا بخْتَ مَن تغافَلَ في زمانِنا ويا سَعدَه[١].

وقرِىءَ هذا الأثرُ عندَ سيّدِنا الحبيبِ أحمدَ بن زينِ الحبشيِّ[٢] رضي الله عنه، وهو: «يأتي على الناسِ زمانٌ لا ينجو فيه إلا مَن تحامَق»[٣] فقال سيدُنا أحمدُ بن زينٍ الحبشي: يعني تغَافَلَ وتَبَيْلَهَ، ليس هو الحُمْقَ المعروف. وعادةً الإنسانُ إذا سَلِمَ منَ المُخالطةِ يستفيدُ حُسْنَ الظنِّ حتى بالأشرارِ؛ لأنّ الزمانَ زمانُ تغافُلٍ وتغافُرٍ ومُحالَّة.

وقال رضِي الله عنه: حَدْ مِن الناس ينوِّر وقته وحَدْ يبَوِّر وقته، نعوذُ باللهِ منَ البَوار، عسى اللهُ يبارِكْ لنا في الصِّغار حتى ينوِّرُوا أوقاتهم.

وجِدُّوا واجتهدُوا في هذا الباب[٤]، أعني المُعاونةَ على الدعوة، فإن كلَّ مشمِّرٍ في هذا الباب مقصِّر؛ لأنه بايكافىء[٥] النبيَّ عليه الصلاةُ

---

(١) وفي هذا المعنى يقول تلميذه، العلامة أحمد بن عمر باذيب:

وارْضَ التغافلَ خِلاًّ ما حييْتَ تجدْ　　　فيهِ السـلامةَ إجمـالاً وتفصيـلا

(٢) المتوفى بخَلْع راشد سنة (١١٤٤هـ).

(٣) لم أجده.

(٤) أي: باب الدعوة إلى الله تعالى، ونشر العلم بين العامة، وتعليمهم أمورَ الدين.

(٥) المراد بالمكافأة هنا: أن الداعي إلى الله تعالى يقوم بين أهل زمانه في مقام الأنبياء، من حيث الوراثة النبوية، ولأن وظيفة الأنبياء هي الدعوة والتبليغ والتعليم.. ومن قام في هذا المقام كان مكافئاً لهم في القيام بذلك الأمر، وشتان ما بين المقامين، والله أعلم.

والسّلامُ الذي هو سببُ هدايتِه، ولا يبلُغُ مكافأتَه إلاّ مَن شمَّرَ جهدَه، وعَرَف أنّه ما قام حتى بِعَشُورِ عُشرِ حقِّه عليه الصّلاةُ والسّلام، أو كما قال.

* * *

وقال عند قَوْلِ سيّدِنا الحبيبِ طاهر بن حسين:

أيا صاحِ ذي الدارُ دارُ عَنَا وما كان فيها جميعاً فَفَانْ[1]

إلى آخرِه. قال تعالىٰ: ﴿ إِنَّا جَعَلْنَا مَا عَلَى ٱلْأَرْضِ زِينَةً لَّهَا لِنَبْلُوَهُمْ أَيُّهُمْ أَحْسَنُ عَمَلًا ﴾ [الكهف: ٧]، ﴿ وَٱضْرِبْ لَهُم مَّثَلَ ٱلْحَيَوٰةِ ٱلدُّنْيَا كَمَآءٍ أَنزَلْنَٰهُ مِنَ ٱلسَّمَآءِ فَٱخْتَلَطَ بِهِۦ نَبَاتُ ٱلْأَرْضِ فَأَصْبَحَ هَشِيمًا تَذْرُوهُ ٱلرِّيَٰحُ ﴾ [الكهف: ٤٥]، وبعدُ اضمحلَّتْ، وصارت هباءً، عسى اللهُ يمحي مِنَ القلوبِ مشْهَدَها من اليوم، وأما عندَ الموتِ فلا عادْ يبقى منها شيءٌ معك. قال بعضُهم: إذا أردْتَ أن تعرِفَ قَدْرَ الدنيا فاسأَلْ عنها المحتَضِر، فإنها لا تسْوى تَفلَةً عندَه.

وقال رضي الله عنه: قال بعضُهم: بعضُ الناسِ سَرَّاقةُ العقولِ وسرَّاقةُ الوقت، فلا يليقُ بالإنسانِ إلاّ الانقباضُ والاعتزال. قال في «الحِكَم العطائيّة»: عُدَّ إقبالَهم، أيِ: الخلق عليك ليلاً، وإدبارَهم نهاراً. أو كما قال.

* * *

---

(١) ديوان الحبيب أحمد بن عمر (١٩٠)، وهذا البيت بداية فصل من فصول القصيدة النونية.

وقال رضي الله عنه: خرَجَ درويشٌ في أيَّامِ سيدِنا أحمدَ بن زينٍ متشمِّماً للطاعةِ وهو رافعُ الهمّةِ عن التشوّفِ إلى الناس، فحصَلَتْ له محبةٌ في قلوبِ الناس وانجذابٌ بالعطاء، حتى أن بعضَ البانيانِ[1] أعطاه شيئاً، فحُكِيَ ذلك لسيدِنا أحمدَ بن زين، فقال بعضُ المُحبِّينَ لسيدِنا أحمد بن زين: كيفَ ذلك مَعَ أنه لم يسألْ ولم يُظْهِرِ الفاقة؟ فقال له سيدُنا أحمدُ بن زين: أمَا علِمتَ أنّ القناعةَ مِغناطيسُ الرزق؟ **قال سيدُنا**: ومفهومُ ذلك أن الحرصَ يُبْعِدُ الرزق. أو كما قال، أو ما هذا معناه.

* * *

وقال أيضاً: إذا حصلَتِ النيةُ الصالحةُ في السَّبب[2]، ظهَرتِ البركة، كما قال سيدُنا عبدُ الله الحدّاد:

واجعَلْ إلهيَ هذا　　عَوْناً على كلِّ خيرِ

إلى آخرِه[3]، فينبغي أن تكونَ هذه النياتُ في كل سبب.

وقال: إذا أرادَ اللهُ بعبدِه خيراً رزَقَه مِن حيثُ لا يحتسِب، كلما قدَّرَ شيئاً منَ الأسبابِ أنّ فيه رزْقَه، خالَفَ على قياسِه، **«أبى اللهُ أن يرزُقَ عبدَه**

---

(١) البانيان: غير المسلمين من الهنود، وهم يسكنون عدن ولا أحد منهم في حضرموت.

(٢) السَّبب: يعني قيام الشخص ببعض الأعمال التجارية التي تكون سبباً في كفايته واستغنائه عما في أيدي الناس... وهو شائع الاستعمال عند المتقدمين، يقولون: فلان يتعاطى الأسباب، أي: يزاول العمل التجاري.

(٣) وهي القصيدة التي مطلعها: يا رحمة الله زُوري. «الديوان» ص: ٢٨٨.

المؤمنَ ــ أي: الكامل ــ **إلا من حيثُ لا يحتسب**»(١). وإذا أرادَ اللهُ بعبدهِ شراً، كلما دبَّرَ أمراً وقَعَ على ما يريدُه، فيركَنُه إلى فكرِه ودهاه، ويفتنُه بذلك استدراجاً.

* * *

وقال نفَعَ اللهُ به: قال سيّدُنا حذيفةُ بنُ اليمانِ رضي الله عنه: «يأتي على الناسِ زمان، لا ينجو فيه إلاّ مَن دعا بدعاءٍ كدعاءِ الغريق»، وهو زمانُنا هذا. وغريق البحرِ لا يركَنُ إلى شيءٍ من الأسبابِ إلا إلىٰ اللهِ تعالى: ﴿وَإِذَا مَسَّكُمُ ٱلضُّرُّ فِي ٱلْبَحْرِ ضَلَّ مَن تَدْعُونَ إِلَّآ إِيَّاهُ﴾ [الإسراء: ٦٧] وفي الحقيقة: إنّ الغريقَ مَن غرِق في بحر الدنيا، ولا درى كيفَ با تكون المُخارَجة وعلى أيِّ حال. أمّا غريقُ البحر، فهو شأنٌ آخر. ولكنّ الإنسانَ يلجَأُ إلى ربِّه بالدعاء؛ لأنه كريم ﴿أَمَّن يُجِيبُ ٱلْمُضْطَرَّ. . .﴾ [النمل: ٦٢] الآية.

حتى الكافرُ إذا اضطُرَ إليه يُنجيه، كيف! وهو ربُّه الذي خلَقَه، فلا عادْ معَ الإنسانِ إلا الدعاء، «**بارَكَ اللهُ لعبْدٍ في حاجةٍ قُضِيَتْ أكْثَرَ لها منَ الدعاء**»، أو كما قال، أو ما هذا معناه، وأستغفرُ الله.

---

(١) أخرجه الديلمي عن أبي هريرة، والعسكري وابن ماجه عن عليٍّ رفعه، قال النجم الغيطي: «ولا يصحُ شيءٌ منها». اهـ.

وأورده ابن الجوزي في «الموضوعات» ورواه القضاعي في «مسنده»، قال العلامة العجلوني: وأقول: الحديث بطرقه معناه صحيح وإن كان ضعيفاً، ففي التنزيل: ﴿وَمَن يَتَّقِ ٱللَّهَ يَجْعَل لَّهُۥ مَخْرَجًا وَيَرْزُقْهُ مِنْ حَيْثُ لَا يَحْتَسِبُ﴾ الآية. . «كشف الخفا» (١: ٣٤- ٣٥).

وقال رضي الله عنه: أنا أرجو منَ اللهِ أنه خبَّأَ هذه العُلْمة ــ لعل مُرادَهُ العُلمة: العِلْمُ الواجب[١] ــ لأهلِ الزمان، إنْ وَفَّقَهم اللهُ لها، ليلحَقوا بها مَن قبلَهم، أو يسبِقون، وما يدريك يسبِقون؟ وهذا جهادٌ أكبر، و: «**رُبّ بينَ الصَّفينِ، اللهُ أعلمُ بنيّتِه**»[٢]، ولكنها ثقيلةٌ على النفوس، لِثِقَلها في الميزان، عسى الله يوفِّق للمُعاونة، والنية بذلك؛ لأن من كَمُلتْ نيتُه تَمَّتْ معونتُه، أو كما قال.

* * *

وقال رضي الله عنه: كان سبَبُ كَفِّ بصرِ سيدِنا عبدِ الله الحدَّادِ رضيَ الله عنه منَ القطيب[٣]، وكانت أُمُّه[٤] شفيقةً به، ومُحاديةً عليه، خصوصاً مِن خالٍ له ــ سيدٍ من آل الغُصْن[٥] ــ كان مِن أهلِ الجذْب، وكانت تَـقْلِد[٦] على سيدِنا الحبيبِ في منزِل، وتشلّ الأقليد.

ففتح المنزلَ وفيه مِن كلِّ جنسٍ من الطِّيب، فضمَّخَ سيدَنا عبدَ الله به

---

(١) هذه زيادةٌ من الناسخ! وإلا فالعُلمة معروفة عند أهل حضرموت؛ وهي: المكتب أو الكُتَّاب كما يُعرف في بلدان الإسلام.

(٢) حديث نبوي، أخرجه الإمام أحمد في «مسنده» (١: ٣٩٧).

(٣) القطيب: مرضٌ كالجُدَري، يصيب الجلد.

(٤) هي الحرة الشريفة سلمى بنت عيْدروس بن أحمد صاحب الشعب الحبشي.

(٥) السادة آل الغصن من آل جمل الليل، ولعلهم أخوال والد الإمام الحداد أو والدته.

(٦) أي: تغلق.

فكُفَّ بصَرُه بسببِ ذلك، فلمّا جاءتْ والدةُ سيدِنا عبدِ الله ورأَتْ ذلك.. قالت له في ذلك، قال لها: بايَعْمى، وجميع أهل زمانه بايسيرون في ظلِّه.

ثم خرجتْ بسيدِنا عبدِ الله أُمُّه إلى قبةِ سيدِنا الشيخِ عبدِ الله العيْدَروس، وقالت: إمّا يموت، أو يفتّح. فيروون: أن سيدَنا عبدَ الله حصَلَ له ما حصَلَ من تلك الساعة.

حتى قال هو[١] رضي الله عنه: عُرِض عليَّ حالُ سيدِنا عبدِ القادر الجيلاني، فوجَدني قد مُلِئْتُ من بعضِ السادةِ بني علَويّ ـ يعنيه[٢] ـ فسُقْتُ ذلك الحالَ للسيدِ أحمدَ بن زينِ الحبشي، قال سيدُنا عمرُ بنُ زينِ ابن سُميط: يعني أنه مُحيي الدين، كما أنّ سيدَنا عبدَ القادر كذلك.

□ وفي قصةِ الدرويشِ المغربيِّ ما يدُلُّ على ذلك، وهو: أنه رأى كأنّ حيةً طوَّقَتْ عنُقَه، وأركزَتْ رأسَها وقالت: السلامُ عليكم.

فقال: وعليكمُ السلام.

فقالت: ما جاءَ بك؟

فقال: خرجتُ زائراً لمشايخِ حضرَموت، وقصْدي زيارةُ الشيخِ عبد القادر الجيلاني.

فقالت: الذي تطلُبُ منَ الشيخِ عبدِ القادر عندَ السيدِ أحمدَ بنِ زين.

ثم قال لها: ومَن أنت؟

---

(١) أي: الإمام الحداد.

(٢) أي: الإمام العيدروس.

قالت: أنا رُوحانيٌّ من روحانيي السيدِ أحمدَ بنِ زين، وله روحانيونَ كثير.

فلما انتبَه الدرويشُ منَ النوم، جاء ليُخبرَ سيدَنا الحبيبَ أحمدَ بن زين، وكان سيدُنا الحبيبُ أحمدُ بن زينٍ يخرُجُ لصَلاةِ الصبحِ وقتَ الإسفار، فحينَ لقِيَ سيدَنا أحمدَ قال له سيدُنا: قد علِمْنا بما جرى لك، فلمّا خرجَ سيدُنا الحبيبُ محمدُ ابنُ سُميطٍ إلى عندِ سيدِنا أحمد، أخبرَه الدرويشُ بذلك، أو كما قال.

* * *

وقال رضي الله عنه: قال سيدُنا الحبيبُ عمرُ ابن سُميط: بعضُ الأولياءِ سرُّه في أولادِه، وبعضُهم في أورادِه، وبعضُهم في تصانيفِه، وسيدُنا الحبيبُ عبدُ اللهِ الحدّادُ حصَلَ له ذلك كلُّه. والناسُ إلى اليومِ يسيرونَ في برَكتِه، أو كما قال. وأستغفرُ الله.

* * *

وقال رضي الله عنه: قال سيدُنا عمرُ البار في مدحِ سيدِنا عَبْدِ الله: بانقول: نبُوَّة؟ لا سبيلَ إلى حالِ النبوة، وإنما نقول: وراثةُ النبوة[١]، أو كما قال.

* * *

وقال رضي الله عنه: مناقبُ سيدِنا الحبيبِ عبدِ اللهِ الحدّادِ في

---

(١) أخذاً من حديث: «**العلماء ورثة الأنبياء**».

كلامِه، وهو قد ترجَمَ لنفسِه، انظُرْ إلى اتّصافِه بالفقر، والعجز، والانكسار، في قصائدِه، الذي هو مِن شأنِ كُمَّلِ العارفين، مثلَ قولِه:

قد تحقَّـقْتُ بعجْـزِي   وخضوعي وانكساري(١)

إلى آخرِها... لمن تدبَّر ذلك، أو كما قال.

* * *

وقال رضي الله عنه: قال بعضُهم: ما أتمنّى الحياةَ إلا لمجالسةِ قومٍ ينتَقُون أطايبَ الكلامِ كما يُنتقى أطايبُ الثمر.

وقال رضي الله عنه: قال بعضُهم: طريقُ الجنةِ حَزْنةٌ برَبْوة، وطريقُ النارِ سهْلةٌ بشهوة. أعني طريقَ النارِ المعاصي والشهوات، فمن بغىٰ الغالي يبذُلُ الغالي، «**ألا إنّ سِلعةَ اللهِ غالية، ألا إنّ سِلعَةَ اللهِ الجنة**»(٢).

لا تحسَبِ المجدَ تمراً أنت آكلُهُ   لن تبلُغَ المجدَ حتى تعلَقَ الصبرا

ولا تُنالُ الجنةُ إلا بالصّبر.

* * *

---

(١) من قصيدته التي مطلعها:

قد كفاني علمُ ربّي   مِن سؤالي واختياري

«الديوان» ص: ٢٥٦.

(٢) أخرجه الحاكم في «المستدرك» (٤:٣٤٣) (٧٨٥١)، والترمذي (٢٤٥٠) ، وقال: حديث حسن غريب.

وسمِعْتُه يقولُ بعدَ التشهّدِ الأخير، وبعدَ الصّلاةِ والدعاء: ﴿رَّبِّ ٱغْفِرْ لِى وَلِوَٰلِدَىَّ وَلِمَن دَخَلَ بَيْتِىَ مُؤْمِنًا وَلِلْمُؤْمِنِينَ وَٱلْمُؤْمِنَٰتِ﴾ [نوح: ٢٨].

وإذا رِكبَ على الدابةِ يقول: «اللهمّ أنت الحاملُ على الظهْر، وأنت المُستعانُ في الأمورِ كلِّها، الحمدُ للهِ الذي سخَّرَ لنا هذا وما كنا له مُقْرِنين، وإنّا إلى ربِّنا لَمُنْقَلِبُون».

* * *

وقال رضي الله عنه: إذا أرادَ الإنسانُ أن يفعَلَ شيئاً من المُباحاتِ فلْيقابِلْ بينَ فوائِده وآفاتِه، ويفعَلْ ما تزيدُ فوائدُه على آفاتِه، كما ذكَروا[(١)] في النِّكاحِ لمَن أرادَه، ومثالُ مَن يترُكُ شيئاً رأى في ترْكِه مصلحة، معَ أنه مباح، وربّما فعَلَه بعضُهم على نيةٍ حسَنة.

كمَثلِ الرجُلين اللذين دقَّ أحدُهما رفقةً[(٢)] في جدار، فسئل: لماذا؟

فقال: لابن السبيل.. يُعلِّقُ بها مَتاعَه.

فجاء الآخرُ فأخرجَها، فقيلَ له: لماذا؟

قال: يأتي أعمى أو غيرُه، فتدُقُّ عينَه.

قال سيدُنا: فكلُّهم أُثيبوا، ولكنّ الأخيرَ نفذَتْ بصيرتُه؛ لأن دَرْءَ المفاسِدِ أوْلى من جلْبِ المصالح. وذلك المثَل: كمَن يترُكُ القهوة،

---

(١) أي: الفقهاء.

(٢) أي: وتداً، وتكون من خشب.

أو يرى في ترْكِ الجوابي في المساجِدِ مصلحة[١]. أو كما قال، أو ما هذا معناه.

وقال رضي الله عنه: ينبغي للإنسانِ ــ إذا قال له أخوه: كيفَ أصبحْت؟ أو: كيفَ أمسيت؟ ــ أن يقولَ كما يقولُ بعضُهم: أصبحْتُ وَبي من النِّعمِ ما لا أُحصي، معَ كثرةِ ما أعصي. تعصي الله وتدّعي أنك تحبُّه. قال بعضُهم:

تعصي إلٰهَك ثم تـزعُمُ حبَّـه　　　هذا لعمْري في القياسِ بديعُ

وقال سيدُنا عبدُ اللهِ الحدّاد: يظنُّ الإنسانُ أنه في مقامِ الصبر، ولو أمعَنَ النظرَ لرأى أنه في مقام الشكر[٢].

فينبغي للإنسانِ أن يُمضيَ كلَّ أوقاتِه في الشكرِ على نعمةِ الإسلام، التي هي أعظمُ النعم، لأن ابنَ آدمَ أكثرَ ما يؤتى إلا مِن ترْكِ الشكر.

وتحفَّظُوا على نعمةِ الإسلامِ بالشكرِ عليها، وبحفْظِ اللسان، ومن الإنسانِ التحفُّظُ وعلى اللهِ الحفْظ، ويطلُبُ الإنسانُ الحفْظَ بقولِه: «واحرُسْنا وإياهم. . .» إلخ، عندَ الاحتضارِ في الموت، وهو الكرمُ الكبير، أعني: حُسنَ الخاتمة.

---

(١) هذه الأمثلة ضربها رحمه الله تعالى جرت على حال الزمان، ومن باب ضرب المثل لمعقول المحسوس، وأهلُ ذلك الزمان تناسبهم مثل هذه الأمثلة، وأما في زماننا هذا فيمكن ضرب المثل بلعب الكرة ومشاهدة التلفاز والقنوات الفضائية ونحوها. . فتُنزَّل القاعدة المذكورة عليها.

(٢) وبين المقامين بوْن شاسع.

وكلُّ مَن يعوِّلُ على حسنِ الخاتمة، يبذُلُ نفسَه في التعلمِ والتعليم، ولو بأنْ يقصِدَ الجاهِلَ بنفْسِه؛ لأنه يسْعَى في فِكاكِ رقَبتِه ونجاتِها منَ النار، أو كما قال.

* * *

وقال رضي الله عنه: يقال: إذا أرادَ اللهُ بعبدِه الخير، أَلهمَه هذا الدعاء: «اللهمّ إني ضعيفٌ فقَوِّ ــ في رضاك ــ ضعفي، وخذْ إلى الخيرِ بناصيتي، واجعَلِ الإسلامَ مُنتهى رضاي»، آمين.

* * *

وقال رضي الله عنه: ينبغي للإنسانِ أن يطلُبَ الهدايةَ في كلِّ وقت؛ لأن الهوى غالبٌ عليه، ويسأَلَ منَ اللهِ الثباتَ على الهدى، كيفَ ورأسُ المُهْتَدِينَ عليه السّلامُ يطلُبُ الهدايةَ بقوله: «اللهمّ اهدِنا فيمَن هدَيْت» . . إلخ؟

* * *

ويُروى عن سيدِنا عمرَ بن عبد الرحمنِ العطّاس أنه كرَّرَ دعاءَ القنوتِ المذكورَ من بعدِ صلاةِ العشاءِ إلى أن صدَعَ الفجر، أو كما قال.

* * *

وقال رضي الله عنه: أكثرُ ما تؤثِّرُ في الأشياء: الهِمّة، لا مجردُ القولِ والفعل، انظُرْ هِمةَ سيدِنا أحمدَ بن عيسى، أزالَ اللهُ به البدَعَ من

حضرَموت، وقد كانوا أناسٌ في البلادِ[١] أهلَ بدعة، يُنسبونَ إلى أهل (مَسْكَت)[٢]، حالِّينَ بساحةِ الخوقة[٣].

ومما يدلُّ على ذلك: ما يُروى عن بعضِ الملوك كتَبَ لبعضِ ملوكِ الفرَنج بما معناه: ما سببُ أَعمارِنا معاشرَ وُلاةِ المسلمينَ تقصُرُ وأُعمارُكم تطُول؟ فلمّا وصَلَ الرسولُ إلى الملكِ الكافر، أشارَ عليه بالجلوس تحتَ شجرةٍ عظيمةٍ ثابتةٍ في الأرض، فإذا زالتْ يأتي إليه الجواب، فتعلَّقَتْ هِمةُ الرسولِ بالشجرة حتى زالت، فلمّا زالت أتى الملِكَ للجواب.

فقال: الجوابُ، قُصَّ عليه ما رأيت!

فلمّا وصَلَ الرسولُ إلى الملِكِ المسلم وأخبرَه الخبرَ قال: قاتَلَه الله! أخبرَني فعلُه أن ولاةَ المسلمينَ تتعلَّقُ هِمتُهم بظُلمِ الرعية، فيتعلقونَ الرعيةُ بزوالِهم، وليس كذلك هم، أو كما قال.

* * *

وقال رضي الله عنه: معاد معنا حيلة إلا دعوةُ الصِّغار من عيالِ القبائل وغيرِهم؛ لأنه إذا انتفَعَ الصغيرُ سرى ذلك إلى الكبيرِ بميْلِ الطبع، لأن الوازعَ الطَبْعيَّ يُغني عن الوازعِ الشرعيّ.

---

(١) أي: في شبام.

(٢) يعني: أن مذهبهم إباضي كمذهب أهل عمان، ومسكت هي مسقط، كانوا يكتبونها ويلفظونها هكذا قديماً.

(٣) (الخوقة): مسجد معروف بشبام، وكان زوال الخوارج الإباضية منه في آخر القرن السابع، سنة ٦٩١هـ.

وقال رضي الله عنه: سُئلَ سيدُنا أحمدُ بن زين الحجّ، حتى أنّ الطويلَ باصهي[١] قال له: وبايحمله ومن معَه؟ فقال: علِمتُ أنْ ليسَ لي حجّ، ما مُرادي إلا بملءِ طسْتٍ ماءَ زمزمَ أغتسِلُ به.

قال سيدُنا: كلَّ يومٍ له حجوجٌ كثيرةٌ كما قال سيدُنا الحبيبُ جعفرٌ لسيدِنا الحبيبِ عمرَ سُميط، حينَ أعلمَهَ بسفرِه إلى الحج[٢]: إن كان لي شور.. . ما مرادي لكم تسيرون؛ لأنّ لكم كلَّ يومٍ حجاً. أو كما قال.

وكذلك سيدُنا عبدُ الرحمن السقاف، عزَمَ إلى السفرِ للحج، فلمّا بلغَ المكانَ المسمى بالجوف، رجَع، فقال: أرواحُ الأنبياءِ والأولياء عارَضوني وقالوا: حجُّك بحضرَموت[٣]. أو كما قال.

* * *

وقال رضي الله عنه لبانافع[٤] : انو النفع، حتى يصِحَّ عليكمُ اسمُ

---

(١) هو الشيخ الفاضل عبد الرحمن باصهي، الملقب بـ (الطويل)، عاش في القرن الثاني عشر، كان تاجراً معروفاً في شبام، له أخذٌ وتعلّقٌ بالإمام الحداد، وتلميذه أحمد ابن زينٍ الحبشي تروى له مكارم أخلاقٍ ومناقبُ محمودة.

(٢) كان سفر الحبيب عمر بن سُميط للحج سنة ١١٧٨هـ، في السنة التي ولد فيها ابنه صاحب هذا «المجموع».

(٣) الحجُّ على معتمد مذهب الإمام الشافعي واجبٌ على التراخي، وليس على الفور، فمن استطاع الحج لم يكن واجباً عليه فوراً .. ولعل الشيخ السقاف رحمه الله، رأى مصلحةً كبرى تعود عليه وعلى الناس في جلوسه في بلده.

(٤) من أهل شبوة، فقد كان في شبام جماعةٌ منهم طلبوا العلم عند الحبيب محمد ابن=

النفع! وأرجو لو أحد مَرِضَ ونوى: إنْ شفاني اللهُ با أنفع الناس. . . أن يشفيَه الله.

حتى رأى بعضُ السادة ــ وهو الحبيبُ عمرُ بن حسينٍ مَرزَقْ(١) ــ الخلفاءَ الأربعةَ يعودونَه وهو مريض، حتى وصَلَ إلى سيدِنا عثمان، قال له: ادعُ لي بالشفاء، قال له: بشرطِ النفع، أو كما قال، فشفاه الله. وفي قولِهِ تعالى: ﴿وَأَمَّا مَا يَنفَعُ ٱلنَّاسَ فَيَمْكُثُ فِي ٱلْأَرْضِ﴾ ما يدُلُّ على ذلك، حتى أنه تحصُلُ له المتعةُ في العمُر.

❋ ❋ ❋

قال سيدُنا رضيَ الله عنه لبعضِ مَن شكا عليه مرضاً في بعضِ إخوانِه: قُلْ له: ينوي إذا حصَلَ الشفاءُ المعاونةَ على البِرّ والتقوى.

ثم قال: اشفِ عبدَك. . يفك لك عدْواً، يمشي لك إلى فريضة. وبعدَ أيامٍ حصَلَ الشفاءُ لذلك المريض.

وكان رضيَ الله عنه إذا أُتِيَ له بماءٍ ليتفُلَ فيه، أو فَتْلَة. . يقرَأُ على ذلك قولَه تعالى: ﴿وَيَشْفِ صُدُورَ قَوْمٍ مُّؤْمِنِينَ﴾ ﴿وَنُنَزِّلُ مِنَ ٱلْقُرْءَانِ مَا هُوَ شِفَآءٌ وَرَحْمَةٌ لِّلْمُؤْمِنِينَ﴾، ﴿وَبِٱلْحَقِّ أَنزَلْنَٰهُ وَبِٱلْحَقِّ نَزَلَ﴾ ثم ينفُثُ في ذلك ثلاثاً.

= زين بن سميط، منهم الشيخ محمد بن أبي بكر بانافع، وتوجد المكاتبات العلمية والدعوية المتبادلة بينه وبين شيخه المذكور ضمن كتاب «مجمع البحرين».

(١) توفي بشبام سنة ١٢٥٠ هـ، تنظر ترجمته في كتابي: «المحاسن المجتمعة».

وقال رضيَ الله عنه: قال سيدُنا عبدُ الله الحدّادُ لأحمدَ باشَـراحيل[١] ــ وكان يعلِّمُ القرآن ــ: لأَنْ يهديَ اللهُ بك واحداً، خيرٌ من شبام وأهلِها.

* * *

وقال أيضاً: إذا دعوْتَ أحداً تريده يأتيك بشخْصٍ مثلاً، فإن قال: ما باحصّله، فلا عادْ ترسله، فإنه لا يحصّله.

* * *

وقال نفَعَ الله به: قال سيدُنا عمرُ العطاس: أهلُ الزمانِ كالشَّنِّ اليابسِ، إن ما بقيتَ ترشّشه يَبِس.

* * *

وقال رضيَ الله عنه: الهمةُ تقنُص التوفيق، كالسِّحْوَةِ[٢] تقنُصُ الطير، ومن حُرِمَ الهمةَ حُرِمَ التوفيق.

﴿إِن يُرِيدَآ إِصۡلَٰحٗا يُوَفِّقِ ٱللَّهُ بَيۡنَهُمَآۗ﴾. حتى أن سيدَنا عمرَ بن الخطابِ رضيَ الله عنه إذا بعثَ اثنينِ للإصلاحِ فلم يقَعِ الصلحُ يضرِبُهما ويقول: إن

---

(١) هو الشيخ الفاضل أحمد بن عبد الله باشراحيل المعلِّم للقرآن الكريم في شبام، عاصر الإمام الحداد.

ولعله ابن الشيخ عبد الله بن أحمد، الذي كان الحبيب أحمد بن زينٍ الحبشي يأتي إلى شبام للقراءة عليه وطلب العلم عنده.

(٢) آلة تقنص الطيور، مصْيَدة.

نيتَكما ما صلحَت، أو كما قال. وأنا راجٍ، إن عوّلوا أهلُ حضرَموتَ على هذه الدعوة، أن يحصُلَ لهم مدَدٌ كبيرٌ وفرجٌ عظيم؛ لأن الدِّينَ كالشاخص[١]، لا يستقيمُ ظلُّه إلا باستقامتِه، قال عليه السّلام: «مَن أصبَحَ وهمُّه الدنيا. .» الحديث[٢] . . . إلخ. وقال تعالى: ﴿مَن كَانَ يُرِيدُ حَرْثَ ٱلْأَخِرَةِ﴾ [الشورى: ٢٠] الآية.

وقال رضيَ الله عنه: الشاكرُ هو الذي يبخَلُ بأوقاتِه لا يضيعُها في غيرِ طاعة، أعظَمَ مِن بُخْلِه على المال؛ لأن حقيقةَ الشُكرِ: صَرْفُ النعْمةِ فيما خُلِقَت له، كما قال سيدُنا الحبيبُ عبدُ الله الحدّادُ شعراً:

إنما رأسُ مَالِكَ العمرُ فاعْمرْ ... هُ بفعلِ الجميلِ و المَكْرُمَاتِ[٣]

غيرُه:

واعْمُر بأورادِ العبادةِ عُمْرَكَ الـ ... ـفاني وسَاعاتِ الزمانِ المُزْمَعِ[٤]

فلْيكن العاقلُ ضنيناً بأوقاتِه.

---

(١) الشاخص: العمود الطويل المركوز في الأرض.

(٢) أخرجه الحاكم في «المستدرك» (٤: ٣١٧)، (٣٢٠)، وتعقبه الذهبي، ورواه الخطيب البغدادي في «التاريخ» (٩: ٣٧٣)، والطبراني في «الكبير» (٥: ١٥٤) و«الأوسط» (٥٠٢٥)، وابن عَدِيٍّ في «الكامل» (٧: ٢٥٣٠).

(٣) من الأبيات التي مطلعها:

البِدارَ البِدارَ قَبلَ الفَواتِ ... إنما أنت عُرضةُ الآفاتِ

«الديوان» (٩٥).

(٤) البيت من العينية الكبرى: الديوان: ٣٦٥، و «شرح العينية» ٣٣١- ٣٣٢.

وقال رضيَ الله عنه: نحن بقراءتِنا هذه نتعرَّضُ لنفَحات الباري تعالى نرْجُو يحصُل لنا لطفٌ كبيرٌ وما ذلك علىٰ اللهِ بعزيز ولكنْ عسى الهمَم تتعاضَد حتى تنزل الألْطاف، فإنَّ الخيرَ كلّه في الهمة. أو كما قال.

* * *

وقال رضيَ الله عنه: الخلودُ في الجنةِ إلَّا بالأعمال ــ وفي نسخة: أو بالنيةِ الصالحة ــ، لقول اللهِ تعالى في الحديثِ القدُسيّ: «ادخُلوا الجنةَ برحمتي وافتَسِموها بأعمالِكم، واخلُدوا فيها بنيَّاتكم»(١). فأنْووا الخيرَ، من كان مسافراً ينوي بسفرهِ التفقُّهَ في الدينِ وامتثالَ هذه الآية: ﴿فَلَوْلَا نَفَرَ مِن كُلِّ فِرْقَةٍ مِّنْهُمْ طَآئِفَةٌ لِّيَتَفَقَّهُواْ فِي ٱلدِّينِ وَلِيُنذِرُواْ قَوْمَهُمْ إِذَا رَجَعُوٓاْ إِلَيْهِمْ لَعَلَّهُمْ يَحْذَرُونَ﴾ [التوبة: ١٢٢]، حتى ييسِّرَ اللهُ له أمُورَ دنياه و آخرتِه.

* * *

وقال رضيَ الله عنه: أشِيْعُوا هذه الدعوةَ على المنابرِ والمنائرِ وإلاّ عمَّتكمُ النِّقم، وربما تتأخرُ العقوبةُ عن أهلِ الجهلِ و مَن هو في باديةٍ بعيدةٍ لجهلِه، أمّا إن كانها(٢) في الدنيا سها ما نخشى إلاّ أن تكونَ في القلوبِ فتقسو، ولا تنفع الذكرى إلا مَن بايتذكر، والهدايةُ بيدِ الله، ﴿إِنَّكَ لَا تَهْدِي مَنْ أَحْبَبْتَ وَلَٰكِنَّ ٱللَّهَ يَهْدِي مَن يَشَآءُ وَهُوَ أَعْلَمُ بِٱلْمُهْتَدِينَ﴾ [القصص: ٥٦].

---

(١) لم أقف عليه بنصه هكذا، لكن أصله في «صحيح البخاري» (٥٦٧٣) من حديث أبي هريرة قال: سمعت رسول الله صلى الله عليه وسلم يقول: «لن يُدخِلَ أحداً عملُه الجنة».

(٢) أي: العقوبة.

وقال رضيَ الله عنه: كرّرَ هذه الكلمة(١)، ولكنّ الغفلة وطولَ الأملِ أعمى البصائرَ عن الحق، وهذا فرقٌ بينَنا وبينَ السلف الصالح؛ لأنهم قصُرَتْ آمالُهم وحسُنتْ أعمالُهم، ونحن طالَتْ آمالُنا وساءَتْ أعمالُنا.

لا تُعْرِضَنَّ بِذِكْرنا عن ذِكْرِهِمْ ... ليسَ الصحيحُ إذا مَشَى كالأعرجِ

لأن مَن طالَ أملُه قسا قلْبُه وضيَّع وقتَه، كما أنّ من قصُرَ أملُه عكْسُ ذلك.

قال سيدُنا الحبيبُ عبدُ الله الحدّاد:

وفي قِصَرِ الأملِ الخيرُ كلُّهْ

لعل مفهومَه أنّ في طُولِ الأمل الشرَّ كلَّه، ﴿نَسُوا اللَّهَ فَنَسِيَهُمْ﴾. وقد قال عليه الصّلاةُ والسلام: «نجا أولُ هذه الأمةِ بالزُّهدِ و اليقين، ويهلِكُ آخرُها بالحرصِ وطولِ الأمل»(٢).

وقال رضيَ الله عنه في قصيدةِ سيدِنا الحبيبِ عبدِ الله الحدّاد، التي أولُها:

* الحال يا أحبابَنا ببَشّارْ *(٣)

---

(١) أي أن الحق تعالى كرر كلمة (الهداية) في الآية: لا تهدي، يهدي، بالمهتدين.. ولكن الغفلة جعلت الناس لا يتدبرون في معاني وأسرار كلام الله تعالى.

(٢) رواه ابن أبي الدنيا و أبو نعيم من حديث عمرو بن شعيب عن أبيه عن جده، ذكره الحافظ العراقي في «تخريج أحاديث الإحياء»، ورواه الطبراني من حديث ابن عمر وأوله: «صلاح أول هذه الأمة..»، «المعجم الأوسط» (٧: ٣٣٢) (٧٦٥٠).

(٣) «ديوان الإمام الحداد» ٢١٢-٢١٣.

جمَعَ سيدُنا رضيَ الله عنه في هذه القصيدةِ بينَ الدعاءِ للأمواتِ في قولِه: «لا داخَلَتْكمْ حسْرةُ الندامةْ» والدعاءِ للأحياءِ بالدعوةِ بنحوِ قولِه: «فاعمَلْ لنفسِك لا تكنْ بهيمةْ»؛ لأن وظيفةَ الإنسانِ الحيِّ هذا المذكور.

* * *

وقال رضيَ الله عنه: أنا أقول: إنَّ أهلَ زمانِنا، إن شاءَ الله، مرادُ اللهِ بهم خير؛ لأن التذكيرَ يتيسَّرُ لهم جم جم، فعسى الله يقسِمُ لنا في ذلك ونكون من المذَكِّرين، آمين آمين. أو كما قال.

* * *

وقال رضيَ الله عنه: نرجو أنْ تكونَ هذه العُلْمَةُ[1] هنا شَبَكاً يقتَنصُ كلَّ خير، و مَن قصَّرَ في المعاونةِ على هذه الدعوةِ يبتليهِ اللهُ بموتِ الغُربة، وإن كانَ في سَعةٍ من الدنيا تضِيقُ عليهِ بلادُه بسببِ تقصيرِه في نصْرِ شَريعةِ الرسولِ عليه الصّلاةُ والسّلام، وإنما ينبغي للإنسانِ أن يُحسِنَ ظنَّه في اللهِ في أن يهديَ خلْقَه، و في خلْقِ الله أنهم يهتدون ؛ لأنّ الإنسانَ ما يقْطَعُ على أحدٍ من خلْقِ اللهِ بالشقاوةِ حتى يتبينَ له أنه ماتَ على حالةٍ شتيمة ــ أي سيئة ــ، وأمّا إذا عاد الإنسان في الحياةِ ترجو الخيرَ لك وله.

وقال رضيَ الله عنه: أكثرُ ما يُؤْتَون الناسُ سلْبَ النّعم بسبب التقصيرِ

---

(١) لعل المراد بالعُلْمة هنا: مدرسة الفتح والإمداد التي أسست في عهده رحمه الله، وهي في الركن النجدي القبلي بشبام (شمال غرب)، والعلمة هنا بمعناها الشامل: الكُتَّاب أو المكتب، كما قدمنا.

علىٰ الشكر على نعمةِ الإسلام، فاشكُرِ الله على نعمةِ الإسلام. كما قال عبد الله الحدّاد: نحمَدُ الله على الخيرِ الكثير. . إلخ[١].

وقد رُوِيَ أنّ بعضَهم قال في الموقف[٢]: «الحمدُ للهِ على نعمةِ الإسلام، و كفى بها من نعمة». ثم أراد في السنةِ الأُخرى أن يقولَها، فقال له ملَكُ الحَسَنات: قفْ! نحن من العامِ الأولِ إلى الآنَ ما فَرَغْنا من كتابةِ ثوابِ المرةِ الأولى. أو كما قال، أوما هذا معناه.

* * *

وقال رضيَ الله عنه: كلامُ الصالحينَ مثْلِ سيدِنا الحبيبِ عبدِ الله الحداد، يُلَطِّفُ كثافةَ النفْس، فتتأثرُ بالموعِظة، وإلاّ صار الإنسانُ مثلَ الجَماد، ما شي ينفع فيه، وينبغي للإنسان، خصوصاً أنتم يا الصغار المُقبِلين التعويل على قراءةِ قصيدةِ سيدِنا الحبيبِ عبدِ الله الحدّاد: «فيمَ الرُّكون». . إلخ[٣]. حتى يَجْعَلَها كالوِرْدِ يقرأُها مع المَثَارِ من النوم[٤] لحتى تقتلَ حِدَّةَ الحرْصِ

---

(١) تمام البيت:

نحمد اللهَ على الخير الكثير   نعمة التوحيد والدين اليسير

وهو مطلع قصيدة للإمام الحداد، «الديوان» : ٢٧٦-٢٧٧.

(٢) أي: في عرفات.

(٣) تمام البيت:

فيمَ الركونُ إلى دنيا حقيقتُها   كالطّيفِ في سِنَةٍ والظِّل من مُزُنِ

«الديوان»: (٥٠٥-٥٠٧).

(٤) أي: عند الاستيقاظ من النوم.

من قلوبِكم؛ لأن ما كدَّ حضرَموتَ إلا الحرصُ على الدنيا، كما قال سيدُنا الحبيبُ عبدُ اللهِ الحداد:

همْ كدَّروا عيْشَ وادِينا(١)

إلخ. وهذه الخَصلةُ(٢) قد كانت إلاَّ في الأنذالِ حتى صارت في الزِّيان وطارَ شررُها. اللهمّ إني أعوذُ بك من حِدّةِ الحرصِ وشدةِ الطمَع.

* * *

وقال رضيَ الله عنه: قَوُّوا الموْزِع(٣). لهذا الخير، حتى تضمُّونَه، وأصلِحوا النيّة في التعلمِّ والتعليمِ لحتى تطول أعمارُكم وتطيب أوقاتُكم، كما قال سيدُنا الحبيبُ أحمدُ بن حسنٍ الحدّاد(٤):

لقد زيَّنوا بالمَكْرُماتِ وحَسَّنوا ... زمَانَهُمُ والدِّينَ شادُوا وبيَّنُوا

---

(١) تمام البيت:

همْ كدَّروا عيْشَ وادينا ... بالظُّلمِ والبغْيِ والعدوانْ

«الديوان»: (٢٥٠).

(٢) أي: الحرص والطمع.

(٣) المُوزِعْ: سدٌّ قريبٌ من شبام، عمِله الأهالي لحفظ مياه الأمطار والسيول المتدفقة على شبام، لتنظيم تصريفها إلى الأراضي الزراعية. ومراد الحبيب هنا: أن الإنسان يقوي همته لحفظ ما حصل من الخير والنور، وشَبّه قلب الإنسان بالمُوزع للتقريب إلى الأفهام.

(٤) حفيد الإمام عبد الله الحداد، توفي بتريم سنة ١٢٠٤هـ، وهو من شيوخ الحبيب =

إلخ؛ لأن الزمان ما يزِيْنُ إلاَّ بأهلِه، ولا يعيفُ إلاَّ بأهلِه. أو كما قال.

* * *

وقال رضيَ الله عنه: أنا حَسْرانْ لبعضِ الناسِ في عدمِ انتباهِهم في القيامِ بالدعوةِ وقِلّ معاونتِهم فيها.

* * *

وقال رضيَ الله عنه: قال سيدُنا العَيْدروسُ[١] رضيَ الله عنه: الكنوزُ كلُّ الكنوزِ في عمارةِ ما بين المغربِ والعشاء.

* * *

وقال رضيَ الله عنه: من النعَمِ العظيمةِ، تصنيفُ العلماءِ الكبارِ مثلِ سيدِنا الحبيبِ عبدِ اللهِ الحدّاد، فإنهم مع استغراقِهم باللهِ تعالى ودوام شهودِهم، تفرَّغوا للتصنيف، وما ذلك إن شاء الله إلاّ لِبَخْتِ مَن بعدَهم[٢] وحُسنِ ظنِّهم في الوقت، ومُبَشِّر بأن الوقت عاد فيه خير، وقد قال مصنفُ «العوارفِ» السَّهرَوَرْديّ[٣]: لولا سَهْمٌ من الغفلةِ ما تفرَّغْنا للتصنيف. أو كما قال.

= أحمد بن عمر (المتكلم)، أفرده ابنه العلامة علوي بترجمةٍ ألحقها بترجمة جده الحسن المسماة «المواهب والمنن».

(١) هو الأكبر الملقب بسلطان الملأ.

(٢) أي: لحظهم الحسن.

(٣) هو الإمام عمر بن محمد السهروردي، المتوفى سنة ٦٣٢هـ، وكتابه شهيرٌ جداً، وهو: «عوارف المعارف».

وقال رضيَ الله عنه: كثيراً ما يقولُ والدي: مَن عجَزَ عن زيارةِ هُودٍ فلْيزُرْ تَريم، ومَن عجَزَ عنها فلْيَزُرْ سيدَنا الحبيبَ أحمدَ بن زينٍ الحبشي؛ لأنه خليفةُ الخلائفِ السابقين، وفيه ما في أهلِ ترِيمَ جميعِهم.

وكانِ والدي يقول: إنِّي نهارَ الحَضْرة(١) أستَحْضِرُ كَوْنَهُ في الجَمْعِ من آخرِ الليل.

* * *

وقال رضيَ الله عنه: ينبغي للإنسان إن يستكثرَ من قولِ الله عزَّ وجلّ: ﴿قَالَ رَبِّ ٱشْرَحْ لِى صَدْرِى. وَيَسِّرْ لِىٓ أَمْرِى﴾ [طه: ٢٥-٢٦]، ولو تسعينَ مرة.

وقال: مما يناسبُ قوْلَه تعالى: ﴿وَٱلْـَٔاخِرَةُ خَيْرٌ وَأَبْقَىٰٓ﴾ [الأعلى: ١٧]، وعندَ قولِه: ﴿وَمَا عِندَ ٱللَّهِ خَيْرٌ وَأَبْقَىٰ لِلَّذِينَ﴾ [الشورى: ٣٦]، وعندَ قولِه: ﴿قُلْ مَا عِندَ ٱللَّهِ خَيْرٌ مِّنَ ٱللَّهْوِ وَمِنَ ٱلتِّجَٰرَةِ﴾ [الجمعة: ١١]، ونحوِها هذا الدعاء:

اللهمّ لا تحرِمْنا خيرَ ما عندَكَ لِشرِّ ما عندَنا.

* * *

وقال رضيَ الله عنه ــ في هذه الآية: ﴿وَٱللَّهُ يَدْعُوٓا۟ إِلَىٰ دَارِ ٱلسَّلَٰمِ وَيَهْدِى مَن يَشَآءُ إِلَىٰ صِرَٰطٍ مُّسْتَقِيمٍ﴾ [يونس: ٢٥] ــ: الدعوةُ عَمَّتْ والهدايةُ خَصَّتْ، ﴿إِنَّكَ لَا تَهْدِى مَنْ أَحْبَبْتَ﴾ [القصص: ٥٦]، كالأذانِ للصلاة، يدْعو الجميعَ ولا يأتي للصَّلاةِ إلاّ مَن وفَّقَه الله. والنبيُّ ﷺ سببُ الهداية، والشيطانُ

---

(١) يعني حضرة الحبيب أحمد بن زين، وتُنسَب لجده الأعلى الحبيب أحمد بن محمد صاحب الشعب المتوفى سنة ١٠٣٨هـ، تقام في الأحد الأخير من كل شهر.

لعَنَه اللهُ سببَ الغِواية، والهادي والمُضِلُّ في الحقيقةِ هو الله، هؤلاءِ[١] رضيَ الله عنهم في الأزلِ فرضُوا عنه في الدنيا، وهؤلاءِ[٢] كرهَ اللهُ انبعاثَهم فثبَّطَهم.

* * *

وقال رضيَ الله عنه: أنا راجي منَ اللهِ تعالى، إنْ تمَّ هذا الشأنُ[٣] والمُعاونةُ عليه، أن يُكرِمَهمُ اللهُ بوالٍ عدْلٍ ببرَكةِ إقبالِهم على الله، لأنه سبحانَه لا يمنَعُه بخْل، بل هو الواجِدُ الجَوادُ الماجد، وفضلُه كبير، وإنما المانعُ من جهتِنا كما يقال: إنّما يُصاغُ الوالي مِن أعمالِ الرعيّة[٤]، وقال تعالى في الحديثِ القُدسيّ: «إنما هيَ أعمالُكم أُحصِيها لكم»[٥]. . . إلخ. أو كما قال سيدي.

* * *

وقال رضيَ الله عنه: كرِّروا شمائلَ النبيِّ عليه الصّلاةُ والسّلامُ في المجالسِ حتى تقتصدوا في مَعاشِكم وتجْلِسُوا في بلادِكم. قال سيدُنا

---

(١) أي: أهل الهداية.

(٢) أي: أهل الغواية.

(٣) أي: شأن الدعوة إلى الله.

(٤) ومنه حديث: «أعمالكم عُمّالكُم»، رواه الطبراني عن الحسن البصري، «كشف الخفا» (١: ١٦٤)، وقال بعضهم: لا يصح رفعه.

(٥) من حديث أبي ذرٍّ الشهير، رواه مسلمٌ (٢٥٧٧) في «البر والصلة»، والبخاري في «الأدب المفرد» (٤٩٠).

العيْدَروسُ أبو بكرٍ العدنيُّ(١) رضيَ الله عنه:

مَضَى العمْرُ في غُربَهْ   لا طـــاعَهْ ولا قُـــرْبَهْ

عسى الله يكثِّر المذكِّرين ويكبِّرهم(٢)؛ لأنهم مُصادِمون ظُلْمةَ الجَهْل، إنْ ما كَبُرَ حالُهم ما صادَمُوها؛ لأنها شديدة.

* * *

وقال رضيَ الله عنه: اعتنوا بأهلِكم وعلِّموهم، يُمتِّعْكمُ اللهُ وتُرزَقوا في بلادِكم. قال اللهُ تعالى: ﴿وَأْمُرْ أَهْلَكَ بِٱلصَّلَوٰةِ وَٱصْطَبِرْ عَلَيْهَا لَا نَسْـَٔلُكَ رِزْقًا نَّحْنُ نَرْزُقُكَ﴾ [طه:١٣٢]، فما سببُ الغربةِ إلا قلُّ المُبالاةِ بأوامرِ اللهِ من تعليمِ الأهل والأولاد، عاقَبَهمُ الله بالغربة.

* * *

وقال رضيَ الله عنه: قال سيدُنا عمرُ(٣) رضيَ الله عنه: إنّ شبامَ والغرفةَ أيّامَ سيدِنا الحبيبِ أحمدَ بن زينٍ [كانتا] في زَهْوٍ عظيمٍ وانتعاش، حتى كان سيدُنا أحمدُ بن زينٍ رضيَ الله عنه يَطْلَعُ(٤) إلى شبامَ مرّتينِ في

---

(١) هو الإمام أبو بكر بن عبد الله العيدروس، ولد بتريم سنة ٨٥١هـ، وتوفي بعَدَن سنة ٩١٤هـ. أفرده بالترجمة العلامة محمد بن عمر بحرق.

(٢) أي: يكبر أحوالهم ويعظمهم في أعين غيرهم من المدعوّين.

(٣) هو الحبيب عمر بن زين والد المتكلم.

(٤) أي: يقدم من الحوطة إلى شبام.

الأسبوع، ويتّفقُ مجلسٌ من الشرقِ إلى صفُورِ الشمسِ[١]. قال سيدُنا عمر: ولا ندري إنْ نحن بلا غداءٍ حتى نُبتِّلَ[٢] سيدَنا إلى قريتِه، والمجلسُ كلُّه مُذاكرة، حتى المُباخَرَهْ[٣] ماشي، مَن جاء يجلِس، لأن الغالبَ على سيدِنا أحمدَ التوحشُّ[٤]، ولولا العلْمُ لما انبسَطَ للناس.

قال شيخُه الحبيبُ عبدُ الله الحدّادُ في وصْفِه في بعضِ مكاتباتِه لتلامِذته مثلَ: سيدِنا عمرَ البار[٥] ومحمدِ بن ياسين[٦]، يستحِثّهُم في القيامِ والدعوة: انظروا إلى السيدِ أحمدَ بن زين، نبشَ الناسَ من قبورِهم[٧].

❋ ❋ ❋

وقال سيدُنا رضيَ الله عنه: كان[٨] إذا استقلَّتِ[٩] الشمسُ ركِبَ

---

(١) أي: يُعقَدُ مجلسُ علمٍ من شروق الشمس إلى غروبها.

(٢) أي: نُركِبه على المركوب حالَ توديعنا له.

(٣) المباخرة: كالمباسطة وزناً ومعنى تطلق على سؤال الرجل لأخيه عن حاله وما إلى ذلك!

(٤) أي: حب الانعزال عن الناس والانقباض عنهم، لأُنْسه بربه في خلوته.

(٥) هو عمر الكبير، المتوفى سنة ١١٥٨هـ.

(٦) هو باقيس، المتوفى سنة ١١٨٣هـ.

(٧) شبهه بذلك، لأن الله أحيا به بشراً كثيراً وهدى به خلقاً جماً.

(٨) أي: الحبيب أحمد بن زين.

(٩) أي: صارت في كبد السماء.

حمارَه؛ لأن الشمْسَ حينَئذٍ في قُبةِ السماء يبعُدُ حرُّها، ويرحَلُ إلى جُوجهْ أو جِعَيمِهْ أو خَمُور أو حِذْيهْ(١)، يدعوهم إلى اللهِ بالقول والفعل، وبنى لهم بها مساجدَ نحوَ سبعةَ عشر(٢)، عسى بهمّتِه وهمّةِ الزيانِ تحصُلُ نفحة؛ لأن لهم عنايةً بالجهة؛ أو كما قال.

❊ ❊ ❊

وقال رضي الله عنه: اشكروا اللهَ على كونِكم من أُمةِ محمدٍ نبيِّنا صلى الله عليه وسلم، فهو النعمةُ العظيمة، وليس الشكرُ قولَ: الحمدُ للهِ فقط، بل علامةُ الشكرِ المُعاونةُ على البرِّ والتقوى وعلى نشرِ شريعتِه وعلى الدعوة، هذه علامتُه؛ لأن لكلٍّ دعوى بيِّنة، وهذه بيّنَةُ الشكر. أو كما قال.

❊ ❊ ❊

وقال رضيَ الله عنه: مِن دعَواتِ سيدِنا الحبيبِ عبدِ الله الحدّادِ هذه الدعوة:

اللهمَّ إنّا نسألُك حُسنَ المَعاد، وحُسنَ المُنقَلَب. فأكثِروا من هذه الدعوة.

❊ ❊ ❊

وقال رضيَ الله عنه: كان الوالدُ كثيراً ما يقول: الله يكثِّر المذكِّرين.

---

(١) هذه أسماء قرًى ومواضع بأعلى حضرموت، قريبة من شبام، ينظر لمعرفتها كتاب: «إدام القوت» للسقّاف.

(٢) ينظر للمزيد: «قرة العين» للحبيب محمد بن زين.

ويقول: قَلُّوا المذكرون، وإن حَدْ ذَكَّر مَا جاءوه ـ يشير إلى نفسه ـ لأنْ ما سببُ الغفلة إلاّ قِلَّةُ المذكِّرين.

* * *

وقال رضيَ الله عنه: مِن دعواتِ سيدِنا الإمامِ عليٍّ بن أبي بكرٍ[١] [السكران]:

اللهمَّ إني مغلوبٌ فانتَصِرْ، وارْحَمْ قلبيَ المُنكسِر. قولوها إذا رأيتُم منكراً لا تقدِرون على إزالتهِ.

* * *

وقال رضيَ الله عنه: احفَظوا مِن كلامِ الزيانِ ينفَعْكم، فقد رُويَ عن بعضِ المُنتسِبينَ إلى سيدِنا العيْدَروس[٢] أنه لمّا مات، وكان يحفظ القصيدة التي أولها: (ببسم الله مولانا ابتدينا)...إلخ، رآه بعضهم في المنام أنه تنازع فيه مَلكا القبر، أحدُهما يريدُ تعذيبه فقال له الآخر: خَلِّه! إنه يحفظُ هذه القصيدة، أعني المذكورة. فقال له: لكنه يغيِّرُها. فقال له: لكنه يقيمُ هذا البيتَ بلا تغيير، وهو:

وذكْرُ العيْدَروسِ القُطْبِ أجْلى   عنِ القلْبِ الصَّـدا للصـادقينـا

ولمّا ذاكَرَ بهذه الحكايةِ سيدَنا عبدَ اللهِ الحدّادَ رضيَ الله عنه، قال: ونحن نرجو أن نكونَ كذلك لأصحابِنا. أو كما قال.

---

(١) ولد الشيخ علي بتريم سنة ٨١٩ هـ، وتوفي بها سنة ٨٩١هـ.

(٢) هو العدني؛ لأن القصيدة المشار إليها هي له لا لوالده.

وقال رضي الله عنه: التثقيلُ في المَعاش يُخرِّب ثم يغرِّب.

* * *

وقال رضيَ الله عنه: الكُمَّلُ مِن أولياءِ الله تقْصُرُ أعمارُهم ويموتونَ قتلى في محبةِ الله، وكذلك أهلُ الحرصِ الشديدِ في الدنيا: تقصُرُ أعمارُهُم ويموتونَ قتلى الدنيا، ومَن كمُلَ عقْلُه زهِدَ في الدنيا وإن كان لا يؤمنُ بيومِ الحساب، كحاتمِ طيٍّ[١] ونحوِه، ولكن قصُرَ عليهِمُ النورُ بسبب عدَمِ الإسلام؛ لأن الدعوةَ ما بلغتْه، وأصلُ الزهد: تهوينُ الدنيا في القلب. أو كما قال.

* * *

وقال رضيَ الله عنه: وصولُ العبدِ إلى ربِّه بشيئين: الفكْر، والذكْر؛ فإذا داومَ عليهما حصَلَ المقصود.

* * *

وقال رضيَ الله عنه: تكثُرُ الغفلةُ بمجالسةِ الغافلين:

وما ينفَعُ الجَرْباءَ قُرْبُ سَليمةٍ ... إليها ولكنّ السليمةَ تَجرُبُ

كيف تفِـرُّ من المجـذومِ ولا تفِـرُّ من مجالـسِ الغفلـة، ولكـن أين

---

(١) هو مثال الكرم والسخاء، حاتم بن عبد الله بن سعدٍ الطائيُّ القحطانيّ، شاعرٌ جوادٌ فارسٌ جاهليّ، توفي سنة ٣٤ قبل الهجرة، أي: سنة ٨ من مولد النبي ﷺ.

البصائر؟! ﴿ يَعْلَمُونَ ظَٰهِرًا مِّنَ ٱلْحَيَوٰةِ ٱلدُّنْيَا وَهُمْ عَنِ ٱلْآخِرَةِ هُمْ غَٰفِلُونَ ﴾ [الروم: ٧]، أمّا الدنيا فقهاءُ فيها، ونعلَمُ مضارَّها مِن مصالِحها.

وقال رضيَ الله عنه: أشرفُ الأوراد: الفكرة(١).

* * *

وقال رضيَ الله عنه: مُذاكرةً في الحديث، عن النبيِّ ﷺ: «يبعَثُ اللهُ عبْدَينِ من عبادِه بعدَ موتِهما»(٢)... (إلخ)، **قال رضيَ الله عنه** فيمن خلَّفَ مالاً لأولادِه فنزلَتْ بهمُ الفاقة: هذا من باب قولِه تعالى: ﴿ وَذَٰلِكُمْ ظَنُّكُمُ ٱلَّذِى ظَنَنتُم بِرَبِّكُمْ أَرْدَىٰكُمْ ﴾ [فصلت: ٢٣]، أساء ظنَّه في ربِّه فعاقَبه في أولادِه، وفي الذي وَثِق لأولادِه بطَوْلِ الله.

---

(١) الفكرة؛ أي: التفكر والفكر في آلاء الله.

(٢) لعل المراد حديث: «يبعثُ اللهُ يومَ القيامةِ عبدَينِ من عبادِه كانا على سيرةٍ واحدة، أحدُهما مقْتورٌ عليه، والآخرُ موسَّعٌ عليه، فيُقبلُ المَقتُورُ إلى الجّنةِ لا ينثَني عنها حتى ينتهي إلى أبوابِها، فيقولُ له حَجَبَتُها: إليك! فيقول: إذاً لا أرجع؛ وسيفُه في عُنقِه، فيقول: إني أُعطيتُ هذا السيفَ في الدنيا أُجاهدُ به، فلم أزَلْ مُجاهداً به حتى قُبِضْتُ وأنا على ذلك، فيرمي بسيفِهِ إلى الخزَنةِ وينطلق، لا يَثْنُونَه ولا يحبسُونه عن الجنة، فيدخُلُها، فيمكُثُ فيها دهراً.

قال: ثمّ يمرُّ به ليتحقق الموسَّع عليه، فيقولُ له: يا فلان! ما حبَسَك؟ فيقول: ما خُلِّيَ سبيلي إلىٰ الآن، ولقد حُبِسْتُ ما لو أنّ ثلاثمائةِ بعيرٍ لا يرِدْنَ الماءَ إلا خمساً ورَدْنَ علىٰ عَرَقي لصدَرْنَ منه رِيّاً. أخرجه ابن المبارك في «الزهد» برقم (٥٥٦).

كما يُروى عن سيدِنا عمرَ بن عبدِ العزيز، قيل له: ما خلّفْتَ شيئاً لأولادِك؟ فقال: أولادي أحدُ رَجُلَين إمَّا صالحون فالله يتولى الصالحين، وإمّا عاصون فلا أُخلِّفُ لهم مالاً يعصونَ اللهَ به.

ويُروى أنه لم يُخلِّفْ لهم شيئاً، فما مضَتْ سنة بعدَ موتِه إلاَّ وحمَلَ بعضُ أولادِه على ألفِ فرسٍ في سبيلِ الله، وتوفيَ غيرُه من الملوكِ وخلَّفَ مالاً كثيراً اقتسمَه أولادُه، فما مضتْ سنةٌ إلا وبعضُ أولادِه يسألُ على الأبواب!

* * *

وقال رضيَ الله عنه: أهلُ الاستقامةِ تحصُلُ لهم بشارةٌ عندَ الموت، كما قال تعالى: ﴿إِنَّ ٱلَّذِينَ قَالُواْ رَبُّنَا ٱللَّهُ ثُمَّ ٱسْتَقَٰمُواْ تَتَنَزَّلُ عَلَيْهِمُ ٱلْمَلَٰٓئِكَةُ أَلَّا تَخَافُواْ وَلَا تَحْزَنُواْ وَأَبْشِرُواْ بِٱلْجَنَّةِ ٱلَّتِى كُنتُمْ تُوعَدُونَ﴾ [فصلت: ٣٠]، أي: مما أمامَكم من أهْوالِ الآخرة، ﴿وَلَا تَحْزَنُواْ﴾ أي: على ما خلَّفتُموه من أولاد. حصَلَ لهمُ الأمانُ مما يُقْدِمون عليه ومما خلَّفوه. ﴿نَحْنُ أَوْلِيَآؤُكُمْ فِى ٱلْحَيَوٰةِ ٱلدُّنْيَا وَفِى ٱلْآخِرَةِ﴾ [فصلت: ٣١]، اللهمّ ارزُقْنا الاستقامة، آمين.

* * *

وقال رضيَ الله عنه: كان سيِّدُنا عبدُ اللهِ بن عمرَ بنِ الخطابِّ رضيَ الله عنهما كثيرَ المتابعةِ لرسولِ الله صلى الله عليه وسلم، حتى أنه يُبْرِكُ راحِلتَه في مَبْرَكِ راحلتِه عليه السّلام. وكان يتصدّقُ بكلِّ ما يُعجبُه، يتأوّلُ هذه الآية ﴿لَن تَنَالُواْ ٱلْبِرَّ حَتَّىٰ تُنفِقُواْ مِمَّا تُحِبُّونَ﴾ [آل عمران: ٩٢]، حتى أن عبيدَه يتنسّكونَ لأجْلِ العتق، فمَن رآه منهم على هيئةِ النُسُكِ أعتَقَه. فقيل له:

إنهم يخدَعُونَك بالنسُكِ لأجْلِ العتق. قال: مَن خدَعَنا في الله انخدَعْنا له.

حتى أنَّ عبدَه سيدَنا نافعاً رضيَ الله عنه بلغَتْ قيمتُه مبلغاً كثيراً نحوَ عشرةِ آلاف دينار، فقال: كيف؟ قَدْ هذه قيمةُ نافع! هو حُرٌّ لوجهِ الله. فكان سيدُنا نافعٌ رضيَ الله عنه شيخَ الإمامِ مالك، ومالكٌ شيخَ الإمامِ الشافعيّ، حتى أن إسنادَ «الموطَّأ» عن مالك، عن نافع، عن ابنِ عمر، عن رسولِ الله ﷺ، ورضيَ عنهم.

* * *

وقال رضيَ الله عنه: كلامُ الصالحينَ يُضعِفُ الوَهْمَ[١]. كان سيدُنا الحبيبُ عمرُ يقول: كلامُ الصالحينَ مثلُ الحيثة[٢]، حيِّثْ نفْسَك بكلامِهم.

* * *

وقال رضيَ الله عنه: قال سيدُنا الحبيبُ عبدُ الله الحدّاد: إنّ المسافرَ لَعلَىٰ قَلَتٍ[٣] إلاّ ما وَقىٰ الله. فينبغي للإنسانِ أن يتحفَّظَ لدينِه؛ لأنه ما يدري ماذا يعرِضُ له.

---

(١) أي: الوهم الناشىء من النفس والخيالات الفاسدة نتيجةَ قلة العلم أو الارتباط بالصالحين.

(٢) الحيثة: الحفرة التي تُحفَر حوالي جذع الشجرة (النخلة)، وتجهّز لحفظ ماء السيل عند مروره عليها فتنتفع به.

(٣) جاء في هامش النسخة الشبامية: «قوله: قلتٍ، بفتح القاف واللام، أي: على هلاك». اهـ.

والقلت: أماكن جبليةٌ يتجمع فيها ماء المطر ويسيل منها إلى الأرض، ويسمّى الواحد منها قَلَت، هذا هو التعريف الصحيح للقلَت، والله أعلم.

وقال رضيَ الله عنه: مَن أرادَ أن يُحِبَّ لقاءَ اللهِ فلْيَترُكِ الفَضُول[١] . والفَضُول هو ليس في الكلامِ فقط، بل في الملبسِ والمأكلِ والفراشِ وغيرِ ذلك. وقد يكون فَضُولٌ في حقِّك وفي حقِّ غيرِك، لا مثْل الصالحينَ والأكابرِ يصلُحُ لهم وأنت لا، كما قال الإمام الغزالي: لا تُشبِّهِ الحدّادين، أي: الذين على أبوابِ الملوك، بالملائكة، وهمُ الذين على أبوابِ السماء، ولا يصِحُّ لك الاقتداءُ بالكبارِ إلاّ في الذي أَذِنوا لك فيه.

ومِنَ الفَضُول: هذه القهوة، فينبغي ترْكُها. قال بعضُ السلف: قدِّموا هذا الفَضولَ أمامَكم[٢] ومَن قال: إن الشيخَ عليَّ بنَ عمرَ الشاذليَّ[٣] شرِبَها وهو قدوة! نقول له: وسيدُنا الشيخُ عليُّ بن أبي بكرٍ[٤] ما شرِبَها وكفى به قدوةً.

وكان حالُ سيدِنا عليٍّ المذكورِ التغافل، حتى أنّ مِن تغافُلِه عدمَ شُربِه القهوة، كأنه كُشِفَ له الحالُ الذي نُقاسِيه مِنَ الأثقالِ في القهوة، وكانت سبباً لتضييعِ الأعمار.

والنفُوس تعلُّقها بالتَّرْكِ أكثرُ من الأفعال؛ لأن الترْكَ لا يحتاجُ إلى

---

(١) الفَضُول: التدخل في الأمر الذي لا يعني، وهو بضم الفاء في الفصحى، وفي الدارجة الحضرمية بفتحها.

(٢) كأنها عبارة توبيخ!

(٣) المتوفى ببندر (المخا) سنة ٨٢١هـ، كان من أصحاب ابن بنت الميلق، صحبه بمكة المكرمة، وأخذ عنه طريق الشاذلية.

(٤) هو السكران، تقدم.

نية، والأفعالُ تحتاجُ إلى نية، «إنّما الأعمالُ بالنِيات»(١)، وقال اللهُ تعالى: ﴿فَاتَّقُوا اللَّهَ مَا اسْتَطَعْتُمْ﴾ [التغابن:١٦]، يعني في الأوامر، وقال: ﴿وَذَرُوا ظَاهِرَ الْإِثْمِ وَبَاطِنَهُ﴾ [الأنعام: ١٢٠]، يعني في التَّرْك، أو كما قال.

* * *

ولم يشرَبِ القهوةَ سيدُنا الحبيبُ عليُّ بنُ أبي بكر، فقيل له: لِمَ؟ فقال: قال عليه الصّلاةُ والسلام: «نِعْمَ الإدامُ الخلّ»(٢)، وقيل: إنه غَمَسَ السِّواكَ في الفُنَيْجانِ ومصَّه، لأن طريقتَه الحزْم، ولأنه قدوة. وقد قال سيدُنا عليٌّ ابن أبي طالب: إنَّ اللهَ أخذَ على أئمةِ الهدى أن يسيروا بسيْرِ الأدنى. يعني في المعاش، أن يكونوا في حالِ أدنى الناس. أو كما قال.

وقال رضيَ اللّه عنه: تـزَوَّدوا ليومِ الفقرِ والفاقة، فإنكم مُقبِلونَ عليه.

وقال رضيَ اللّه عنه: ينوي الإنسانُ بقولِه رضيَ الله عنه وعفا عنا وعنكم وعن جميعِ المسلمين(٣): العفوَ عمّن أساءَ إليه والدعاءَ له مَا عاشَ ولو ألفَ عام، حتى يُثيبَه اللهُ على نيتِه الصالحة كما أثابَ صاحبَ كُثْبانِ الرملِ حين نوى: لو كانتْ هذه الرملُ مِن طعامٍ لَتصدّقْتُ به، وكان ذلك

---

(١) من الحديث الصحيح المتفق عليه.

(٢) حديث صحيح أخرجه مسلم في «صحيحه» (٢٠٥١).

(٣) لعله يقصد القارئ الذي يقرأ عند الشيوخ، لأنه جرت العادة عند علماء حضرموت أنهم إذا أرادوا القراءة في شيء من كتب العلم أن يقدموا هذه العبارة عند استفتاح القراءة، ويقولون بعد البسملة والحمد والصلاة: قال الشيخ المصنف رحمه الله تعالىٰ ورضي الله عنكم، أو كما قال الحبيب هنا، والله أعلم.

في وقْتِ مجاعة، وكان الرجُلُ من بني إسرائيل، فلمّا علِمَ اللهُ صِدْقَ نيتِه أوحى إلى نبيٍّ ذلك الزمان: أنْ قُلْ لفلانٍ: قد قبِلَ اللهُ صدَقَتك، القصّة، وهي مشهورة، لأن أعمارَ الأُمةِ المحمّديةِ قصيرة، وكم بايفعلون في مُدّتها، وإنما تتضاعفُ الأعمالُ بالنياتِ الصالحة، ولذلك وقعَتِ النيةُ الصالحة ثمرتها الخلود في الجنة، الذي لا يعبَّر عنه بمقال.

❊ ❊ ❊

وقال رضيَ الله عنه ونَـفَعَ به: ينبغي معَ ترتيبِ كلِّ فاتحةٍ أن يقال: إنّ اللهَ يسخِّرُ والياً عدْلاً لحضرموت، لأنه ما يتمُّ الأمرُ بالمعروفِ والنهيُ عن المنكرِ وجميعُ الخِصالِ إلاّ بالوالي على ما فيه(١).

كما قال سيدُنا عمرُو بنُ العاص: والي غشوم، خيرٌ من فتنةٍ تدوم. وإلاَّ ترجِع عُرَى الإسلام تنحَلُّ عُرْوةً عروة، والأملُ في اللهِ كبير وفضلُه واسع، ولا بايجي لنا مثل عمر بن عبد العزيز، لكنْ يقع مناسب الحال.

ونوصيكم، كلُّ من جالسَ جُنْدياً يجعل مذكراتَه في هذا الشأن، ويُعْلِمُه بأنهم ما هم على شيءٍ ولا معهم حياة، والحالة هذه، لأن اللهَ تعالى يقول: ﴿ وَلَكُمْ فِي ٱلْقِصَاصِ حَيَوٰةٌ ﴾ [البقرة: ١٧٩]، وينوي الإنسانُ ذلك ويقوِّي همتَه، فإنْ منَّ اللهُ عليه بذلك المراد، وإلاَّ يكون تبرِّياً من فعلِ المنكرات، حتى الصغارُ علِّقوا همَمَهم بذلك وعلِّموهم هذين البيتَين،

---

(١) سيتكرر في هذا المجموع مثل هذه العبارة وذلك أن حضرموت في ذلك الوقت كانت تعيش اضطراباً سياسياً كبيراً كما قدَّمنا في المقدمة.

وهما لسيدِنا عبدِ الله بن المُبارك ذكَرَهما الإمامُ بَحْرق[١] في كتاب «الشاهيّة»[٢] وهما:

اللهُ يدفَعُ بالسلطانِ معضِلةً عن دينِنا، وبه إصلاحُ دنيانا
لولا السلاطينُ لم تأمَنْ لنا سُبُلٌ وصارَ أضعفُنا نهْباً لأقوانا

وكذلك هذا البيت، ذكَرَه في «شرحِ دعاءِ أبي حربة»[٣]:

لا يصلُحُ الناسُ فوضىٰ لا سراةَ لهم ولا سراةَ إذا جُهَّالُهمْ سادوا

وقد أبدلَ قافيتَه سيِّدُنا[٤] بقولِه: «إذا الجهالُ سادونا»، فيه معنى الآية: ﴿وَلَوْلَا دَفْعُ ٱللَّهِ ٱلنَّاسَ بَعْضَهُم بِبَعْضٍ لَّفَسَدَتِ ٱلْأَرْضُ وَلَٰكِنَّ ٱللَّهَ ذُو فَضْلٍ عَلَى ٱلْعَٰلَمِينَ﴾ [البقرة: ٢٥١] أو كما قال.

* * *

(١) هو الإمام الشهير محمد بن عمر بحرق، ولد بالشحر، وتوفي بالهند سنة ٩٣٠هـ، سيأتي له ذكر كثير في هذا الكتاب.

(٢) هو كتابه في السيرة النبوية، واسمه الكامل «تبصرة الحضرة الشاهية الأحمدية بسيرة الحضرة النبوية الأحمدية»، ويعرف أيضاً باسم: «حدائق الأنوار في سيرة النبي المختار»، وقد طبع.

(٣) شرح دعاء أبي حربة هو للعلامة المحدِّث السيد حسين بن عبد الرحمن الأهدل، المتوفى سنة ٨٥٥هـ، مؤلف كتاب «تحفة الزمن في تاريخ اليمن»، معروف ومشهور. واسم شرحه: «رفع الكربة عن دعاء أبي حربة»، وهذا الدعاء يقرأ عند ختم القرآن الكريم وهو ذائع ومتداول.

(٤) هذا كلام جامع الكتاب.

وقال رضيَ الله عنه: إذا دعوْتَ فخُصَّ المسلمينَ بالدعاء، وأنْوِ أنك لا تدخُلُ في الدعاءِ إلا معَ غيرِك، فبهذا تلحَقُ بالأبدال، وعمِّمْ في الدعاءِ بنحوِ: «وجميعَ المسلمينَ وأولادهم». كما في قوله: «إلٰهي، بحقِّ الحسَنِ وأخيه، وأُمِّه وأبيه، وجَدِّه، وبنيهم». فإنه عمَّمَ بذلك كما نحُفَظُه، حتّى يدخُلَ جميعُ أولادِ آدمَ إلا المشركين[١]. أو كما قال.

ومن يريدُ المعاونةَ على البرِّ والتقوى يُقَدِّرُ أنّ الذي يعاونُ فيه آخِرُ حسنةٍ يعمَلُها قبل الموت، حتى يَسْهُلَ عليه، فربما تموتُ وأنت من المعاونين على البِرِّ والتقوى.

وإذا أردْتَ أن تحضُرَ مجلساً فاعرضْهُ على قولِ اللهِ عزَّ وجل: ﴿ لَّا خَيْرَ فِي كَثِيرٍ مِّن نَّجْوَىٰهُمْ إِلَّا مَنْ أَمَرَ بِصَدَقَةٍ أَوْ مَعْرُوفٍ أَوْ إِصْلَـٰحٍ بَيْنَ ٱلنَّاسِ﴾ [النساء:١١٤]، وعلى قولِه عليه الصّلاةُ والسّلام: «كلُّ كلامِ ابن آدمَ عليه لا له، إلا أمراً بمعروفٍ أو نهياً عن منكر، أو ذكْرَ اللهِ تعالى»[٢] فإنْ رأيتَ نفْسَك اتعظَتْ بهذه الآيةِ وهذا الحديث، وعرفْتَ أن المجلسَ لا يحتوي على شيءٍ مما ذُكِر فلا تحضُرْه، وعذْرُك بيِّن.

---

(١) لأنه ينزي بقوله: «وأمه»: أمهات المؤمنين على العموم، «وأبيه» الإمام علي بن أبي طلب، وهو ولي المؤمنين وسيد المسلمين، وجده سيد المرسلين محمداً ﷺ، وهو أب لجميع المسلمين، يؤيده ما جاء في قراءة شاذّة تنسب إلى ابن مسعود: ﴿النبي أولىٰ بالمؤمنين من أنفسهم وأزواجه أمهاتهم وهو أبٌ لهم﴾.

(٢) الترمذي (٢٤١٤)، ابن ماجه (٣٩٧٤) والأذكار (٨٨٩).

يكفي اللبيبَ كتابُ اللهِ موعِظةً كما أتى في حديثِ السيدِ الحَسَنِ(١)

والكاملُ يقبَلُ التكميل، والناقصُ لا يقبَلُ التكميل، لأنه مثْلُ الوِعاءِ المخروق، لا يُمْسِكُ شيئاً.

ولا تكنْ مثْلَ أهلِ الزمان، فإنهم مُغْرِبون عن الحَق، فيهم قولُ النبي ﷺ: «بدَأَ الدِّينُ غريباً وسيعودُ كما بدَأ»(٢).

* * *

وقال رضيَ الله عنه: ينبغي التخلقُ والمعاملةُ مع الخلْقِ بما تحبُّ أن يعاملَك اللهُ به من العفوِ عنهم، وإنفاقِ الفضْلِ عليهم، لحتى يكون لك الجزاءُ من جنس العمل، وهذا أفضَلُ المعاملة، والنيةُ الصالحةُ إكسيرُ المعاملة، كما أن الإكسير المعروف يقلِبُ الأعيان، وإنما يُحْفَظُ المرءُ بقدْرِ نيتهِ، ولا تظهَرُ البركةُ في الذريةِ وغيرِها إلَّا بالنيةِ الصالحةِ من آبائهم، فانوُوا في أولادِكم تفريْغَهُم لطلبِ العلمِ، فقد كان الحبيبُ حسينُ بن طاهرِ ابن هاشمٍ(٣) رضيَ الله عنه يسافرُ بنفْسِه إلى جاوةَ نحوَ ثلاثِ مرّات، وخلَّى أولادَه متفرِّغين لطلبِ العلم حتى صاروا الآنَ أعيانَ أوقاتِهِم(٤) أو كما قال.

---

(١) من قصيدة الإمام الحداد: «فيم الركون»... إلخ، قدمنا ذكرها.

(٢) رواه مسلمٌ في «صحيحه» (١٤٥)، وهو عنده بلفظ «بدأ الإسلام» من حديث أبي هريرة.

(٣) كان سيداً فاضلاً، توفي بالمسيلة في ١٢ رجب ١٢٢٠هـ، ودفن بتريم، مات وعمره نحو (٧٠) عاماً.

(٤) ومن أولاده: الإمامان طاهر بن حسين، وعبد الله بن حسين، كلاهما أشهر من =

وقال رضيَ الله عنه ونفَع به: النفوسُ تنقسمُ قسمَين: إلى كريمة، ولئيمة، فالكريمةُ تقادُ بالترغيب، واللئيمةُ بالترهيب، الكريمةُ بالعطا واللِّين، واللئيمةُ بالعصا والضرْب. أو كما قال.

وينبغي للإنسانِ أن يقولَ كلَّ يوم: الحمدُ لله الذي وهَبَ لنا هذا اليوم، لأنه ما يدري ربما يعرضُ له الموتُ فجأةً وإلاَّ المرض، وإذا مَرِضَ لم يقدِرْ على فعلِ الخير، فينبغي المغانَمةُ للخير لحتى تكون الخاتمة بخير. فقد رُوي[١] أن الملَكَ عندَ النوم يقول: اختمْ بخير، والشيطانُ يقول: اختمْ بشرّ وكذلك خاتمةُ العمر.

وقال رضيَ الله عنه: كان سيدُنا الحبيبُ عمرُ رضيَ الله عنه يقول: ماتَ مَن يُسْتَحيا منه، يعني الحبيبَ علَويَّ بن أحمدَ بن زينٍ الحبشيّ[٢]، فقد كانوا أهلُ شبامَ يهابونَه جمّ، وأموره ألاَّ من حيثُ الباطنُ بسببِ الولاية[٣] ومن بعدِ ما ماتَ قَصُرَتْ جم أشياء في الدين، حتى أن سيدنا الحسنَ

= نار على علم. ومنهم والدة الإمام مفتي حضرموت عبد الله بن عمر بن يحيى، كانت من أهل العلم والصلاح.

(١) في الحديث الذي أخرجه ابن السني (٧١٩)، وأورده النووي في «الأذكار» (٢٤٢)، وينظر: «مجمع الزوائد» (١٠: ١٢٣).

(٢) توفي رحمه الله بشبام سنة ١١٨٣هـ تقريباً، تنظر ترجمته في «المواهب والمنن» للعلامة علوي بن أحمد بن حسن الحداد (مخطوط).

(٣) أي: أن أموره وأحواله كانت بالنية لغلبة الولاية والصلاح عليه، فألقى الله في قلوب الناس هيبته.

الحدّادَ[١] في أيامِ حَصْرِ السلطانِ رأى سيِّدَنا الحبيبَ عبدَ الله بنَ علَويٍّ الحدّادَ يقول: قلْ للسيدِ عبدِ الرحمنِ ابن سُميط[٢] يُذاكِر بخَصلتين: الحياء، وصلةِ الرحم، وما ذاك إلَّا لاعْتِناءِ سيدِنا عبدِ الله بالبلاد[٣] وقد قيل:

يعيشُ المرءُ ما استحيا كريماً ويبقى العُودُ ما بقِيَ اللِّحاءُ
ومَا في أن يعيشَ المرءُ خيرٌ إذا ما المرءُ فارَقَه الحيـاءُ

❊ ❊ ❊

وقال رضيَ الله عنه: الاقتصادُ معَ الغنى أفضلُ منه معَ الفقر[٤]، لأنّ الأولَ اختيار، والثاني اضطرار، وإذا ما عرفْتَ الاقتصادَ ايش هو! فاسألْ عن سيرة السلفِ فهوَ فيها ﴿وَالَّذِينَ إِذَآ أَنفَقُواْ لَمْ يُسْرِفُواْ وَلَمْ يَقْتُرُواْ وَكَانَ بَيْنَ ذَٰلِكَ قَوَامًا﴾ [الفرقان: ٦٧]، لأنهم تخلَّقوا بالقرآن.

«واقْتَدْ هداكَ اللهُ بالأسلافِ»[٥].

---

(١) ابن الإمام عبد الله الحداد، توفي بتريم سنة ١١٨٨هـ، أفرده بالترجمة حفيده السيد العلامة علوي بكتاب سماه «المواهب والمنن».

(٢) هو الحبيب عبد الرحمن بن محمد بن زين ابن سميط، توفي بشبام سنة ١٢٢٣هـ.

(٣) يعني بها شِبام حرسها الله، وهو من أسمائها المعروفة عند أهل جهتها، وكان الإمام الحداد يقول: شبام عمامة على رأسي.

(٤) هذا الأمر يتبع الكلام حول مسألة تفضيل الغني الشاكر على الفقير الصابر أو العكس، وللعلماء في ذلك خلاف وتفصيل ليس هذا محله.

(٥) جزء من بيت للإمام الحداد تمامه:

واتبَعْ كتابَ الله والزَمْ سُنةً واقتَدْ هداك الله بالأسلافِ

«الديوان» (٣٧٥).

وقال رضيَ الله عنه: علموا أهلَكم وأولادكم، ومُرُوهم بالشرائعِ وهم صغار، لحتى تنطرح الطمأنينة بالرزقِ في قلوبهم، ويثقوا باللهِ في ضمانِه في قولِه تعالىٰ: ﴿وَفِي ٱلسَّمَآءِ رِزْقُكُمْ وَمَا تُوعَدُونَ﴾ [الذاريات: ٢٢]، وإلَّا ــ والعياذُ بالله ــ تضِيقُ عليكم بلادُكم، وتتهيأُ لكمُ الأسفارُ إلى البُعْد، الذي معكم، وهي إلَّا عقوبة واتِّباع للشيطان، كما قال تعالىٰ: ﴿ٱلشَّيْطَٰنُ يَعِدُكُمُ ٱلْفَقْرَ وَيَأْمُرُكُم بِٱلْفَحْشَآءِ وَٱللَّهُ يَعِدُكُم مَّغْفِرَةً مِّنْهُ وَفَضْلًا وَٱللَّهُ وَٰسِعٌ عَلِيمٌ﴾ [البقرة: ٢٦٨].

* * *

وقال رضيَ الله عنه ونَفَعَ به: البِشارةُ الكبيرةُ عندَنا تصنيفُ سيدِنا الحبيبِ عبدِ الله الحدّاد، فإنهُ ما صنَّفَ كُتبَه واشتغلَ بذلك في عمُرِه، الذي هو أعَزُّ عليه من الدرَرِ واليواقيت، إلَّا وهو رأىٰ شيئاً في الوقت، إن شاء الله، عسى الله يوفِّق لنشرِ كُتُبه ودَعْوتِه، لأنها معاد تحتاج إلى شيخ بغت إلا قراءة وعمل.

ونقول: إن في وقتنا هذا قدِ استَقْوَتْ فيه العقيدة(١) وعظُمَ شأْنُه، لأنها قد بَعُدَتْ شمْسُه ومالَ الذي يُغَزِّز(٢)، وإلا فقد كان في وقته ناس ما يعرفونَه وهم في تَريم.

---

(١) أي: صار اعتقاد الناس في صحة دعوته وسلامتها عن الشوائب لأنها نقية خالصة لوجه الله تعالى، لا فيها مراء ولا جدال ولا مظاهر.

(٢) بعدت شمسه: أي طار صيته وانتشر، وعظم وقعه واشتهر، والذي يغزز: إشارة إلىٰ أهل التعويق ممن كانوا يعارضون دعوة الإمام رحمه الله في حياته.

كما حُكيَ أَن محمد لَعْجَم يقصِد عندَ رجُل حَظَّاي[١] إذا جاءَ إلى تريم، ففي بعضِ الأوقاتِ جاء إلى عندهِ وقال: أَسْرِعوا بالقهوة بانُدرك صلاةَ الظهرِ معَ الحبيبِ عبدِ الله. قال له الرجل: أنتم يا آل عَلْوَىٰ[٢] لكم عقيدة في الحبيب! ويقولونَ: إنه أعمى، هو صِدْق؟ فقال له محمدٌ المذكور: كيفَ وأنت ما تعرفهُ؟ لا عاذْ يجمَعني مجلس وإياك. أو كما قال.

وقال رضيَ الله عنه: من طَلَبَ الراحةَ في الدنْيا فهو مغرور، لأنه طلب شيئاً ما يكون، كما قال بعضُهم:

تطلُبُ الراحةَ في دارِ الفَنَا   خابَ مَن يطلُبُ شيئاً لا يكونْ

وكما قال بعضُهم: مَن طلبَ ما لا يُخْلَقُ أتعبَ نفْسَه ولم يُرْزَقْ، يعني طالبَ الراحةِ في الدنيا.

* * *

وقال رضيَ الله عنه: إن سيدَنا الحبيبَ عبدَ الله الحدادَ جاء إلى عيناتٍ لزِيارةِ الحبيبِ مُحسنِ بن حسينِ بن الشيخ أبي بكر بن سالم[٣]، فلما اتفق

---

(١) الحظَّاي: الذي يحظي الكتب، أي: مجلِّد الكُتُب.

(٢) عَلْوىٰ: أعالي وادي حضرموت، من شبام إلى نواحي القطن وما بعدها، يقابلها: حَدْرَىٰ، أسفل وادي حضرموت، ما نزل عن شبام إلىٰ جهة الشرق، فسيئون فتريم إلىٰ قبر نبي الله هود علىٰ نبينا وعليه أفضل الصلاة والسلام.

(٣) توفي بـ (عينات) سنة ١٠٧٨هـ. وإليه ينسب سحيل محسن الذي بتاربة، ينظر «إدام القوت» بتحقيقنا.

وهو جد السادة آل الهدّار قاطبة، وللشيخ العلامة عبد الله بن أبي بكر قدري باشعيبٍ مرثاةٌ فيه. ينظر: مقدمة «البلابل الصادحة».

به قال له السيدُ مُحْسن: يقولون: إنك فعلْتَ تصانيفَ وقصائد، كأنك بغيت مثل الشيخ أبي بكر! فقال له سيدُنا عبدُ الله: ومَنِ الذي أعطى الشيخَ أبا بكر؟ قال: الله. قال له: وما خزائنُه ملآنة وفضله واسع ودايم؟! قال له السيدُ محسن: صدقْت، يُعطيك مثله وزايد. ومعه قَرْن زَبَاد[١] بقي يُلَطِّخُ به سيدَنا عبدَ الله مُدَّةَ المَجْلسِ[٢] وهو يكرِّر: يعطيك وزايد.

* * *

وقال رضيَ الله عنه: الدنيا سبيلُ مسلوك ومتاعُ متروك، والحريصُ كسْبه لغيرِه، فإن كان الغيرُ موفّقاً سَعِدَ به، وإلا شقِيَ به والعياذُ باللهِ تعالى.

* * *

وقال رضيَ الله عنه ونفَعَ به: في هذه الآية ﴿إِنَّ ٱللَّهَ هُوَ ٱلرَّزَّاقُ ذُو ٱلْقُوَّةِ ٱلْمَتِينُ﴾ [الذاريات: ٥٨] تطمِينٌ للنفوس، لأنه أكَّده بأَنَّ، وفي: ﴿هُوَ ٱلرَّزَّاقُ﴾ مبالغة، لأنه لم يقل: (الرازق)، زيادةً في طمأنينةِ النفْس عندَ اضطرابها: ﴿ذُو ٱلْقُوَّةِ ٱلْمَتِينُ﴾ فمَن كان رازِقُه قويّاً يُبْشِرُ بكلِّ خير، عليه ألاَّ يبقى منتظراً لنواله ومَدَدِه.

* * *

وقال رضيَ الله عنه: مَن حُسنَ ظنُّه كبُرَت همتُه، ومَن ساءَ ظنُّه ضعُفَتْ همته ﴿وَذَٰلِكُمْ ظَنُّكُمُ ٱلَّذِى ظَنَنتُم بِرَبِّكُمْ أَرْدَىٰكُمْ﴾ [فصلت: ٢٣].

---

(١) أي: وعاء فيه زباد، والزباد: طيب معروف.

(٢) لما حصل معه من الذهول.

وقال رضي الله عنه: الاهتمامُ بأمورِ الآخرةِ فضيلة، والهمُّ بأمورِ الدنيا رذيلة.

وفي سنة ١٢١٩هـ توفي السلطانُ جعفر[١] ضَحْوةَ النَّهار، رأيتُ الحبيبَ عمرَ بن سقافٍ[٢] كأني وهو في منزل غِلِسْ مثلَ أيامِ الشتاء وكأنه يقولُ لي: سلْوَتَكْ والأُنس، فلما انتبهْتُ قيل: إن السلطانَ تُوفِّي، فكان السرورُ والسلُوُّ معدومين، لأن الناسَ في تلك الأيامِ مؤَمِّلين في السلطان الصلاح، ولكن يومَ النِّية ألاّ نـيِّة[٣]، لأنّ القصْدَ إلاّ عمارةُ الدنيا، ما صلحَتِ الأمور، فكانت سببَ إِنْشاءِ القصيدة:

يا مُريدَ العـلـمِ والعمَــلِ فُزتَ بالمطلوبِ والأملِ
سَلْوَتَكْ والأُنسَ تَلْقَهُما فيهمـــا مِن غيرِ ما جَدَلِ

* * *

وعند قوله رضي الله عنه: «قف على باب الكريم»... إلى آخره، قال: ولو كُنتَ أعصى الخلْقِ قفْ على بابِه، ولا يمنَعْك تخليطُك ومعاصيك عن الوقوفِ على بابِه. قال بعضهم: لأَنْ أدخُلَ النارَ وأنا طائعٌ خيرٌ من أن أدخُلَها وأنا عاصٍ. كما قال سيدُنا العيْدَروس:

(١) هو السلطان جعفر بن علي بن عمر الكثيري، توفي سنة ١٢٢٣هـ، كما في «تاريخ الدولة الكثيرية» (١: ١٢٠-١٢١) وانظر آخر الكتاب، ففيه مزيد إيضاح.

(٢) من شيوخ الحبيب أحمد، توفي بسيون سنة ١٢١٦هـ.

(٣) أي: بسبب فساد النية، شبّه النيةَ بلحم نيِّء غير ناضج، لفسادها وعدم خلوصها.

مَا معه حدّ سوى ربِّه وإن هُـوْ قـد أذنـبْ

والطاعةُ على الرجاءِ أفضلُ منها على الخوف، وهو[١] لا بدَّ منه، لأن الرجاءَ يحصُلُ معه فرح.

❋ ❋ ❋

وعندَ قولِه: «وإذا ما سِرْتَ في طمعٍ»... إلخ، قال بعضُ السلف: (إذا ما سرْتَ في طمعٍ فسِرْ رويداً)، لأن التوغلَ في الأسبابِ منافٍ للتوكل. ومِن رحمةِ الله: الأسباب، لأن فيها تسكيناً للنفوس لأهلِ النفوس، وأمّا أهلُ اليقين فركونهم إلى الثقةِ بالله، كما أنَّ أهلَ القلوبِ تطمئنُّ قلوبُهم إلى ذكْرِ الله. وأما مَن توغَّلَ في الأسبابِ أدّاه ذلك إلى الدخولِ في الحِيَل، كالكَيْلِ واللُّجْمة[٢] وغيرِ ذلك، وجاعل[٣] أنه بايزرق نفسه بذلك، حتى أن توبةَ المحتالِ بعيدة جَمّ، لأنه يرى أنه مُحِقّ بخلافِ صاحب الرِّبا، ولا عاد تنفع فيه موعِظةُ الواعظينَ ولا تذكيرُ المذكِّرين، ما ينفع فيه إلاَّ ترْكُ مجالستِه ومواكلتِه ومعامَلتِه لله تعالى.

ومثَلُ الحيلةِ في السَّبَبْ كمَثَلِ البُنْدُقْ في السَّلَبْ[٤] فإنه يمكنُ أن تقتُلَ المرأةُ بالبُـنْدقِ أشجَعَ الناس، لأنه حيلةُ أهلِ الجُبن، وصارتِ اللُّجْمة

---

(١) أي: الخوف.

(٢) من المعاملات المشبوهة في البيع والشراء، انظر آخر الكتاب.

(٣) أي: يظن فاعل ذلك أنه سيرزق نفسه بتلك الحيل.

(٤) البندق: آلة سلاح، السَّلب: السلاح.

المذكورةُ سبباً في ضرورة شبام. فينبغي للإنسانِ أن يُهوِّنَ في الأسباب، ويُجْملَ في الطلب.

ومثَلُ المتوغِّل فِي الأسبابِ والمُهوِّنِ فيها، كمثَلِ مَن خرَجَ يَخُبُّ في المطر(١)، فإنه يقعُ له مَرْطَسْ، ومَن يهوِّنْ كمَثَلِ مَن يخرُجُ ويبرُزُ للمطرِ بلا خَبَبٍ فإنه يصلُ إليه البللُ أو كما قال. ومجالسةُ الحريصِ سمٌّ قاتل، ومِثْلُه المحتال.

* * *

وعندَ قوله: «وبكُتُبِ القوم»... (إلخ)، وتسمى الرقائق، لأنها تُرقِّقُ القلوب. قال سيدُنا الحبيبُ عبدُ الله الحداد: في أولِ الأمر، حصَلَ معي اجتهاد كبير جمّ بكتُبِ الشاذليّة، ولو دمتُ على ذلك لَمَا انتفعْتُ ولا انتفعَ بي الناس، ولكنْ تدارَكَني اللهُ تعالى بكتُبِ الإمامِ الغزاليِّ وأسرارِ علومِه. أو كما قال سيدُنا رضي الله عنه. لأن كُتُبَ الشاذليةِ في أعلى المقامات، وكُتبَ سيدِنا الغزاليِّ على الترقِّي، تُدخِلُك منَ المِفْقِر(٢).

* * *

وعندَ قولِه: «حذَراً منَ النفْس وكلِّ وليّ»(٣)، أي: صديق، بل مِن ربِّك خُذْ حِذْرَك. كما قال تعالىٰ: ﴿وَيُحَذِّرُكُمُ ٱللَّهُ نَفۡسَهُۥ﴾ [آل عمران: ٢٨].

---

(١) يخب: يجري.

(٢) المِفْقِر ــ بكسر الميم وسكون الفاء وكسر القاف ــ: عضادتا الباب اللتان يرتكز عليهما، ولولا وجودهما لما وجد الباب. والمِفْقِر: الباب.

(٣) كل المقاطع التي تقدمت هي من قصيدة للحبيب أحمد بن عمر.

قال نفعَ الله به: نظَرُ الأكابرِ إكسيرٌ يقلبُ الأعيان، يا بخت من هو عندَهم تَـرَبّىٰ.

* * *

وقال رضيَ الله عنه: الرضا أعلى المقامات، والقناعةُ حال من الرضا، والبركةُ مقرونة بالرضا، بدليل الدعاء: «اللهمَّ رضِّني بقضائك، وبارِكْ لي في قدرِك». وكذلك القناعةُ مقرونةٌ بها البرَكةُ، بدليل الدعاءِ النبويِّ: اللهمَّ قنِّعْني بما رزقتَني وبارِكْ لي فيه.

* * *

وقال رضـيَ الله عنه: يرْثىٰ لمن لم يحضُر التذكيرَ من الذين قد ماتوا. ونذكُرُ قولَ النبيِّ عليه الصّلاةُ والسّلام: «لكنَّ البائسَ سعدُ بنُ خولة»[١] يرثي له النبيُّ ﷺ إذْ ماتَ بمكة، يعني أنه لم يهاجِرْ، لأنّ من شـرطِ الإسلام الهجرةَ من المكانِ الذي قبلَ الإسلام. وكذلك مَن ماتَ وهو يـقولُ بشـيءٍ من القِـحِيف، أو حِجامـةِ الـرِّجْل[٢]، بانـستغـفر لـه بـالخصـوص. واستَغْفَـرَ مـعَ مـن حضَـرَ بقـول: أستَغْفِـرُ الله للمـؤمنيـنَ والمؤمنـات، والمسلمينَ والمسلمات، الأحياء منهم والأمـوات، إنـك مجيبُ الدعَوات. اللهمَّ افعَلْ بنا وبهم، عاجلاً وآجلاً في الدنيا والآخرة،

---

(١) الحديث، أخرجه الإمام أحمد في «مسنده» (١٥٢٤)، (١٥٤٦)، وسعيد بن منصور كذلك (٣٣٠).

(٢) لأنها في موارد الهلكة، قال تعالىٰ: ﴿وَلَا تُلْقُوا۟ بِأَيْدِيكُمْ إِلَى ٱلتَّهْلُكَةِ﴾ [البقرة: ١٩٥].

ما أنت له أهل، ولا تفعَلْ بنا يا مولانا ما نحن له أهل، إنك غفورٌ حليم، جوادٌ كريم، رؤوفٌ رحيم.

* * *

وقال رضيَ الله عنه: منَ النعمِ الكبيرةِ أن يفتحَ اللهُ للعبْدِ بابَ التأويل، خصوصاً فيما عمِلَه الأسلافُ الذين قد ماتوا من القحِيفِ[1] وغيرِه بالنسبةِ إليهم، كما قال عليه الصّلاةُ والسّلام: «اذكُروا مَحاسنَ موْتاكم، وكُفُّوا عن مساويهم»[2]. . الحديث.

وكما رُويَ عن الشيخِ زكريا الأنصاريِّ[3] رضيَ الله عنه وقد سُئلَ عن وضعِ الصُّوفيةِ الرِّداءَ على الشِّقِّ الأيسر: فماذا دليلُهم؟ والسائلُ كالمُنكِرِ في ذلك، فقال له الشيخ: هل أحَطْتَّ علماً بالسُّنة؟ قال: لا. قال: فبنصفِها؟ قال: نعم. قال: فلعلَّ دليلَهم في النصفِ الذي لا تعلَمُه! وقال له أيضاً: إن التتار لمّا دخَلوا بغدادَ جمَعوا الكتُبَ كلَّها وطرحوها في الدِّجْلة، فلعل دليلَهم في تلك الكتُبِ الضائعة.

وكذلك رُويَ عن سيدِنا الإمامِ مالكٍ رضيَ الله عنه وقد سأله هارونُ الرشيدُ أن يرُدَّ الناسَ الجميعَ إلى ما في «الموَطَّإ» دونَ سائرِ المذاهب، فقال: لا يمكن ذلك ولا سبيل إليه، لأن النبيَّ ﷺ توفيَ عن

---

(١) لم يتبين لي معنىٰ هذه الكلمة.

(٢) رواه أبو داود (٤٩٠٠)، والترمذي (١٠١٩) الحديث.

(٣) شيخ الإسلام، المتوفىٰ سنة ٩٢٦هـ بالقاهرة.

كثيرٍ من الصحابةِ لا يُحصَوْن، وعندَهم من العلمِ ما لا يُحصى وقد نشَروه في الناس.

قال سيدُنا: وأمّا بالنسبةِ إلى الإنسانِ في حقِّ نفْسِه فيأخُذُ بالأحوطِ في جميع الأشياء، ولا يسبِقُ إلى التَّتويل[١] قبل التأويل. أو كما قال.

* * *

وقال رضيَ الله عنه: العاقلُ اللبيبُ الذي يميِّزُ بينَ خَيْرِ الخيْرين، فيعملُ أفضَلَهُما، ويُمَيِّز بينَ شرِّ الشرَّين، فيرتكبُ أهْوَنَهما إذا ضاقَ عليه الأمر. كما في المقالةِ عن سيدِنا عمرو بن العاص: والي غَشُوم خيرٌ من فتنةٍ تدوم، لأن ذلك أهونُ الشرَّين. وأما مَن يميِّز بينَ الخيرِ والشرِّ فكثير.

* * *

وقال رضيَ الله عنه: كان حبيبي عبدُ الرحمن بارَقْبة[٢] ممّنْ يسمَعُ الهواتفَ: بينَما هو خارجٌ إلىٰ عندِ سيدِنا الحبيبِ أحمدَ بن زينِ الحبشيّ، فلمّا قَدْ هو في أثناء الطريق إذا بطائرٍ طويلِ المِنقارِ مَرَّ عندَ أذُنِه وهو يقول: يا حدّادَ القلوب.

---

(١) شبامية دارجة، ومعناها التلويم.

(٢) هو جد الحبيب أحمد بن عمر ــ المتكلم ــ لأمه، كان ممن صحب الإمام الحدَّاد؛ واسمه كاملاً: عبد الرحمن بن محمد بن عبد الرحمن بارقبة، من آل عبد الله باعلوي، كان إماماً فاضلاً عابداً، توفي بتريم سنة ١١٥٣هـ.

وقال سيدُنا رضيَ الله عنه: أوصىٰ عَوَضُ بنُ عبدِ الله لعْجَم عندَ موتِه بأن يحُجَّ له زاهدٌ ورع، فلمّا مات جاء ولدُه محمدُ بن عَوَضٍ إلىٰ عندِ سيدِنا أحمدَ بن زين الحبشيِّ فأخبرَه بذلك ومن يكونُ ذلك؟ فقال: والدُك متشكِّك جم، ولكنْ ما أعلَمُ اليومَ علىٰ وجهِ الأرضِ أحداً شبيهاً بهذا الوصْف، إلاَّ أن يكونَ السيدَ عبدَ الرحمن بارَقْبَة، فأَجَّرَه محمدٌ المذكورُ علىٰ حَجَّةِ والِدِه فحَجَّ عنه.

* * *

وقال رضيَ الله عنه: شَبَّهوا الباطلَ بالجبال، فمَن رآها مِن مِلْحٍ إذا صُبَّتْ عليها أمطارُ الدعوةِ انذابت. لم يبخَلْ بالدعوةِ ولا سمحَتْ نفسُه بالسكوت. وايش يكون الباطل مع الحق؟ ﴿وَقُلْ جَآءَ ٱلْحَقُّ وَزَهَقَ ٱلْبَٰطِلُ﴾ [الإسراء: ٨١]، ثم لم يستكْفِ الحقُّ بذلك حتى قال: ﴿إِنَّ ٱلْبَٰطِلَ كَانَ زَهُوقًا﴾ [الإسراء: ٨١]، والحقُّ وإن كان معَ واحدٍ فهو أُمةٌ كما قال تعالى: ﴿إِنَّ إِبْرَٰهِيمَ كَانَ أُمَّةً قَانِتًا لِّلَّهِ﴾ [النحل: ١٢٠]، وأهْلُ الباطلِ وإن كانوا كثيرينَ فهم في معنى الواحد، لأن صاحبَ الحقِّ يعلو.

* * *

وقال رضي الله عنه: قولُه تعالىٰ: ﴿كُلَّ يَوْمٍ هُوَ فِى شَأْنٍ﴾ [الرحمن: ٢٩]، يفسِّرُها قولُه تعالىٰ: ﴿قُلِ ٱللَّهُمَّ مَٰلِكَ ٱلْمُلْكِ تُؤْتِى ٱلْمُلْكَ مَن تَشَآءُ﴾ [آل عمران: ٢٦]، قال بعضُهم: أيْ: شؤونٌ يُبْديها ولا يبتديها، كما قال تعالىٰ: ﴿مَآ أَصَابَ مِن مُّصِيبَةٍ فِى ٱلْأَرْضِ وَلَا فِىٓ أَنفُسِكُمْ إِلَّا فِى كِتَٰبٍ مِّن قَبْلِ أَن نَّبْرَأَهَآ﴾ [الحديد: ٢٢]، أي: نُظْهِرُها، لأن جميعَ الأشياءِ قد سبقَتْ في علمِه القديم، وإنما إِظهارُها بالنسبةِ إلينا على حسَبِ أوقاتِها. أو كما قال.

وقال أيضاً: قولُه تعالىٰ: ﴿وَوَجَدَكَ ضَآلًّا فَهَدَىٰ﴾ [الضحى: ٧]، يفسّرُه قولُه تعالى: ﴿وَلَوْلَا فَضْلُ ٱللَّهِ عَلَيْكَ وَرَحْمَتُهُۥ لَهَمَّت طَّآئِفَةٌ مِّنْهُمْ أَن يُضِلُّوكَ وَمَا يُضِلُّونَ إِلَّآ أَنفُسَهُمْ ۖ وَمَا يَضُرُّونَكَ مِن شَىْءٍ ۚ وَأَنزَلَ ٱللَّهُ عَلَيْكَ ٱلْكِتَٰبَ وَٱلْحِكْمَةَ وَعَلَّمَكَ مَا لَمْ تَكُن تَعْلَمُ ۚ وَكَانَ فَضْلُ ٱللَّهِ عَلَيْكَ عَظِيمًا﴾ [النساء: ١١٣].

* * *

وقال رضيَ الله عنه: مَن ذَكَرَ ذُكِر، ومَن نَسِيَ نُسِيَ، والذِّكْرُ من الذِّكْر. ومَنِ اعتنى بأمواتِه بالذكْرِ وإهداءِ الصّدقةِ والقراءة، يقيِّضُ اللهُ له بعدَ موتِه مَن يعتني به.

* * *

وقال رضيَ الله عنه: مَن غبَطَ ابنَ عثمانَ(١) علىٰ جهادِه فلْيُعاوِنْ على الدعوةِ إلىٰ الله.

وهذه العُلْمة التي هي منَ الواجبِ من النعمِ العظيمة، اشكُروا الله عليها، حتّى ترْسَخ، وعاونوا عليها، بل مَن عاونَ على هذا الشأنِ ربما يسبِقُ الجهد، لأنه شيءٌ متروكٌ وإن كان الجهادُ أكثرَ ذكْراً كما ذُكِرَ عن سيدِنا كعبِ بن مالك رضيَ الله عنه حينَ قال: شهِدتُ بيعةَ الرِّضوانِ وما أُحِبُّ أنَّ ليَ بها مشهدَ بدر، وإن كانت بدرٌ أذْكَرَ في الناس.

* * *

---

(١) أي: الخليفة العثماني، وكان الخليفة آنذاك هو السلطان محمود خان بن السلطان عبد الحميد الأول، توفي سنة ١٢٥٥هـ.

وقال رضيَ الله عنه: قال بعضُ العارفين: أنا الفقيرُ في غِنايَ فكيف لا أكونُ فقيراً في فقري؟ وأنا الجاهلُ في عِلمي فكيفَ لا أكونُ جَهولاً في جهلي؟ وهذا حالُ العارفين، لا يزالونَ مفتَقرين في علمِهم وجهلهم وسائرِ أحوالهم، فمَن ركَنَ إلى علمِه وغِـناه وحسَبِه ونَسَبِه، انتُزِعَتْ منه البرَكة، انظُرْ إلى حالِ بَلعَم بنِ باعُورا(١) كيفَ سلَبَه النِّعمةَ وهجاه في القرآنِ بقولِه تعالىٰ: ﴿وَٱتْلُ عَلَيْهِمْ نَبَأَ ٱلَّذِىٓ ءَاتَيْنَـٰهُ ءَايَـٰتِنَا فَٱنسَلَخَ مِنْهَا﴾ [الأعراف: ١٧٥]، لأنه ركَنَ إلىٰ علمِه وحَوْلِه وقوّتِه. وكذلك إلىٰ حال إبليس، فقد عبَدَ الله في الأرضِ والسماءِ نحوَ ثمانينَ ألفَ سنة، فلمّا استكبرَ سلَبَه اللهُ وطردَه، حتىٰ رجَعَ يمكُرُ بالناس ويحتالُ عليهم بتَرْكِ الشكر، كما قال تعالىٰ حكايةً عنه: ﴿ثُمَّ لَـَٔاتِيَنَّهُم مِّنۢ بَيْنِ أَيْدِيهِمْ وَمِنْ خَلْفِهِمْ وَعَنْ أَيْمَـٰنِهِمْ وَعَن شَمَآئِلِهِمْ ۖ وَلَا تَجِدُ أَكْثَرَهُمْ شَـٰكِرِينَ﴾ [الأعراف: ١٧]، وهو الصراطُ كما في الآيةِ الأخرىٰ: ﴿لَأَقْعُدَنَّ لَهُمْ صِرَٰطَكَ ٱلْمُسْتَقِيمَ﴾ [الأعراف: ١٦] وقد قال تعالىٰ: ﴿وَلَقَدْ صَدَّقَ عَلَيْهِمْ إِبْلِيسُ ظَنَّهُۥ فَٱتَّبَعُوهُ إِلَّا فَرِيقًا مِّنَ ٱلْمُؤْمِنِينَ﴾ [سبأ: ٢٠]، وهو مسلَّطٌ علىٰ جميعِ الخلْقِ لا مُسلطَن. و﴿إِنَّمَا سُلْطَـٰنُهُۥ عَلَى ٱلَّذِينَ يَتَوَلَّوْنَهُۥ﴾ [النحل: ١٠٠]، ولا معه فكرةٌ إلاَّ في الإنسان.

وسُئلَ بعضُ العارفين: هل ينامُ الشيطانُ أم لا؟ فقال: لا ينام، ولو نام لكان استرَحْنا، بل ما ينامُ ونحن ننام، ويَـرَىٰ ولا يُرىٰ. كما في دعاءِ سيدِنا محمدِ بن واسع(٢): اللهمَّ إنك سلطْتَ علينا عدوّاً بصيراً بعيُوبنا،

---

(١) رجل من أحبار اليهود.

(٢) هو الإمام العابد محمد بن واسعٍ الأزْدي، من كبار التابعين، توفي سنة ١٢٣هـ.

مطّلعاً على عوراتِنا، يرانا هو وقبيلُه من حيثُ لا نراهم، اللهمَّ فأيِّسْه منا كما أَيَّسْتهُ من رحمتِك، وقنِّطْه منا كما قنَّطْتَه من عفوِك، وباعِدْ بينَنا وبينَه كما باعْدتَ بينَه وبينَ جنّتِك، إنك على كلِّ شيءٍ قدير.

وقد تمثَّلَ له الشيطانُ فقال له: لك الأمانُ مني، ولا تُعلِّم أحداً هذا الدعاء. فقال له: أمَّا أنا فاْجتهدْ فِيَّ، ومَن طلبَ مني الدعاءَ عَلَّمتُه.

فلا معَ الإنسانِ إلَّا الالتجاءُ إلى ربِّه والافتقار، لحتى يحفظَه من شرِّ الشيطانِ والنفسِ والهوى والدنيا، لأن هذه الأربعةَ مُتقابلاتُه[١]، ولا يخلُصُ من ذلك إلّا بالاَلتجاءِ إلىٰ الله والافتقار يخلصُه الله سبحانَه وتعالى.

ولا أحد من خلْقِ الله فرَّ علىٰ الشيطانِ إلا الملائكةُ والأنبياءُ عليهمُ السّلام، لأنهم معصومونَ في الأزل.

وقد ذكَرَ أهلُ الحقيقة أن بعضَ قصصِ الأنبياءِ في التفاسير ينبغي أن لا تُقرَأَ عندَ العامة، لأنه مأخوذٌ عن أهلِ الكتاب[٢]، وربما دُسّ فيه دسيسة، لأنه لا محفوظَ إلَّا القرآن.حتى قال الشيخُ ابن حجر وإنْ جَلَّ ناقلوه كالبغويِّ والواحديّ لا يؤخَذُ به. وذكَرَ الشيخُ السيوطيُّ في «الإتقان»:

---

(١) وقد جمعها الحبيب علي بن محمدِ الحبْشيُّ في بيت واحد في قصيدته التي مطلعها:

رَبِّ، إني يا ذا الصِّفاتِ العليَّـهْ ... قـائـمٌ بـالفِنـا أُريـدُ عـطـيَّـهْ

فقال:

واحفظِ القلبَ أن يُلَمَّ به الشَّيْـ ... ـطانُ والنفسُ والهوى والدنيَّـهْ

(٢) يعني بذلك الروايات الإسرائيلية.

ينبغي الوقفُ على قولِه تعالى في سورةِ يوسُف: ﴿وَلَقَدْ هَمَّتْ بِهِۦ﴾ ثم يقول: ﴿وَهَمَّ بِهَا لَوْلَآ أَن رَّءَا بُرْهَٰنَ رَبِّهِۦ﴾ [يوسف: ٢٤]، لأن النزاهةَ والعصمةَ للأنبياء، وغُايةُ الوليِّ أن يكونَ محفوظاً.

وسُئِلَ سيدُ الطائفة: الجُنيدُ بنُ محمدٍ رضيَ الله عنه: أيْزني العارفُ بالله تعالى؟ فقال: ﴿مَّا كَانَ عَلَى ٱلنَّبِيِّ مِنْ حَرَجٍ فِيمَا فَرَضَ ٱللَّهُ لَهُۥ سُنَّةَ ٱللَّهِ فِى ٱلَّذِينَ خَلَوْا۟ مِن قَبْلُ وَكَانَ أَمْرُ ٱللَّهِ قَدَرًا مَّقْدُورًا﴾ [الأحزاب: ٣٨]، ولو قيل له: أيغْفُلُ العارف؟ لَقال: لا. فانظُرْ جوابَه بالآية، ولم يقلْ: لا، ولا نعم، لأنّ العصمةَ للأنبياء، فينبغي الافتقارُ إلى الله تعالى لحتى يحفظَك.

وما دام الإنسانُ مفتقراً إلى أن يَعْبُرَ الصراط، وسبيلُه: الافتقارُ المحضُ، ويكونُ كما مَن معَهُ بضاعةٌ غاليةٌ لا يأمَنُ حتى يصلَ الأمانَ، والأمانُ الحقيقيُّ إلاَّ بعدَ جَوازِ الصراط، فإذا جاوزَه إن بايتخَطَّر يتخَطَّر[١]. أو كما قال سيدي رضيَ الله عنه ونفَعَنا به.

* * *

وقال رضي الله عنه: الإمامُ السّهْرَوَرْديُّ شيخٌ عظيم، وكان في أولِ أمرِهِ مشتغلاً بعلم الظاهرِ وعلمِ العقائد، فسار به عمُّه إلى الشيخِ عبدِ القادر الجيلاني[٢]، أراد أن يلحَظَه، فلمّا وصَلَ به وهو حاملٌ كتاباً في علمِ

---

(١) أي: في مشيته.

(٢) هو الإمام الجليل الشيخ عبد القادر بن موسى الجيلاني، مولده بجيلان وراء طبرستان سنة ٤٧١هـ، انتقل في شبابه إلى بغداد سنة ٤٨٨هـ، وكان يأكل من عمل يده، وتصدّر للإفتاء والتدريس سنة ٥٢٨هـ، وتوفي سنة ٥٦١هـ ببغداد.

الكلام، فقال له الشيخُ عبدُ القادر: ما هذا الكتاب؟ فأخبَره به، فقال له: ناوِلْني إياه فناوَلَه ذلكِ فتصَفَّحه الشيخُ ثم ردَّه إلى السُّهْرَوَرديّ، فإذا به كتابٌ في «فضائل القرآن» لابن الضُّرَيس[1] فمن حينئذ لحَظَه، فاشتهر الشيخ في مكة.

فبينما هو في جمـع عظيمٍ عندَه فخطَرَ له: أنا مذكورٌ بهذا الجمعِ في الملإِ الأعلى أو هُوَ إلاَّ كذا؟ وفي آخرِ الجمعِ الشيخ عمر بن الفارض، وهو إذ ذاك خامِلُ الذكْر، فكاشَفَ الشيخَ بخاطرِه، وقال هذا البيت:

لك البِشارةُ فاخلَعْ ما عليك، فقد ذُكِرْتَ ثَمَّ على ما فيك من عِوَجِ

والشيخُ السُّهرَوَرْديُّ [فيه] اعوجاجٌ في رجْلِه، فقامَ فخَلَع على ابنِ الفارض، فخلَعَ عليه غالبُ أهلِ الجمع.

وسُئل السُّهرَورديُّ عن حالِ رجلٍ منَ العارفينَ في مجلسٍ عامّ: ما هو؟ فقال: زنديق، ثم سُئلَ عنه في مجلسٍ خاصّ، فقال: هو صدِّيق. فقيل له: كيفَ قلتَ آنفاً؟ قال: ما المجالسُ سواء.

قال سيدُنا: ففي جوابِه الأولِ تنفيرٌ وردْعٌ لمن يدّعي مقامَ العارفينَ وليس عندَه شيْءٌ مما هم عليه، ونهيٌ عن الاقتداءِ بهم فيما لم يعلَمْه، أو كما قال، وأستغفرُ الله.

---

(١) هو الإمام محمد بن أيوب بن يحيىٰ بن الضريس البجلي، من الحُفّاظ، ولد سنة ٢٠٠هـ، وتوفي بالري سنة ٢٩٤هـ، له كتاب «فضائل القرآن» (مطبوع).

وقال رضي الله عنه: قال سيدُنا الحبيبُ حامدُ بن عمر: قال والدي[١]: إنّ الشيخَ السُهرَورديَّ «ابنُ حجرٍ» الصُّوفية، وله عقيدةٌ مسمّاةٌ بـ«أعلام الهدىٰ» أشاد بها سيدُنا الحبيبُ عبدُ الله الحدّادُ في بعضِ مُكاتباتِه.

* * *

وقال رضيَ الله عنه: العقيدةُ الجامعة: ﴿لَيْسَ كَمِثْلِهِۦ شَىْءٌۖ وَهُوَ ٱلسَّمِيعُ ٱلْبَصِيرُ﴾ [الشورى: ١١]، لا مثْلَ له في ذاتِه ولا في صفاتِه ولا في أفعالِه، ولهذا كان ساداتُنا آلُ أبي علَوي ينهَوْنَ عنِ التوغلِ في علمِ العقائد.

وسأل السيدُ زينُ العابدينَ بن حسينٍ العيْدَروس سيدَنا أحمدَ بن زينٍ الحبشيَّ عن نهيِ ساداتِنا آل أبي علَوي عن التوغل في علم العقائد! فقال: ما تقولُ لو تَرْجَمَ أحد في جدِّك العيْدَروس؟ فقال: فصْلٌ في الدليلِ على أنه ليس بحَجَّام، وفي الدليلِ على أنه ليس بحَائك. يعني: أن التصنيفَ في علم العقيدة إلاّ للضرورة، ورَدٌّ علىٰ أهل الزيْغِ والبدعة، وما فوقَ ذلك منهيٌّ عنه، وفيه خَطَرٌ ومضَرَّة.

* * *

وقال سيدُنا رضيَ الله عنه: كان السيدُ جملُ الليل[٢] رضي الله عنه،

---

(١) هو الحبيب عمر بن حامد حامد، توفي بتريم سنة ١١٥٨هـ، كان من كبار أصحاب الإمام الحداد. وأما ابنه حامد فقد تقدم ذكره.

(٢) هو الحبيب الإمام محمد بن حسنٍ المعلم، الملقب جمل الليل لكثرة مجاهداته، توفي بتريم سنة ٨٤٥هـ، عن (٩٥) عاماً.

إذا استغرقَ في تلاوةِ القرآنِ يقول: أين الناس؟ أينَ الناس؟ فيسمَعُ هاتفاً يقول: راحوا في الكاس، والكاسُ: محبةُ الدنيا.

وقال سيدُنا: ولقد تجلى اللهُ للخلْقِ في كلامِه ولكنهم لا يعلَمون.

* * *

وقال رضي الله عنه: ليس من شَرْطِ الوليِّ ظهورُ الكرامة، بل قيل: قد يكونُ الوليُّ في بعض الأوديةِ فيعطَش، فينْبُعُ الماءُ من بينِ أصابعِه، وغيرُه يموتُ عطشاً وهو أفضلُ منه.

كما ذُكِرَ عن سَيدِنا أبي مَديَنَ أنه تتعسَّرُ عليه بعضُ الأشياء وهي يسيره، وتلامذُتُه تتيسَّرُ لهم أمورُهم مع شهودِهم بفضلِه، وقد تخرَّجَ على يدَيه اثنا عشرَ ألفَ مُريد من جُملتِهم سيدُنا الفقيهُ المقدَّمُ محمدُ بنُ عليٍّ[١] والشيخُ سعيدُ بن عيسى[٢].

* * *

وقال رضي الله عنه: نرجو من اللهِ السعادةَ لأهلِ الزمانِ إنْ مَا عرَضَ لهم أبو مُرَّة، يعني الشيطان، لأنه لا فكْرةَ له ولا عملَ إلاَّ في ابن آدم، عسى الله يحفظُنا منه.

---

(١) الفقيه المقدم، إمام شهير، غنيٌّ عن التعريف، مولده في تريم وبها وفاته سنة ٦٥٣هـ.

(٢) هو العمودي، توفي بقيدون سنة ٦٧٠هـ، وأخْذُ الفقيه والعمودي عن أبي مدْين كان بواسطة رسوله الشيخ عبد الرحمن الخضرمي المقعد أو الشيخ عبد الله الصالح المقبور بكنينة. ينظر: «المشرع الروي».

وقال رضيَ الله عنه: قومٌ أمواتٌ تحيا القلوبُ بذكْرِهم، وهم: السلفُ الماضونَ على هَدْيِ أهلِ القلوبِ والعقولِ الزكيّة، وقومٌ أحياءٌ تموتُ القلوبُ بذكْرِهم، وهم: أهلُ الزمَان. مَن أرادَ أن يموتَ قلبُه فلْيخُضْ في أخبارِهم، ومَن أرادَ أن يَحيَا قلبُه فلْيُطالعْ في سيَرِ السلف.

* * *

وقال رضيَ الله عنه: أهلُ التمكينِ يقعُ لهمُ امتحانٌ في أولِ الأمر، ثم يُمكَّنون، كما كان الأنبياءُ عليهمُ السلام أولَ أمرِهم. انظُرْ إلى قولِ الله تعالى في سورة يوسُف: ﴿وَكَذَٰلِكَ مَكَّنَّا لِيُوسُفَ﴾ [يوسف: ٢١] بعدَ ذِكْرِ الامتحان.

* * *

وقال رضيَ الله عنه: كان آخرُ عمُرِ سيدِنا الحبيبِ عبدِ الله الحدّادِ متعلِّقاً بالأطفال، ويُقربُهم منه، لأنه عالَمٌ آخر، ولأن الزِّيانَ يتكشَّفُونَ من مُجالسةِ أهلِ الحاسّةِ والحذق، ويحبّونَ مجالسة الذين عقولُهم سليمة كما قال.

* * *

وقال رضي الله عنه: القِمْراه(١) الكبيرة أن يُقتَدىٰ بالوليِّ في حالِ كماله، ولاُ ينظَرُ إلى بدايتِه. وإلى ذلك يشيرُ إلى ما قاله بعضُهم: مَن رآني في البدايةِ صار صدِّيقاً، ومَن رآني في النهايةِ صار زِنديقاً.

---

(١) أي: الخديعة والغبن الفاحش.

ويقال: الفقهُ للأديان، والطبُّ للأبدان، والنحوُ للسان.

* * *

وقال رضيَ الله عنه لرجُل: عادك تروح العُلْمة؟ قال: ساعات[١]، قال سيدُنا: من سَبَرْ سَبَرْ له الخير. حَافِظْ على العُلْمة ولو تموت جوعاً.

* * *

وقال رضي الله عنه لبعضِهم: هل طلبَ سيدُنا الحبيبُ عبدُ الله الحدّادُ من أهل زمانِه المُعاونةَ لدعوتهِ؟ فقال: اللهُ أعلم، فقال: كيفَ وقد صنّفَ «رسالة المعاونة» وقال في قصيدة[٢]:

إنَّ قــلـبـــــيَ الآنْ يا صاحبي، في غُربةٍ وكُربَهْ
مــن زمــانٍ قــد خــانْ ومعشَرٍ لا يحفَظونَ صُحْبَهْ
مــا تــراهُــمْ أعــوانْ إلَّا على باطَلْ وتَرْك قُرْبَهْ
مــا أولئــكَ أخيــارْ كلا، ولا بالمتقينَ الابرارْ

هذا في زمانِ ولدِ علوي، فكيفَ في زماني وزمانِك؟

* * *

وقال رضيَ الله عنه: مَن عاونَ على ما ينفَعُ المسلمينَ ودَعْوتِهم يطيْبُ زمانُه ويطولُ عمرُه، ﴿وَأَمَّا مَا يَنفَعُ ٱلنَّاسَ فَيَمْكُثُ فِي ٱلْأَرْضِ﴾ [الرعد: ١٧].

---

(١) أي: أحياناً.

(٢) «الديوان» (٣٠٦).

وقال رضيَ الله عنه: تظهَرُ مَرائي عندَ موتِ الصالحين، رأى السيدُ زينُ الحبشيُّ[١] ليلةَ وفاةِ والدي عُمَر سالمْ صايل، و[كان] قد مات، ورآه كأنه يخُبُّ، فقال له السيدُ زين: سالم! ما أنت إلا قد مِتَّ؟ قال: أنا في شدةٍ من حين مُتُّ، وفرَّجَ اللهُ عليَّ بالحبيبِ عمرَ بنِ سُميط.

قال سيدُنا: كان سالم صايل المذكور يجي عند الوالد، فلمّا أصبحَ السيد إذا بالمكتِّبِ[٢] من شبام بوفاةِ سيدِنا عمر، أو كما قال.

* * *

وقال رضيَ الله عنه: كان سيدُنا الحسينُ بنُ الشيخِ أبي بكر بن سالمٍ[٣] يقرأُ عندَ نبيِّ الله هودٍ عليه السلامُ قولَه تعالى: ﴿قَالُوا۟ يَـٰهُودُ مَا جِئْتَنَا بِبَيِّنَةٍ﴾ [هود:٥٣]، فسمعَ النبيَّ من القبرِ نادى يقول: بلى يا حُسين، جئْتُهم بها فكذَّبوني. وكان بجنْبِه الشيخُ علي باراس[٤] فقال له: هل سمِعتَ شيئاً؟ قال: نعم. **قال سيدُنا:** وبقيةُ الحاضرين لم يعلَموا بذلك. وكانوا يأتونَ عندَ الزيارةِ بأجزاءٍ من سورةِ هودٍ يقرؤونَها.

* * *

---

(١) هو السيد الفاضل زين عبد الله الحبشي، كان من الصالحين الأخيار، توفي بتريم حوالي سنة ١٢٢٠هـ.

(٢) المكتِّب: بتشديد التاء المكسورة: ساعي البريد.

(٣) توفي الحبيب الحسين بعيناتٍ سنة ١٠٤٤هـ.

(٤) من كبار العارفين، توفي بالخريبة سنة ١٠٩٩هـ، له شرح عظيم على «الحكم العطائية» وغير ذلك.

وقال رضيَ الله عنه: تعلَمونَ أنّ التقصيرَ في الدعوةِ وقِلَّ المعاونةِ عليها من سوءِ الظنِّ باللهِ وبخلْقِ اللهِ؟ لأنَّ المُقصِّرَ ظنَّ أن اللهَ لا يهدي خَلْقَه، وأنَّ خلقَه لَا يهتدون، ايش الحامل له على التقصيرِ سوى هذا !! واللهُ يقول جلَّ وَعلا: ﴿وَٱللَّهُ يَدۡعُوٓاْ إِلَىٰ دَارِ ٱلسَّلَٰمِ وَيَهۡدِي مَن يَشَآءُ إِلَىٰ صِرَٰطٖ مُّسۡتَقِيمٖ﴾ [يونس:٢٥]، وإنما قُلْ: عليَّ التذكير، والهدايةُ بيد الله. ومَن لا له داعيةُ محبَّةٍ في اللهِ ورسولِه مُا تحصُلُ منه مُناصرة ولا معاونة، وما عادكم تنتظرون؟ عاد حدّ نبيّ بعدَ محمدِ بن عبدِ الله ﷺ؟ أو عاد شي قرآن باينزل؟ أو بغيتو أحد يطلَع من القبور يُخبِركم؟ هِمُّوا واعْزِموا، لأن العمُر ما هو عُمْرين.

* * *

وقال رضيَ الله عنه: الحَلِفُ بالمخلوقِ يكسِبُ ذلاً وهُوناً والعياذُ باللهِ تعالى. واغرسوا في قلوبِ أولادِكم الدعوَةَ إلى اللهِ تعالى لحتى ينشأون جريئين على الدعوةِ إلى اللهِ تعالى. ولهذا نخلِّيهم يقرؤون، ومعلومٌ أنَّ الإنسانَ لا يولَدُ عالماً بالشرع، وإنما التبليغُ على أهلِ العلم، وأطلُبُ منَ الله أنَّهم يتكاتَبونَ بها في الخطوط[١].

* * *

ما أدري ماذا يقولُ العلماءُ في شأنِ الصحابيِّ الذي أمَّ قومَه وهو ابنُ سبعِ سنين؟بايقولون: واقَعةْ حال، كما في نظير ذلك من الوقائع! وأظنُّه الصحابي سالم مولىٰ حُذيفةَ ابنِ اليمان[٢] رضيَ الله عنهم.

---

(١) أي: بي الرسائل والمكاتبات

(٢) صوابه: سالم مولى أبي حذيفة، ولعل الوهم دخل على الكاتب أو الناسخ.

تحفَّظوا على أولادِكم، واعتَنُوا بهم، واغرسوا في قلوبِهم محبَّةَ الخير، وأقْبلُوا على الله، وثِقُوا بضَمانِهِ لحتى ترجِع جاوة والهند والمكَلاّ والشحْر، تجي إليكم ما تبتُّون[١] لها، وتتيسرُ لكم الأمور، قالَ اللهُ تعالى ﴿مَن كَانَ يُرِيدُ حَرْثَ ٱلْآخِرَةِ نَزِدْ لَهُۥ فِى حَرْثِهِۦ﴾، أي: نؤتيه نصيبه منها بهناء ﴿وَمَن كَانَ يُرِيدُ حَرْثَ ٱلدُّنْيَا نُؤْتِهِۦ مِنْهَا﴾، أي: نؤتيهِ نصيبَه بتنغيص، ﴿وَمَا لَهُۥ فِى ٱلْآخِرَةِ مِن نَّصِيبٍ﴾ [الشورى: ٢٠]، تتنَغَّصُ عليه الدنيا وتفوتُه الآخرة. كما في الحديث «مَن أصبحَ وهمُّه الآخرة»[٢]. . . إلخ.

واقنَعوا وسيروا بسَيْر السلف، بل خَلُّوا أمورَكم بقَاصِرٍ ممّا هم عليه مِن تلطيفِ المَعاش، إذا كان حالُهم اقتصاد يكونُ حالُكم اقتصار، لحتىٰ تَسْلَمُوا من الغُرَب والغُبَب[٣] ما تروحون في طلبِ الرزقِ مِن نُخُش إلى نُخُش[٤]، واجتهدوا في البحثِ عن معاني القرآنِ حتى تَحِلُّون في الأوطانِ على طاعةِ الرحمن، ولكن أين المعاونة؟!

* * *

وقال رضيَ الله عنه: عندَ قراءةِ قولِه تعالى: ﴿فَسُبْحَٰنَ ٱللَّهِ حِينَ

---

(١) أي: تذهبون.

(٢) من حديثٍ أخرجه الطبراني في «الكبير»: (٥:١٥٤): «. . .ومن كانت الآخرة همَّه جعَلَ اللهُ غِناه في قلبِه، وَنزَعَ فقْره مِن بين عينَيه، وكفَّ عليه ضيعته، وأتته الدنيا وهي راغمة».

(٣) الغُرب: جمع غربة، والغبب: جمع غبة، وهي الأماكن العميقة في البحار.

(٤) أي: من مكان إلىٰ مكان.

تُمْسُونَ وَحِينَ تُصْبِحُونَ . وَلَهُ ٱلْحَمْدُ فِي ٱلسَّمَٰوَٰتِ وَٱلْأَرْضِ وَعَشِيًّا وَحِينَ تُظْهِرُونَ﴾ [الروم:١٧-١٨]: فسَّر العلماءُ التسبيحَ هنا بالصلاة، فجمَعَتِ الفروضَ الخَمْسة. فقوله: ﴿حِينَ تُمْسُونَ﴾: صلاة المغربِ والعشاء، ﴿وَحِينَ تُصْبِحُونَ﴾: الصبح، ﴿وَعَشِيًّا﴾ صلاةُ العصر، ﴿وَحِينَ تُظْهِرُونَ﴾ صلاةُ الظهر. وقولُه: ﴿وَلَهُ ٱلْحَمْدُ﴾ مُعترِض، وهذا المَقْرَأُ عظيم، اقرؤوا كلُّكم جهراً. فقرأَ الحاضرون.

* * *

وقال رضيَ الله عنه: احْشُوا قلوبَكم من أحاديث الرسول ﷺ حتى تحصُلَ لكمُ الشفاعة.

* * *

وقال: هلِ المرادُ بقولِهم: تُكرَهُ الصّلاةُ خلفَ مَن يلحَنُ لحناً لا يغيِّرُ المعنى، هو بتبيين الحركاتِ وقلقَلةِ الحروفِ حتى لا تلتبِسَ بغيرها؟! يُسألْ عن ذلك، ابعثوا سؤال عن أحكام القراءة، حتى يتبينَ المقصودُ من ذلك.

* * *

وقال رضيَ الله عنه عندَ قولِه تعالى: ﴿وَمَآ ءَاتَيْتُم مِّن رِّبًا لِّيَرْبُوَا۟ فِىٓ أَمْوَٰلِ ٱلنَّاسِ فَلَا يَرْبُوا۟ عِندَ ٱللَّهِ﴾ [الروم:٣٩]: قال والدي: كان سيدُنا الحبيبُ أحمدُ ابن زينِ الحبشيُّ يقول: الربا إلاَّ نِيَّة، دليلُه: هذا التعليلُ باللام في ﴿لِّيَرْبُوَا۟﴾ لأن نيتَه الزيادةُ في أموال الناس، «إنّ اللهَ لا ينظرُ إلى صوركم»[1] . . الحديث

---

(١) رواه مسلم (٢٥٦٤).

﴿ لَن يَنَالَ ٱللَّهَ لُحُومُهَا وَلَا دِمَآؤُهَا وَلَٰكِن يَنَالُهُ ٱلتَّقْوَىٰ مِنكُمْ ﴾ [الحج: ٣٧]، يعني النيات، حتى كان سادتُنا آلُ أبي علَوي يحنَقُونَ على مَن يعمَلُ الكَيْل.

وكان في زمنِ سيدِنا أحمد باجحدب[١] رجلٌ يَعْمَلُ بهذه الزيادة فعمِلَ ضيافةً وطلبَ جميعَ آلِ أبي علَوي وطلبَ الحبيبَ أحمدَ باجحدب، فامتنع من المجيء، فاعتذرَ إليه بأنه لم يفعَل هذا إلاَّ لطلبِ القَرْض، لأن الوفاءَ عَزَّ على الناسِ وأنه لم يأخُذْ ذلك.

فقال له: غيرُك مَا تحصُلُ له هذه النية ولا يدري بها، فصار الأمرُ كما نشاهد، والسببُ قِلُّ القناعة تازي[٢] على الدخول في الشيْء من بابه ومن غير بابه ما الحيلةُ الصِّدْقيَّةُ الشريفةُ إلاَّ القناعة، عِزُّوا أنفُسَكم وبلادكم وأولادكم، يُعِزَّكمُ الله، وما العزُّ إلا بالطاعة، كما قال سيدُنا عبدُ الله الحدّاد:

وطاعتُهُ غِنى الدارَينِ فالْزَمْ … وفيها العِزُّ للعبدِ الذليلِ[٣]

ومن عنايةِ اللهِ بالعبدِ الذي يعامِلُ بهذه الحيَل: أن يمتحِنَه اللهُ في الدنيا، معاذْ يخرُج من الدنيا إلاَّ وقَدْهُ قازَّها[٤] كما هو مشاهَد، معاد بانفصِّل، كان والدي يقول: شُفوا فلان يومهْ خيِّر امتحنَه الله. وكان

---

(١) الإمام الجليل، أحمد بن علوي بن محمد باحَجْدب، توفي بتريم سنة ٩٧٣هـ، كان حصوراً لم يتزوج، يقال: إن الدعاء عند قبره يستجاب.

(٢) أي: تلجىء صاحبها.

(٣) «الديوان» ص: ٤٠٩.

(٤) أي: مُستقذرها.

ذلك يعامِلُ بشيءٍ من الحيَل، خصوصاً مَن هو صوُرة[١] عند الناس. أو كما قال.

* * *

وقال رضي الله عنه: كتَب سيدُنا عمرُ البار إلى سيدِنا محمد ابن سُميطٍ رضيَ الله عنهم، مكاتبةً، فصدَّرها بهذه الآية ﴿ فَٱصۡبِرۡ إِنَّ وَعۡدَ ٱللَّهِ حَقّٞۖ وَلَا يَسۡتَخِفَّنَّكَ ٱلَّذِينَ لَا يُوقِنُونَ ﴾ [الروم: ٦٠]، فقد كان الأولياءُ يتواصَوْنَ بالصبر: ﴿ وَجَعَلۡنَا مِنۡهُمۡ أَئِمَّةٗ يَهۡدُونَ بِأَمۡرِنَا لَمَّا صَبَرُواْۖ ﴾ [السجدة: ٢٤].

* * *

وقال رضي الله عنه: احرصوا على التعلم والتعليمِ حتى تموتوا على ملةِ محمدِ بن عبدِ الله ﷺ.

* * *

وقال رضيَ الله عنه: ذكَرَ العلماءُ لتكبيرةِ الإحرام خمسةَ عشرَ شرطاً، وهي كلمتان «اللهُ أكبر» وكذلك آياتُ القرآن، فيسألُ الإنسان: كم لكلِّ آيةٍ[٢] من القرآن لحتى يعْلَمَ ذلك، لا أحدَ يغِشُّ نفَسه، لأن اللحْنَ محرَّم، كما أن الصّلاةَ تبطُلُ بذلك إذا كان مُغيِّراً للمعنى.

* * *

---

(١) أي: ذو وجاهة وسمعة.

(٢) أي: كم شرطاً لها. . . من باب صنعة التجويد.

وقال رضي الله عنه: قال سيدُنا الحبيبُ محمدُ بن زينِ ابن سُميط: جلسْتُ في قُبَّةِ مسجدِ (أبن أحمدَ) أتفكَّرُ في خلودِ الأبد، فخشِيتُ على عقلي أن يتغيَّر، لأنهم ما عرفوه إلاَّ الكبار، ونحن يوم ما فينا عقل ما دَرينا به. يا أهلَ الجنة، خُلودٌ ولا موت، ويا أهلَ النار، خلودٌ ولا موت، حَدْ يضيِّع الأبدي بشيء قليل زايل؟ يرجع يتمنى ليته كلب أو حمار يصير إلى التراب، يومَ يقولُ الإنسان: ﴿يَٰلَيْتَنِي كُنتُ تُرَٰبًا﴾ [النبأ: ٤٠] يعني: الشقيّ.

عاوِنوا وساعدوا لحتى تحصُل السلامة والنجاة للكل، وخلُّوا الوظائف عِينة[١] واحدة سَواء، مثلَ قلوبِ أهلِ الجنة ﴿وَنَزَعْنَا مَا فِي صُدُورِهِم مِّنْ غِلٍّ﴾ [الحجر: ٤٧]، لأن الدِّين واحد، مثْلُ الجَوابي: الأبوابُ مختلفةٌ والماءُ واحد، ما يصلُحُ اختلافٌ في هذا الشأن، شُوا نحن مؤمِّلون فيكم وفي ربِّكم، لا تخلُّونَه يخِيب الظن، والقبول حَاصل، إن شاءَ الله تعالى، بايظهَر الخير، عسى الله يكثِّر المذكِّرين، تناصَحوا وتواصَوْا بالحقِّ والصبر، لأن الدنيا الاّ سجن، ما خُلقْنا فيها إلاَّ للابتلاء، والعالِمُ غنيمةُ الجاهلِ إذا تعلَّمَ منه.

وقيل: والجاهلُ غنيمةُ العالمِ إذا ذَكَّره وعَلَّمه، وإلا كلُّهم في الويل: «ويلٌ للعالِمِ منَ الجاهل، وويلٌ للجاهلِ منَ العالِم»[٢]، ما خُلِقنا إلاَّ لشأنٍ عظيم.

* * *

---

(١) عينة: متماثلة.

(٢) أخرجه الديلمي عن أنس، «كشف الخفا» (٢: ٤٨١).

وقال رضيَ الله عنه: عَوِّلُوا على الإحسان، لأن القبولَ متوقِّفٌ عليه، عَوِّلوا على الإحسانِ ولا تجعلوا للشيطانِ عليكم سُلطاناً.

* * *

وقال رضي الله عنه ونفَع به: التعاونُ على البرِّ والتَقْوى مِن أعظم أركانِ الدِّين، ونرجو، إنِ اجتمعَتِ القلوبُ وتمَّتِ المعاونة، أنْ يقيِّضَ اللهُ والياً عدْلاً للجهة.

* * *

وقال رضي الله عنه لبعضِ الحاضرينَ لصلاةِ العصر: يا فلان، قال اللهُ تعالىٰ: ﴿وَأْمُرْ أَهْلَكَ بِالصَّلَوٰةِ وَاصْطَبِرْ عَلَيْهَا لَا نَسْـَٔلُكَ رِزْقًا نَّحْنُ نَرْزُقُكَ وَالْعَـٰقِبَةُ لِلتَّقْوَىٰ﴾ [طه: ١٣٢]، يحثُّ كلَّ أحدٍ أهْلَه الذين في بيتِه، واجب عليه يعلمهم أمْرَ دينِهم، وأنت جميعُ الرعيةِ أهْلُك، واجبٌ عليك أن تَحْمِلَهم على التعلّمِ لمهمّاتِ الدين.

وهاتانِ عُلْمَتانِ قد مَنَّ اللهُ علينا بهما: عُلْمَةٌ للأولادِ وعُلْمةٌ للبنات(١). عَوِّلْ على كلِّ أحدٍ يُدْخِلُ صغارَه إلى العُلْمَهْ، لحتى يتم لكم النصْر والحفظ إذا قُمْتم في هذا الشأن.

كذلك السُّوَّال، عَوِّلوا على صلاتِهم، وأْمُروهم بالتعلّم، وقوموا في هذا الشأنِ وباقي المؤمنينَ يعاونونَك.

---

(١) أي: مدرستان للصغار، وهما معروفتان بشبام، ويقال: إن الذي أسسهما هو الشيخ عمر مشغان، كما فصلنا ذلك في ترجمته في مقدمة كتابه «إفادة النفس والإخوان».

وعَوِّلْ على خَصْلتينِ وهما رُكنانِ عظيمان: اللقمة الطيبة، والجَليسُ الصَّالح، إذا حصَلا للإنسانِ تمَّتْ له جميعُ المقاصدِ بسهولة، لحتى يسأل الجليس الصالح: ما الذي يجبُ عليَّ وما الذي يَعْنَاني؟ قال عليه الصّلاةُ والسلام: «إذا أرادَ اللهُ بالأميرِ خيراً جَعَلَ له وزيرَ صِدْق،إن نَسِيَ ذَكَّرَه، وإن ذَكَرَ أعانَه»(١) الحديث.

* * *

وقال رضيَ الله عنه: كان سيدُنا أحمدُ بن زينِ الحبشيُّ آخِرَ عُمُرِهِ يدعو بدعَواتِ القرآن، ويقولُ في تفسيرِ قولِه تعالى: ﴿رَبَّنَا ٱغْفِرْ لَنَا وَلِإِخْوَٰنِنَا ٱلَّذِينَ سَبَقُونَا بِٱلْإِيمَٰنِ﴾ [الحشر: ١٠]، يعني: الذين قد ماتوا من آدمَ إلى اليوم، ﴿وَلَا تَجْعَلْ فِى قُلُوبِنَا غِلًّا لِّلَّذِينَ ءَامَنُوا۟﴾ [الحشر: ١٠]، يعني الأحياء. فلْيحذَرِ الإنسانُ أن يكونَ في قلبه غِلٌّ لأحدٍ من المسلمين.

* * *

وقال رضي الله عنه: يقال: إنّ قولَه تعالى: ﴿وَلَسَوْفَ يُعْطِيكَ رَبُّكَ فَتَرْضَىٰٓ﴾ [الضحى: ٥]، أرجى آيةٍ لأهلِ البيتِ النبوي(٢)، فحافظوا علىٰ شرائع الإسلام، واحكمُوها، لحتىٰ تحصل حسْن الخاتمة، وإذا حصلت حصَلَ كلُّ خيرٍ، وكلُّ ما ندْعُو إليه شو مقصُودنا بذلك حُسْن الخاتمة.

---

(١) رواه أبو داود (٢٩٣٢).

(٢) وفي هذا المعنىٰ يقول سيدنا حسان بن ثابتٍ رضي الله عنه:

قرأنا في الضُّحىٰ (ولسَوفَ يُعطي) ... فسَرَّ قلوبَنا ذاكَ العطاءُ
وحاشا يا رسولَ الله ترضىٰ ... وفينا مَنْ يُعذَّبُ أو يُساءُ

وقال رضيَ الله عنه: في تفسيرِ سيدِنا عليٍّ رضيَ الله عنه: ﴿وَرَتَّلْنَٰهُ تَرْتِيلًا﴾ [الفرقان:٣٢]، أي: جوِّدْه تجويداً، حتىٰ أنّ بعْضَهم فهِمَ من ذلك فَرْضيّةَ التجويد(١)؛ لأن الأمْرَ عندَهم للوجوب. فحافظوا على أحكامِ كتابِ الله، وإذا ما أَحْكَمَ الإنسانُ كتابَ الله عاده بايُحكِم أيّ شيء؟ بل هو مُستهينٌ بحقِّ الله، وذلك يُكْسِبُه الذلّ: ﴿وَمَن يُهِنِ ٱللَّهُ فَمَا لَهُۥ مِن مُّكْرِمٍ﴾ [الحج:١٨].

وما تقولون: إذا الإنسان يعلَم من نفسِه أنه يغلَط في المُقْرأ(٢) خمس ستّ غلطات، هل يجوزُ له أن يقرأَ إذا لم يكن عندَه أحدٌ يرُدُّ عليه في التجويد؟ راقِبوا الله، واسألوا أهلَ العلمِ عن أحكامِ القراءة، وما الذي يُبْطِلُ من اللّحنِ ويفوِّتُ فضلَ الجماعة؟ لحتى يتبينَ لكم مقصودُ التجويد.

ولا يكون الإنسان غاشّ، يصلي بالناس ويفوِّتهم فضْلَ الجماعة، بل كلُّ صاحب وظيفة(٣) إنْ كانُهْ بايقبل النصيحة يَتَمَيَّل منها حتى يُحكِمَ القراءةَ عندَ من يُعلِّمُه بها، ثم يرجِعُ إليها، إنْ كان شيْ إنصاف، ولكن الإنصاف إلاَّ مِن شأنِ أهل العقُول الراجحة، وأنا خرجْتُ من العذر.

---

(١) ومنه قول الإمام ابن الجزري في «المقدمة» في بعض رواياتها:

والأخذُ بالتجويد حتْمٌ لازمُ   مَـن لـم يجـوِّدِ القُـرآنَ آثـمُ

وفي رواية أخرى: من لم يصحِّح.

(٢) المقْرأ عند أهلِ حضرموت: حصة من الجزء من القرآن، معلومة عندهم.

(٣) كالإمامة في المساجد ونحوها.

والكلامُ هذا لكلِّ إنسان، ما بانروح نقرْقِـعْ على الديار[١]، وقد كان الحبيبُ محمدُ ابن سُميط ما يقرأ الحزب في وقْتِه حتى يجتمعَ أربعةُ أنفار، لأجل الرّدِّ على القارئ.

* * *

وقال رضي اللهُ عنه: عاوِنوا بأقلامِكم واكتُبوا لكلِّ إنسانٍ تَذْكِرَةً مِن مهمَّاتِ دينِه، وقولوا له: هذا حِرْزٌ منَ النَار، لَحتى تُحْشَرُون في زُمْرةِ الداعينَ إلى الله تعالى، وتَسْلَمون مِن مُخاصَمتِهم يومَ القيامة، لأن الإنسانَ مسؤولٌ عن صُحْبتِه، هل أقامَ حَقَّ اللهِ فيها أم لا؟ ولا عاد يتعلّقون بكم يوم القيامة. قال تعالى: ﴿ **ٱلْأَخِلَّآءُ يَوْمَئِذٍۭ بَعْضُهُمْ لِبَعْضٍ عَدُوٌّ إِلَّا ٱلْمُتَّقِينَ** ﴾ [الزخرف: ٦٧].

والدعاءُ والدعوةُ متلازمان، لا يُقبَلُ هذا إلّا بهذا. قَدَّموا الدعوةَ ثم ادعوا، لحتى تحصُل الإجابة. وإلّا كما في الحديث: «ثمَّ تَدعُونَه فلا يستجيبُ لكم»[٢].

ولا عاد معنا إلّا الدعوة، لحتى يتنوَّر الوادي قبل لا يمتلي زُور، ولا شيْ مكان يعيض في حضرَموت حتى نقول لكم: سيروا إليه[٣].

واقْصِدُوا الجُهّالَ إلى مكانِهم، كما كان سيدُنا أحمدُ بن زينٍ يعْمَلُ

---

(١) أي: نطرق الأبواب.

(٢) الحديث رواه الترمذي (٢١٦٩).

(٣) أي: ليس في حضرموت مكان نستعيضُ عن غيره.

بذلك، تراهم ساروا إلى جَاوَة والهند لأجلِ الدنيا وهي شيْ فاني، كيفَ يضيِّعونَ الربحَ الكبير[١] وهو عندهم، وشيْ باقي وثوابُه عظيم؟

وتأَهَّبوا لمجيء المهدي، لأنه أوْقَت، كان والدي إذا ذكَرَه يقول: صوتُه يُستمَع[٢]. عاوِنوا على الدعوةِ إلى الله، إذا جاء حصَّلَكم على خيرٍ حتى تكونوا من مُعاونيْه وتَسُلُّون سيوفَكم معه. أو كما قال.

* * *

وقال رضيَ الله عنه: ينبغي لكلِّ مدرِّسٍ إذا جاءه الطالبُ أن يبتدي له بأذكارِ الصّلاةِ حتى يُحْكِمَها كما ينبغي ولِينتفعَ السامعون.

* * *

وقال رضي الله عنه: خَلُّوا القهوة مثل القيد المنفَكّ، إن جاءتْ أو راحت، وما أحسنَها في محلِّها.

* * *

وقال رضي الله عنه: في مكةَ أيَّامَ الحجِّ يقرؤون المناسك[٣] وهذه أشهُر الحجّ، اصرفِوا أوقاَتكم وقراءتَـكم في الدعوةِ إلى الله تعالى، تشبَّهوا بهم،لأنهم يقرؤون في مناسكِ الحجّ،وأنتم في مسالكِ الحجِّ وغيره حتى

---

(١) أي: دعوة الناس.

(٢) إشارة إلى قرب ظهوره.

(٣) أي: كتب أحكام المناسك.

يظهرَ الخير، واحتسِبوا أنكم مجاهدون؛ لأنكم لو كنتم في زمَن النبيِّ ﷺ لم يعذِرْكم من حمْلِ السيف، ودعوتُه عليه السلام باقية، فانصُروها بالمعاونةِ على نَشْرِها وإذاعتِها بأقلامِكم وأقدامِكم.

* * *

وقال رضي الله عنه: السيفُ والقلمُ لهما وجهان: إلى الجنة، وإلى النار. فمَن كتَبَ بقلمِه طاعةً أسعدَهُ اللهُ به، ومَن كتَبَ بقلمهِ مخالفةً شَقِيَ به. والسيفُ كذلك، تقتُلُ به مسلماً بغيرِ حقٍّ فتدخُلُ النار، وتقتلُ به كافراً حَرْبياً فتدخُلُ الجنة. فإذا تعوَّذتَ من شرِّ لسانِك مرة، فاستعِذْ من شرِّ قلمِك مئةَ مرة.

والقلمُ والسيفُ لا يُحمَدانِ إلا لِتَقِيّ، ولهذا كسَرَ السيفَ سيِّدُنا الفقيهُ المقدَّم، أي: كَسَرَ الحَيفَ[1] في الحقيقة، وإلاَّ تراهم شَلُّوه وسَلُّوه في الدعوةِ إلى اللهِ تعالى. أو كما قال رضيَ الله عنه.

* * *

وقال رضي الله عنه يومَ الجمُعةِ لأربعِ شهرِ الحجةِ الحرامِ سنة ١٢٤٧، في مَدْرَسِ مُذاكَرة، عندَ قولِه تعالى: ﴿إِنَّ ٱلَّذِينَ ءَامَنُواْ وَعَمِلُواْ ٱلصَّٰلِحَٰتِ كَانَتْ لَهُمْ جَنَّٰتُ ٱلْفِرْدَوْسِ نُزُلًا﴾ [الكهف: ١٠٧]:

أتدرونَ مَن هُم أصحابُ الفردوس؟ همُ الآمِرونَ بالمعروفِ والناهُونَ عنِ المُنكر، منَ الأنبياءِ والصدِّيقينَ والشهداءِ والأولياءِ وغيرهم. والإنسانُ

(١) الحَيْف: الظلم والجور.

لا يتمنّى طولَ العمُرِ إلاَّ لهذا الشأن. كما قال بعضُهم: لا أتمنى الحياةَ إلاّ لأُحييَ سُنةً أو أُميتَ بدعة.

عاوِنوا على إحياءِ سُنّةِ نبيِّكم حتى تنالوا طُوبى «بَدأَ الدِّينُ غريباً وسيعودُ غريباً كما بدَأ، فطوبى للغرباءِ الذين يُحْيُونَ ما أماتَ الناسُ من سُنَّتي»[١] حتى تنالوا شفاعتَه ﷺ. أَوَ مَا هُو شفيعُكم؟ لا تزْهَدُوا في شفاعتِه، واصبِروا على ذلك[٢] حتى تنالوا حُسْنَ الخاتمة.

وخلُّوا النساءَ والصغارَ يدْعُونَ اللهَ في السجودِ بظهورِ والٍ عَدْل، حتى تحصُلَ جميعُ الأمور بسَهَالة، لأنَّ النساءَ والصغارَ أرقُّ أفئدة، ونرجو ذلك مِن كَرِمِ اللهِ وفضْلِه وجُودِه، ولو ما نستأهل شيء. وانووا بحصولِ الوالي العدْل عمارةَ الدِّين، أمّا الدنيا، فقد قال عليه الصّلاةُ والسّلام: «بُعِثْتُ بخرابِ الدنيا»[٣] وإنما إذا صلَحَ الدِّينُ صلَحَت، لأنها تابعةٌ له. أو كما قال رضيَ الله عنه، أو ما هذا معناه، وأستغفرُ الله.

* * *

وقال رضي الله عنه مُذاكرةً في القهوة[٤]: نُدَفدِفُ عليها ونشرَبُها. ويكفي في مدحِها وأبلغُ مِن مدْحِ المادحينَ عندي، أن سيدَنا عبدَ الله الحدّادَ يصلِّحُها بيدِه في أولِ أمرِه عندَ انتباهِه من الليل، معَ أنه مكفوفُ

---

(١) الحديث: تقدم تخريجه.

(٢) أي: القيام بالدعوة وإحياء السنن.

(٣) لم أجده حديثاً.

(٤) أي: القهوة البنية المعروفة.

البصر، ولكنْ له ولأمثالِه(١)، كما قال بعضُهم لمَّا سِمعَ قائلاً يقول: عندَ الصباح تحمَدُ القومُ السُّرى، قال له: لك لا للجَمَّالين. وذا مثَلُه، بل قال بعضُهم: مِلْءُ [كأسٍ] قهوةٍ عندي خيرٌ من مِلْئِهِ ذهباً. دليل على زهدِه في الدنيا.

عرَفْنا أنّ مَن كانت عندَه بهذه المنزلةِ يشرَبُها، وأمّا غيرُه يُفصَّلُ فيه كما قال سيدُنا الحبيب عبدُ الله الحدّادُ حينَ دخَلَ عليه الرَّخْمَليّ(٢): يا سيدُ عبدَ الرحمن، تشرَبُ القهوة؟ قال: لا. قال: إذاً أنت حُرّ. مفهومُه: أنّ مَن يشرَبُها عَبْدُ الشهوة.

* * *

وقال رضي الله عنه: اللهُ تفضّلَ عليكم برخاءِ الأسعارِ في هذه الأيام، اشكروا النعمةَ وقيّدوها وليس الشكْرُ شُكْرَ اللسانِ قولَ: الحمدُ للهِ فقط؛ بل شكْرُ الفعل، ﴿ٱعْمَلُوٓا۟ ءَالَ دَاوُۥدَ شُكْرًا﴾ [سبأ: ١٣].

ومعَ الخيرِ تقعُ عُرُوسات ونوائب(٣)، خصوصاً عندَ المحترَفين(٤)؛

---

(١) أي: يصلح شرب القهوة المذكورة لأنه يستعين بها على النشاط في العبادة والقيام آخر الليل.

(٢) هو السيد عبد الرحمن.

(٣) أي: مع وجود الخير والسعة في أيدي الناس تكثر عندهم الولائم في الأعراس أو غيرُها مما ينوب الناس.

(٤) أي: أصحاب الحِرَف.

لأنهم يَبُوقونَ مع الخير[١]، الحذر من المظاهرة[٢]، باختلاط الرجال بالنساء، ورفعِ أصواتِ النساء، الحذَرَ من كُفْرانِ النِّعَم؛ لأنها تُبدَّلُ نِقَماً إذا كُفِرت؛ ولَطِّفوا الأشياءَ في النوائبِ[٣] كما كان سلَفُكم في أيامِ الحبيبِ يا سيدُ أحمد بن زينٍ الحبشيّ، خصوصاً أهلُ شبامَ أمورُهم على اللُّطف، ﴿و ٱلَّذِينَ يَمْشُونَ عَلَى ٱلْأَرْضِ هَوْنًا﴾ [الفرقان: ٦٣].

إن لم تكونوا مثْلَهم فَتشبَّهوا   إن التشبُّـــهَ بـالـرجـــالِ فـلاحُ

والناسُ ثلاثة: بعضُهم سابق، أي: يسبِقُ سلفَه، وبعضُهم لاحِق، أي: يلحَق بهم، وبعضُهم ماحِقٌ سيرةَ سلفِه. كرَّرَه مِراراً. الحذَر تمْحَقُون سيرة سلفكم، الله لا يمحقنا.

❊ ❊ ❊

وقال رضيَ الله عنه: ينبغي للإنسانِ إذا طلبَ منَ الله شيئاً، أن يُفوِّضَ الأمرَ إليه، فكم مِن مريضٍ يسألُ الله العافية، وعافيتُه علىٰ الحقيقةِ ذلك المرض.

❊ ❊ ❊

---

(١) أي: يسرفون في أمورهم وأفراحهم جداً، فوق الحد.

(٢) أي: بأن يظهر الرجال علىٰ النساء غير المحارم ويجالسوهم ويكلموهم من غير احتشام.

(٣) أي: خففوا على أنفسكم الكلفة في نوائبكم وأفراحكم، ولَطِّفوا، أي: قللوا الصرف، والنفقة، واجعلوها خفيفةً لطيفة.

وقال رضيَ الله عنه: قالوا: إنّ سيّدنا عبدَ الله الحدّاد أُعطيَ حظّاً وافراً من اتّهامِ النفس، انظُرْ إلىٰ قولِه: يا ويْحَ نفْسي الغَوِيَّه[1]. . إلخ. وأمثالِه من قولِه:

بخْتْ مَنْ أُعطيَ ذلكْ   إنَّـــهُ الـرِّزقُ الكبيـرْ

* * *

وقال رضي الله عنه: أسمَعُ أنّ مَن به حُمَّىٰ الثُّلُث[2] إذا أكلَ ثلاثَ أكْلاتٍ زينَة مِن فَتّة البُرّ ولحم متتابعة: غداءً وعشاءً وغداء، تزولُ منه.

قال بعضُ الحاضرين : إنه حضَرَ رَجُلاً يصِفُ مرَضاً علىٰ سيدِنا أحمدَ بن جعفر[3]، والمرضُ حُمَّىٰ الثُلث، فكلما وصَفَه[4] بدواء، قال الرجل: قد فعَلتُه. ثم قال له سيدُنا أحمد بن جعفر، أعني للمريض: اخرُجْ إلىٰ السَّبْية[5] التي خلَعَها الحبيبُ أحمدُ بن زينٍ بيدِه، ووصَفَها له،

---

(١) تمامه:

يا وَيْحَ نفْسي الغَويّهْ   عنِ السبيـلِ السَّـوِيّـهْ
أضحَـت تروِّجْ عَليّهْ   وقصدُها الجاهُ والمالْ

(٢) حمَّىٰ الثُـلث: الحمىٰ التي تأتي يوماً وتغيب يومين وتعود في الثالث.

(٣) هو الحبيب أحمد بن جعفر بن الإمام أحمد بن زينٍ الحبشي، كان مَنصِبَ الحوطة في وقته، توفي بها سنة ١٢٤٢هـ.

(٤) أي: كلما وصف الحبيب أحمد المذكور للرجل.

(٥) نخلة مثمرة.

خُذْ لك منها خُوْصَتَيْن اجعَلْهُنَّ في عَضُدَيكَ يحصُلِ الشفاء. ففعَلَ الرجل، فوَلَّتِ الحُمّىٰ منه ولم تعُدْ.

قال سيدُنا رضيَ الله عنه: انظُروا إلىٰ الهمَّة. وكان الحبيبُ عمرُ بن سقافٍ رضي الله عنه أصابَه بَثْرٌ في يديه، فوصَفَه علىٰ سيدِنا الحبيبِ جعفر، فقال له: خُذْ لك بقرة. ثم قال عمرُ بن سقافٍ: وبقرة؟ أعني: باتأذيه بعِنْوَتْها[1]، خذ ضانه. ثم قال: تشوف خير، اخرُجْ إلىٰ الجابيةِ حق الحبيبِ أحمد بن زين فاغسِلْ يدَيك فيها.

قال سيدُنا أحمد: قال الحبيبُ عمر[2]: من حينَ خرجْتُ من عندِه قد ظهَرتِ العافيةُ مِنَ البثورِ فزالت.

ثم قال سيدُنا: قال الحبيبُ محمدُ بن سُميط: إذا خرَّجْنا عانِـياً[3] إلىٰ «الحوطه» يصِفُ مرَضاً. قد نحن نشاهدُ العافيةَ في المريضِ قبلَ الوصف.

وقال ــ أعني سيدَنا محمدَ بن سُميط لسيدِنا أحمدَ بن زينٍ رضيَ الله عنه ــ: لو نَقَلْتوا الأدوية المجرَّبة التي وصفْتوها، وحصَلَ بها الشفاء! فقال له: ليس هو من باب التجرِبة، إنما ذلك لِنيَّتِهم فينا ونيَّتِنا فيهم.

ثم قال سيدُنا أحمدُ بن عمرَ رضيَ الله عنه: ما الحبيبُ أحمدُ إلا

---

(١) أي: بالاعتناء بها.

(٢) أي: عمر بن سقّاف.

(٣) أي: إذا أرسلنا رسولاً عانياً قاصداً (الحوطة).. شاهدنا آثار العافية في المريض قبل وصول العاني إلىٰ الشخص المرسول إليه ووصفه المرض عليه.

مقامٌ عظيم. كما قال جدُّه سيدُنا أحمدُ الحبشيُّ صاحبُ الشِّعْب[١]، وذلك لمّا شكا إلى سيدِنا الشيخ أبي بكر بن سالمٍ من أذى وصَلَه من الذي هو في مكانه . قال له الشيخُ أبو بكر: رُحْ تزوَّج عندهم، وعاد بايُخرج الله من صُلبك من يُستشفى به من السُّمِّ الناقع.

قال سيدُنا: انظُرْ إلى ناطقِ أولياءِ الله! ولا نراه إلاّ الحبيبَ أحمدَ بن زين، أعني المبشَّرَ به في الناطق. رضيَ الله عنهم ونفعَنَا بهم، آمين. أو كما قال سيدُنا، أو ما هذا معناه، وأستغفرُ الله.

❊ ❊ ❊

قال رضيَ الله عنه: إذا صدَقَ التوحيدُ تمَّ الشكْر، وإذا ضعُفَ التوحيدُ عُدِمَ الشكْر؛ لأنه حينَئذٍ ما يشهد إلاّ الوسَائط وينسى مسبِّبَ الأسباب. والشاكرُ مُوحِّد.

اللهمَّ ما أصبح بي مِن نعمةٍ أو بأحدٍ من خلقِكْ فمنكَ وحدَك لا شريكَ لك، فلكَ الحمدُ ولك الشكرُ على ذلك.

ولا مقابلَ له إلا الشِّركُ والعياذُ بالله. والصابرونَ كثير، وأمّا الشاكرونَ فقليل، ﴿وَقَلِيلٌ مِّنْ عِبَادِيَ ٱلشَّكُورُ﴾ [سبأ: ١٣]، ﴿قَلِيلًا مَّا تَشْكُرُونَ﴾ [السجدة: ٩].

إذا اتخَذَ الناسُ الذهبَ والفضةَ والعُرُوض، فاتَّخِذْ قلباً شاكراً ولساناً

---

(١) المتوفى سنة ١٠٣٨هـ.

ذاكراً. واللسانُ عنوانُ الجَنان، إذا اعتمَرَ القلبُ اعتمَرَتْ، وإذا خرِبَ خرِبَتْ. أو كما قال.

* * *

وقال رضيَ الله عنه: ماذا يستحضِرُ أحدُكم عندَ قولِه : اللهمَّ لك الحمدُ وإليك المُشتكى وأنت المستعان؟ فسكتَ الحاضرون، فقال رضيَ الله عنه: يستحضرُ قولَ سيدِنا عبدِ الله الحداد:

أشكو إليكَ وأبكي　　　من شومِ ظُلْمي وإِفكِي

إلىٰ قولِه: وحُبِّ دنيا ذميمة... إلخ[1]، إذا كان الصالحونَ يعترِفونَ بحبِّ الدنيا، فكيف إلا نحن «يا حَطَبْ يا قَرْطَبْ» غارقونَ في محبتِها!

* * *

وقال رضيَ الله عنه: كلُّ ساكتٍ عن الأمرِ بالمعروفِ والنهْيِ عن المُنكرِ فهو راضٍ بهَدْمِ الدِّين.

* * *

وقال رضيَ الله عنه: مِيقاتُ المعاونة على البرِّ والتقوى هو العمُر، فإذا فنِيَ ولا عاوَنَ الإنسان، رجَعَ يتحسَّف[2]، فكم مِن مُوَبَّخٍ في قَبْرِه على

---

(١) تمام الأبيات:

أشكـو إليك وأبكي　　　مِن شومِ ظُلمي وإفْكي
وسُوءِ فعلي وترْكي　　　وشهـوةِ القليلِ والقـالْ

(٢) أي: إذا فني عمر الإنسان وهو لم يَقُم بما عليه من الواجبات رجع يتحسر =

عدمِ المعاونة والتثاقل عنها. عاوِنوا عليها، وكلٌّ يبذُل جهدَه فيه، ويجعل حَظَّه الأوفرَ فيه، ويتمنى طُولَ الحياةِ لأجْلِه.

* * *

وقال رضيَ الله عنه في هذه الآية: ﴿إِنَّ ٱللَّهَ هُوَ ٱلرَّزَّاقُ ذُو ٱلْقُوَّةِ ٱلْمَتِينُ﴾ [الذاريات: ٥٨]: كرِّروا هذه الآية، فإنّ الشيطانَ يزعَل منْها جم جم.

* * *

وقال رضيَ الله عنه: ورَدَ عنه عليه الصّلاةُ والسّلام: «لا غِنى معَ زنا»[١]، وورَدَ: أنّ «زنا العينِ النظر، والأُذنِ الاستماع»[٢]. فما تراه من نقْصِ الرزقِ وعدَم الزيادة فيه إلا من الاستهانةِ بأُمورِ الشرع.

وغالبُ الناس يكلِّمُ الأجنبيةَ ويسمَعُ صوتَها، مثلَ خادمةٍ وغيرِها، خصوصاً في شبامَ لضيقِها[٣]. فاللائقُ بالإنسانِ أن يجعَلَ رجلاً يخدِمُه، وإذا أتى بنحوِ ماءٍ أو غيرِه يضعه في وسَطِ بيته[٤]، ثم النساءُ يطلُعون به إلى حيث أرادوا، وذلك أسلَمُ وأحسَنُ من خدْمةِ الحُرْمة؛ لأن النساءَ ناقصاتُ عقلٍ ودين، أو كمَا قال.

= علىٰ ما فات من عمره.

(١) لم أقف عليه.

(٢) رواه مسلم (٢٦٥٧).

(٣) أي: ضيق بيوتها لصغر مساحتها.

(٤) أي: في الأدوار التي لا يوجد النساء فيها؛ لأن تواجدهنّ غالباً في الأدوار العليا كما هي عادة أهل حضرموت لا سيما أهل شبام لعلوّ ديارهم.

وقال رضيَ الله عنه: يَحُول بينَ الإنسانِ وبينَ الحرامِ وأهلِ الحرامِ خَصْلتان؛ القناعة، والاقتصادُ في المعيشة، فإذا قَنعَ الإنسانُ واقتَصَدَ في معيشتِه، سَلِمَ من الحرام وأهْل الحرام، ومَن توسَّعَ في أكلِه ولُبْسِه، احتاجَ لا محالَةَ إلى الحرامِ وأهلِ الحرامِ والاحتيالِ على اللهِ تعالى.

* * *

وقال رضيَ الله عنه: أضعَفُ سببٍ يقيمُ الإنسانَ معَ القناعة، ومع عدَمِها لو جميعُ الأسبابِ ما تحمِله(١)، ويُمضي وقتَه مُهَذْهَذٌ(٢)، ولا يسيرُ الإنسانُ بِسَيْرِ أهْلِ الزمانِ إن بغا المحَلَّة في بلدِه، بينَ أهلِه وولدِه، بل يُراعي نفْسَه بما يعبرُ به الحال، ويُقبِلُ على الله، وإلا عَبَرْ وقْتُه ولا حصَّلَ ذا ولا ذا.

وقال رضيَ الله عنه: الحسْرَةُ على الخيرِ قُرْبٌ منَ الله، وعدمُ الحَسْرَةِ على الخيرِ قُربٌ من الشرّ.

* * *

---

(١) أي: إن الإنسان إذا قنع كفاه وقام بحاجته أبسط أو أدنى عملٍ يقوم به، لكنه إذا طمع ولم يقنع لم يكفه دخْلُه ولو كان قائماً بجميع أسباب الرزق والتجارة وأنواعها.

وأحوال الناس تختلف، على حد قول الطغرائي في «لاميته»:

ولـو أنّ مـا أسـعى لأدنـى معيشـة ... كفاني ــ ولم أطلُبْ ــ قليـلٌ مـن المـالِ
ولكـنَّـمـا أسْعَــى لـمـجـدٍ مـؤثَّـلٍ ... وقـد يُـدرِكُ الـمجْـدَ المـؤثَّـلَ أمـثـالـي

(٢) أي: مضيّعٌ وقتَه وعُمْرَه في الأسفار والاغتراب، لا يقر له قرار.

وقال رضيَ الله عنه: مَن تحفّظَ حُفِظ، منك التحفُّظُ وعلى اللهِ الحِفْظ. ومَن حَفِظ عيْنَه حفِظَ قلْبَه: ﴿وَلَا تَمُدَّنَّ عَيْنَيْكَ إِلَىٰ مَا مَتَّعْنَا بِهِۦٓ أَزْوَٰجًا مِّنْهُمْ زَهْرَةَ ٱلْحَيَوٰةِ ٱلدُّنْيَا﴾ [طه: ١٣١].

وأنت إذا أرسَلْـتَ طرْفَـك رائداً — إلى كلِّ شـيءٍ أتْعَـبَـتْك المَناظرُ
رأيتَ الذي لا كُلَّـهُ أنـتَ قـادرٌ — عليه، ولا عن بعضِه أنت صابرُ

ومثالُ الإنسانِ في الدنيا كالمُقطِّبْ(١) يقالُ له: اِذْهَنْ من الرِّيح(٢)، اذْهَنْ مِن كذا أو كذا. ويقالُ للإنسان كذلك: لا تفعلْ كذا، اترُكْ كذا، حتى يموتَ على حسنِ الخاتمة، كالمُقطِّبْ إذا مَسَحْ أحْرَزَ السلامة. أو كما قال وأَستغفرُ الله.

* * *

وقال رضيَ الله عنه: احذَرْ من نفسِك وزوجتِك، فإنهما عدوٌّ محبوب(٣). ولهذا قالوا: لا بُدَّ من شيخٍ مُرشد، لأنه يدُلُّك على عيوبِ نفْسِك، لأنها تَعْمى عن عيوبها. اللهمَّ ألهِمْني رشدي وأعِذْنِـي من شـرِّ نفسي.

* * *

---

(١) أي: المصاب بداء القطيب، وهو داءٌ يصيب البدن كالجذام، يُمنع المصاب به مسِّ الماء ونحوه، نسأل الله العافية والسلامة.

(٢) أي: احذر وانتبه من شم العطر والروائح الطيبة.

(٣) لأن الغالب عليهما طلب المشهيات والمحبوبات من الملذات.

وقال رضيَ الله عنه: ما أدري كيف باتكون أحوال الأعيان[١] في القبور، الساكِتينَ عن الأمْرِ بالمعْرُوفِ والنهيِ عن المنكر؟ بايُـوبَّخُون بايُوَبَّخُون، كرَّرَها مِراراً، وفي الدنيا تقْصُرُ أعمارُهم، ويتغرَّبون عن اوطانِهم، هذا أقلُّ عقوبتِهم في الدنيا.

* * *

وقال رضيَ الله عنه: يقولون: لولا المُربِّي ما عرَفْت ربيّ، ولولا المُرَقِّي ما عرَفْتُ رِقيِّ. والمدارُ كلُّه على الوالي، عسى اللهُ يمُنُّ به علينا، ما بايدخِّل الناس الجِنةَ إلاَّ الوالي.

* * *

وقال رضي الله عنه لبعضهم؛ وقد تغيَّرت إحدى عينيه: يا فلان، قلْ كما قال بعضُهم: إنِ ابتَلَيْتَ فَلطالَ ما عافيْت، وإن أخذْتَ فلكَ الحمْدُ على ما أبقَيْت.

* * *

وقال رضيَ الله عنه: قيل: إنَّ العقولَ في آخرِ الزمانِ تعرُج، يعني: إمّا تعرُجُ أي: تصعَد، أو تعْرُجُ أي: تكسح[٢]. واللهُ سبحانَه وتعالى لم يخاطبْ في كتابِه إلاّ أُولي الألبابِ في عِدّة مَواضع، وهم أهلُ العقول.

* * *

---

(١) أي: أعيان الناس ورؤسائهم.

(٢) من العَرَج، وهو الكَسَحُ بالدارجة.

وقال رضيَ الله عنه: عظِّمُوا حرُمَاتِ الله، لا حدْ يدخل المسجد إلا برائحةٍ طيِّبة، حتى يحترِمَكُم الله، ويصُونَ بلادَكم من هؤلاءِ البَغش، أعنِي القبائل[١]، إذا عظَّمتوا حُرمَاتِ اللهِ وأمْرَه بايحْصُل لكمُ الخير. ﴿وَمَن يُهِنِ ٱللَّهُ فَمَا لَهُۥ مِن مُّكْرِمٍ﴾ [الحج: ١٨].

* * *

وقال رضيَ الله عنه عندَ قراءةِ الحديثِ الواردِ في سَماعِ العلم[٢]: «فَتْحُ الرحمن»[٣] أنموذَجٌ من سَمَاعِ العِلْم[٤]. يعني أنه يسلَمُ سامِعُه من الوعيدِ المذكورِ في الحديثِ في عَدَمِ سَماعِ العِلْم.

* * *

وقال رضيَ الله عنه: باقول قولاً: سَببُ عدمِ إقامةِ الوالي لأهْلِ

---

(١) أي: المحارِبة التي تعيث في الأرض فَسَاداً.

(٢) وهو حديث: «أُغْدُ عالماً أو متعلماً أو مستمعاً أو محباً، ولا تكن الخامسَ فتهلِك»، رواه البيهقيُّ وابن عبد الله، ورواه أيضاً أبو نُعيمٍ والطبراني في «الكبير»، «كشف الخفا» (١ : ١٦٧).

(٣) هو كتاب «فتح الرحْمن فيما يحصل به الإسلام والإيمان»، للعلامة الفقيه محمد ابن عبد الرحمن بن زيادٍ الوضاحيِّ الزبيدي، المتوفى بها سنة ١١٣٥هـ.

(٤) لأن أهل شبام كانوا يعتنون بقراءة «فتح الرحْمن» عنايةً كبيرة، يقرؤونه في تجمعاتهم، وخلف الجنائز، ويحْفظه النساء والرجال والأطفال والعُمَّال وكافة العامة عن ظهر قلب.

حضرَموت، تهوينُهم في إقامةِ الصلاة، كلما قامَ سلطانٌ انْقَمَع، كم قد شاهدنا فلان وفلان، وعَدَّ جماعةً منهم(١)؛ لأنه ورَدَ عن رسولِ الله ﷺ حينَ وصَفَ أُمراءَ السُّوءِ قالوا له: أفَلا نُنابِذُهم يا رَسُولَ الله؟ قال: «لا، ما أقاموا فيكمُ الصّلاة»(٢).

ما باتَتِمّ الأشيا جميعُها والمقاصدُ إلا إنْ مَنَّ اللهُ علينا بوالي عدْل، وما ذلك على الله بعزيز، لا تُحْصَرُ له مِنَن، الحذَرْ حَدْ يحْصُر فضل الله فيمن مَضَى، خزائنُه مكانَها ملآنة، وإنما التعرُّضُ للنفحاتِ مأمورٌ به، في الحديث «إنَّ لِربِّكم في أيامِ دهْرِكم نفَحات، ألا فتعَرَّضوا لها»(٣)؛ لأن الدنيا عالَمُ أسباب، مرتبِطٌ ذا بذا، والآخرةُ عالَمُ قُدْرة، كُنْ فَكَان. أو كما قال.

* * *

وقال رضيَ الله عنه: نحن نُعوِّلُ(٤) على صلاةِ السُّوَّالِ والبادية، وعلى إنكارِ مُظاهَرةِ الحَرّافين(٥) ومَن ضاهاهم، لأجلْ أهْل بيوتِنا يتسمَّحون

---

(١) ممن شاهد الحبيب أحمد زوالهم وانقماعهم من سَلاطين حضرموت: السلطان جعفر بن علي، الآتي ذكره، وأخواه عمر وبدر، وعلي بن بدر، وعمر بن جعفر، وابن مقيصٍ التميمي، وآل يمانيٍّ... وغيرُهم.

(٢) الحديث رواه مسلمٌ في «صحيحه» (١٨٥٥).

(٣) الحديث رواه الطبراني في «الكبير» (٧٢٠) (١: ٢٥٠)، و«الأوسط» (٢٨٥٦).

(٤) أي: نهتمّ بها وننبه على ما فيها.

(٥) الحرّافون: أصحاب الحِرَف. المظاهرة: اختلاط الرجال بالنساء غير المحارم دون حشمة.

ولا يتنزَّلون[١]؛ لأن الناسَ مراتبُ ومنازل، كما الدار[٢]: بعضُهم في الطَّيارم[٣]، وبعضُهم في المَراويح[٤]، وبعضُهم في المَحاضِر الطوالع[٥]، وبعضُهم تحت[٦]، وبعضُهم في الضَّيْقة[٧]، إنْ بقيتَ تحادي عليهم[٨] بقي كلٌّ في مرتبتِه، ومتى نزلَ مَن في الضيقـةِ إلى خارج، نزلَ واحدٌ مِن فوقِـه إلى محلِّه، ونزلَ مَن فَوقه إلى منزلِ الثاني، وهكذا تتنازلُ الأمور[٩].

فقد كان تسْعَةُ أعشارٍ من آل حضرَموت ما يُصَلُّون، قال ذلك والدي رضيَ الله عنه[١٠]، والعُشُر الذي يصلُّون، يصلُّونَ صلاةً ما أدري كيفَ

---

(١) أي: يتصلّحون وتصْلُح أحوالهم، ولا يتنزّلون: أي: يتركون ما هم عليه.

(٢) أي: مثل مراتب الناس ومنازلهم مثَلُ طبقاتِ البيوت وأدْوارِها.

(٣) جمع طَيْرَمَة: أعلى منزلٍ في البيت الشبامي.

(٤) جمع مِرواح: وهو الطبقة أو الدور قبل الأخير، وهي والطيارم تعد للنوم.

(٥) وهي الغرف المعدّة للجلوس اليومي المعتاد.

(٦) أي: في المحاضر الهابطية (التحتانية)، وهي التي تعدّ غالباً للضيوف.

(٧) أي: في مدخل البيت.

(٨) أي: تتلطف بهم وتحافظ عليهم في أماكنهم.

(٩) أي: ينفرط عقدها وتضيع.

(١٠) المتوفّى سنة ١٢٠٧هـ، وهذا الأمر كان فاشياً بسبب تخييم الجهل على الناس في ذلك الزمان، والفوضى والاضطرابات شغلت الناس عن أمورهم اللازمة وفروضهم.. يعلم هذا من نظر في تاريخ حضرموت في تلك الحقبة الزمنية، ولأن الناس أيضاً كانوا أهل بداوة؛ وهذا الأمر قد يكثر في مكان دون آخر تبعاً لوجود العلماء والمذكّرين وقلّتهم، واللهُ أعلم بحقيقة الحال.

هي؟! رَسِّخوا الخيرَ في أهلِكم وأولادِكم. أو كما قال أو ما هذا معناهُ وأستغفرُ الله.

وقال رضيَ الله عنه: في المثَل: «مَن قَنعَ شَبِعَ عن الحرام»؛ لأن مَن توسّعَ احتاجَ، ومَن احتاج احتال. ترى أهلَ الزمانِ لمّا توسّعوا في المعاش احتاجوا للحِيَل، وتغرَّبوا إلى جاوة والهند، ويموتُ غريب متعوب! والسببُ قِلُّ القناعة، قال بعضُ السلف: اتْقِ الله، فإنِّي ما رأيتُ تقيّاً محتاجاً. ومَن قَنِـعَ فقدِ اتَّقَى الحِرْص. والحريصُ في الدنيا مغمومٌ مهمومٌ مقهور.

وفي بعضِ التفاسير: ﴿إِنَّ ٱلْأَبْرَارَ لَفِى نَعِيمٍ﴾ [الانفطار:١٣]، أي: القناعَةُ في الدنيا، ﴿وَإِنَّ ٱلْفُجَّارَ لَفِى جَحِيمٍ﴾ [الانفطار:١٤]، أي: في الحرصِ في الدنيا. وإن كان صاحبَ شيءٍ لكنّ قلبَه ملهوف، ظمآنُ مخيوف، يتبعُ أوهاماً وخبالات، نَسِيَ المَرْجِع، واليومَ الآخر.

شُو نحن بنا سَكْرَه وحَيرَه، أينَ نحن مِن هَدْيِ الرسولِ، وذا حالُنا؟ وندَّعي محبةَ اللهِ ورسولِهِ ولا نعاونُ على نشْرِ سِيْرَتِه وما جاء به؟ جِدُّوا جِدُّوا خصوصاً آلَ أبي علَوي، حتى تحصُلَ نفحَة للجهة. يرجِعونَ فقهاءَ من آلِ عبدِ العزيز وفقهاءَ من آلِ طالب[١]، أوَ ما يَصْلُح ذلك؟ لكِنْ أهلُ الزمانِ مستبعِدون، ولا شيّ حيْلَة إلاّ ذلك، يجعَلون فقيهاً في كلِّ مَحَلَّةٍ يعلِّمُ نساءهم وأولادَهم، خصوصاً الدولة، لأنّ خيرَهم ضافي وضُرّهم

---

(١) أي: حتى يصير عندنا فقهاء من آل عبد العزيز وآل طالب، وهم من القبائل الكثيرية الشنْفَريّة المعروفة في جهة شبام.

ضافي، حتى يصيروا نفْعاً لهم ولغيرِهم، وإلا صاروا بلاءً عليهم وعلى غيرهم. أو كما قال، أو ما هذا معناه.

* * *

وقال رضيَ الله عنه يومَ الجمُعةِ قبلَ الصلاة، جمادَ آخرِ سنةِ (١٢٤٧هـ) سبعٍ وأربعينَ ومئتين وألف: فضْلُ اللهِ وكرَمُه واسعٌ أن يُقيِّضَ اللهُ لنا والياً عَدْلاً لولا الموانع، وهذانِ مانعانِ في جهتِنا باتمنع نحن الوالي العَدْل: المعاملةُ الفاسدة بالحيَلِ الربويّات، مثل: الكَيْل وباقي اللَّفَالِفْ والحيَل، والمانع الثاني: هذه المُظاهَرةُ[١] في العوامّ، يختلطُ الرجالُ والنساء، ما فيهم حياءٌ منَ اللهِ تعالى، نَبَذُوا سُورَة النُّورِ وأعطوها خُوَرْهم[٢]. تعاونوا في زَوالِهنّ تحصِّلونَ السعادةَ وكلَّ خير؛ لأنَّ الذنوبَ موانع، «إنّ العبدَ يُحْرَمُ الرِّزقَ بالذنبِ يُصِيبُه»[٣]، والأرزاقُ قُدْها مقدَّرة، معادها بالخَبَبْ والتعب.

وارجِعوا إلى سِيْرةِ سلفِكُم في البناءِ والفِراشِ واللِّباسِ. والسلفُ من زمانِ سيدِنا أحمدَ بنِ زين وشِدْ[٤]. هي الطريقةُ المحمودة، وابحثوا على سِيَرِهم واقنَعوا واقتصِدوا في المَعاش.

«ابنَ آدم، إنْ كنتَ تطلبُ من الدنيا ما يكفيك فالقليلُ منها يكفيك،

---

(١) أي: التظاهر عَلَناً.

(٢) أي: مؤخرة رؤوسهم، كناية عن الإدبار والتنكّب.

(٣) الحديث رواه الإمام أحمد في «المسند» (٢٢٤٩١).

(٤) أي: وما تقدم على زمانه، من القرن الثاني عشر وما نزل عنه.

وإن كنتَ تطلبُ منها فوقَ ما يكفيك فجميعُ الدنيا بأسرِها ما تكفيك. ابنَ ادم، لا بقليلٍ تقنَع ولا مِن كثيرٍ تشبَع، لو كان لابنِ آدمَ وادٍ من ذهبٍ لابْتَغى إليه ثانياً، ولو كان له ثانياً لابتغَى إليه ثالثاً، ولا يملأُ جوْفَ ابنِ آدمَ إلاّ الترابُ ــ يعني: ترابَ القبر ــ ويتوبُ اللهُ على مَن تاب»(١) يعني: قَنِع.

﴿وَلَا تَمُدَّنَّ عَيْنَيْكَ إِلَىٰ مَا مَتَّعْنَا بِهِۦٓ أَزْوَٰجًا مِّنْهُمْ زَهْرَةَ ٱلْحَيَوٰةِ ٱلدُّنْيَا لِنَفْتِنَهُمْ فِيهِ﴾ [طه: ١٣١]، ما تمتلي عينُ ابنِ آدمَ من النظرِ إلى الدنيا وزهرتِها إلاّ إذا امتلأتْ من ترابِ القبر. أو كما قال.

* * *

وقال رضيَ الله عنه: امحوا العوايد قبلَ أن تمحوَكم وتمحُوَ رسومَكم، ترجِع حضرَموت مَكَالِف وحرَّافين، والأعيانُ يكونونَ قِسْمَ الغُرَبْ(٢)، ولا مَحْوُها إلاّ بالرجوعِ إلى سيرةِ السلفِ التي فيها شَرَفُكُم.

واقتَدْ هداك الله بالأسْلافِ

وهُمُّوا بذلك، والقهوةُ هذه مِن أكبر المكثِّفات.

---

(١) الحديث بعضه في «الصحيحين» البخاري (٧٦٥٨)، (٨٠٨٢)، ومسلم (١٠٤٨)، وأوله عند البيهقي في «الشعب» (١٠٣٦٠) و(الحلية) (٦: ٩٨).

(٢) أي: بسبب العوائد والرسوم يسافر الأعيان والتجار خارج حضرموت ويكون نصيبُهم الغربة، ولا يبقى في حضرموت إلا المكالف، وهن النساء العواني المخدرات في البيوت وأمثالهن من العَجَزة. ولا حل لهذه المشكلة الاجتماعية إلا بالرجوع إلى سيرة السلف... إلخ.

إنْ مَنَّ اللهُ علينا بوالي عدْل أوّل ما يسَبِّر[١] بإزالةِ المكثِّفَات المُغرِّبات، التي القهوةُ من أعظمِهن، يطولُ المجلس بسببها وإذا طال جرَتْ فيه المعصية، كما قال الشَّعْرانيُّ[٢] رضيَ الله عنه: «قصِّروا في المجالس؛ فإني جرَّبتُ ما طالَ مجلسٌ إلا وجرَتْ فيه الغِيبة». انتهى. وأنّى بالسلامةِ من ذلك!! وغيبةُ القلبِ سوءُ الظنّ، الحذَرَ من ذلك. وكلُّ من يعاونُ ويحبُّ المعاونةَ يجببِّها، (أي: القهوة)، صِغارَه ذكوراً وإناثاً، واجلِسوا في بيوتِكم، لا حَدْ يخْرُجْ إلاَّ لِمُهِمّ، وإذا راحَ عندَ قريبه يخفِّف المجلس، مثْلَ العُواد. قال في الحديث: «كونوا أحْلاسَ بُيوتِكم»[٣].

واقنَعوا في معاشِكم، حادُوا[٤] على أولادِكم من الغُرَب والغُـبَب، لا تُظلِّموهم[٥]: يا ظالم يا ظالم، ظلَموا أولادَهُم وبناتِهم، حَسْبُهُم الله، حسْبُهم الله.

والنصيبُ المقسوم[٦] قدْه مقدَّر، ما بايفوت، ولا هو بالخَبَبْ والهَشِيْل، وإنما الحرْصُ والطَمَعُ والوَهْمُ يلعَبُ بنا. وصورَةُ الحرْصِ هي

---

(١) أي: يبدأ.

(٢) هو الإمام العارف بالله أبو المواهب عبد الوهّاب بن أحمد الشعراني الشافعي، صاحب التآليف المباركة في التصوّف وغيره. وفاته بالقاهرة سنة ٩٧٣هـ، رحمه الله تعالىٰ.

(٣) الحديث رواه أبو دواد (٤٢٦٢)، والإمام أحمد (٤:٤٠٨)، والحاكم (٤:٤٤٠).

(٤) أي: حافظوا.

(٥) أي: لا تنادوهم بهذا النداء: يا ظالم؛ لأنهم بعدما كبروا ظلموا أولادهم وبناتهم.

(٦) أي: الرزق.

التي أخرَجَتْ آدمَ من الجنة؛ لأنّ الأنبياءَ معصومون، وفي الحديث: «ابنَ آدم، لا بقليلٍ تقنَع»... إلخ، «مَن أصبحَ آمناً في سِرْبِه، مُعافًى في جسَدِه، عندَه قُوتُ يومِه، فكأنما حِيزَتْ له الدنيا بحذافيرِها»[1]، **قال رضيَ الله عنه**: «ذلك لأنّ مقصودَ الدنيا معَه. أو كما قال رضيَ الله عنه ونَفَع به، وذلك في جمادِ الأولِ سنةَ (١٢٤٨) ثمانٍ وأربعينَ ومئتين وألف.

* * *

وقال رضيَ الله عنه: قال العلماءُ رضيَ الله عنهم: مَن علِمَ بالسلْعَةِ عيْباً لزِمَه أن يُبيِّن... إلخ. كذلك العارفونَ باللهِ تعالى، علِموا عَيْبَ الدنيا فبيَّنوا عيوبَها.

انظُرْ إلى كلامِ سيدِنا عبدِ اللهِ الحدّاد، خصوصاً القصيدة : (فيمَ الركونُ)... إلخ، فينبغي للإنسانِ أن يجعَلَ هذه القصيدة، والقصيدَةَ الثانية: (تَفيضُ عيوني بالدموعِ السَّواكِبِ)[2]... إلخ، مِن أَوْرادِه، يأتي بهنَّ كلَّ يَومٍ معَ فراغِ القلب، ويتفكّرُ فيهما حتى يهوِّنَ في طلبِ الدنيا إذا نظرَ إلى حقيقَتِها؛ لأن ظاهرَ الدنيا حُلوةٌ خَضِرَة، وباطنُها جيفةٌ قذِرة، ولا

---

(١) الحديث رواه الترمذي (٢٣٤٦)، وابن ماجه (٤١٤١).

(٢) تمام البيت:

تفيضُ عيوني بالدموعِ السَّواكبِ وما ليَ لا أبكي على خيرِ ذاهبِ

على العُمْرِ إذْ وَلَّى وحانَ انقضاؤهُ بآمالِ مغرورٍ وأعمالِ ناكبِ

«الديوان» (٦٠- ٦٣).

عرَفَ قدْرَها إلاّ العارفونَ باللهِ مثلُ سيدِنا عبدِ الله الحدَّاد، حتى تمثَّلتْ له الدنيا فقال لها: (تَنَحَّيْ تنحَّي، لا سلاماً ولا رضًى) . . . إلخ. أو كما قال.

* * *

وقال رضيَ الله عنه: كان سلفُنا رضيَ الله عنهم يُحوِّلونَ في كتُبِهم على «الإحياء»، وكان يسمّيه العيْدَروسُ[١] (الأعجوبة).

وقالوا له[٢]: لمَ لا صنَّفت؟ قال: كلامي في الغزاليِّ تصنيف[٣]. وضَمِنَ لمَن كتبَه بالجنة.

وقرأه العَدَنيُّ خمساً وعشرينَ مرةً على الشيخِ عليِّ بنِ أبي بكر، وقرأه ولَدُه أحمدُ[٤] أيضاً خمساً وعشرينَ مرةً على الشيخِ عليٍّ أيضاً، صحَّ قُرئَ على الشيخِ عليٍّ خمسينَ مَرَّة.

وكان «الإحياءُ» من أورادِ سلفِنا، كان الحبيبُ محمدُ بن سُميطٍ رضيَ الله عنه في أولِ أمْرِه يأتي كلَّ يومٍ بجُزء. وقرأه سيدُنا الحسنُ بنُ عبدِ الله الحدّادُ نحوَ اثنتينِ وسبعينَ مرة، عسى اللهُ بحقِّه يُصلِحُنا ويُصلحُ بلادَنا وأهلَها، يا اللهُ يا اللهُ يا الله.

---

(١) هو الأكبر.

(٢) أي: للإمام عبد الله العيدروس.

(٣) وكلامه هذا يعرف بـ (البَخْبَخة)، لأن عباراته تَبْدَأُ بقوله: بخٍ بخٍ. . . إلى آخره. وهو مطبوعٌ على حدة، طبع قديماً بالهند.

(٤) هو السيد الشريف أحمد المساوَى بن أبي بكرٍ العدَني، ولد بتريم سنة ٨٨٧ هـ وتوفي بعدن شهر محرّم ٩٢٦هـ.

وقد قال سيدُنا أبو الحسنِ الشاذليُّ(١) رضيَ الله عنه: مَن كانتْ له حَاجةٌ إلى اللهِ فلْيتوسّلْ بالغزاليّ. أو كما قال.

* * *

وقال رضيَ الله عنه: قال بعضُهم: لو كان عاد أحد نبي في آخر الزمان لكان الغزاليّ، ولكانت مُعْجِزاتُه في كتُبِه. وكاد «الإحياءُ» أن يكونَ قرآناً. قيل: لأنه أعجزَ به السابقين، وقيل: لكثرةِ الآياتِ فيه.

وقال رضيَ الله عنه: كلُّ إنسانٍ مَذْري بالخيرِ والشر، يصلُحُ أن يكونَ قُطْبَ زمانِه، ويصلُحُ أن يكونَ فِرعَوْنَ زمانِه؛ لأن فيه سرّاً ما أُعطِيَهُ أحَدٌ حتى الملائكة، وهو: الترقي. احذَروا من النزولِ إلى أسفلِ السافلين.

* * *

وقال رضيَ الله عنه: ادعوا القبائلَ إلى اللهِ وعوِّلوا على هدايتِكم، فالقلوبُ بيدِ الرحمن، وهو قادرٌ على ذلك.

وفي القصّةِ المشهورةِ لبعضِ المشايخ، وقد حضَروا تلامذتُه عندَه، فقال لهم: بعدَ ثمانيةِ أيامٍ والسِّعرُ مِثْلاً في قهاول. ففي تلك الساعةِ والسعرُ نصفُه(٢). قالوا له: كيفَ ذلك ولا موسمَ ولا خريف؟ والشيخُ

---

(١) الإمام الجليل، توفي سنة ٦٥٦هـ، وإليه تنسَبُ الطريقة الشاذلية.

(٢) أي: أنه قال لهم: سيرخص سعر الطعام (البر)، وسيكون سعره الشيء الفلاني يشتري به قهاول، وهو مقياس لكيل الطعام، وكان السعر آنذاك الذي حدده لهم لا يأتي لهم إلا بنصف قهاول، فاستغربوا لحصول البشارة بالرخص والرخاء في =

يُحمِّسُ طعاماً على النار، فبَقْلَتْ حَبّةٌ في المِحْمَاس وهم ينظرونَ وأسبَلَتْ ووقَعَ طعام فأخرَجَها وفَحَقَها(١) وقال لهم: من خلَقَ هذا؟ قالوا: الله. قال: وهو قادرٌ على ذلك(٢)! فوقَعَ في خاطرِ الحاضرينَ أنّ الشيخَ كاشَفَ بِسَواعي(٣) واصِلَة بطعام. فخرجوا مِن عندِه وأخرَجوا ما عندَهم من طعامِ ذَخيرةٍ(٤) إلى السوق، فتكاثَرَ الطعامُ فوصَلَ إلى ما قال.

وقال رضيَ الله عنه: ونحن نقولُ في هدايةِ القبائلِ كذلك، وإن كان أهلُ الزمانِ مُستبعِدينَ ذلك(٥). ففضلُ اللهِ سبحانَه ما هو مخصوص بأحَد ولا بوقت ولا مكان. عسى اللهُ يُطْلِقُ الألْسُنَ بالتذكير، والاّ إن دامَ السكوتُ يرجِعُ حالُنا كَحَالِهم، كلُّنا إلا سواء:

* أبوهُمُ آدمٌ والأُمُّ حوّاءُ *

= ثمانية أيامٍ فقط حسبما أخبرهم.

(١) أي: أن الشيخ وهو يحمّس الطعام، أي: يقليه على النار، نبتت حَبّةٌ في ذلك الصاج الساخن بقدرة الله، وكبِرت حتى صارت سنبلة وحملت طعاماً في نفس الوقت، فأخذها ذلك الشيخ، وفحق السنبلة أي: استخرج ما فيها من الحبوب.. إلخ.

(٢) أي: بما أخبرتكم بوقوعه.

(٣) أي: السفن الشراعية.

(٤) أي: ما كان مدّخراً.

(٥) أي: أنه سيحصل بأولئك القبائل نفْعٌ وسينتفعون بالدعوة والتذكير ويأتي منهم الخير.

وما تنظُرون السادة آل الدَّويلةِ[١] شالِّين بنادقهم ويتقاتلونَ بغيرِ حق، وهم آل عَمّنا[٢]، مَا حَدّ معصوم، وليت العقوبة إلاّ فَقْر والاَّ مَرَض، ولكنْ نقْص الدِّين وتغيُّر القلوب، ولكنْ يتصَيْقَعون[٣] أهل الزمان، آذان صُقُع، وأعيُن عُمْي، وألسُن بُكْم.

وقد كان هؤلاءِ القبائل آباؤهم منتَفعين، وعلى سيرةٍ حسنة في زمان سيدِنا الحبيبِ عبدِ الله الحداد، تزوَّجَ رضيَ اللهُ عنه عندَ بعضِ آلِ كثير، فأُمُّ ولدِه الكبير محمدٍ منهم، وصنَّفَ رضيَ الله عنه رسالةَ المُريد لسَيْفِ بن محمدٍ الكثيريِّ وقد طلَبَ ذلك منه. وإن دام التذكيرُ ووقَعَ في كلِّ محلٍّ فقيه يُفقِّهُ أولادَهم: ذكوراً وإناثاً، يصبحُ الوادي وادي الأنوار كما كان، أو كما قال.

وقال رضيَ الله عنه: احرِصوا على تربيةِ أولادِكم، وفقِّهوهم وهم صغار، اتّكُوا عليهم خصوصاً البنات كما قال سيدُنا الحبيبُ عبدُ الله الحدّادُ في «رسالةِ المعاونة»: وخُصَّ النساءَ بمزيدِ تعليمٍ وتأديب، لأنهنَّ ناقصاتُ عقلٍ ودِين، ويُصبِحْنَ إن شاءَ اللهُ معاوناتٍ للرجالِ في التربية.

---

(١) السادة آل مولى الدَّويلة، من الأسر العلوية التي حملت السلاح وتزيّت بزي القبائل، على خلاف ما هو معهودٌ عن العلويين من التحضر والميل نحو العلم والاستقرار.
وهم ذرية السيد الولي محمدٍ مولى الدويلة بن علي بن علَوي الغيور بن الإمام الفقيه المقدم.

(٢) لأن السادة آل سميط يُنسبون إلى السيد الشريف علوي عم الفقيه المقدم ابن محمد صاحب مرباط، فهم وآل الفقيه بنو عمومة.

(٣) أي: يتصامَمُون عن سماع نصحنا وتذكيرنا.

قال لي الحبيبُ عبدُ اللهِ بن حسينِ بن طاهر: كانتْ لنا عمّةٌ معتنية بنا في الصِّغَر، أنا وأخي ـ يعني: الحبيبَ طاهرَ بن حسين ـ لأنّ والدَنا حسين كان كثيرَ الأسفار[١]. قال سيدُنا: فهما صاروا أعيانَ تَرِيم.

وكذلك بلغَنا أنّ الشيخَ زَرُّوق الشَّاذلي[٢] رضيَ الله عنه كان يتيماً، وربَّته جَدَّتُه، كانت إذا حضَرَ وقتُ الغداءِ والعشاءِ تطرَحُه له في منزلٍ غُبِّي[٣]، فإذا سأَلها عن ذلك قالت له: إني لا أقدِرُ على ذلك، ادْعُ رَبَّكَ، فيدخُلُ المنزل، فيدعو ربَّه، حتى تقَعَ يدُه على غداه أو عشاه، فيقول لأُمِّه: قد أتى ربِّي بالغداء، فرُبِّيَ على هذا[٤]. لا يعلَمُ أنّ أحداً يضَعُ القُوت، حتى صار مُوحِّداً رضيَ الله عنه، وصارتْ منه في علومِ التوحيدِ عجائب، حتى شرَحَ «الحِكَم» لابنِ عَطاءِ الله سبعةَ عشرَ أو ثمانيةَ عشرَ شرحاً[٥].

اعتنوا بأولادِكم حتى يصبحوا لكم قُرَّةَ عينٍ ما هم سُخْنَة عين[٦]، وهذه العوايد! امْحُوها من قلوبهم، لا تخلُّونْهم يعرفونها أصلاً؛ لأنها هي

---

(١) تقدم مثل هذا أول الكتاب.

(٢) هو الشيخ الإمام العارف بالله أحمد بن أحمد زرّوقٍ البرنسيُّ الشاذليُّ المغربيُّ المالكي، توفي سنة ٨٩٩ هـ، له ترجمةٌ في «الضوء اللامع» للسخاوي وغيره.

(٣) أي: مظلم.

(٤) وهذه القصة يرْويها الشيخ زرُّوقٌ نفسُه في بعض كتبه.

(٥) وقيل: إنها بلغت ثلاثين شرحاً، يوجد في كل شرحٍ ما لا يوجد في الآخر من الأذواق والمشاهدات.

(٦) قرَّة العين: الدمعة الباردة التي تخرج من العين عند حصول الفرح بالشيء، وعكسها: سُخنة العين.

القاطعة، أحْرَمَتْنا كلَّ خير، حتى راحةَ الدنيا، ما معنا راحة بسبب زوائدِ العوايد، حسْبُهم اللهُ الذي وضعوها، حسْبُهمُ الله، حسْبُهمُ الله. (كرَّرَها مِراراً)، الله لا يؤاخذهم، معَاذْ بانقول إلَّا هكذا. طرَحوها لنا وماتوا، كَمْ مِنْ ميِّتٍ في قبرِه يعذِّبُ حيّاً بهذه العوايد الحادِثة.

وينبغي للإنسانِ أن يستحضرَ عندَ قولِه: ﴿يُحْيِۦ وَيُمِيتُۖ وَهُوَ عَلَىٰ كُلِّ شَيْءٍ قَدِيرٌ﴾ [الحديد: ٢] أنّ اللهَ يُحْيي سِيَرَ السلَفِ وما هم عليه في زمانِ سيدِنا أحمدَ بن زينٍ الحبشي، ويُمِيتُ العوايدَ الحادثةَ المكثِّفة، التي خلَّتْ نحن غُرَباء إلى جاوة والهند ومَسْكَت.

* * *

(وحكي) عن بعضِهم قال: ذهبَ بي والدي إلى (المارِسْتان)[1]، فدخلتُه، فإذا فيه محابيسُ من الناس، فقال لي والدي: أتدري بِمَ حُبِسَ هذا؟ لأنه سرَق، وهذا: لأنه غصَب، وهذا: لأنه كذا، وهذا: كذا؛ أتدري لِمَ سَرق؟ لأنه لم يَقْنِعْ بالكِسرةِ والخِرْقة، أو ما هذا معناه.

ونحن نقول: مَنْ لا قنِع بسيرةِ السلفِ فهو جَانٍ عليها، فالمارِسْتان: جاوةُ والهندُ ومَسْكَتْ، وغيرُ ذلك، يموتُ غريباً، وأولادُه كالأيتام، وزوجتُه كالأرملة، على آهٍ ذا الكلام؟ وأنت تكفيك الكِسْرةُ والخِرْقَةُ إذا باتتكفَّى؟

قال سيدُنا الحبيبُ عبدُ اللهِ الحدّادُ لسيدِنا الحبيبِ عليِّ بن عبدِ اللهِ

---

(١) المارستان في الأصل: هو المشْفى الذي يأتيه الناس للتطبب والتداوي، وهي لفظةٌ فارسية، يقابلها عندنا اليوم: المستشفىٰ، ولعله كان يطلق على السجن في زمن الحبيب أحمد كما هو ظاهر الكلام.

السقافِ[١] وقدِ استشارَه في السفَر: إذا تيسرَتْ لك اللُّقمة والخِرقَة بحضرَموتَ فلا تُحدِّثْ نفسَك بالأسفار، فإنها فتنٌ ومحَنٌ في الظاهرِ والباطن.

وإن كان الإنسانُ بايقنع يكفيه كلُّ شيء، وإن لم يقنَع فلو أُعطيَ الدنيا بحذافيرِها ما كفَتْه: «لو كان لابنِ آدمَ وادٍ من ذهب» إلى قولِه: «ويتوبُ اللهُ على مَن تاب»[٢]؛ كانت هذه آيةً من القرآن تُتلى حولَ (براءة)، فنُسِختْ بـ ﴿أَلْهَىٰكُمُ ٱلتَّكَاثُرُ﴾. ومعنى تاب، أي: قَنِـع من الحِرْص.

والحريصُ لا تتمُّ له صلاة؛ لأن الشيطانَ يلعَبُ به، ﴿مَّا جَعَلَ ٱللَّهُ لِرَجُلٍ مِّن قَلْبَيْنِ فِى جَوْفِهِۦ﴾ [الأحزاب: ٤]، يرجع يتقَسَّم القَلْب، فلا تستوي صَلَواتٌ وشَهَوات، قال اللهُ تعالى: ﴿أَضَاعُوا۟ ٱلصَّلَوٰةَ وَٱتَّبَعُوا۟ ٱلشَّهَوَٰتِ فَسَوْفَ يَلْقَوْنَ غَيًّا﴾ [مريم: ٥٩].

ولا زَهِدَ الزاهدونَ في الدنيا إلاَّ ليُقيموا الصَّلاةَ كما أَمَرَ الله، لماذا زهِدَ أُويسٌ القرَني؟ إلاّ ليُقيمَ الصلاة، لماذا زهِدَ إبراهيمُ بنُ أدهم؟ إلا ليُقيمَ الصّلاة، وإلا رجع الإنسان يصلي وقلبُه في سوقِ البِطّيخ وإلاّ الجَفَل[٣] والسكر، ولكن بغت استغفار بعدها، كما قال المُقْري[٤] شعراً:

---

(١) مولى (يثمة): موضع بسيون، توفي الحبيبُ عليٌّ سنة ١١٨٣هـ. أفرده بالترجمة سبطه وتلميذه الحبيب عمر بن سقّاف.

(٢) تقدم ذكر الحديث قريباً.

(٣) الجَفَل: هو البن الأخضر الحبّ، غير المطحون أو الذي لا زال في قشرته.

(٤) هو الإمام إسماعيل بن المقري اليمني صاحب «الإرشاد»، المتوفى سنة ٨١٤هـ. من قصيدةٍ له مطلعها:

سبيلُك أن تستغفِرَ اللهَ بعدَها وأن تـتلافى الذنْـبَ منها بتوْبـةِ

أو كما قال، أو ما هذا معناه وأستغفرُ الله.

* * *

وقال رضيَ الله عنه: اِلزَموا سِيرَة السلفَ، فإنَّها شَرَف، وتَرْكُها سَرَف. ارجِعوا إليها، ارحَموا أنفُسَكم وأولادَكم ومَكَالِفَكُم يرحَمْكُم الله؛ لأنّ القانعَ بسيرةِ السلفِ رحِمَ نفسَه منَ الهَذاهِذِ والغُرَب، وغيرُ الراضي بها معذِّبٌ نفسَه: من عَقْبه إلى غُبّة، واصرِفوا زوائدَ العوايدِ في الدعوةِ إلى الله.

وهذه القهْوةُ اقتصدوا فيها جُهدَكم، قيل لسيدِنا محمّدِ بنِ سُميطٍ رضيَ الله عنه: إنّ السيِّدَ محمّدَ بن سهل[١] ــ وكان يسميه الحبيبُ عبدُ الرحمنِ ابن عبدِ الله بلفقيه[٢] «الخليفة» ــ بايتولى القضا بتَريم. قال: ما يدخُل القضاء. فقيل له: إنه أُكْلِفَ به، وكذا وكذا؟ قال: إنه ما يشرَبُ القهوةَ في بيتِه، ولا يتولّى القضاء. فكان كما قال. لم يَتوَلَّ.

وكان رضيَ الله عنه[٣] يَسْنِيْ[٤] ، وكان ولدُه عمرُ بن محمدٍ[٥] يكتبُ

= يصلّي بلا قلبٍ صلاةً بمِثْلِها يكونُ الفَتَى مستوجباً للعقوبةِ

(١) هو السيد الشريف: محمد بن علي بن محمد بن أحمد بن سهلٍ مولى (خيلة) من آل الدويلة، كان عالماً صالحاً، لم أقف على تاريخ وفاته.

(٢) علامة الدنيا، من تلامذة الإمام الحداد، توفي بتريم سنة ١١٦٣هـ.

(٣) أي: الحبيب محمد بن سهل.

(٤) يسْني، من السناوة: وهي استخراج الماء من الآبار لريّ الأرض وزرعها.

(٥) توفي الحبيب عمر بن محمد بن سهلٍ بتريم سنة ١٢٣٥هـ.

له لوحَهُ من «الإرشاد». في هذا حالُ سلفِنَا رضيَ الله عنهم، على قناعة وطاعة. وكونوا خِفافَ المؤونة تسيرونَ وأنتم نِسْمِيْن. فالمؤمنُ خفيفُ المؤونة كثيرُ المعونة.

* * *

وقال رضيَ الله عنه للمعلِّم عبدِ اللهِ بنِ سعدِ بن سُمَير: أرجو منَ اللهِ إنِ انتظَمَ أمْرُ المَسْجِدِ الجامع أن ينتظمَ أمرُ البلاد، وإذا انتظَمَ أمرُ البلادِ ينتظمُ أمرُ السَّوادِ والبوادي.

وقال رضيَ الله عنه مُذاكرةً عندَ قولِ سيدِنا عبدِ الله الحدّاد:

* وإياكَ أن تختارَ صحبةَ مَن ترى *

إلخ: فينبغي للإنسانِ إذا أرادَ أن يصْحَبَ أحداً يستخلصُه لنفسِه، أن يختبِرَه أتمَّ الاختبار، لا يأخُذُ بمجرَّدِ حُسْنِ الظنِّ مطلقاً. ألا ترى فيمَن أرادَ التزوُّجَ نُدِبَ له السؤالُ عن الزوجة؛ لأنّ ذلك للدَّوَامِ ما يُكْتَفى فيه بظاهرِ الحال، وأمّا إذا كانت صُحبةً مُطلقةً فلا بأسَ بذلك.

سُئِلَ بعضُهم عن الصَّديق الصَّدُوق؟ فقال: هو أنْتَ إلاَّ أنه غَيْرُك.
وقال بعضُهم شعراً:

بَلَوتُ الناسَ قَرْناً بعدَ قَرْنٍ ... فلَمْ أرَ غيرَ خَلاّبٍ وقالِ
ولم أرَ في الخطوبِ أشدَّ وَقْعاً ... وأصعَبَ من مُعادَاةِ الرجالِ
وذُقتُ مَرارةَ الأشياءِ طُرّاً ... فما شيءٌ أمَرَّ منَ السؤالِ

كلُّ بيتٍ من هذه الأبياتِ يسْوَى كذا وكذا ألف، لِمَا حَوَتْ مِن الحِكَم.

ورُويَ أن بعْضَ الأكابرِ سأله رجُلٌ أنْ يُعَلِّمَه الاسمَ الأعظم، فاعتذرَ إليه ولم يقبَلْ، فاختبَرَه بإرسالِ مَحْقَبٍ وطرَحَ فيه فأراً، وقال له: اذهَبْ به إلى فلانٍ ولا تفُكَّه، فلمّا وَصَلَ أثناءَ الطريقِ أرادَ أن ينظُرَ ما في المَحْقَب، فحينَ فَكّ الغطاءَ خَرَجَ الفأْر، فرجَعَ إلى الشيخِ وأخبرَه، وقال له: تُرْسِلُ معيَ فأراً؟ وطلَبَهُ أن يعلِّمَهُ الاسْمَ الأعظم! فقال: كيف؟ لم أستأمِنْك على جُرذ، فكيفَ با آمنكَ على الاسمِ الأعظم!! فهذا هو الاختبار. أو كما قال رضيَ الله عنه.

* * *

وقال رضيَ الله عنه: تغانَموا المُعاونةَ في الدعوةِ إلى اللهِ تعالى، لا ترجعون تندمون. والمعاونةُ أفْضلُ الطاعات. ولا يرُوْح الإنسان يفعَل طاعة وعاد أفْرَض منها وأوْلى. رتِّبُوا أعمالَكم وقدِّموا الأهمّ. لهذا احتاجَ الإنسانُ لأهل العلم لأجل يميّزون لهم العبادات ومراتبها، وإلا رجع الإنسان إذا عمِلَ شيئاً وعاد أوْلى منه، كَمَنْ راح يطرد قفا سَبُولَة وضَيَّعْ جَشِير، عسى الثبات مع أهلِ الله.

ولهذا قال عليه الصّلاةُ والسلام(١) : «جلوسُكم بينَ يدَيْ وليٍّ للهِ

(١) في رؤيا مناميّة، للشيخ الوليّ الصالح محمد بن حسينِ البُجَليِّ اليمنيِّ الشافعي، المتوفى سنة ٦٢١هـ بقرية (عواجة)؛ فينبغي التنبيه لهذا، وينظر: «التذكير المصطفى» ١١٧.

كحَلْبِ شاةٍ أو كشجِّ بيضةٍ خيرٌ لك من أن تتقطّعَ في العبادةِ إرَباً إرَباً» لكنْ لمَن عَرَفَ قدْرَهم، ولا يحصُلُ الاستمدادُ إلَّا لمن عرَفَ قدْرَهم.

ومعرفَةُ الوليِّ أشدُّ من معرفةِ اللهِ سبحانَه وتعالى؛ لأن الحقَّ سبحانَه مُباينٌ في ذاتِه وصفاتِه وأفعالِه، والوليُّ ليس كذلك؛ لأنه يأكلُ ويشْرَبُ مثلَك، فشهودُه شأنٌ عظيم[1]، اِعرفُوهم وانظرُوهم، عسى اللهُ يمتِّعُ بِهم. وقد قال بعضُهم: ناظري وناظرُ ناظري في الجنة. أو كما قال نَفَع الله به، ووَفَّقَنا للأدَبِ معه، آمين.

* * *

وقال رضيَ الله عنه: الاقتصادُ والقناعةُ في أهْلِ شبام تتأكدُ وتتعيَّنُ عليهم أكثرَ من غيرِهم؛ لأنّ بلادَهم ماؤها ثقيل[2]، وحطَبُها وكِراها، خلافَ باقي البلدان، لأن المُكبَّرَ لا يُكَبَّرُ كما هو قاعدةٌ في الفقه.

ولضَعْفِ الأسباب؛ لأن السلفَ رضيَ اللهُ عنهمُ اقتصدُوا معَ مساعدةِ

---

(١) وشاهد هذا الكلام النفيس في القرآن الكريم قوله تعالى: ﴿وَقَالُواْ مَالِ هَٰذَا ٱلرَّسُولِ يَأْكُلُ ٱلطَّعَامَ وَيَمْشِي فِي ٱلْأَسْوَاقِ﴾ [الفرقان: ٧] الآية، فإذا كان كذلك حال الناس مع الأنبياء والمرسلين، يشهدون فيهم البشريات فقط ولا يشهدون الخصوصيات، فبقي الكفار منهم كفاراً، ومَن سعِدَ منهم وآمن كان له الحظ العظيم والسعادة الكبرى بالإسلام والإيمان.

والأولياء والعلماء والصالحون ورثة الأنبياء عليهم السلام، فيجري لهم مع سائر الناس ما جرى للأنبياء؛ يُبتلَون مثلهم، الأمثل فالأمثل.

(٢) لأنهم كانوا في مشقة شديدة في جلب الماء الحلو العذب إلى الديار.

الأسبابِ وكثرةِ الحَلالِ في زمانِهم، كما يُروىٰ أنّ سيدَنا الحسَنَ البَصْرِيَّ أتىٰ إلىٰ عندِ سيِّدِنا عمرَ بنِ عبدِ العزيز، فأضَافه بنصفِ كِسْرَةٍ من الخبزِ ونصفِ خِيارَة وقال له: هذا زمانٌ الحلالُ فيه لا يَحْتَمِلُ السَّرَف. فكيفَ بزمَانِنا زمانِ الحرام!

ولأنّ التوسعَ في المَعاشِ لا يتمُّ إلَّا بارتكابِ حرام، يَسْتازِي[١] الإنسانَ علىٰ الدخولِ في الحَرَامِ والشُّبَه، بسببِ التقيُّدِ بالعوايدِ المُغرِّبة المُخرِّبة، التي فَرْفَرَتْ بالناس عن أوطانهم وأماتتهم غرباء وشاع الجهلُ والغباوة بسبب سفر الأعيان، لأنّ مَن سَافر خلَّف سِقَلْ وحَرِيم كالأيتام والأرامل. لماذا؟ والإنسانُ تكفيه الكِسرة والخِرقة والشطفة في بيتِه، يستازي علىٰ الغُرْبة، لا طَاعة ولا قُربَة!

والأسفارُ في هذه الأزمانِ فِتَنْ ومحَنْ، خصوصاً هذا الزمان، فتنةٌ بعْضُها علىٰ بعضٍ في الظاهرِ والباطن.

اقنَـعُوا يَطيب لكمُ المَعَاشُ، وتَهْنَوا لذّة المَعاش، وارجِعوا إلىٰ سيرةِ السلفِ القريبة، أيامِ سيّدِنا الحبيبِ عبدِ الله الحدّاد، وأحمدَ بن زين، ومَن نحا نحوَهم، وسيَرُهُم محفوظة في كتُبِهم.

وابتَـدُوا بترْكِ القهوةِ للصِّغار أولاً، لا تخلُّونهم يشربونَها، إن كنتم تسمَعُون نُصْحي اقطَعوها منهم، خلُّوهم يُرْبُون[٢] علىٰ ترْكِ الشهَوات، وإذا كِبروا لهمْ من أنفسِهم، مَن أرادَ أن يشرَبها منهم هو ونفسَه؛ لأنها شَهْوةٌ

---

(١) أي: يلزمه ويضطره.

(٢) أي: ينشأون.

سائقة إلىٰ فَضُولٍ وأَذْوَة، خلَّت نحن مضيَّعين، الرجال والنساء، في المجي والمراح، وقْت عزيزْ يمْضي في خُرَاط[١] وقال وقيل، وللوسائل حُكمُ المقاصد. أو كما قال رضيَ الله عنه.

* * *

وقال رضيَ الله عنه: أعمالُ الحريصِ ــ وإن كانت كالجبال ــ لا تزِنُ عندَ الله، بل هي خفيفة، وأعمالُ القانعِ تزِنُ في الميزان، ثقيلة وإن كانت قليلة. كما يُروىٰ: «ركعتانِ من ذي تُقًىٰ وزهادة أَفضلُ مِن عبادةِ المتعبِّدين»[٢]، والقانعُ قريبٌ من الزاهد.

* * *

وقال رضيَ الله عنه: علامةُ السعادة: الحَسْرَةُ علىٰ الخيرِ إذا فات. كما رُويَ أنّ بعْضَهم حَجَّ سبعينَ حجّة، وآخرُ قَصُرَ عنِ الوقوف، فحَسِرَ عليه. فقال له: تبيعُني حَسْرَتَك بحجّاتي السبعينَ أوِ الستين؟ ومن لا حَسِرَ علىٰ الآخرةِ حَسِرَ علىٰ الدنيا.

ونوصيكم بالانقباضِ مِنَ المجالس والاختلاط، وبالتغافلِ عن أحوالِ الناس، وعدَمِ السؤال: ايش قالوا؟ لأَن القَلْبَ ما ابْعَد تنوَّر وتأَهَّل حتىٰ يَسأَلَ وتنبعِثَ منه الرحمة لهم، بل إذا سأَلَ وأُخْبِرَ بِنعْمةٍ حَسَدهم، وإن أُخبِرَ بمُصِيبةٍ شمَتَهُم.

---

(١) أي: ثرثرة.

(٢) الحديث أخرج نحوه الحاكم في «تاريخ أصفهان» (١: ٢١٢).

وينوي باعتزالِه عَزْلَ شرِّه عنهم، كالذي فيه جُرْحٌ يعتزِلُ صاحِبَ الرِّيح الطيِّب لئلا يظْهَرَ ضَرَرُه، وأمَّا النّاس.. أحْسِن الظنَّ بهم، وخَلّهم هُمْ وربّهم. وفي العُزلةِ تنويرُ القلب، والسعيدُ مَن وَجَدَ من نفْسِه خَلْوة، كما قال بعضُهم.

* * *

وقال رضيَ الله عنه: ما خُلِقَ الإنسانُ إلا ليُكمِّلَ حقيقتَه؛ لأنه ناقص، وعارفٌ أنه ناقص، كما قيل شعراً:

كمِّلْ حقيقتَـك التي لم تَـكْمُـلِ والجسْمَ دَعْهُ في الحَضِيضِ الأسْفَلِ

وكما قيل: «فأنت بالرُّوحِ لا بالجسْمِ إنسانُ»[١].

رحنا نعمر الأجسام والرُّوح تركْناها الذي المَدار عليه. حَادُوا علىٰ القلوبِ مِن الموت[٢]، ولا حياتُها إلاَّ بالعلمِ في الدنيا والآخرة. وأمّا الجسمُ فهو للفناءِ والدُّود.

وعوِّلوا علىٰ حفظِ الصِّغَر؛ لأنّ البداياتِ إذا احتكَمتِ الغايات، وإن أُهمِلَتِ البداياتُ أُهمِلتِ الغايات.

ويقال: شرٌّ لا يَدوم خيرٌ مِن خيرٍ لا يَدوم. يعني: أنّ نعيمَ الدنيا

---

(١) تمام الأبيات:

يا خادِمَ الجسـمِ كـمْ تسْـعىٰ لراحتِـهِ أتْعبْـتَ جسـمَكَ فيما فيه خُسْـرانُ
أقبِلْ علىٰ الروحِ واستـكمِـلْ فضائلَها فأنت بالرُّوحِ، لا بالجسْمِ، إنسَانُ

(٢) أي: حافظوا عليها أن تموت.

فاني، وشـرُّها فاني، ولكنّ عاقبةَ المَكْرُوهِ[١] في الآخرةِ خيرٌ يُنسىٰ به ما مَـرَّ به من البوس، كما في الحديث: «يُؤتىٰ بأنعَمِ أهلِ الدنيا عيشاً»[٢] الحديث . . . إلخ.

❊ ❊ ❊

وقال رضيَ الله عنه: اليومَ نتعاونُ علىٰ إحياءِ السنّة، وغداً نجْتمعُ في الجنة. ولكنْ ما نَدْعُوهم إليه غَيْب، ولا يُعرَف إلاّ عندَ كشفِ الغِطاء؛ ﴿فَكَشَفْنَا عَنكَ غِطَآءَكَ﴾ [ق: ٢٢]، والدنيا دارُ زُورٍ وغُرُور.

وآل حضْرَموتَ اختاروا الجهلَ والبَداوة، وما تبِعوا كلامَ الناصحينَ مثلَ: عبدِ اللهِ الحدّاد، وأحمدَ بن زين، وأضرابِهما، لكنْ تراهُم يتنكَّسُونَ في المِحَنِ من مخالفتِهم، ﴿فَلْيَحْذَرِ ٱلَّذِينَ يُخَالِفُونَ عَنْ أَمْرِهِۦٓ أَن تُصِيبَهُمْ فِتْنَةٌ أَوْ يُصِيبَهُمْ عَذَابٌ أَلِيمٌ﴾ [النور: ٦٣]، والدُّعاةُ إلىٰ اللهِ هم وُرَّاثُ الرَّسولُ صلى الله عليه وسلم. قال الحبيبُ عمرُ حامد: تَمَّيْت «النصائح»[٣] قراءةً علىٰ الحبيبِ عبدِ اللهِ الحدّادِ في مسجدِ باعلَوي، ثم قلت له: بانردّها. قال له الحبيبُ عبدُ الله: أنت الآّ في تَرِيم، لا تردَّها. يعني: أنهم ما عَرَفوا قَدْرَها، ولا شَلّوا بها رأس.

❊ ❊ ❊

---

(١) أي: المكروه الذي فيه خيرٌ للإنسان، من باب حديث: «حُفّتِ الجنةُ بالمكاره».

(٢) الحديث أخرجه الإمام مسلم في «صحيحه» (٢٨٠٧).

(٣) أي: تمت قراءة كتاب «النصائح الدينية» علىٰ مؤلفه الإمام الحداد.

وقال رضيَ الله عنه ونَفَعَ به: مَن أَرادَ السلامةَ منَ الدنيا فلْيتغافَلْ ويَصْبِر، وهذا الزمان بغا إلاَّ تسليم في الأمور؛ لأنها تظهَرُ حوادثُ بَشِعة، وقدْ زمانند دِهْلِيزُ القيامة، يعني: مِثْل الضَّيقة منَ الدار[١]. ألا ترىٰ أنّ الناسَ في سكْرَة وحَيرة من أمورِ دينِهم ودُنياهم تُشْبِهُ حَيْرةَ يومِ القيامة[٢]؟

وقال سيّدُنا الحبيبُ عبدُ الله الحدّاد: إن الظَلَمةَ وأعوانَهم مثْلُ الزَّبانية، يعني: أنهم مأمورُون؛ لأنّ الإنسانَ ما نَغَّصَ الدنيا علىٰ نفسِه، بل هو يدورُ للفَرَحِ والبَطَرِ، وهو مذمومٌ في حقِّه، جاءُوا هؤلاءِ ينكِّدون عليه حتىٰ ينتبِه ويعقِل إن كان له عَقْل.

ومِن كلامِ سيّدِنا عليٍّ بن أبي طالب:

ما ينقُصُ الكاملَ مِن كَمَالِهِ　　　ما جَـرَّ مِن نفْـعٍ إلىٰ عيالِـهِ

* * *

وقال رضيَ الله عنه: كبارُ العارفينَ سَاروا علىٰ هَدْيِ الرسولِ ﷺ، وقد كان وادي حضرَموتَ مشحوناً بهم كما قال سيدُنا الحبيبُ عبدُ اللهِ الحدّاد:

قد كنتَ يا وادي الأنوارْ　　　مشحُـونْ بالخيـرْ والاخْيـارْ

إلخ. مثلَ: الشيخِ الكبيرِ محمدِ بن أبي بكرعَبّاد[٣] رحِمَه اللهُ تعالىٰ، كان

---

(١) الضَّيْقة: باب البيت، مَدْخله الرئيسي.

(٢) وهذا الكلام قبل زماننا هذا بنحو مئتي سنة، فكيف لو أدرك الحبيب أحمد هذا الزمان!!

(٣) الإمام الحبر الجليل، توفي بشبام سنة ٨٠٢هـ.

شَيْخَ سيِّدِنا السقافِ[١] وسيدِنا جَمَلِ الليل[٢]، يأتونَ إليه إلىٰ شبامَ لطلبِ العلم منه، فكان يُعارِضُهم إذا جاءوا إلىٰ (مسَيْكُوه)[٣] فشقَّ ذلك عليهم، فقالا له بذلك. فقال لهما: إذا جئتوا فاجلِسُوا في مسجدِ الخَوْقة[٤] عند المِفْقِر البحري، وكان دارُهُ نجْديَّ الخَوْقَه (دار طيِّب المعروف)، فكان إذا رآهم خَرَج إليهم. وكان إذا دخَلَ أحَدٌ البلادَ مِن أهلِ البيتِ يشُمُّ ريحَه قبلَ لا يراه.

وقُرِئتْ عندَه هذه الآية ﴿ تِلْكَ ٱلدَّارُ ٱلْآخِرَةُ نَجْعَلُهَا لِلَّذِينَ لَا يُرِيدُونَ عُلُوًّا فِى ٱلْأَرْضِ وَلَا فَسَادًا وَٱلْعَٰقِبَةُ لِلْمُتَّقِينَ ﴾ [القصص: ٨٣] وهو جالسٌ علىٰ شَطْفةٍ سَلْقَه[٥] فقال: ميِّلوا هذه مِن تحتي، فإني أخشىٰ أن تكون منَ العلوِّ علىٰ الأرض.

ووقعَ زمانٌ عظيمٌ وقحْطٌ في زمنِه؛ لأنها كانتْ تقَعُ أزمِنَةٌ عسرة يُعْدَمُ القُوتُ فيها، فجاء إليه بعضُهم فقال له: يا سيّدي، أنت في الوجودِ والناسُ في هذه الحالة؟ فقال له: مَن أنا ومن أكون؟ اعترافاً منَ الشيخِ رضيَ الله عنه. ثم جاء رجلٌ من (حُرَيضة) وهم في المجلسِ فقال: هذا اليومَ أكَلُوا آدمي بـ(حِذْية)[٦] من شدّةِ الجُوع! فقال الشيخ: كيف قدِ الناس في هذه

---

(١) توفي سيدنا عبد الرحمن السقاف بتريم سنة ٨١٩هـ.

(٢) تقدم ذكره قريباً.

(٣) موضعٌ قربَ شبام، يخرج الشيخ لاستقبال مريديه إليه.

(٤) مسجدٌ معروفٌ بِشبامِ.

(٥) أي: حصيرةٌ بالية خفيفة.

(٦) حِذْية: قرية معروفة تقع قبلي شبام.

الحالة؟ واشتغَل جمّ، وقال بانتوجّه إلىٰ الله ولكن معاد تطولُ بي هذه الحياة. قال سيدُنا: فأخَذَ ثمانيةَ أيامٍ وتوفي. وفَدَىٰ الناسَ بنَفْسِه، ورحِمَ اللهُ الأرْض، رضيَ الله عنه.

وفي وقتِه خرَجَ الشيخُ الإمامُ عبدُ الرحمنِ بن عبدِ الله بن أسعدَ اليافعيّ[١]، فزارَ حضرَموتَ جميعَها، واتَّفقَ بالشيخِ محمّدٍ وابْتَهَجَ به. وأنشَدَ هذينِ البيتَينِ عندَ زيارتِه:

مَرَرْتُ بوادي حضرَموتَ مُسَلِّماً ... فـألْفَيْـتُه بالبِشْـرِ مُبتسـماً رَحْباً
وألفَـيْتُ فيه مِن جَهابِـذةِ العُـلا ... أكابرَ لا يُلْقُونَ شرْقاً ولا غرْبـاً

فقيل له: لو حَلَّيْتَ شِباماً. فأنشدَ هذا البيت:

لو تكـونُ الـدارُ تُـدْني مُغْـرَمـاً ... لَـتَبَـوَّأْنـا شِـبامـاً مـنـزِلا

قال سيدي: يعني لو أنّ القُرْبَ قُرْبُ الأشباحِ لسَكنَّاها، ولكنّ القرْبَ قرْبُ الأرواح.

لهذا، سيدُنا الحبيبُ عبدُ اللهِ الحدّادُ يتأوّهُ عليهم[٢]: آهٍ، آهٍ! في «العينيةِ» وغيرِها[٣] لفَقْدِهم؛ لأن سيدَنا عبدَ اللهِ الحدّادَ كالنائِحَةِ الثَّكلىٰ

---

(١) من أكابر علماء عصره، ولد بمكة وتوفي بها سنة ٨٣٣هـ.

(٢) أي: علىٰ فقدْ أولئك القوم الصالحين.

(٣) مثل قول، فيها:

آهٍ علـىٰ تلـك الـديـارِ وأهلِهـا ... من حادثِ الدهرِ المُمضِّ المُوجِعِ
آهٍ علىٰ تلك الخيامِ وما حَوَتْ ... مِـن كـلِّ غـانٍ بـالجَمـالِ المُبـدَعِ

علىٰ الدِّين. والثَّكْلىٰ: هي التي يُذْبَحُ ولدُها علىٰ حُضْنِها، معاد ترقَأ لها دمعة.

قال والدي[١]: كان سيدُنا الحبيبُ عبدُ اللهِ الحدّادُ مُجَرَّحاً، تحْتَ خدودِهِ خَطّانِ من الدَّمْع علىٰ الدِّين، كمثَلِ سيِّدِنا عمرَ بنِ الخطاب، كان كذلك مجرَّحَ الخَدَّين.

* * *

قال سيدُنا رضيَ الله عنه: كان الشيخُ أبو إسحاقَ الشِّيرازيُّ[٢] رضيَ الله عنه علىٰ غايةٍ من التقلُّلِ من الدنيا، كان رضيَ الله عنه إذا فرَغَ مِن مَدْرَسِهِ يمُرُّ علىٰ الفوَّالِ ويَصْبُغُ خُبْزَه بماءِ الفول، فاتفقَ يوماً أنه لم يلحَقِ الفوَّال[٣]، فأتىٰ رضيَ الله عنه إلىٰ ظلّ، وكسَرَ الخبزَ وصَبَّ فوقَه ماءً وأكَلَهُ وأنشدَ هذينِ البيتَين:

خبـزٌ ومَـاءٌ وظـلُّ   هـذا النعيـمُ الأجَـلُّ
جَحَدْتُ نعمةَ ربي   إنْ قلتُ: إني مُـقِلُّ

= «الديوان» (٣٥٦).

وقوله:

سـأبكي عليهم ما حيِـيتُ بعَبْـرةٍ   منَ الدمْعِ فَوقَ الخدِّ تشْهَدُ بالثُّكْلِ

(١) وكان قد أدرك من حياة الإمام الحداد (١٢) عاماً، لأن مولده سنة ١١٢٠هـ، ووفاة الإمام سنة ١١٣٢هـ.

(٢) الإمام الجليل، صاحب «المهذب»، و«التنبيه» وغيرهما، توفي سنة ٤٧٣هـ.

(٣) أي: صادف عدم وجوده.

وكذلك كان سيّدُنا القَفَّالُ الشَّاشِي[١]، من كبارِ أئمةِ الشافعية، وتُنْسَبُ إليه هذه الأبيات:

أوسِّعُ رَحْلي علىٰ مَن نَـزَلْ ... وزادي مُباحٌ علىٰ مَـن أكَـلْ
نُقَـدِّمُ حـاضِـرَ مـا عندَنـا ... وإن لم يكنْ غيرَ خُبْزٍ وخَلّ
فـأمّـا الكـريـمُ فيـرْضـىٰ بـهِ ... وأمّـا اللئيـمُ فمَـن لـم أُبَـلْ

فكذلك كان سيدُنا الشيخُ أبو بكر بن سالم[٢] يُصغِّرُ الأقراصَ للضَّيفِ ويدخُلُ علىٰ الجارِية بنفسِه ويقولُ لها: صَغِّري الأقراص، أنا ألاَّ وَلَد سالم بن عبد الله مِن حَلالِي[٣] ما أنا فلانٌ مِن بيتِ المال.

وكذلك كان سيدُنا الحبيبُ عبدُ الله بن علَوي الحدّادُ يضيِّفُ بالخَمير والدُّجْر. وجاء بعضُ أهْل شبام إلىٰ تَريمَ مساءً فقال: غداً نأْتي سيِّدَنا الحبيبَ عبدَ الله، والليلة نأخُذْ لَحْم؛ لأن سيدَنا عبدَ الله بايضيِّف نحن بالخمير، فلما تعشَّىٰ ونام شَغَلَتْه بطنُه، حَالِبْ شديد[٤] فعرَفَ أنّ ذلك من سُوءِ أدبِه، فذهَبَ الرسولُ إلىٰ سيدِنا الحبيبِ عبدِ الله ليُخبِرَه، فحينَ قال له بذلك، قال له: الخَميرُ والدجْر ألاَّ دَواء، اسألوا الأهل إن عاد شيء قليل

---

(١) الإمام لجليل، القفال الكبير، أبو بكر محمد بن علي بن إسماعيل، المتوفىٰ سنة ٣٥٦هـ.

(٢) الإمام العارف بالله، الولي الشهير، توفي بعيناتٍ سنة ٩٩٢هـ.

(٣) أي: هذا الخُبْز من مالي وحلالي.

(٤) أي: أصابه مرض الحالب، وهو شدة الإسهال مع ألمٍ في البطن.

خمير أعطوه إياه، وإلاَّ اغْسِلُوا الوعاء وأعْطوه ذلك؛ فحينَ أعْطَوْه شُفِي. رضيَ الله عنه ورَزَقَنا الأدبَ معَهم.

وكذلك كان سيدُنا أحمدُ بن زينِ الحبشيُّ رضيَ الله عنه، لا يتكلَّفُ بالضَّيف، بل ما اتفقَ قدَّمَه، قد يكونُ أحد مَا يتراقَبْ فيتّفقُ له بُرٌّ ولَحْم، ويكونون أولادَ شيخِه ويَحْضُر خَميرْ ودجرْ فيقدمُه لهم. هذا في حالِ الضيف، وهو الذي يأتي علىٰ غَفْله، وأمّا الطُّلابُ فيفعَلُ حسَبَ الحالِ والزمانِ من غيرِ تكلُّف.

قال الحكماء: إذا ما طُرِقْتَ فما حَضَر، وإذا طَلَبْتَ فلا تُبْقِ ولا تَذَرْ؛ يعني: حَسْبَ حالِك، كما تقدم. أو كما قال سيدُنا، أو ما هذا معناه، وأستغفرُ الله.

* * *

وقبيحٌ بالمُضِيفِ أن يستَحْقرَ ما يقدِّمُه لضَيفِه وإن كان يسيراً، وبالضيفِ أن يستحقِرَ ما قُدِّمَ إليه، فهما سواءٌ في ذلك.

وقَدَّمَ بعضُهم لضيفِه خُبْزاً فقال: لو كان عنْدَه زَعْتر إني أُحِبُّه. ومعَ المُضِيف مِطْهَرة، يعني: إناءً لطَهورِه، فرهَنَه في قيمةِ الزَّعْتَرِ وقدَّمَه لضيفِه، فلمّا فرَغَ من الأكل قال الضَّيف: الحمدُ للهِ الذي أشْبَعني وقَـنَّعني بما رزَقَني. فقال له المُضيف: ما قَنَعْتَ بما يرْزُقُك، وإلاَّ لَمَا مِطْهَرتي مرهونة في ثَمَنِ الزعْتر. فينبغي للإنسانِ أن لا يكلِّفَ ولا يتكلَّفَ حتىٰ يفرَحَ بالأضياف.

وقد كان سيدُنا عليُّ بن الحسينِ يقولُ للسائل: مرحباً بالحاملِ زادَنا إلىٰ الآخرة.

ومَثَلُ الضَّيفِ والسائل مثلُ جمَّالٍ جاء إلىٰ الدارِ يقرقع: حَدْ معه مِعلاق شِلُّه له إلىٰ الفِرْدَوس بلا كِراء(١).

قدِّموا لآخرتِكم وابخَلوا بالمالِ في غيرِ موضعِه، وجُودوا به في موضعِه، فهو من الحَزْم، ولأن الأموالَ غلَبَتْ عليها الشُّبهُ فلا ينبغي صرْفُها في التُّرَّهات.

قال بعضُهم: وَجِّهوا هذا الفُضُولَ(٢) أمامَكم، والفضولُ مِن كلِّ شيء، مِن أكلٍ ولُبسٍ وشُرْبٍ وغيرِ ذلك.

* * *

وقال رضيَ الله عنه: إذا كثُـرَ الفضولُ قلّتِ الفضائل، وإذا قلَّ الفضول كثُرَتِ الفضائل. والإنسانُ وِعاءٌ يصلُح يمتلي فضائل أو فضائح. والإنسانُ يُحَادِيْ ويتَحفّظ علىٰ قلبِه، لأنه ما خُلِقَ إلا لمعرفةِ اللهِ تعالىٰ.

ومَـثَـلُ الإنسانِ مثَلُ عَلْجُوم(٣)، إذا بارَكَ اللهُ فيه غُرِسَ وانقلَب نخلة

---

(١) أي مثَلُ لضيف مثَلُ جمّالٍ جاء يطرق باب البيت، ويقول لأهل الدار: هل معكم من شيءٍ من الماعون أحملُه لكم إلىٰ جنة الفردوس بلا أُجْرة! إشارةً لما في الضيافة من الفضل العظيم والأجر الجزيل.

(٢) أي: ما فضل عن حاجتكم وزاد عليها.

(٣) العلجوم: نوىٰ التمر.

وأثمرَتْ، وغُرِسَ عجم[١] الثَّمَر وهَلُمَّ جرّاً، وإذا مُحِقَ ـ والعياذُ بالله ـ عُلجومٌ أكلَتْه ضانة[٢]، معاد انقلَب شيئاً.

ما خلَقَ اللهُ الإنسانَ إلاَّ لشأنٍ عظيم، والإنسانُ ينظُرُ في هذا الوِعاء، إذا أرادَ أن يمليه[٣] تراباً كيفَ لا يمليه طعاماً، وإذا كان يمكنُه ذلك كيفَ لا يمليه مِسْكاً؟

والعمُر ما هو عُمْرين، ينبغي له كلَّ حالٍ يُحِبُّ أن يأتيَ الموتُ وهو فيه فُيداومُ عليه، وكلَّ حالٍ لا يُحبُّ أن يأتيَه الموتُ وهو عليه فلْيترُكْه. وكذلك المجالس، هذا الميزان، إن كانت مما يعُودُ عليك النفْعُ فيها وإلا اجتَنِبْها.

ومجالِسُ أهلِ الزمانِ كما قال والدي: مِثالُها كَمَنْ يُبرِّدُ بالفلفل! ينبغي الاعتزالُ وعدمُ المخالطة. احفَظوا هذا الحديث: «خيرُكم بعدَ المئتينِ الخفيفُ الحاذِ»[٤]... إلخ؛ لأنّ الزمانَ فسَد، والجِهةُ ضائعة، ولا

---

(١) جمع علجوم، وله جمعان بالدارجة: عَجَم، كما هنا، وعلاجيم، واستعمال الأول أكثر شيوعاً من الثاني.

(٢) مثالٌ شهير، يُضرب لمن مات ولم يخلف أولاداً يحملون اسمه، أو ترك أولاداً طالحين لا يدعون له ولا يذكرونه بخيرٍ بعد موته.

(٣) أي: يملأه.

(٤) الحديث أخرجه أبو يعلىٰ في «مسنده»، وعند الترمذي (٢٣٤٧) عن أبي امامة مرفوعاً: «إنّ أغبط أوليائي عندي لَمؤمنٌ خفيفُ الحاذِ...» الحديث.

شيءَ مثْلُ الخُمُولِ[١] اليوم. كما قال سيدُنا أُويسٌ القرَنيُّ رضيَ الله عنه: أُحِبُّ أن أكونَ في غَبْراءِ الناسِ الأخفياءِ الأبرياء، (إلخ).

قال بعضُهم:

من أرادَ المُلْكَ والراحةَ مِن هَمٍّ طويلْ
فليكنْ فرْداً منَ الناسِ ويرْضىٰ بالقليلْ
ويَـرىٰ أنَّ قـليـلاً نافـعـاً غـيـرُ قـليـلْ
يترُكُ الكِبْـرَ لأهليهِ ويَـرْضَىٰ بالخُمُولْ
ويُداوي مرَضَ الوِحْدَةِ بالصَّبْرِ الجميلْ
لا يمَاري أحَداً ما عاشَ في قالٍ وقيلْ
ثم مَعْ ذلك لا يعرِفُ سمْحاً مِن بخِيلْ
فإذا كمَّـلَ هـذا كانَ في مُـلْكٍ جَليـلْ
أُفٍّ مِن معرفةِ الناسِ علىٰ كلِّ سبيلْ

أو كما قال، أو ما هذا معناه، وأستغفِرُ الله.

* * *

وقال رضيَ الله عنه: مِن كلامِ سيّدِنا أحمدَ بن زينِ الحبشيِّ رضيَ الله عنه: أعمالُ الحريصِ علىٰ الدنيا لا تكادُ تُقامُ بقيمة[٢]. **قال رضيَ الله عنه**:

---

(١) أي: السكون ولزوم البيت وعدم الاشتغال بما عليه الناس.

(٢) أي: لحنارتها وتفاهتها.

وإن كان أعْلَمَ أهلِ زمانِهِ؛ لأنه ليس بفقيه، كما قال سيّدُنا الحسنُ البصريُّ رضيَ الله عنه حينَ قال له فَرْقَدٌ رضيَ الله عنه: إنّ الفقهاءَ يقولون خلافَ قولِك. قال له: ثكِلَتْكَ أمُّكَ يا فُرَيقِد، وهل رأيتَ فقيهاً قَطّ؟ إنَّما الفقيهُ: الزاهدُ في الدنيا، الراغبُ في الآخرة، قال تعالىٰ: ﴿ يَقُولُونَ لَا تُنفِقُوا عَلَىٰ مَنْ عِندَ رَسُولِ ٱللَّهِ حَتَّىٰ يَنفَضُّوا ۗ وَلِلَّهِ خَزَآئِنُ ٱلسَّمَٰوَٰتِ وَٱلْأَرْضِ وَلَٰكِنَّ ٱلْمُنَٰفِقِينَ لَا يَفْقَهُونَ ﴾ [المنافقون:٧]، فنفىٰ الفِقْهَ عمَّن هذا وصْفُه؛ لأنه راكنٌ إلىٰ السبب، لأنَّها من باب الأسباب، وفي الآيةِ التي بعدَها ﴿ وَلَٰكِنَّ ٱلْمُنَٰفِقِينَ لَا يَعْلَمُونَ ﴾ [المنافقون:٨]؛ لأنه من بابِ العلم. أو كما قال.

* * *

وقال رضيَ الله عنه: لقِيَ بعْضُهم أعرابيّاً مُتَحزِّماً في مَقْطَبٍ[١] فقال له: مَن أرْوَحُ[٢] الناس؟ قال الأعرابيّ: أنا. فقال له: أين الخليفة، أين الأمير؟ فخنَسَ الأعرابيُّ بأنفِه وقال:

وما العيشُ إلاَّ في الخُمُولِ معَ الغِنىٰ ... وعـافيــةٍ تغــدو بها وتَــروحُ

وبيت آخر:

إذا القُوْتُ تأتَّىٰ لك والصِّحةُ والأمنُ
فأصبَحْتَ أخا حُزْنٍ فلا فارَقَكَ الحُزْنُ

---

(١) إزارٌ معروف.

(٢) أي: أكثرهم أريحية وسخاءً وكرماً.

وهو معنىٰ قولِه ﷺ: «مَن أصبَحَ آمناً في سِرْبِه»(١) . . . إلخ. حتىٰ أن الإنسانَ يغتبِطُ بمقامِه ويقنَعُ به.

كان سيدُنا الحبيبُ حسين بن طه(٢) جالساً في الجامعِ في أيامِ الشتاءِ ومعه مِلحفةٌ سوداءُ وجُوخَة، وكأنَّه استقلَّ ذلك بغا فوقَ ذلك، ثم إنَّه خرَجَ إلىٰ تحتِ المسجد، فلقِيَه سائلٌ فصافَحَه فقال له: يا حبيب، قِدْ لي مُدَّة أتشوَّف منك بغيتك تكتُبْ لي حِرْز إنِّي متوجِّه في الطِّلْبَة وإن السّوَّال باينشّفُونّا علىٰ ذلك(٣). فقال الحبيبُ حسين: ما هذه إلاَّ موعظَةٌ لي يومَ ما قَنَعْتُ بما أنا فيه.

* * *

وقال رضيَ الله عنه: قد يقعُ مقصودُ العلم(٤) في رجُلٍ لا يؤبَهُ له، وليس صَاحبَ فضيلةِ عِلْم؛ لأن سرَّ اللهِ في خلْقِه، حتىٰ ما تستحقِرَ أحداً من المسلمينَ وتُحسِنَ الظنَّ بهم.

وكان باسَوَاد حرَّاثاً، وكان والدي يخرُج إلىٰ عندِه، وفي بعضِ الأيام وقعَتْ عليه سرقة، فقال له والدي: لا شَرَّ عليك. قال: حبيب مَا شي

---

(١) الحديث تقدم قريباً.

(٢) هوالسيد حسين بن طه بن أحمد بن أبي بكر باعقيلِ السقاف، ولد وتوفي بشبام، أدرك الإمام الحداد، كان فاضلاً، ذكره في «بهجة الفؤاد».

(٣) طلب ذلك الرجل من السيد أن يكتب له حرزاً يكون نافعاً له في نيل ما يطلبه ويسأله من الناس، لأنه شحّاذ، ويخشىٰ أن لا ينال بغيته بسهولة.

(٤) مقصود العلم: أي تمام اليقين والرضا بالقضاء.

شر، شَلَّوا وخَلَّوا لنا، ما شَلَّوه كله[١]. قال له بعضُ أهلِ المجلس: ما بَلَّغتَ إلىٰ أحدٍ من النقباء؟ قال: قلنا للنقيبْ ولكنِ النقيب مسلِّم الأمر. قال الحبيبُ عمر: هذا الرجلُ حَاصل العلْم معه[٢] بدليلِ كلامِه.

وكذلك كان دَحْمان باناعْمِه كِبَيْرانْ لا يُؤبَهُ له، وأَخْبَرَ بموتِ الحبيبِ سقافٍ[٣] في (سيؤن)، وهو حينَئذٍ في (الحوطه) عندَ الحبيبِ محمدِ بن أحمدَ[٤]. وقد يصلِّي الجمُعة بشبام فيرونه في (سيؤن)، فهو شبيهُ قضيبِ البانِ[٥] إن صحَّت هذه الحكايات عنه. فسِرُّ اللهِ في خلقِه.

وأصلُ الزهدِ في الدنيا: تهوينُها في القلب، لأنّ الزهدَ مِن أخلاقِ الباطن، والتقلُّلُ مِنَ الدنيا علامةٌ له. وقد يكونُ صاحبَ مظْهَرٍ في الدنيا وهو زاهد، ولو فاتتْ عليه جميعُها لم يتحرَّكْ له ساكن. وقد يكون واحد ما يَحوَىٰ شيْ، ولكن قلبُه معلّقٌ بالدنيا، فليس بزاهد. والعلامة قد تصدُق وقد لا تصْدُق. ومَن لم يحزَنْ علىٰ ما فاتَ ولم يفْرَحْ بما حصَلَ فهو زاهد، ﴿ لِّكَيْلَا تَأْسَوْاْ عَلَىٰ مَا فَاتَكُمْ وَلَا تَفْرَحُواْ بِمَآ ءَاتَىٰكُمْۗ ﴾ [الحديد: ٢٣].

وإذا لم يقَعْ زُهْد، تقَعُ قناعةٌ وتزَهُّد، كما قال الإمامُ الغزاليّ: إن

---

(١) أي: ما هناك شر، فإن اللصوص سرقوا شيئاً وتركوا شيئاً ولم يأخذوا كل شيء.

(٢) أي: حصل معه اليقين والرضا بما جرىٰ له من مُرِّ القضاء مع قيامه بما ينبغي له فعله.

(٣) هو الحبيب سقاف بن محمد الصافي، توفي بسيئون سنة ١١٩٥هـ.

(٤) الحبيب محمد بن أحمد بن جعفرِ الحبشي، توفي بالحوطة سنة ١٢١٨هـ.

(٥) قضيب البان الموصلي؛

لم تكُنْ إبلٌ فمِعزىٰ، وإذا عجزَ عن حالِ الأخيار، وهُو الزهد، يقعُ حالُ الأبرار القناعة. والقناعة: الاكتفاءُ بالموجود، وزَوالُ الطمعِ عنِ المفقود. بل بعضُهم يفرَح بالفَقْدِ ويغْتَمُّ من الوَجْد. أو كما قال، أو ما هذا معناه، وأستغفرُ الله.

* * *

وقال رضيَ الله عنه: إذا قال الإنسان: (رضيَ الله وعفا عنّا وعنكم وعن جميعِ المسلمين) بلسانِه، ينبغي أن يساعدَ اللسانَ القلْبُ، فلا يُضمِرُ غلًّا في قلبِه لأحدٍ من المسلمين، ولا حسَداً، ويعفو عمّن ظلَمَه، ويَصِلُ مَن قطَعَه، ويُعطي مَن حرَمَه، ربّنا ﴿وَلَا تَجْعَلْ فِي قُلُوبِنَا غِلًّا لِّلَّذِينَ ءَامَنُوا رَبَّنَآ إِنَّكَ رَءُوفٌ رَّحِيمٌ﴾ [الحشر: ١٠]؛ لأن الدعاءَ باللسانِ من حيثُ الظاهرُ لا يُجْدي إلّا إذا ساعَدَه الباطن.

والزمانُ زمانُ تغافُلٍ وتغافُرٍ في كلِّ شيء، وما أحسَنَ التغافلَ إذا حصلَ معَه التغافُر والمُحَالَّة(١).

* * *

وقال رضيَ الله عنه: يقال: الأولادُ نِعَم، والنِّعَمُ تحتاجُ إلىٰ شكر، والبناتُ حسَنات، والحسَناتُ تحتاجُ إلىٰ صَبر، يعني: علىٰ تعليمِهنّ وتأديبِهنّ.

---

(١) المحالَّة: المسامحة.

قال سيدُنا الحبيبُ عبدُ الله الحدّاد: لا تطلُبْ منَ اللهِ ولداً ولا بنتاً، اطلُبْ منَ اللهِ الذي فيه البرَكةُ والصّلاح.

وفي الحديثِ عنه عليه الصّلاةُ والسّلام: «أو ولدٍ صالح يدعو له»[١]. والولدُ يشملُ الذكرَ والأنثىٰ، وقد تكونُ خيراً من الذكر؛ انظُرْ إلىٰ مريمَ عليها السلام، وَلَدتْ رُوْحَ اللهِ عيسىٰ عليهما السّلام، وكَمْ وكَمْ، وينبغي للرجلِ أن يشْكُرَ نعمةَ الرجوليّة، وذلك بالقيامِ بتعليمِ الأهل، وإلاّ أقلُّ عقوبتهِ: الغرْبَةُ عن وطنِه؛ يَحُوزُ الغُربَتين: غربةَ الجَهْل، وغربةَ الوطن. أو كما قال.

* * *

وقال رضيَ الله عنه: قال الوالدُ عمر: كان حَالُ سيدِنا أحمدَ بن زينٍ الحبشيِّ هذه الأبيات:

أَنِسْتُ بوَحْدتي ولَزِمْتُ بيتي ... فطَابَ الأُنسُ لي، وَصَفا السرورُ
وأدَّبَني الزمانُ فلا أُبالي ... هُجِرْتُ فلا أُزارُ ولا أَزورُ
ولَسْتُ بسائلٍ ما عِشْتُ يوماً ... أَسارَ الجندُ أمْ رِكبَ الأميرُ

انتهت الأبيات؛ لأن سيدَنا أحمد حَالُه التغافُل، ولولا العلْمُ ما انبسطَ للناس؛ لأنه متوَحِّش[٢]، وكذلك أولادُه رضيَ الله عنهم.

---

(١) الحديث أخرجه الإمام مسلم: (١٦٣١).

(٢) أي: يأنس بالوحشة والخلوة.

ومن كلامِ سيدنا الشيخِ عليٍّ بن أبي بكرٍ السكران: عليك بالتغافل، فإنّ مَدار مصالح أهلِ الزمانِ عليه. أو كما قال.

ومن كلامِ سيدِنا الحبيبِ حامد بنِ عمر: التغافُلَ التغافُل! التصامُمَ التصامُم! التعاميَ التعامي! يعني: تغافَلْ حتىٰ عن مطالبِ نفسِك، وتصامَمْ وإن كنتَ تسمع، وتَعَيْوَرْ وإنْ كنت تُبصِر، خصوصاً في زمانِنا؛ لأنك ماذا تسمع.

شكا بعضُ آل سُمَيط إلىٰ والدي عمر الصَّقَع[١]، قال له الحبيبُ عمر: خَيْرٌ لك، ايش باتسمع؟ والإنسان إذا كَثُفَ عليه شيءٌ من الأحوالِ يرجِعُ إلىٰ بيته يُعلِّمُ أهلَه ويفقهُهم، ومن الفقه: أن يُصَغِّرَ عندَهم ما صَغَّرَ الله ــ يعني الدنيا ــ حتىٰ يزْهَدُوا فيها، ويكبِّرَ ما عظَّم الله حتىٰ يطلبونه.

* * *

وقال رضيَ الله عنه: مِن سِيَر جدِّك[٢] محمد بن عوض باذيب لَعْجَم[٣]: إذا جاء عندَه الضيفُ أخذ بسِتّ خَمَاسي[٤] لحْم، ويجلسُ هو والضيفُ فقط، وصِنْوُه عُبُودٌ أكبر منه ما يجلسُ معه، وما زاد من الضيف فَرَّقَه علىٰ أهل البيت، ويقولُ لأهل البيت: ليلتُكم في اللحمِ معروفة.

---

(١) أي: الصمم.

(٢) أي: جدّ كاتب هذا المجموع.

(٣) من أصحاب الإمام الحداد. ترجمته في كتابنا «بغية الأريب».

(٤) الخماسي: من عُملة أهل ذلك الزمان.

وإذا هدَفْ له مولود يذْبَح رأس بثماني أُواق، مع أنه في وقتِه عَيْن[١]. هذا في أمْرِ المعاش.

وفي الشِّقِّ الثاني له مكارمُ لا تَسْأَلْ عنها. من جملةِ ذلك بعدَ موته، أخبرَ صِنْوُه عبودٌ الحبيبَ محمد بِنْ سُميط مع سَفْرِهِ دوعن قال له: حبيب؛ وقع لي كلُّ خيرٍ ببركةِ محمّد. قال: حصَلَ علينا مداخلة[٢]، فشكوْنا ذلك إلىٰ سيدِنا الحبيبِ عبدِ الله الحداد، فقال لنا: بيعُوا جميعَ ما كان معكم لو يَخْلُفْ لكم خَرْشُ نسائكم[٣]، وبعدُ تعالوا إلينا. ففعلوا ذلك، بَدَّوا[٤] جميعَ الذي عليهم وزاد بعدَ ذلك ثلاثمئة قرش. فساروا إلىٰ عندِ الحبيب عبد الله، فلمّا قدهم بالحاوي قال محمدٌ لأخيه عبود: يا عبود باتساعدنا؟ قال: ما ارجع لك من شَقّ[٥]. قال: مئتان لنا، ومئةٌ للحبيب عبد الله. قال: صواب. فأعطَوها الحبيبَ فَقَبِلَها وفرَّقَها في نحو يوم.

وأخبَرَ[٦] سيِّدَنا عمرَ البار بهذه الواقعة، وعندَه ناسٌ من جُملتِهم باخيضر (دَلّال)، فقال له الحبيبُ عمر: يا فلان؛ يصلُح أنَّ أحَدْ يتصدق

---

(١) أي: من الأعيان المرموقين.

(٢) أي: شيء من التجار والباعة.

(٣) أي: ولو لم يفضُلْ لكم إلا حلي النساء، المراد: ولو شيء بسيط.

(٤) أي: سددوا ما عليهم.

(٥) الشقّ: الهوىٰ، أي: لا أخالف لك مطْلباً.

(٦) أي: الإمامُ الحداد، أو الحبيبُ محمد بن زين. .

بثلث مالِه؟ قال له: إن حَدْ من أهلِ شبام يصلُح. قال له: كيفَ ذلك؟ قال: هذا لي[١] أقولُ لك.

وأشار الحبيبُ عبد الله علىٰ محمدٍ بالسفر إلىٰ الشحر، ويطلعُ وقتَ الموسمِ نحوَ شهرين[٢]. ومع مَطْلَعِه ومَخْرَجِه يعبُر تريم علىٰ سيدنا الحبيبِ عبد الله، وكان سيدُنا الحبيبُ أحمد بن زين يعُدُّهما[٣] من أولادِه.

وأنتم إن باتحلُّون حضرَموت اتبَعوا سِيَرْهم، عادها مَدْروكه، وانقُلوها واعقِلوها، ولكن رَبَّوْهم العارفون بالله، ونحن مَن رَبَّى نحن؟

* فطوبىٰ لهم، فازوا وسادوا علىٰ الكُلِّ *[٤]

أو كما قال رضيَ الله عنه.

* * *

وقال رضيَ الله عنه: الدعوةُ إلىٰ الله شرطٌ في قبولِ الدعاء، وإذا ما شِيْ دَعْوة إلىٰ الله ما شي قبول. كما في الحديث: «ثم يدعو خِيارُكم فلا

---

(١) أي: الذي..

(٢) أي: يمكث نحو شهرين.

(٣) أي: عبود ومحمد عوض آل باذيب.

(٤) في قصيدة للإمام الحداد، وتمام البيت:

حياتُهم خيرٌ لهمْ ومماتُهمْ   فطوبىٰ... إلخ

«الديوان» (٣٩٨-٣٩٩).

يُستجابُ لهم»، بل يجمَع بين: الدعوةِ من باب الحقيقة، والدعاءِ من باب الشريعة.

وإن حصَلَ تلطيفُ المعاش، وإلاّ فالأشياءُ كلُّها لاَشْ(١)، خصوصاً هذه القهوة، التي وقعَتْ علينا محنةً وفتنة، في تضييع الأعمار والأوقات، نساؤنا ورجالنا في المسَايرة في قالٍ وقيل، يشترون ناراً بها، الناسُ يمْدَحُونها وأنا أذمُّها لأنها صارت بلاء. امنعوا أولادكم منها، الأولاد والبنات، اسمَعوا الكلام، لكنْ أهل الزمان معاد سَمِعوا الكلام. بَغَوْا الاَّ شورهم؛ زمان مفتون!!

* * *

وقال رضيَ الله عنه: الطبُّ هو تعديلُ الطبيعةِ قبل لا يظهر ألمْ. كما في الحديث: «احتَجموا في الصّيفِ لئلا يتَبيَّغَ بِكمُ الدّمُ في الشتاء فيقتُلَكم»(٢). وأمّا إذا ظهرَ الألمُ فيُسمَّىٰ علاجاً معاد يسمىٰ تَطبُّباً.

وحَبُّ الشَّيبَار زين، مليِّن للبطن، ينبغي أخذُه، يصفّي البطن، وإذا صَفَت صَفَيْن العيون، يؤخَذ إما بين الوقتين: الظهر والعصر، أو مع النوم، ولا يشرب بعده، ويأخذ علىٰ قَدْرِ قوّة الطبيعة وضعْفِها. كان الوالدُ عمر يأخذُه.

---

(١) أي: لا شيء.

(٢) الحديث لم أجده بلفظه، ووردت أحاديث متكلَّمٌ فيها في الحجامة ولم أجد فيها ذكر الصيف، ينظر: «تنزيه الشريعة المرفوعة» (٢:٣٥٨).

وبعْضُهم إذا أرادَ أن يأخذَه يتعشّىٰ خميرَ البُرّ ثم يأخُذه. والوالدُ عمر لا يفعَل ذلك. وأنا كنتُ آخُذه. واسمُ الشيبار في اللغة: رفيقُ الليل. وكذلك عصيدُ البِصَيْلة، يصفّي البطن، وإنما هي تُشْبِهُ الشربة.

* * *

وقال رضيَ الله عنه: إنّ اللهَ يُنْطِقُ عالِمَ كُلِّ زمانٍ بما يناسبُ أهلَه. اعقِلوا؛ إنهم خلفاءُ الرسل، وإن الله أخَذَ العَهْدَ علىٰ أئمةِ الهدىٰ أن يسيروا بسَيْرِ أدنىٰ الناس. انظروا كيفَ هَدْيُ المصطفىٰ عليه الصّلاةُ والسلامُ وأصحابِه، وذلك تشريعٌ لأُمتِه لأجْل يتأسَّوا به عليه الصّلاةُ والسلام.

* * *

وسمعتُ[١] سيدَنا رضيَ الله عنه يقنُتُ في الفَرْض: اللهمَّ أصْلِح الإمَامَ والأُمة، والراعيَ والرعيّة، وألِّفْ بينَ قلوبِهم في الخير، وادفَعْ شَرَّ بعضِهم عن بعض.

وكثيراً ما يقنُت: اللهمّ الطُفْ بنا والمسلمين، وعافِنا والمسلمين، واكفِنا وإياهم أجمَعينَ شرَّ مصائِبِ الدنيا والدِّين.

وإذا طلَبَ الفاتحة من الحاجِّ يقولُ له: استغفِرْ لنا وللحاضرين. ثم يقول: اللهمّ إنّا نسألُك بحقِّ الحُجَّاجِ والعُمَّار، والزُّوَّارِ والوُفَّادِ إليك، أن تغفِرَ لنا ذنوبَنا وتشرحَ صدورَنا.

* * *

---

(١) القائل: الشيخ دحمان لعجم، كاتب الكلام.

وقال رضيَ الله عنه: كان سيدُنا الحبيبُ حامد بن عمرَ يقول: جَاوَةْ إبليس؛ أكلَت شُبَّان آل باعلَوي، وذلك حينَ أُخبِر بوفاةِ رَجُلٍ منهم في جاوة، وأُخبِرَ أنه كمَّل مقبرةً فيها من سادةِ تريمَ نحوُ ستمئةٍ في ذلك الحين[١].

وجاء[٢] أيضاً إلىٰ سيؤن فاتفق ببعض السادة، فشكا من أحوال الزمان فقال له علوي: كانت سيئون زهرةً فشَتَّموها بالكَيْل. وكان السّيدُ يعامِلُ بِه. فقال للحبيبِ حامد: وأنا أعامِلُ به. فقال له: هَهْ، هَهْ، عَلَوي، عَلَوي. قال السيد علَوي: مِن حينئِذٍ انْتَاف خاطري وكرهِته.

وقال سيدُنا رضيَ الله عنه: وأنتم يا أهلَ شبام، هذه اللُّجْمَة[٣] شَتَّمَتْ بلادَكم، تتحيَّلونَ علىٰ الله، والسببُ كلُّه قِلُّ الاقتصاد في المعيشة، وهذه الأثقالُ آزتِ الناس علىٰ الدخولِ في الحيَلِ والشُّبَه، بل والحرام.

قال الحبيبُ عبد الله[٤] خِرْد وذلك حين حَلَّ شبام في دار السادةِ آل محمد بن أبي بكر[٥]، لمَّا حصَلَ عليه أذًىٰ من أهلِ تريم ونَـقْصٌ في المال، وذلك في مجلسِ الحبيبِ عمر بن زين: موْلانا! عندَنا الطريق،

(١) أي: القرن الثاني عشر الهجري.

(٢) أي: الحبيب حامد بن عمر.

(٣) نوعٌ من الحيل كانوا يتعاملون به في بيعهم وشرائهم.

(٤) هو السيد الفاضل عبد الله بن عمر بن عبد الله بن علوي بن المحدث محمد بن علي خرد، كان سيداً فاضلاً عابداً. ذكره في «غاية القصد».

(٥) لعلهم من آل بلفقيه، فقد سكن منهم جماعة في (شبام).

والسببُ الأثْقال، وهذه دراهِمُ إمام صنعاءَ بلاءٌ علىٰ أهلِ حضرَموت. ونحن يا سيدي نعامِل، نعمل شَيَاذر[١] من مئة قرش وثمانين، ويسير بهنّ بعضُ الأولاد إلىٰ صَنْعاء، ولا يأخذ ذلك إلاّ الإمامُ أو أحَدٌ من حاشيتِه، ودراهِمُهُ من عَشُورِ[٢] المَخَا وغيرِها.

قال سيدُنا أحمد: أنْصَفَ الحبيبُ[٣]. رضيَ الله عنهم.

وكذلك سيدُنا الإمامُ عبدُ الرحمن بنُ عبد الله بلفقيه، حصَلَ عليه أذًى كبيرٌ من بعض الجُنْد، ثم افتكَّ[٤] منهم، وكأن الناسَ أنكروا ذلك، لِجلالةِ مقام الحبيب، ولما افْتَكَّ أتَوْا يهنُّونَه، فقال لهم رضيَ الله عنه: لا تستعظِموا ما وقع، السبب إلاّ مِنِّي، خُوَيْدمٌ معي مُهَوِّنٌ في الصلاة، فوقع ما وقَع لي سببُ ذلك.

قال سيدُنا: هذا حالُ العارفين؛ لأنهم أَدْنَى شيءٍ يروْنَه سبباً في الذي يقَعُ بهم، مِثالُهم مثالُ القُبّةِ المنوَّرة: ما فيها شبُو[٥] ظاهر قطّ، فلمَّا بَدَا شبُو قليل ظهرَ له في الحال، ومثالُ غيرِهم مثالُ العَرِيش المُخَلْخَل: ما شيء يظْهَر فيه.

سمِعَ بعضُهم إنساناً يقول: لا خيرَ في الإسراف. قال له: لا إسرافَ

---

(١) الشياذر ما تلبسه النساء كالجلباب أو العباءة، وهو جمع، الواحد منه: شَيْذَر.

(٢) أي: المكس والضرائب.

(٣) أي: السيد خرد المذكور.

(٤) أي: تخلّص.

(٥) الشبو: لعله الشرخ في الجدار.

في الخير. يعني أن السرَفَ لا يكونُ إلّا في حرامٍ أو مكروه، وأمّا الإنفاقُ في وُجُوهِ الخير فلا يُسمىٰ سَرَفاً، «ما نَقَصَ مالٌ مِن صدَقة، بل يزْداد»[1]، والمواساةُ ليست بالمالِ فقط، بلِ المواساةُ إلىٰ المحتاجينَ بالمال، وتعليمُ الجاهل وإرشادُ الضالّينَ من أَفْضَل المُوَاساة.

قال اللهُ تعالىٰ: ﴿وَمَآ أَنفَقْتُم مِّن شَىْءٍ فَهُوَ يُخْلِفُهُۥ﴾ [سبأ:٣٩]، لم يقُلْ: من مال، بل إذا أعطيْتَه كِسْرةً أحْيَيْتَ جسْمَه الفاني، وإذا علّمْتَه مسألةً في دينهِ أحْيَيْتَ روحَه الباقي، وشتَّانَ بين الأمرين، ولا يضرُّه إذا ماتَ جُويَع ودينُه سالم. ما ضرَّهم ما أصابَهم في الدنيا، جبَرَ الله لهم به الجنّة. أو كما قال.

* * *

وقال رضيَ الله عنه: لا يَكْرَهُ إقامةَ الوالي إلّا منافق؛ لأنه ما بغىٰ أحَدٌ يقْهَرُه مِن هواه، ويردَعُه مِن ظُلْمِه، بل ينبغي له أن يتمنىٰ ذلك. وغالبُ الناسِ يكرَهُون ذلك ﴿وَإِن تُطِعْ أَكْثَرَ مَن فِى ٱلْأَرْضِ يُضِلُّوكَ عَن سَبِيلِ ٱللَّهِ﴾ [الأنعام:١١٦].

* * *

وقال رضيَ الله عنه: بعضُ الخَلَفْ سبَقْ سَلفَه ويسمّىٰ سابق، مثل محمّد لَعْجَم سبَق سَلَفه وإن كانوا أهلَ خَيْر، بل ذُكِرَ والدُه وذُكِرَ هُوَ في

---

(١) الحديث أخرجه القضاعي في «مسنده» عن أم سلمة مرفوعاً، «كشف الخفا» (٢: ٢٧٢).

مجلس سَيِّدِنا الحبيب عبدِ الله الحداد فقال فيه: يُخْرِجُ الحيَّ من الميِّت؛ لأنه بالنسبة لسَبْقه، وذلك ببركةِ سيدِنا عبد الله وتَرْبِيَتِه له.

* * *

وقال سيدُنا رضيَ الله عنه: أخبَرَني عوض بن دحمان بَـلْفَقيه قال: تزوَّجَ والدُه عند آلِ لَعْجَم، فقالوا له: عرِّبْ للزواج، شُفْهُم ناس مِكْثِرِه[١]. قال: ما أهْمُرْهُم! ومعي ضَانة في السطح، قال: فذبَحَها في الزَّواج، وعندَه ثمانين نَفَرْ وكَفَتْه، مع أن المذكورينَ كلَّهم أهلُ جِدَة[٢]، ولكنهم ما يتعدُّون سيرةَ السلَفِ حتى ما يُتْعِبُون غيرهم. و(مَن خالَفْ كَبِيْرُه عُوْرَتْ بِيرُهْ)، ومَن بايظفر لا يتكلّف.

* * *

وقال رضيَ الله عنه: أَنْصِفْ مِن نفْسِك، لا تتشبَّهْ بالأكابرِ وأنت من أصغرِ الأصاغر، تدَّعي أنك عَبْدُ الله وأنت عبدُ شَهْوتِك؛ «تعِسَ عبدُ الدينار، تعِسَ عبدُ الدِّرهم، تعِسَ عَبْدُ الخَمِيصة، تعِسَ وانتكَسَ، وإذا شِيْكَ فلا انتُـقِشْ»[٣].

وين الحُر؟ كما قال سيدُنا أبو إسحاق الشيرازيُّ صاحبُ «التنبيه» و«المهذَّب» ــ وهو مناظِرٌ للإمامِ الغزاليِّ في العلومِ ــ شعراً:

---

(١) أي: الناس المدعوون كثير.

(٢) أي: يسر وسعة في العيش، وقدرة واستطاعة لذبح أكثر من ذلك.

(٣) الحديث أخرجه الإمام البخاري (٢٧٣٠).

سأَلْتُ الناسَ عن خِلٍّ وَفيٍّ   فقالوا: ما إلىٰ هذا سبيلُ
تمسَّكْ إنْ ظَفِرْتَ بِوُدِّ حُـرٍّ   فإنَّ الحُـرَّ في الدنيا قليلُ

وتشييدُ المباني منَ البلاءِ العظيم، وأنا أقول: إنَّه تَدْجيل؛ لأن الدّجَّالَ مَن يُلَبِّس. كيفَ وقد قال النبيُّ ﷺ: «بُعِثْتُ لخَرابِ الدنيا، فمَن عَمَرَها فليس منِّي»(١).

ولمّا أرادَ الأنصارُ بناءَ الحرَم ومَعهم قَصَبةٌ يُقدِّرونَ بها، أخذَها منهم عليه الصَّلاةُ والسلام، ورمىٰ بها، وقال: «خُشَيْبات وثُمَامَات، وعريشٌ كعريشِ موسىٰ، والأمْرُ أعْجَلُ من ذلك»(٢)؛ يعني: عريشَ موسىٰ، لو مَدَّ يـدَه لَـنَاله.

وكان عليه الصّلاةُ والسَّلامُ ليلةَ المطرِ يَسْجُدُ في الماءِ والطين(٣). وبنىٰ سيدُنا العباسُ قُبة، ثم أتىٰ النبيَّ ﷺ فقال له: أتصَدَّقُ بثمنِها أو

---

(١) لم أجده.

(٢) الحديث أخرجه عبد الرزاق في «المصنف» (٥١٤٩)، وفيه: أن أُبيَّ بن كعب وأبا الدرداء ذرعا المسجد ثم أتيا النبي ﷺ بالذراع، قال: «بل عريش كعريش موسىٰ، تمام وخشبات، فالأمر أعجل من ذلك». قال الثوري: وبلغنا أن عرش موسىٰ إذا قام مَسَّه.

(٣) متفق عليه، البخاري في كتاب الاعتكاف (٢٠٣٦)، ومسلم في كتاب الصيام (٢٧٦٤).

أهدِمُها؟ فقال له عليه الصّلاةُ والسلام: «اِهدِمْها، بُعِثْتُ لخَرابِ الدنيا»(١) . . . إلخ.

وما وضَعَ ﷺ لبِنةً علىٰ لبِنة(٢). كلُّ ذلك تشريعٌ لأُمتِه. وبنىٰ سيدُنا أبو ذرٍّ بيتاً، فرآه سيدُنا أبو الدرداء، فقال له: بنيْتَ مَشِيْداً، وأمَّلتَ بعيداً، وتموتُ قريباً.

انظروا تناصُحَ الصحابةِ بعضِهم لبعض، مع أنهم أكمَلُ الناس!

وكان سيدُنا حامد بن عمرَ رضي الله عنه في مرَضِ موتِه إذا جاءه أحَدٌ يزورُه يقولُ لهم: كلُّه زين فيكم، إلاّ تشييدَ المباني. وورَد: أنه يُكلَّفُ حَمْلَه يومَ القيامة إلاّ ما لا، يعني ما لا بد منه.

دخَل بعضُهم علىٰ بعض الصالحينَ وهو في عَشْوة، فقال له: لو صَلَّحتمُ البيت! فقال له: عادةْ جَمْ لِمَن بايموت. وهذه هي التي آزتِ الناس علىٰ الغُرَبْ وشبَّت نارَ الحرص، والسببُ قِلُّ الشكر. قال الله تعالىٰ: ﴿لَئِن شَكَرْتُمْ لَأَزِيدَنَّكُمْ وَلَئِن كَفَرْتُمْ إِنَّ عَذَابِي لَشَدِيدٌ﴾ [إبراهيم: ٧].

والحريصُ معذَّبٌ في الدنيا قبلَ عذاب الآخرة. وقد جاء في قولِه

---

(١) رواه الطبراني في «الكبير» كما في «مجمع الزوائد» (٤: ٧٠). قال الحافظ الهيثمي: (وهو مرسَلٌ ورجاله رجال الصحيح).

(٢) ورد بمعناه في حديث مرفوع من رواية السيدة عائشة رضي الله عنها رفعته: «من سأل عني، أو سرَّه أن ينظر إلي، فلينظر إلىٰ أشعث أغبر شاحب مشمر لم يضع لبنة علىٰ لبنة ولا قصبة علىٰ قصبة. . .» الحديث، أخرجه الطبراني في «الأوسط» (٣٢٤١).

تعالىٰ: ﴿لَأُعَذِّبَنَّهُۥ عَذَابًا شَدِيدًا﴾ [النمل: ٢١]، أي: أطلُبُ من الله أن ينزِعَ من قلبِه القناعة، لأن الهُدهدَ أقْنَعُ الطيور، وفي المثال: «باعِذِّبُهْ عذاب الهداهد».

والقانعُ مستريحٌ في الدنيا قبلَ الآخرة، وفي قولِه تعالىٰ: ﴿فَلَنُحْيِيَنَّهُۥ حَيَوٰةً طَيِّبَةً﴾ [النحل: ٩٧]، أي: بالقناعةِ في قلبه.

❋ ❋ ❋

وقال رضيَ الله عنه: الحِلْبة المُحَلَّاة[١] توطِّيْ بُخَار البطْن؛ وتَحْلِيَتُها قال بعضُهم: تُخمَّرُ في الماءِ من الليل إلىٰ الصبح، ثم تُطيِّر الماء. والغالبُ قال: إنها تُفوَّرُ خمْس مرات؛ وفيها منافعُ جَمّة.

قال والدي عمرَ رضي الله عنه: كان بعضُ السادة في عَلْوَا سِنُّهْ ثمانين سنة، قد عَمِي وتعكَّف[٢]، ثم إنه استعمَلَ الحلبة المحلَّاة دواماً حتىٰ انطلقَ من التعكيف، وفتَّح عينيه، واصْتَقَلْ بدنُه، ورجعَ يقرأ في «دلائلِ الخيرات»، لكنّ الذي استغرقَها حلْبة علىٰ الدوام نحو قهاول ومُصْرَىٰ[٣].

وأنا بغيْت أهل شبام يستعملونَها، خصوصاً في الرُّوبة؛ لأنهم يحبُّونها، وكذلك المرأةُ إذا قَرُبَ الوضع، ينبغي أن تَجْتَنبَ الخَمير وكلَّ

---

(١) الحلبة: دواءٌ معروف، تؤكل وتطبخ.

(٢) أي: أُقْعِد.

(٣) أي: الكمية التي استعملها في فترة علاجه بها.

يابس، وتستعمل الحلبة؛ لأنها تسهِّلُ الوضع. والطِّبُّ أكثر ما ينفع إلا مع المُداومة، ولو هو قليل.

* * *

وقال رضيَ الله عنه: صلاحُ القلبِ في الحزن وخرابهُ في الفَرَح؛ لأنَّ المؤمنَ دائمُ الحزن من ذنوبِه وتقصيرِه، بل يفرَحُ إذا عَمِلَ طاعةً بتوفيقِ الله تعالىٰ له، والمؤمنُ لا تمضي أوقاتُه إلاّ في قُرْبَة، يكون شحيحاً بوقتِه:

* واقطَعْ ليالِيك والأيامَ في القُرَبِ *[1]

فقد جَمَع سيدُنا الحبيبُ عبد الله الحدادُ في هذا البيتِ الفرائضَ والسنن؛ لأنه أوتيَ جَوامعَ الكَلِم وراثةً من جدِّه ﷺ، ومثالُه كمن يَقْنِم النخلة بِكَرَبها وليْفها وخَرِيفها، وغيرُه من العلماء يَقْنِم إلاَّ الخِيْل[2] فقط.

ومن كلامِ سيدِنا عبد الله الحدّاد: تمنيَّتُ إحدىٰ خَصلتين: إمّا خلافةً كخلافة عمرَ بن الخطاب، وإمّا سياحةً في البراري والقِفار. وذلك مُنايَ ومطلوبي، ولكن ما قدّرَ الله، لا ذا ولا ذا، بخْت الناس بي أكثر من بختي بهم.

انظرْ إلىٰ كلام الكبار واهتمامِهم بإقامةِ العدل؛ لأن سلامةَ الدين

---

(١) من بيت للإمام الحداد، أولُه:

اِلزَمْ فرائضَه واترُكْ محارِمَهُ ... واقطَعْ...... إلخ

«الديوان» (٨١).

(٢) الخِيْل: عذق التمر أو البلح وهو علىٰ النخلة.

والدنيا بالوالي علىٰ ما فيه. ونية سيدِنا عبد الله الحداد وقصدُه كأنَّما تولَّىٰ وأقامَ العدل، كما صَاحبُ الكُثْبان من بني إسرائيل[١] لمّا عَلِمَ اللهُ صدقَ نيته تقبَّل منه.

وينبغي الدعاءُ للوالي أن يصلحَه الله ويرشدَه، كما قال سيدُنا الفُضيلُ ابنُ عِياض: لو كان لي دعوةٌ مستجابةٌ لجعلتُها لمن يتولّىٰ رقابَ المسلمين.

وكذلك الشيخُ عمر بامخرمة[٢] في قصائِدِه يمدحُ السلاطين[٣] ويدعو لهم، لمَا يترتبُ علىٰ وجودِهم منَ الصلاح.

وهذا الدعاءُ ينبغي الدعاءُ به: «اللهمَّ أصلح الإمَامَ والأُمة، والراعيَ والرعية، وألِّفْ بينَ قلوبِهم في الخير، وادْفَعْ شرَّ بعضِهم عن بعض»؛ فهو عظيم جمّ.

وهذا الدعاء ينفي صغارَ الشركِ وكبارَه: «اللهمَّ إنَّا نعوذُ بك أن نُشركَ بك شيئاً نعلَمُه، ونستغفرُكَ لِمَا لا نَعلَمُه»، ينبغي تكرارُه صباحاً ومساء.

ومن كلام سيدنا عبد الله الحداد: مثالُ الدنيا كالبقرة، إن جئتَها مِن قِبَل رأسِها نَطَحتْك، أو من جهةِ رجليها رَمَحَتْك، وذيلُها أملَس، إذا قبَضْتَه ملَص.

قال بعضُ الحاضرين: بي منها كَمْ مِن نَطْحة ورَمْحة، لكنِّي ما تُبت!

---

(١) تقدم ذكره.

(٢) من أكابر العارفين، توفي بسيؤن سنة ٩٥٧هـ.

(٣) وأكثر مَن مدَحَهم الشيخ عمر من السلاطين.

يعني: أن الدنيا زائلة، «ولو يشُوف الإنسان أن معَه شيئاً قابضاً عليه ما يدري إلاَّ وذهبَ، إمّا بحادثٍ أو وارث، وعادتُها الأكدار والنَّغَص». أيُّ وَلِيٍّ صَفَتْ له؟ أيُّ صِدِّيق؟ بغيتها تصْفَىٰ لك؟

ومن كلامِ سيدِنا الحبيبِ عبدِ الله الحدّاد أيضاً: لا حَدْ يقتدي بي في ترْك الأسباب، فما مثَلي إلاّ مثالَ مَن ألقىٰ ساعِيتَه في البحرِ وقطعَ الشراع والحبالَ وخَلاَّها تعوم.

وقال سيدُنا: وكذلك سيدُنا الحبيبُ أحمد بن زين آخِرَ وقْتِه يقول: إنَّ ذِكْر الأسبابِ يوجع قلبي.

❋ ❋ ❋

وقال رضيَ الله عنه: إذا استَحْقَـرَ الإنسانُ نفْسَه قَرُبَ من ربِّه، وإذا استعظمَ نفسَه بَعُدَ من ربِّه.

❋ ❋ ❋

وقال رضيَ الله عنه: إذا فُقِدَ النور، ضاقتِ الصدور. ولو كان شيء نُور لكان آيةً من كتاب اللهِ تعالىٰ تزهِّد نحْن في الدنيا ونتْتَاف منها، ونرىٰ المحْنةَ فيها عينَ المنة. وإذا كَمُل عَقْل الإنسانِ زَهِد في الدنيا، وإن كان لا يؤمنُ بيومِ الحساب.

كما يروىٰ: أنّ بعْضَ المؤمنينَ أتىٰ طبيباً كافراً يتطبَّبُ عندَه، فقال له: ما أخبَرَكُم نبيُّكُم أن الدنيا فانية؟ قال له: بلىٰ، قال: أنا بي كذا وكذا عِلَّةً ما أخذْتُ لها دواء. يعني: أنه عرَف أنها فانية، ولكن ما مَعَه نُور.

كما كفارُ قريش: عقولٌ وافرة بلا نور. كمَثل مَن نَظَرُه زين جمّ لكنه في ظُلْمَة ما ينفعُه شيء، فلو أدركه النورُ ــ مثل سيدِنا عمرَ رضيَ الله عنه وأمثالِه ــ لكان بهَـرَ في الخير.

❋ ❋ ❋

وقال رضيَ الله عنه: الأمْرُ عندَ أهل الأصول للوجوب، حتىٰ يدُلَّ عليه دليلٌ خارجيٌّ إمّا للنْدبِ أو للإباحة.

❋ ❋ ❋

وقال رضيَ الله عنه: يكفـي الإنسـانَ فخـراً أن يُـنْسَـب إلىٰ ربِّـه: عبد الرحمن، وعبد الله؛ قال بعضُهم: كفاني عِزّاً أن أكون لك عبداً، وكفاني فخراً أن تكونَ لي ربّاً(١).

قال سيدُنا الحبيبُ محمد بن سُميطٍ رضي الله عنه: يُسْتَدَلُّ علىٰ كَمَالِ الشيخ عبدِ الله بن محمدٍ باعباد(٢) بدعاءِ الخَتْم الذي له؛ وإنَّهُ من كِبارِ العارفين الجَمِّ؛ لأنّه ما له تصانيف، وكان خمولياً رضيَ الله عنه.

❋ ❋ ❋

وقال رضيَ الله عنه: ما أعقَلَ الزاهِدَ وما أحْمَقَ الحرِيْص! وأهلُ

---

(١) ومنه قول الشيخ أحمد بن عمر باذيب في «دعائه»: (ويا حقّ، يكفيني فخراً أن أكون لك عبداً، ويكفيني عِزّاً أن تكون لي رباً)...إلخ. «الأدعية الأحمدية» (٢٤).

(٢) هو الشيخ عبد الله القديم، المتوفَّىٰ سنة ٦٨٧هـ.

الزمان طلبوا الدنيا إلىٰ جاوة والهند، والرسولُ عليه الصلاةُ والسلام يقول: «اطلُبوا العِلمَ ولو بالصين»(١)، عَكَسُوا الحال.

وزمـانٍ عُـكِّسَـتْ أحـوالُـهُ صارَ فيه الوجهُ في حَدِّ القَفا(٢)

وصار المعروفُ منكراً والمنكَرُ معروفاً والقلب ما يسمَع إلّا واحد.

قال تعالىٰ: ﴿مَّا جَعَلَ ٱللَّهُ لِرَجُلٍ مِّن قَلْبَيْنِ فِى جَوْفِهِۦ﴾ [الأحزاب: ٤]، إمّا جاءت الدنيا وامتلأ بها، وإمّا الآخرةُ وامتلأ بها، فآثِروا ما يَبْقىٰ علىٰ ما يفنىٰ. وَجِّهْ قلبَك إلىٰ العلْم الباقي؛ لأنّ به حياةَ القلب، وبفَقْدِهِ مَوتُ القلبِ، مثْلُ الماءِ للنخْلة؛ إذا ما سُقِيت يَبِسَتْ وماتت.

والإنسانُ يُمْضِي وقْتَه كلَّه في طَلِب العلْم. كما قال سيدُنا الحبيبُ عمرُ بن سقافٍ نفَع الله به:

مذْ نشَا في العلومِ طفلاً وشيخاً وارتَـقَـىٰ فـي كهـولـةٍ وشَـبـابِ

يا بَخْت مَن هذا وصفُه، ويا بخت أبويهِ ويا بخت مُجَالِسيه، فالسعادةُ كلُّ السعادة أن يموتَ الإنسان مُحبّاً لله وعارفاً بالله تعالىٰ. فمَن أحبَّ لقاءَ الله أحبَّ الله لقاءه. وعكْسُ ذلك ــ والعياذُ بالله ــ أن يموتَ جاهلاً بربِّه كارهاً للقائه، فمَن كرِه لقاءَ الله كرِهِ الله لقاءه. اللهمَّ احفَظْني بعينِك التي لا تنام. اللهمَّ احفَظْني مِن بين يديّ ومن خلفي.

---

(١) تقدم تخريجه.

(٢) من قصيدة للإمام الحداد؛ مطلعها:

يا رسول الله يا أهلَ الوفا يا عظيمَ الخُلْقِ يا بحرَ الصفا

قال بعضُهم: الحالةُ التي تحبُّ أن يأتيَكَ الموتُ وأنت عليها الْزَمْها من الآن. تُوفِّي سيدُنا عبدُ الرحمن السقافُ رضيَ الله عنه في صلاةِ العَصْر وهو سَاجد[١]، وكذلك من المتأخّرينَ الحبيبُ محمد بن سهل[٢]، أنا أتْـقُـنُه[٣]، توفّي في صلاةِ العصر. مقامٌ عظيم. اللهمَّ يا مَن وفقَ أهلَ الخيرِ للخير، وأعانَهم عليه، وفِّقْنا للخيرِ وأعِنَّا عليه، وافعَلْ ذلك بوالِدينا ووالدِيهم وأولادِنا وأحبابِنا وبجميعِ المسلمين.

* * *

وقال رضيَ الله عنه: قيل: إن قطرةً من الهوىٰ تُخمِّجُ بحراً من العلم. انظُرْ إلىٰ حال بلعام بن باعوراءَ لمَّا دخَلَه الهوىٰ، انسلخَ عن آيات الله واتبع هواه. وقال عليه الصّلاةُ والسلامُ لعائشةَ الصدِّيقيةِ رضيَ الله عنها ـ حين قالت: إنها كذا، تعني قصيرة ـ: «لقد قُلتِ كلمةً لو مُزِجَتْ بماءِ البحرِ لَمَزجَتْه»[٤] يعني لو قَدَّرْنا أن الكلمةَ جسْمٌ طُرِح في بحْرٍ عذبٍ لَغيَّرتْ طعمَه ولونَه وريحَه، مِنْ نـَتَن ريحِها وخبثِها. وفيه إشارةٌ إلىٰ أنها بحرٌ من العلم، وذلك لمَا في الكلمةِ من الهوىٰ؛ لأنها حريفتُها[٥].

---

(١) المشهور أن الذي توفي ساجداً هو الشيخ الإمام عمر المحضار ابن الإمام عبد الرحمن السقاف، توفي سنة ٨٢٣ هـ.

(٢) لعله يعني السيد محمد بن علي بن محمد بن سهل مولىٰ خيلة، لم أقف علىٰ تاريخ وفاته، وتقدم ذكر ابنه الحبيب عمر المتوفىٰ سنة ١٢٣٥هـ، وهم من أهل تريم، وهو مقبور عند السادة آل جمل الليل بجبانة تريم.

(٣) أي: أذكره.

(٤) رواه أبو داود (٤٨٧٥)، والترمذي (٢٥٠٢)، وأحمد (٦: ١٨٩).

(٥) أي: ضرّتها. وفي هذا إشارة إلىٰ سبب ورود هذا الحديث الشريف، وهو قول =

فإذا كان هذا حالَ الصدِّيقة رضيَ الله عنها، التي قال فيها عليه الصّلاةُ والسلام: «خُذوا نصفَ عِلمِكم من هذه الحُمَيرا»[١] فكيفَ حالُنا وحالُ نسائنا؟ فالانقباضُ وعدَمُ المخالطةِ أوْلىٰ بنا، واسْألوا من الله الحفظ.

ولهذا سُمِّيَتِ الغِيبةُ صاعقة الأعمال؛ لأنه قد يقَعُ مع الإنسانِ أعمال خمسينَ سنةً جاءتِ غِيبةٌ أعطَتْها خَطْفَةً[٢]، ورجَع في لا شيء. الجهد جمّ، وكلما حَصَّلَ شيٌّ خَذوه عليه. وكذلك العُجبُ مُحبِطٌ للعملِ كما قال عليه الصّلاةُ والسلام: «لو لم تُذنبوا لَخشِيتُ عليكم ما هو أعظَمُ من ذلك، العُجْبَ العُجب»[٣]؛ لأن الذنبَ يورِثُ العبدَ الانكسارَ والافتقار.

وقد قيل: «قُرْصٌ في بطنٍ جائع، أفضلُ من بناءِ ألفِ جامع»؛ إذا صحّتِ النية، يعني: لأن الأشياءَ الظاهرة قد يرىٰ نفسَه فيها الإنسانُ، مثلَ بناءِ مسجد أو غير ذلك، تحتاجُ إلىٰ تحريرِ النيات.

= السيدة عائشة: حسبكَ من صفية كذا وكذا، تعني أنها قصيرة.

(١) قال الحافظ ابن حجر: (لا أعرف له إسناداً ولا رأيته في شيء من كتب الحديث).. إلخ. وورد ذكر الحميراء في أحاديث غير هذا، والحميراء تصغير حمراء، والعرب تسمي الأبيض أحمر، ومنه حديث: «بعثت إلىٰ الأحمر والأسود». «كشف الخفاء» (١:٤٤٩ - ٤٥٠).

(٢) أي: اختطفها وجعلت أعمال تلك السنين لا شيء.

(٣) الحديث أخرجه القضاعي في «مسند الشهاب» (١٤٤٧)، وغيره. قال العلامة الغماري: (فالحديث إن لم يبلغ درجة الصحيح فهو حسنٌ ولا بد إن شاء الله). «فتح الوهاب» (٢:٣٦٩).

يُحكىٰ عن سيدِنا الإمام عبد الوهابِ الشعرانيّ[١]: أن بعضَهم استشارَه في الحج، وبايحج بجملة من العلماء معَه، وبا ينفق في ذلك كثيراً من المال، فقال له الشعراني: يا ولدي، لو أعطيتَني الذي باتنفقه في الحج، والثواب حاصل لك. قال له: باشاوِر نفسي: فلمّا رجعَ قال له: إن النيةَ برَزَتْ وأريدُ الحج. فقال له: يا ولدي، إذا دخَلَتِ الأموالُ من حيث لا، خرجت فيما تهواه الأنفُس. يعني: من حيث لا يرضي الله. ثم استشارَه آخَرُ في شي من الأموال الظاهرة. فقال له الشَّعْراني: لو أعطيتَني ذلك الذي باتنفقه. قال: صواب؛ المقصودُ حصولُ الثواب. فقال له: افعَلْ ما بدا لك. يعني: أنّ نيتَه صحيحة.

* * *

وقال رضيَ الله عنه: التَخلِّي، بالخاء المُعجَمة، عن المذموم، والتحلِّي، بالحاء المُهمَلة، بالمحمود. فمن تخَلَّىٰ عن الرذائل تحَلىٰ بالفضائل، تخلَّىٰ عن الحَسدِ تحلَّىٰ بالنصيحةِ للمؤمنين، تخلَّىٰ عن الكِبْر تحلَّىٰ بالتواضع، تخلَّىٰ عن الرِّياءِ تحَلّىٰ بالإخلاص. وهكذا... إذا تخلىٰ عن شيٌّ تحلىٰ بضدِّه؛ أو كما قال.

* * *

وقال رضـيَ الله عنـه: قال سيـدُنا عمـرُ بن عبد العـزيـز لولـدِه[٢]:

---

(١) المتوفىٰ بمصر سنة ٩٧٣هـ.

(٢) واسمه: عبد الملك؛ مات في حياة أبيه بالطاعون. قال الحافظ ابن الجوزي في «ترجمته» (٢٧٩): (وعن بعض مشيخـة أهل الشـام قال: كنا نرىٰ أن عمر بن =

يا بُـنَيَّ، لأَنْ تكونَ في ميزاني أَحَبَّ إليَّ مِن أن أكونَ في ميزانِك. فقال له: وأنا أُحِبُّ الذي تحبّ. يعني: أنه بغىٰ ولدَه يموت قبله؛ لأن قلوبَهم في الآخرة؛ والإنسانُ مَن قدَّم قبلَه من أولادِه يكونُ في صحائفِه، وإلا هو يكونُ في صحائفِهم.

وكانوا يَرَوْن أن ما أُوتيَ سيدُنا عمرُ بن عبد العزيز منَ المقامِ العزيز الكبير إلّا ببركةِ ولدِه المذكور؛ لأنه كان إماماً. حُكُّوا[١] علىٰ أولادِكم يكونوا لكم قرةَ عين.

❊ ❊ ❊

وقال رضيَ الله عنه: الدنيا سبيلٌ مسلوك، ومتاعٌ متروك.

❊ ❊ ❊

وقال: كم قليلٍ مِنَ العمل كثَّرتْه النيَّة، وكم مِن كثيرٍ قلَّلَتْه النيَّة؛ لأنّ الأعمال الظاهرة تحتاجُ إلىٰ إخلاصٍ جمّ. وأمّا الشيءُ الحقير ما يدخلُه رياءٌ ولا عُجب، يتضاعَف: ﴿مَّثَلُ ٱلَّذِينَ يُنفِقُونَ أَمْوَٰلَهُمْ فِى سَبِيلِ ٱللَّهِ كَمَثَلِ حَبَّةٍ أَنۢبَتَتْ سَبْعَ سَنَابِلَ فِى كُلِّ سُنۢبُلَةٍ مِّاْئَةُ حَبَّةٍ ۗ وَٱللَّهُ يُضَٰعِفُ لِمَن يَشَآءُ ۗ﴾ [البقرة: ٢٦١].

والمضاعفَةُ هي كَما يُحكَىٰ عن بعض الملوك: أنه تعلَّمَ لعبَ الشطرنج، فلما عرفَه قال للذي علَّمَه: سَلْني ما تريدُ إلّا المُلْك، فقال له: أريدُ منْكَ زِنَةَ هذه الحبَّة الشعيرة، وتُضاعَفُ هذه علىٰ عدد أبياتِ الشطرنج، فقال:

= عبد العزيز إنما أدخله في العبادة ما رأىٰ من ابنه عبد الملك). اهـ.

(١) أي: اسألوا وفتشوا.

هِمَّتُك دَنية، سَلْ شيئاً كبيراً. فقال: احسِبوها؛ فحسَبوها، ثم قالوا له: ما طلبَه منك لا يسَعُه بسيط الدنيا. وكانت عدَّةُ أبياتِ الشطْرنج فوقَ الستين، وقد طلب مُضاعفَةَ ذلك إلىٰ عددِها.

فالإنسان إذا أرادَ أن يدخُل في أمرٍ يحرِّرُ النية. والمغبونُ مَن غُبِنَ في حُسن النية؛ لأن الأعمالَ لا تُحسَب إلَّا بالنية، ويثابُ عليها إذا صحَّتْ وإن لم يعمَل، كما في قصةِ صاحبِ كُثْبانِ الرمل.

ومن النِّعَم الكبيرة: أنَّ الله تعالىٰ أمَرَ بالتَصدُّق وإن قَلّ، فلم يكلِّفنا التصدُّقَ بالكثير، وكذلك النبيُّ عليه الصّلاةُ والسلام بُعِث باليُسْرِ تخفيفاً لأُمتهِ، فقال: «لو أُهدِيَ إليّ كُرَاعٌ لَقَبِلْتُه»(١). وتصدَّقتْ سيدتُنا عائشة بنصفِ تمرة، وقالت: كم فيها مثاقيل. ﴿فَمَن يَعْمَلْ مِثْقَالَ ذَرَّةٍ خَيْرًا يَرَهُۥ﴾ [الزلزلة:٧]، وقد ورَد: أن الكِسَر واللُّقَم تكونُ يوم القيامة أمثالَ الجبال؛ لأنها لا يدخُلُها رياءٌ ولا فَخْر.

والإنسانُ إذا أرادَ أن يُطرِّفَ(٢) قهوةً أو طعاماً يميِّل(٣) منه قليل كل يوم، وينوي بذلك إحياءَ الإسلام، ودفعَ البلاء عن هذه الجهة، ثم إذا حصّل ما حصّل من ذلك يصرِفُه في أفْرَضِ الوجوه، وأعلاها: لِمَن يطلُبُ العلمَ العيْنيّ، حتىٰ تتضاعَفَ الصدَقة، ولا يستقِلَّ ذلك، فإنه لن يقِلّ عَمَلٌ مقبول، كما قيل:

---

(١) الحديث في «البخاري» (٢٤٢٩) في باب (القليل من الهبة).

(٢) أي: يقرِّب ويُعدّ.

(٣) أي: يُبْعِد.

افعَلِ الخيرَ ما استطعتَ وإنْ كا   نَ قليلاً، فلنْ تُحيطَ بكلِّهْ
ومتىٰ تفعَلُ الكثيرَ منَ الخَيْـ   ـرِ إذا كنتَ تاركاً لأقلِّهْ؟

يُروىٰ أن سيدَنا الإمامَ الغزاليَّ رضيَ الله عنه رُئيَ بعد موته، فقيلَ له: بماذا غفرَ الله لك؟ قال: إني كنتُ أكتُب يوماً، فبَرَح ذُبابٌ علىٰ سِنّةِ القلم، فخلَّيتُه إلىٰ أن رَوِي، فبهذا غَفَر الله لي. ولم يقل: بعلُومي ولا أعمالي ولا تصانيفي. عرفْتَ أن الشأنَ في حُسن النية.

قال سيدُنا عبدُ الله الحدّادُ رضيَ الله عنه: «وأَصْلِحْ قُصُودي والأعمال».

* * *

وقال أيضاً لِرجُلٍ من آلِ عبد الصبورِ[1] أهْلِ يَشْبُم: تريدُ أن تكونَ عالماً فقيهاً، أو صوفياً؟ قال: أريدُ فقهاً في الدِّين؛ فقال له: حُزْتَ الشيئين؛ كأنه أخَذَ ذلك من قولِهِ تعالىٰ: ﴿لِّيَتَفَقَّهُواْ فِي ٱلدِّينِ﴾ [التوبة: ١٢٢].

* * *

وقال أيضاً: في كتابِ «رياضِ الصالحين»[2] شَرْحُ أدلّة الصوفية، ونحن نتمنّىٰ إشاعتَه؛ لأنه نافع، ولا بعْدَ كلامِ الله إلاَّ كلامُ الرسول. عسىٰ الله يشرَح الصدور.

---

(١) آل عبد الصبور أسرةٌ معروفةٌ من آل محمد بن عمر الخولانيين، بمنطقة حَبَّان، ظهر فيهم فقهاءُ أعلام، ينظر للمزيد: «إدام القوت».

(٢) للإمام النووي، شهير للغاية.

وقال رضيَ الله عنه: قال بعضُ السلف: ما قَاطَع الناسُ الخيْرَ إلاّ بسبب التكلّف.

* * *

وقال أيضاً: مرَّ سيدُنا الحبيبُ علي بن حسنٍ العطاسُ هو ورجلٌ علىٰ امرأةٍ وبقُرْبِها رجُل. فقال له الرجل: يا سيدي، هذه المرأةُ جالسةٌ علىٰ الطريق. فقال له: رُحْ اضْرِبْها. فضرَبَها فلم تنزجِر، فلمّا سَارا قال له: أتدري بهذه المرأة؟ قال: لا. قال: هي الدنيا. قال الرجل: يا سيدي، بغيناهَا إن كانت هي الدنيا. فقال له: ما رأيتَ الرجلَ بقُربِها؟ ذاك الشيطان، لو زال من عندِها لأخذناها، لكنه ما يزولُ عنها؛ لأنها بنتُه يصطادُ بها الناس. أو كما قال.

* * *

وقال رضيَ الله عنه: قال لي عبدُ الله بَالسُّعود[١]: قال لي الحبيبُ جعفرُ بن أحمدَ بن زينٍ الحبشي[٢]: أدركْنا أهلَ شبامَ ثلاثَ طبقات[٣]؛ أولُ طبقة: لباسُهم كوافي[٤] بيض، وروادي[٥] شِمال[٦]. وثاني طبقة:

---

(١) كان من علماء الحوطة وقضاتها.

(٢) الملقب بجعفر السلطان، توفي بالحوطة سنة ١١٨٠هـ، تكرر ذكره.

(٣) أي: في أحوالهم المعيشية كما سيذكر.

(٤) الكوافي: الطواقي، جمع كوفية وطاقية، وهي القلنسوة.

(٥) جمع رادي، وهي الرداء الذي يوضع علىٰ الكتف (شال).

(٦) الذي يوضع علىٰ الكتف الشمال.

كوافي سُوسي[١]، وملاحفْ[٢] بِيض. وثالث طبقة: كوافي صنعانيات من نصْفِ قرش، وملاحف سُود.

قال سيدُنا: ومِن بعدُ توسَّعوا في الأشياء: مصانف[٣]، وكوافي صنعانيات من قرشين، ورجَعوا في غُرَب طويلة وعوائد، قُدْوتُهم فيها النساء، ومَن لا خَلاقَ له ممَّنْ عَقْلُه عقلُ النساء.

* * *

وقال رضيَ الله عنه: الإمامُ النوويُّ[٤] لم يتزوَّجْ، وتولىٰ القُطبية[٥]، وهو إمامٌ عظيم. قال سيدُنا الحبيبُ عبدُ الله الحدّادُ في وصْفِه: جاءنا بعلومٍ نحوِ ما جاء به الإمامُ الغزاليُّ معَ صغَرِ سِنِّه. سِنُّه خمسٌ وأربعون سنة، ولو بلَغَ سن الإمامِ الغزاليِّ وهو خمسٌ وخمسونَ لَبلغَ مقامَه. أو كما قال.

* * *

وقال رضيَ الله عنه: ورَدَ في الحديث: «الناسُ مُبتلَىٰ ومعافىٰ،

---

(١) لعلها صنع بلاد (سوس)، وهي بلد بالمغرب.

(٢) أي: رداؤهم ملحفة، وهي ثوب صوف محبوك الأطراف والحواشي، يتردَّوْن به.

(٣) المصانف: القماش الذي يحاك ثم يصبغ ويجعل إزاراً، وهو من قماش غليظ، ويكون مفتوحاً مثل (السباعية).

(٤) مولده سنة ٦٣١هـ، ووفاته سنة ٦٧٦هـ، توفي عن ٤٥ عاماً فقط رضي الله عنه.

(٥) ذكر ذلك الإمامان السخاوي والسيوطي في كتابيهما في ترجمته رضي الله عنه.

فارحموا أهلَ البلاء، واشكُروا اللهَ علىٰ العافية»[١]؛ ليس الشكرُ باللسان، بل بالسعي في عافيةِ المبْتَلىٰ، وأكثرُ الناس مُبتلًىٰ في دينه، فلا أفْضَلَ اليومَ من الدعوةِ إلىٰ الله والمعاونةِ عليها. وأهْلُ الزمانِ ما لهُمْ شيءٌ في المعاونةِ علىٰ الخير. ما حسرة إلاّ علىٰ قِل المعاونة.

والمجالس[٢] رجعَتْ إلاّ صُوَرْ، وعادةً ما لها ثَمرْ. معادْ حاجة لكثرة الاختلاف. أهلُ الزمانِ حَكَّموا العادة، وسُتِرتِ الشريعةُ وضاعَتْ، وهذا آخر الزمان، ما شيء يُستنكر فيه. ﴿هَٰذَا مَا وَعَدَ ٱلرَّحْمَٰنُ وَصَدَقَ ٱلْمُرْسَلُونَ﴾ [يس: ٥٢]؛ ولكنّ التذكيرَ معْذرة كما قال تعالىٰ: ﴿لِمَ تَعِظُونَ قَوْمًا ٱللَّهُ مُهْلِكُهُمْ أَوْ مُعَذِّبُهُمْ عَذَابًا شَدِيدًا ۖ قَالُوا۟ مَعْذِرَةً إِلَىٰ رَبِّكُمْ﴾ [الأعراف: ١٦٤]، بانخْرُج من العذر، والرجاءُ في الله، ما حَدْ ييأس من كرم الله تعالىٰ، ما بعيد إلاّ الذي بيدِ المخلوق، وأمّا الكريمُ سبحانَه ففَضْلُه باقي، ولكنه يبْغَىٰ تَعرُّض؛ لأن النفْحةَ ما تقع إلاّ لمَنْ تعرَّض لها[٣].

وأكثِروا من الدعاءِ بعدَ الدعوة، وكلُّ داعٍ يرىٰ أنه كغريقِ البَحْر، يُخلِصُ في الدعاء، ويُعظِمُ المسْألة، كما في الحديث: «إذا سألتُم فاسألوا اللهَ الفردوْس»[٤] ويدعو لغيرِه حَتّىٰ يحصُلَ المطلوب؛ كما في الحديث: «اسأَلِ اللهَ العافيةَ لغيرِك تُعْطَهَا لنفْسِك»[٥].

---

(١) الحديث لم أجده.

(٢) أي: مجالس العلم والتذكير.

(٣) كما في الحديث المتقدم: «إنّ لربّكم في أيامِ دهْرِكم لنفحاتٍ، ألا فتعرَّضوا لها».

(٤) الحديث أخرجه البخاري (٢٦٣٧).

(٥) الحديث لم أجده بنصه، ومعناه صحيح، وورد ما يؤيده في الصحاح.

وقال رضيَ الله عنه: مَن طلب زايد علىٰ الكفاية أوْرَثْته قِفَّاية؛ لأن الدُنْيا في آخِر زمان خَطِرة مع قِلِّ التوفيق، فيطلبُ الإنسان الكفاية والتكفّيَ بها، فإن ما قَلَّ وكفىٰ خيرٌ مما كثُرَ وألْهىٰ. لِيكُنْ بلاغُ أحَدِكُم كزادِ الرَّاكب.

* * *

وقال رضيَ الله عنه: حكْمةُ التواتُر في سماعِ العلم[1] تثمِرُ اليقين، وإلّا بقِيَ الإيمانُ واقفاً معَاذْ يزيد. والذي يثمرُ اليقينَ خَصلتان؛ انقسمَ الناسُ إليها:

فمنهم بكثرةِ المجاهدة: ﴿وَٱلَّذِينَ جَٰهَدُواْ فِينَا لَنَهۡدِيَنَّهُمۡ سُبُلَنَاۚ﴾ [العنكبوت: ٦٩]، مع الوَهبْ من اللهِ تعالىٰ، كمَثَلِ الصحابةِ رضيَ الله عنهم؛ ووَهْبٌ محْضٌ كسَحَرةِ فِرعون ﴿قَالُوٓاْ ءَامَنَّا بِرَبِّ ٱلۡعَٰلَمِينَ﴾ [الأعراف: ١٢١]؛ لأن قوةَ الإيمان هي اليقين.

ومنهم: بكثْرَة تواتُر سَمَاع العلْم، كسيدِنا الإمام الغزاليِّ والإمام النوَويِّ من علماء الظاهر؛ لأنهم بلَغوا اليقينَ بكثرة ما يطْرُقُ أسْمَاعَهم من العلم.

ومِثالُ اليقين المكْتَسَبِ بالتواتر: علمُكَ بمكة؛ فإنك لو أخبرَك جميعُ الخلق قالوا: ما شيْ مكّة[2]، لم تصدِّقْهم، مع أنك لم ترَها، فعلمُك بها يقين، واليقين معاذْ يقبل النقيض بسبب التواتر[3]، بخلاف غيرِها من البلادِ

---

(١) أي: كثرة سماعه، وتواليه.

(٢) أي: لو قالوا لك: لا يوجد شي اسمه (مكة).

(٣) التواتر هنا هو الاصطلاحي؛ بمعنىٰ: توفّر الدواعي علىٰ صحة القول بها.

كبلادِ بعلَبَكّ[١]؛ فإنك تسمَعُ بها أنها بلادٌ باليمن[٢]، فعلْمُك بها إيمان، لو أخبَرَك بها ناسٌ أن ليس شيئاً لصدّقْتَهم؛ لأن الإيمانَ يقبَلُ النقيض.

ثم اليقينُ علىٰ مراتب؛ فإنّك إذا رأيتَ مكَّة مثلاً بغَلَس زاد يقينُك، ويسمىٰ عندَهم (عِلْمَ اليقين)، فإذا دخَلْتَ إليها ورأيْتَ بيوتَها مع طلوعِ الشمس ازددْتَ يقيناً، ويسمىٰ (عينَ اليقين). فإذا تعرّفْتَ بأهلِها ورأيت الكعْبَةَ بلغْتَ النهايةَ في اليقين، ويسمىٰ (حقَّ اليقين).

لأجلِ هذا، بغينا كثْرَة المذكِّرين، حَتّىٰ يدخُلَ العلْمُ إلىٰ أسماع الجُهالِ مثلِ القبائل وغيرِها، فإنهم اسْمُ الإيمانِ معَهم، لكنه ضعيف، يصدِّقُ ويكذِّب، لأنه ما يحْضُر مجلسَ التذكير إلا في الفَيْنة[٣]، طَشَّهْ في مَطِي، ويُخشىٰ عليه عندَ المَوْت أن ينطفىءَ نورُ الإيمان؛ لأنه ما يتقوّىٰ إلاّ بالأعمالِ الصالحة، كمثلِ السِّراج بالسليط [أي: الزيت]، وهي الأعمال الصالحة.

ولا شيء عندي أفضَل اليوم من دعوةِ القبائل والإصلاحِ بينَهم وبين ربِّهم[٤]؛ لأنهم يتقاحَمُونَ في النار، ويشكُرُ النعمة الإنسانُ، يوم[٥] الله ما جَعله مثْل واحدٍ منهم، ولا الشكْرُ إلاّ السعيُ في نجاتِه وهدايتِه؛ حرِّرُوا

---

(١) بلدة بالشام.

(٢) أي: فرضاً.

(٣) أي: في النادر، أو مرةً بعد أخرىٰ.

(٤) أي: بتعليمهم فرائض الدين، وكل ما يرضي الرحمن.

(٥) أي: لأجل.

نيّاتِكم في هدايتهم، وكلما آذَوْكُم أحْسِنوا إليهم بالدعوةِ والتذكير؛ هذا مقامُ الإحسان، وإذا صدَقَتْ نيتُكم في هدايتهم رَثَوْا لكم وأشفقوا بكم، «الراحِمونَ يرحَمُهُم الرحمن»[١]؛ وكلُّنا خلْقُه سبحانَه وتعالىٰ، والقلوبُ بيده. أو كما قال رضيَ الله عنه.

❑ ❑ ❑

(١) الحديث أخرجه أبو داود (٤٩٠٢)، والترمذي (١٩٢٤).

ثم إن سيدي رضيَ الله عنه أصابه كرْبٌ عظيم، وعَلَّ منه النوم[١]، أخَذَ بنحوِ ستة أشهرٍ لا ينامُ الليل، وابتداأه من نصفِ شعبانَ سنة (١٢٤٩) تسعٍ وأربعينَ ومئتين وألف.

وفي آخرِ شعبان توفِّيتْ كريمَتُه سيدتُنا شيخَةُ بنْتُ سيدِنا الإمام عمرَ ابن زين ابن سُميط، وتحمَّل من ذلك، حيث لم يَعْلَمْ سببَه، وضعُفَ جسَدُه، وانقطع في البيت نحوَ شهرَين، وطلبَ من الناس الدعاءَ والحِلّ[٢].

وكثيراً ما يقول: كونوا أهلَ وفاء؛ ادْعُوا لي، حيث ذلك متَعَيِّنٌ عليكم. وكُلُّ مَن لقيَـهُ طلبَ منه الدعاء. وظنّ أكثرُ الناس أنه شيءٌ عُمِلَ له أعاذَه الله من ذلك، وقد أعاذَه.

ثم بعدَ ذلك، في آخرِ شهر عاشوراء[٣]، تفرَّجَ قليلاً، ولم يزل يشْكُو من السهر، إلاّ أنه أهْوَنُ مما مَضَىٰ، وخَرَجَ إلىٰ المسجدِ والمجالس بعْضَ الأحيان؛ حفِظَه الله بحفْظِه المَكين من كلِّ حاسدٍ وشان، آمين، آمين[٤].

* * *

وقال رضيَ الله عنه: سببُ الحرْصِ في غالب الخَلْقِ: تعظيمُ الناسِ لأرْباب الدنيا، فحينَ رأوْا ذلك تكالَبوا علىٰ الدنيا واشتَبَّت نارُ الحرْصِ

---

(١) أي: شرد منه بسبب القلق.

(٢) أي: المسامحة.

(٣) أي: محرم الحرام.

(٤) هذه الفقرة بتمامها غير موجودةٍ في نسخة شبام.

في القلوب، فتراهم في ولكٍ[١] عظيم: من (شامٍ) إلىٰ (يمنٍ) إلىٰ (مسكت). صدَّقوا الشيطانَ ولا صدَّقوا الرحمن حيث قال تعالىٰ: ﴿ٱلشَّيۡطَٰنُ يَعِدُكُمُ ٱلۡفَقۡرَ وَيَأۡمُرُكُم بِٱلۡفَحۡشَآءِۖ وَٱللَّهُ يَعِدُكُم مَّغۡفِرَةٗ مِّنۡهُ وَفَضۡلٗاۗ﴾ [البقرة: ٢٦٨]، أي: رزقاً؛ ويقول أحدُهم إذا ختَمَ: (صدَق الله العظيم) بقَوْله، ويكَذِّبُه بفِعْلِه، إلاّ مَن قِنعَ فهو صادقٌ في ذلك. ولهذا نحُثُّ علىٰ الاقتصادِ والقناعة، لأجْل تخْفيفِ العلائق.

وحضرَموتُ تحتاجُ إلىٰ ثلاثِ خصال: قناعةٍ في القلب، وهي أُمُّهُنّ؛ واقتصادٍ في الخَرْج؛ وكفايةٍ في اليد.

فإذا حصلَتْ هذه للإنسانِ عادُه يطلب ماذا؟ يطلبُ تعباً ومِحنة؟ يصيرُ خادماً للدنيا؟ وهو وعَبْدُه سواءٌ في اللُّقمةِ والخِرقة، بل عاده زائد بالحرصْ والمحنة، معذّب عَذَابَ الهَدَاهد[٢]. قيل: إن ذلك في قولِه تعالىٰ: ﴿لَأُعَذِّبَنَّهُۥ عَذَابٗا شَدِيدًا﴾ [النمل: ٢١]، أي: لأسْلبَنَّهُ القناعة. أو كما قال رضيَ الله عنه.

* * *

وقال رضيَ الله عنه ونفَعنا به: كان حالُ والدي عمرَ رضيَ الله عنه هذه الأبيات:

أَنِـسْتُ بوَحْدتي ولزِمتُ بيتـي فطابَ الأُنسُ لي وصَفا السرورُ

---

(١) أي: حركةٍ وسرعة.

(٢) جمع هُدْهد؛ وهو مثل يضرب!

كسيدِنا أحمدَ بن زينٍ الحبشي؛ قال ذلك هو[١] حينَ ذَكَرَ حالَ سيدِنا أحمدَ ابن زين، قال: وإن لم أُذْكَرْ، بالنسبةِ إلىٰ حالِ سيدِنا أحمد بن زين.

وفي أيامِ سيدِنا الحبيب محمَّدٍ صنْوِه[٢] قال: لم أقدِرْ أُجالس الناس، ولم أَمَلَّ النظَرَ إلىٰ سيدِنا محمد بن زين، ولمّا توفيَ سيدُنا الحبيبُ محمدٌ انبسطَ للناس؛ لأنه تعيَّنَ عليه[٣].

* * *

قال سيدُنا رضيَ الله عنه: الأولياءُ المخالِطُونَ للناس لأجْل دعْوَتِهم، أفضَلُ من المنفردينَ والمعتزلينَ في البراري؛ لأنهم يكابدونَ عناءَ المخالطة، وإلىٰ ذلك يشيرُ قولُ سيدِنا الحبيب عبدِ الله الحدّاد:

* ومنهمْ رجالٌ ظاهرونَ بأمْرِهِ[٤] *

---

(١) أي: والده الحبيب عمر.

(٢) أي: أخوة، والصنو: أخو الأب، أصلها عربيٌّ فصيح، وشائعة في لهجة أهل اليمن. وكان الحضارمة في زمن المؤلف وبعده يستخدمونها، ثم اختفت في أيامنا هذه.

(٣) أي: المجالسة والبروز لهم.

(٤) تمام البيت:

* لإرْشادِ هذا الخلْقِ نهْجَ الطريقَةِ *

«الديوان»: (١٠٦).

وقد سئلَ[١] عن أفضل المذكورينَ في هذه القصيدة؛ فأشار إلىٰ هذا البيت. أو كما قال.

❋ ❋ ❋

وقال رضيَ الله عنه: امتَسَختِ الأعمارُ في الأسفار.

❋ ❋ ❋

وقال أيضاً: فضائلُ التوحيد، تُقابلُها: فضائحُ الشِّركِ؛ احذَروا من الشِّرْكِ جميعِه، وحذِّروا أولادكم ونساءكم من ذلك. قال عليه الصّلاةُ والسلام: «مَن حَلَفَ بغيرِ اللهِ فقد أشرَكَ»[٢]. ليَنْتَهِيَنَّ أقوامٌ عن الحَلِفِ بغيرِ الله، أو لَيكونُنَّ أهوَنَ علىٰ اللهِ مِنَ الجُعْلانِ[٣]. أو كما قال.

وقال تعالىٰ: ﴿ٱلَّذِينَ ءَامَنُواْ وَلَمْ يَلْبِسُوٓاْ إِيمَـٰنَهُم بِظُلْمٍ﴾ [الأنعام: ٨٢]، لمَّا نزلتْ هذه الآيةُ شقَّ ذلك علىٰ الصحابة، وقالوا: يا رسولَ الله، أيُّنا لم يَلبِسْ إيمانَه بظلم؟ فنَزَلَ قولُه تعالىٰ: ﴿إِنَّ ٱلشِّرْكَ لَظُلْمٌ عَظِيمٌ﴾ [لقمان: ١٣]، ففَسَّر الظلمَ بالشرك[٤].

---

(١) أي: الإمام الحداد وأنشدت بين يديه القصيدة التائية الكبرىٰ التي هذا البيت منها، فلما وصل المنشد إلىٰ هذا البيت، قام الإمام الحداد ومن حضر عنده، إلىٰ أن تمت القصيدة، ينظر «الديوان» (١٠٢) وما بعدها.

(٢) رواه بلفظه الإمام أحمد في «مسنده»، وابن حِبّان في «صحيحه» (١١٧٧)، وبلفظ (الكفر): الترمذي (١٥٣٥) وغيره.

(٣) لم أجده.

(٤) «البخاري» باب (ظلم دون ظلم) حديث (٣٢) و (٣٢٤٥).

والصغارُ والنسَاءُ لا يزالونَ يحْلِفُون بالمَخْلوقين، حَذِّرُوهم من ذلك: ﴿قُوٓاْ أَنفُسَكُمۡ وَأَهۡلِيكُمۡ نَارٗا﴾ [التحريم: ٦].

* * *

وقال رضيَ الله عنه: المعاصي ثلاثُ مراتب، أعظمُها: الكفرُ، والعياذُ بالله، ثم البدعة، ثم الفِسق.

حذِّروا أولادكم واحذَروا من جميع ذلك، واعتَنوا، واطلُبوا ما يجمَعُ القلوب، حتىٰ تأتيَ النُّصْرَةُ إذا حصَلَ الاجتماع. فالاجتمَاعُ رحمةٌ، والفرقةُ عذاب، ﴿وَلَا تَنَٰزَعُواْ فَتَفۡشَلُواْ وَتَذۡهَبَ رِيحُكُمۡۖ﴾ [الأنفال: ٤٦]، أي: نُصْرَتُكم، اطلُبوا ذلك قبلَ رحمة المطر. اللهمَّ اجمَعْ قلوبَنا علىٰ التقوىٰ.

وتعاطَوْا أسبَاب الاجتماع. قال عليه الصّلاةُ والسلام: «ألَا أدُلُّكم علىٰ شيءٍ إذا فعَلْتُموه تحاببْتُم؟ أفْشُوا السّلامَ بينكم»(١)، تصافَحوا يذهَبِ الغلُّ مِن قلوبِكم. «تهادَوْا تَحابُّوا»(٢)، ولطِّفوا الهديةَ حتىٰ ما تثقُل ولا تنقطع.

قال بعضُ السلفِ رضيَ الله عنهم: إنما تقاطَع الناسُ الخيرَ بسَبب التكلف. والنبيُّ ﷺ ما أتىٰ إلّا بالسهالة، «ما خُيِّـرَ بينَ شيئَينِ إلّا اختارَ أيسرَهما ما لم يكن إثماً»(٣)، «ولو أُهدِيَ لي ذراعٌ أو كُرَاعٌ لَقبِلت، ولو دُعِيتُ إلىٰ ذراعٍ أو كُراعٍ لأجبْت»(٤).

---

(١) رواه مسلم (٥٤).

(٢) أخرجه الإمام أحمد، والبخاري في «الأدب المفرد» (٥٩٤)، وغيرهما.

(٣) رواه مسلم (٢٣٢٧).

(٤) قدمنا تخريجه.

وقال: الزهد حِكمة، والزاهدُ حكيم، والقناعةُ حِكمةٌ، والقَنوعُ حكيم. الزاهدُ فهيم، والحريصُ بليد. (فلا تكنْ به يا بليد مهموم)، أي: بالرزق.

ومِن كيدِ الشيطان: هذه العوائدُ والتكلُّفات، حتىٰ يمضيَ عمُرُ الإنسان وهو مهمومٌ مغمومٌ محزون، وذلك مقصودُ اللَّعين: ﴿لِيَحْزُنَ ٱلَّذِينَ ءَامَنُوا۟ وَلَيْسَ بِضَآرِّهِمْ شَيْـًٔا إِلَّا بِإِذْنِ ٱللَّهِ﴾ [المجادلة: ١٠]، فهذه العوائد مَجبَنَـةٌ مَحْزَنَة مَبْخَلة، خصوصاً هذه القهوة، التي وقَعَتْ علىٰ أهل الزَّمان محنة وفتنة، علىٰ النساء والرجال.

قال سيدُنا عمرُ بن سقافٍ في «تفريح القلوب»: «خرجَتْ هذه القهوة، التي فيها الجَفَلُ والسكر، عنِ القهوةِ الممدوحة، التي مَدَحها الصالحون». أو ما هذا معناه.

ولأنّ الوسائلَ لها حكْمُ المقاصدِ، ولا هي لكلِّ الناس.

وفي بعضِ المجالس قُرئَ عند والدي عمرَ رضيَ الله عنه في كتابِ «الـزهْر الباسم في مناقب الشيـخِ حاتـم»(١) الأهـدل(٢)، تصنيفَ سيـدِنا عبد القادر بن شيخ العيْدَروس(٣) صنفَه في شيخِه المذكور، ومدح القهوة جَمّ، ثم قال سيدُنا عمر: هذا الكلام ألاّ لِيْ ما هو لكلِّ الناس.

---

(١) منه نسخةٌ بمكتبة جامع صنعاء الغربية.

(٢) توفي سنة ١٠١٣هـ.

(٣) توفي سنة ١٠٣٨هـ؛ تنظر ترجمته في كتابه «النور السافر».

قال سيدي رضيَ الله عنه: لا أحدَ يغشُّ نفسَه يتشبَّهُ بالصالحين وليس منهم. قيلَ لبعض الناس وهو في مجلس سيدِنا عبدِ الله الحدّاد: فلان، ما تقولُ لو أتاك الموتُ الآن؟ قال: حبيبٌ جاء علىٰ فاقة. فشقَّ ذلك علىٰ سيدِنا عبد الله، وقال له: تتشبَّه بالأكابرِ وأنت من أصغرِ الأصاغر؟ وقال: تدري من قال هذه الكلمة؟ هو بعضُ الصحابةِ رضيَ الله عنهم. أو كما قال، وأستغفرُ الله.

❊ ❊ ❊

وقال رضيَ الله عنه: أهلُ العلمِ الذين صنَّفوا نظْماً ونثْراً، مثلُ سيدِنا عبد الله الحداد، والحبيبِ طاهر بنِ حسين، وأخيه عبد الله، خرَجوا منَ العُذر، ومِن كَتْمِ العلم. خطَبَ سيدُنا أبو هريرةَ رضيَ الله عنه ثم قال: «واللهِ لأرْمِينَّها بينَ أظهُرِكم، ما لي أراكم عنها غافلين؟». ولكنها تظهَرُ عقوبةً علىٰ مَن لا يمتثلُ نُصرةً للدعاةِ إلىٰ الله؛ «مَن عادىٰ لي وليّاً فقد آذنْـتُه بالحرب»[١].

قال سيـدُنا الحبيبُ محمد بن زين بن سُميطٍ رضيَ الله عنه للسيدِ عبد الله مقيبل[٢]، حينَ خرَجَ إلىٰ حضرَموتَ مِن ظَفَار، وكان جالساً عندَه في أيام مَحَطِّ المَكْرُميِّ[٣] علىٰ البلاد، ومَن عندَه يخوضُونَ أنّ المكْرُميَّ

---

(١) جزء من حديث رواه البخاري (٦٥٠٣).

(٢) هو السيد عبد الله بن حسن بن محمد بن علوي مقيبل، توفي جده علَويٌّ بظفار سـنة ١٠٠٨هـ، وبقي نسـله بها. وهو جد السـيد الولي عبد الله بن أبي بكر بن عبد الله مقيبل المتوفىٰ بالعرسمة سنة ١١٩٥هـ.

(٣) هو حسن هبة المكْرُمي، بسكون الكاف وضمّ الراء، خرج من البحرين أو نجران=

سار[١]، فقال الحبيبُ محمدٌ لبعض الحاضرينَ ممّن كان يعرِفُ المَكْرُميَّ واتفقَ به: يا فلان، اخرُجْ عَرْضَ البلاد[٢]، وتحققْ علىٰ نفوذِه[٣]، فإن أخطَأ (حِصنَ سعَيْدِيَّهْ)[٤] فلك هذه الكوفية؛ وكانت علىٰ رأسهِ. فلما خرَجَ قال الحبيبُ محمدٌ للحاضرين: باقول لكم كلمة واخفوها: خروج المَكْرُميِّ نصْرَةٌ لعبدِ الله الحداد. أو كما قال.

❊ ❊ ❊

قال سيدِي رضيَ الله عنه: ولا ظهَرتِ المخالفاتُ إلا بعدَ موت الكبار:

بهم يدفَعُ اللهُ البلايا ويكشِفُ الـ ... ـرَّزايا، ويُسْدِيْ كلَّ خيرٍ ونعمةِ[٥]
ولولاهُـمُ بيـنَ الأنـامِ لَدُكـدِكَـتْ ... جِبـالٌ وأرضٌ لارتكـابِ الخطيئـةِ

أو كما قال.

❊ ❊ ❊

= قبل سنة ١١٧٢هـ ومعه جيشٌ كبير، وحطّ علىٰ شبام وحاصرها مدة (٤٠) يوماً، وهو من الإسماعيلية الباطنية وعدد من كانوا معه (٤٠٠٠) أربعة آلاف.

(١) أي: ذهب.

(٢) أي: خارج البلاد (شبام).

(٣) أي: سفره.

(٤) حصنٌ معروفٌ أسفلَ جبل (الخبّة) مقابل شبام. وأخطأه، أي: جاوزه.

(٥) من التائية الكبرىٰ للإمام الحداد (١١٦).

وقال رضيَ الله عنه عندَ قوله: (والظلامُ اعْتَكَرْ)، يعني: ظُلمةَ الجهلِ التي عَمَّت، ولا يُخْرِجُ منها إلاَّ نُورُ العلم، وكلُّ مدْحٍ في الصّلاة، أو حثٍّ عليها، فهو علىٰ العِلم، إذْ مَدْحُ المشروطِ والحثُّ عليه مدْحٌ وحثٌّ علىٰ الشرط، وهو العلم، إذ لا تصِحُّ الصلاةُ ولا غيرُها إلاّ به. أو كما قال.

* * *

وقال رضيَ الله عنه: لمّا سارَ سيدُنا الحبيب محمدُ بِنْ سُميطٍ لزيارةِ الحبيب حسين بن عمرَ العطاس[1]، سأله: لِمَ هذا الانزواءُ البالغُ من سيدِنا عمر بن عبد الرحمنِ العطاسِ[2] عن الدنيا؟ فقال له: إيثاراً للراحة. وذلك حِينَ تذاكَرَا أن بعضَ الزيود معَ خروجِهم حضرَموت[3] أهدىٰ لسيِّدنا عُمَر خريطةً فيها مَشَاخِص[4]. فقال له سيدنا عمر: قبِلْناهَا منك ووهْبناها لك.

* * *

قال سيدُنا رضيَ الله عنه: والراحةُ في الدنيا هي مَعَ الزاهدين، كأُوَيسٍ القَرَنيّ، وإبراهيمَ بنِ أدهم، فهمُ الملوكُ حقيقةً، كما قيل:

ملوكٌ علىٰ التحقيقِ، ليس لغيرِهم ... مـنَ المُـلْـكِ إلاّ إثمُـهُ وعقـابُـهُ

---

(١) توفي الحبيب حسينُ العطاس بحريضة سنة ١١٢٩هـ.

(٢) توفي الإمام عمر العطاسُ بحريضة سنة ١٠٧٢هـ، وهو من شيوخ الإمام الحداد.

(٣) وذلك في سنة ١٠٧٠هـ، وكان علىٰ رأسهم السيد الصفي أحمد بن حسن، المتوكل علىٰ الله، الملقب سيل الليل.

(٤) أي: سبائك ذهب.

تغَدّىٰ بعضُ الملوك يومَ العيد قُرصاً من غيرِ إدام، فقال له وَلدُه: يا أبتِ، تأكلُ هذه، والناسُ اليومَ في عيدِهم ومأكولاتِهم؟ قال له: وأنت يا ولدي إن بغيت المُلْك يدوم لك، سِرْ بسَيْري.

قال سيدُنا: لأنّ أهلَ المراتب والمناصبِ بهمُ الأسْوَة والقدْوَة. انظُرْ إلىٰ حال المصطفىٰ عليه السّلامُ في اقتصادِه وقناعتِه، رِفقاً بأُمتِه حَتىٰ يتأسَّون ويقتدون به، ﴿لَّقَدْ كَانَ لَكُمْ فِي رَسُولِ ٱللَّهِ أُسْوَةٌ حَسَنَةٌ﴾ [الأحزاب: ٢١]، ﴿وَمَن يَرْغَبُ عَن مِّلَّةِ إِبْرَٰهِـۧمَ إِلَّا مَن سَفِهَ نَفْسَهُۥ﴾ [البقرة: ١٣٠]. ظلمْنَا «سُنةَ» محمدِ بن عبد الله ﷺ، واتَّبعْنا «سُبَّةَ» الشيطان، باتِّباعِ العوائد والإسراف ﴿إِنَّ ٱلْمُبَذِّرِينَ كَانُوٓاْ إِخْوَٰنَ ٱلشَّيَـٰطِينِ﴾ [الإسراء: ٢٧].

قال بعضُ السلف: مَن شهدَ الضعفَ من نفسِه نال الاستقامة. كَمالُ الإنسانِ في شهودِ ضَعْفِه، ونقْصُه في شهودِ كماله.

❊ ❊ ❊

وقام سيدُنا رضيَ الله عنه لدخولِ الحبيب عمرَ بن زينٍ الحبشيِّ[١] في المجلسِ إجلالاً له، فقال له الحبيبُ عمر: لا تقومُوا؛ الله يرْضىٰ عليكم. قل له سيدي: خَلّنا حصِّل دعاك بالرضا.

ثم قال سيدي رضيَ الله عنه: الأَوْلىٰ أن تقول: اللهُ يَرْضىٰ عَنْك، لأجل اتّباع القرآن ﴿رَّضِىَ ٱللَّهُ عَنْهُمْ وَرَضُواْ عَنْهُ﴾ [البيّنة: ٨]، فإنه عَدَّاه بعَنْ،

---

(١) من آل الحبشي سُكّان بلدة (ثبي) بقرب تريم، توفي بها سنة ١٢٥٥هـ، ودفن بتريم.

إلاّ أن تجعَلَه بمعنىٰ العَطْف يَسُوغُ أن تعدِّيَهُ بعَلَىٰ، كما في قولِه: اللهم صلِّ علىٰ محمَّد، يعني: اللهم ارحَمْه. والرضا أعلىٰ مقاماتِ اليقين، وأقصىٰ مطالبِ الصالحين.

قال سيدُنا محمدُ بِنْ سُميطٍ رضيَ الله عنه في «شرح يا ربِّ يا عالِمَ الحال»(١)، عندَ قوله: (أقصىٰ مُرادي رِضاؤكَ الدائمُ الحال): بيَّنَ الناظمُ قوله(٢): (حاجةً في النفسِ يا ربِّ)(٣). . . إلخ بقولِه: (أقصىٰ مُرادي)(٤) إلخ؛ والرضَا نتيجتُه الخلودُ في الجنة، كما أن السَّخَطَ ــ والعياذُ بالله ــ نتيجتُه الخلودُ في النار. أو كما قال، وأستغفرُ الله.

* * *

قال سيدي رضيَ الله عنه: قال الحبيبُ محمدُ بِنْ سُميطٍ لجدِّك محمد لَعْجَم حين رأىٰ كثُـرَ إنفاقُه في الخير: محمد، كَثَّرْتوا جمّ، عسىٰ المال

---

(١) واسم ذلك الشرح: «الكواكب الدُرِّية شرح الأبيات السَّحَريّة».

(٢) أي: بين الناظم مراده في قصيدته الأخرىٰ. . .

(٣) هو قوله:

حاجةٌ في النفسِ ياربِّ ... فاقضِها يا خيرَ قاضِ
وأرِحْ سرِّي وقلبي ... مِن لظاها والشُّواظِ

إلىٰ آخرها.

(٤) أيْ: قوله:

ربِّ عليكَ اعتمادي ... كما إليكَ استنادي
صدقاً، وأقصىٰ مُرادي ... رضاؤك الدائمُ الحالْ

والحال يقتضي ذلك؟ قال له: لا؛ هُوَ إلاّ يا حبيب: عسىٰ شيءْ يكفِّر شيءْ، أمَّا غَبْن مستَيسِر[١]. أو كما قال.

قال سيدُنا رضيَ الله عنه: ﴿وَٱلَّذِينَ يُؤْتُونَ مَآ ءَاتَواْ وَّقُلُوبُهُمْ وَجِلَةٌ﴾ [المؤمنون: ٦٠]، طرَحَ النظَرَ عليهمُ الأكابر[٢].

* * *

وقال رضيَ الله عنه: كان حبيبي زين بن عَلَويٍّ[٣] له مدخلٌ في جميعِ الأولياء، ويحبّونَه. وكان سيدُنا عبد الرحمن الرَّخْمَليُّ تلميذُ سيدِنا عبد الله الحدّاد الذي قال له: يا سيِّد عبدَ الرحمن ما تشرَبُ القهوة؟ قال: لا. قال: إذاً أنت حُر.

وكان لا يشرَبُها[٤] إلاَّ في المسجد؛ يقوم الليلَ في مسجدِ السقاف بتَرِيم، ويأتي بالقهوةِ له آخرَ الليلِ سيدُنا زينٌ المذكور.

ولمّا توفِّيَ الحبيبُ زين؛ قالَ الرخْمَليُّ المذكور: اشهَدوا عليَّ أن السيدَ زين شيخي، وأن قبرَه روضةٌ من رياض الجنة؛ وأن الدعاءَ مستجابٌ عندَ قبره. قال سيدُنا محمدُ بِنْ سُميط: فأخذتُ كلامَ الحبيبِ عبد الرحمن

---

(١) هكذا العبارة في الأصل.

(٢) الآية شاهد حال المذكور، أي: أنهم صاروا إلىٰ تلك الحالة الراقية بسبب تربيتهم واعتناء الأكابر بهم، ويعني بالأكابر هنا: سيدنا الإمام الحداد.

(٣) المتوفىٰ بشبام سنة ١١٤٠هـ.

(٤) أي: الإمام الحداد.

بقوّة، فإذا همَّني أمرٌ خرجْتُ إلىٰ عندِ قبره[١]، فاستغثْتُ به، فتُقضَىٰ لي حاجتي.

وكان السيدُ عبد الرحمن المذكورُ كاتباً؛ نسخَ خِزانةَ كتُبٍ بقلمِه، ولم يتزوّجْ، كانت له جاريةٌ يُعلِّمُها الأورادَ والأذكار.

❊ ❊ ❊

قال والدي عمرُ رضيَ الله عنه: طلب والدي زينُ بنُ علويٍّ الحبيبَ عبدَ الله الحدادَ للغداء، ونحن بالرملة[٢]، وذبحوا له، وفعَلوا الغداءَ هريس، فجاء سيدُنا عبد الله، فقرَّبوا الغداء، وكنت صغيراً، فحينَ رأيتُ الغداء ما فوقَه لحم، قلت: أينَ اللحم؟ فقال سيدُنا عبد الله ــ وقد قال لهم: اجعَلوا الصغارَ بجنبي ــ: من ذا يتكلم؟ لأنه في سمْعه ثقل؛ قالوا له: عمر! قال: ماشي لحْم فوق الغداء. قال له: عُمَر! قِدُهْ وسْطُه.

ثم قال له الحبيبُ زين: إن بين عُمَر وعلي ــ يعني ابنَـيْه ــ مودةً زايدة، معَ أن سِنَّهما متقارب. قال له سيدُنا عبدُ الله: أينَكَ من مودةِ سيدِنا عمر ابن الخطاب، وسيدِنا علي بن أبي طالبٍ رضي الله عنهما؟ ثم قال له الحبيبُ زين: عُمَر فيه صلابة. قال له سيدُنا عبد الله: أينَكَ من صلابةِ سيدِنا عمَرَ بن الخطاب. قال سيدي رضيَ الله عنه: أفْهمَ الإشارة إلىٰ عِظَمِ المقامِ في المشابهة.

---

(١) أي: قبر والده الحبيب زين بن علوي المذكور.

(٢) موضع بقرب تريم.

قال[١]: وقرأ والدي عُمَر علىٰ سيدِنا عبد الله سورَةَ الفاتحة، ومسحَ علىٰ رأسِه؛ وكانَتْ من عادةِ سيدِنا عبد الله الحدادِ إذا دخَلَ عليه الصغيرُ يرفَعُ كوفيَّته ويمسَحُ علىٰ رأسِه ويقول: بارَكَ اللهُ فيك.

توفيَ سيدُنا عبدُ الله وسنُّ الوالد[٢] نحوُ ثلاثَ عشرةَ سنة. قال: أُتقِنُ[٣] قراءةَ القرآن علىٰ سيدنا عبد الله الحداد في الرَّوْحة، بعْضُهم في «البغَويّ»[٤]، وبعضُهم في «المُكاتبة»[٥].

وختَم القرآنَ[٦] أيامَ مَوتِ سيدِنا عبد الله الحداد، قال والدُه: إذا فاتْ نحْن الحبيب عبد الله الحدّاد، لا يفوت نحن الحبيب أحمد بن زين، فقرأَ الوالدُ عليه السُّوَر والخَتْم. أو كما قال.

وقال رضيَ الله عنه: كان سيدُنا الحبيبُ عبد الله الحدادُ يُثني علىٰ الحبيب جُنَيدٍ[٧] ــ جدِّ الحبيب أحمدَ جنيد[٨] ــ ويشيرُ إليه. وقال: إنه

---

(١) أي: الحبيب أحمد بن عمر.
(٢) أي: الحبيب عمر بن زين بن سميط.
(٣) أي: أتذكر.
(٤) أي: «تفسير البغوي»، وكان للإمام عنايةٌ به.
(٥) لعلها: مكاتبات الإمام رضي الله عنه.
(٦) أي: الحبيب عمر بن زينِ المذكور.
(٧) هو السيد الشريف، الوليّ الصالح، الجُنيدُ بن علي بن أبي بكر الجنيد، هارون جمل الليل باعلوي، توفي بتريم سنة ١١١٧هـ، وهو أحد الأوابين الأربعة الذين كانوا يُثني عليهم الإمام الحداد.
(٨) وهو السيد العلامة أحمد بن علي بن هارون بن علي بن الجنيد.. ولد بتريم سنة =

من الأبدالِ الذي ودِدْنا أنَّ بيوتَهم تتفرَّقُ في تَريمَ حتىٰ يتمَّ الحفظُ لها، فما اتفقَ ذلك، حيث كلُّها بالنويدرة(١). ولمّا توفيَ جُنيدٌ المذكورُ قال سيدُنا عبدُ الله لمَن عندَه: قوموا احضُروا جنازةَ جنيد، ولولا الضعفُ لحضَرْنا.

وكان رضيَ الله عنه(٢) يعظِّمُ الحبيبَ أحمد بنَ عمرَ الهُندوان(٣)؛ ولمَّا سألَ الحبيبُ المذكورُ(٤) الحساويَّ(٥) عن الفقرِ المستعاذِ منه: ما هو؟ فأجابه بما يسمَعُه عن سيدِنا عبد الله. قال له: ما هو كذا، اسأَلْ حبيبَكَ عنه. يعني سيِّدَنا عبْدَ الله. ثم سَألَ الحساويُّ سيدَنا عبدَ الله فقال له: إذا سَألك قُل: اللهُ ورسولُه أعلم. فسألَه ثانياً سيدُنا احمَدُ المذكور، كأنَّه لم يسألْه؛ فأجاب: اللهُ ورسولُه أعلم. فقال له: هو خَوْفُ الفقْر.

* * *

قال سيدي رضيَ الله عنه: كان الحبيبُ أحمدُ الهُندوانُ المذكورُ يعيدُ

= ١١٩٥هـ، وبها توفي سنة ١٢٧٥هـ، أفرده بالترجمة العلامة السيد عبد القادر الجنيد بكتابٍ حافلٍ سمّاه «العقود العسجدية» مطبوع.

(١) من أحياء تريم المعروفة.

(٢) أي: الإمام الحداد.

(٣) المتوفىٰ سنة ١١٢١هـ. كان من أجِلّةِ علماء بني علوي، ومن أقران الإمام الحداد، له رحلات إلىٰ الهند.

(٤) أي: الهندوان.

(٥) الشيخ أحمد بن عبد الكريم الأحسائي، تلميذ الإمام الحداد.

الصلاةَ مراراً، وذلك علىٰ خلافِ المقرَّر[١]، ولكن بعضَ الأولياء ما يحسَبُ الصلاةَ حتىٰ يرىٰ أماراتِ القبول[٢].

قال: فأتىٰ لسيدِنا أحمد بن زينٍ الحبشيِّ ليُصلي. قال له: أُصلي بك؟ قال: نعم. فصلّىٰ به، فقرأَ في الركعةِ الأولىٰ سورةَ يوسُف، ثم أسرعَ في آخرِ الصلاة جدّاً بحيث لم يُدرِكْه سيدُنا أحمَد، فأصاب سيدَنا احمدَ بنَ زينٍ بكاءٌ في الصّلاة.

ثم ذَكَرَ أحوالَ أصحابِ الشَّيخ ابنِ عَرَبي، وأن بعضَهم يضطربُ في الحَضْرةِ[٣] رضيَ الله عنهم.

إلٰهي بحقِّ القومِ مُنَّ بتوبةٍ   مِنَ الذنبِ تغسِلْنا بها أبلَغَ الغَسْلِ[٤]

* * *

وقال رضيَ الله عنه: بعضُ الناس يقَع حجابُه رقيقاً، خصوصيات. قال والدي عمر: كان محمدُ بن عُقْبَة سُدَيْس[٥] يقرأُ القرآنَ أنا وإياه؛ فقال لي: هذا الحبيبُ محمد بن سُميط أدخلَ رأسَه بيني وبينَك. وسيدُنا الحبيبُ محمد حينَئذٍ قد توفّي، وكان محمدٌ المذكورُ يعلِّمُ القرآن خاملاً في الناس.

---

(١) أي: عند الفقهاء.

(٢) هذا تعليل من الحبيب أحمد بن عمر واعتذار.

(٣) أي: في حضرة رب العالمين.. في الصلاة.

(٤) للإمام الحداد، من القصيدة التي مطلعها: أقومُ بفرْضِ العامريّةِ والنفْلِ. . . .

(٥) آل سديس عقبة: أسرةٌ معروفةٌ بشبام؛ وكان الشيخ المذكور قائماً بوظيفة الجامع؛ توفي سنة ١٢٩٩ هـ، تنظر ترجمته في مقدمة كتابه «تقريب الشاسع».

يقول الوالد: إنه أوَيْسيٌّ، يعني أن مذهبه مذهبُ أُويس القرَنيِّ في الخمول. وكان وِرْدُه في قيامِ الليلِ من سُورةِ (تبارك) إلىٰ آخرِ القرآن، لأجلْ الحديث: «من قَرَأَ ألفَ آيةٍ في ليلةٍ كُتِبَ من المُقَنْطِرين»(١).

قال: وكان والدي يقول للذين عندَه: قرأتُ الكتُبَ إلاّ لأجلِكم، وأنا أودي أن القراءة كلُّها قرآن. ومعي هذه البِشارةُ عن بعضِهم: إذا تنوّرتِ القلوبُ لم تشبَع من قراءةِ القرآن. مَنِ استأنسَ بالكفايةِ استوحشَ من الغُربة، ومَن تبِعَ مطالبَ نفسِه مات غريباً في البُعدِ حسّاً ومعنىٰ: البُعدِ عن وطنِه والبُعدِ عن الله.

قال العيْدَروس:

مضىٰ العُمْرُ في غُرْبهْ   لا طاعهْ ولا قُربَهْ

أو كما قال.

* * *

وقال رضيَ الله عنه عندَ قراءةِ قولِه تعالىٰ: ﴿وَٱتۡلُ مَآ أُوحِيَ إِلَيۡكَ مِن كِتَابِ رَبِّكَۖ﴾ [الكهف:٢٧]. . . إلخ المُقرَأ: ينبغي للإنسان أن يُكرِّرَ القرآنَ ولو سبعينَ مرة، ويتدبرَه؛ لأن مقصودَ القرآن التدبر، ﴿كِتَٰبٌ أَنزَلۡنَٰهُ إِلَيۡكَ مُبَٰرَكٞ لِّيَدَّبَّرُوٓاْ ءَايَٰتِهِۦ﴾ [ص:٢٩]، وبعضُ الصحابةِ طُوْلَ لَيْلِه يكررُ آيةً كما رُويَ عن سيدِنا تميمٍ الداريِّ أنه يكرِّرُ هذه الآية ﴿أَمۡ حَسِبَ ٱلَّذِينَ ٱجۡتَرَحُواْ

---

(١) الحديث أخرجه الطبراني في «الكبير» (٨ : ١٨٠) (٧٧٤٨)، و«مجمع الزوائد» (٢ : ٢٦٨).

ٱلسَّيِّـَٔاتِ أَن نَّجْعَلَهُمْ كَٱلَّذِينَ ءَامَنُواْ وَعَمِلُواْ ٱلصَّـٰلِحَـٰتِ سَوَآءً مَّحْيَاهُمْ وَمَمَاتُهُمْ سَآءَ مَا يَحْكُمُونَ﴾ [الجاثية: ٢١].

وهذه الآياتُ فيها آدابُ الصحبةِ التي عليها المدار: ﴿وَٱصْبِرْ نَفْسَكَ مَعَ ٱلَّذِينَ يَدْعُونَ رَبَّهُم بِٱلْغَدَوٰةِ وَٱلْعَشِيِّ يُرِيدُونَ وَجْهَهُۥ وَلَا تَعْدُ عَيْنَاكَ عَنْهُمْ تُرِيدُ زِينَةَ ٱلْحَيَوٰةِ ٱلدُّنْيَا وَلَا تُطِعْ مَنْ أَغْفَلْنَا قَلْبَهُۥ عَن ذِكْرِنَا وَٱتَّبَعَ هَوَىٰهُ وَكَانَ أَمْرُهُۥ فُرُطًا﴾ [الكهف: ٢٨]، المَرءُ مِن جَليسِه، و«المَرءُ علىٰ دينِ خليلِه»[١]، مَن جالسَ الأخيارَ كتبَه الله منَ الأخيارِ وإن كان منَ الأشرار؛ ومَن جالسَ الأشرارَ كتبَه اللهُ منَ الأشرارِ وإن كان من الأخيار.

* * *

وقال رضيَ الله عنه، عندَ قولِه عليه الصّلاةُ والسّلام: «انظُرْ إلىٰ مَن هو فوقَك، فإنه أجدرُ أن لا تزدريَ نعمةَ الله»[٢]، أو كما قال عليه السّلام؛ يعني: في المالِ والخَلْق؛ من نظرَ إلىٰ مَن دونَه في المالِ والخَلْق كتبَه الله صابراً شاكراً، ومَن نظرَ إلىٰ مَن فوقَه في المال والخَلْقِ لم يكتبْه الله لا صابراً ولا شاكراً؛ وأما في الدينِ فانظُرْ إلىٰ الأعلىٰ. لهذا صنّفَ العلماءُ رضيَ الله عنهم سِيرَ السلفِ مثل: «المشرع»[٣]

---

(١) حديث شريف رواه أبو داود (٤٨٣٣)، والترمذي (٢٣٧٨)، بلفظ: «الرجلُ علىٰ دينِ خليلِه».

(٢) الترمذي (١٧٨٠)، وابن ماجه (٤١٤٢).

(٣) هو كتاب «المشرع الرَّوِي في مناقب السادة بني عَلَوي»، للعلامة المؤرخ السيد محمد بن أبي بكرٍ الشلّي العَلَوي، المتوفىٰ بمكة سنة ١٠٩٣هـ.

و«الجوهر»[١]، و[«شرح العينية»[٢]]، لأجل يعْلَم الإنسان قدْرَ نفسِه، ولأنّ كُتُبَ سِيرِ السلف تنفي العُجبَ ورؤيةَ النفس، وإلاَّ وقعَ الإنسانُ في ذلك، وهذا مقصودُ الشيطان منه.

وهذه علةُ أهْلِ الزمان؛ يعني نظرَهُم إلىٰ من هم فوقَهم، حتىٰ آزَتْهم[٣] علىٰ الغُربْ وطولِها، ولا أوْحَش عندي من مجالسةِ مَن يطوِّل الغربة، ايش تبغىٰ بمجالسةِ القاسيين الغبيِّين، يخلِّي زوْجَته كأنها أرملة وأولادَه أيتام، في طلب المُحَال.

* * *

وقال رضيَ الله عنه: أسْمَعُ والدي عُمَر يقول: إنّ هذه الدعوةَ للحبيبِ عبد الله الحداد: «اللهمَّ بارِكْ لي في أولادي ولا تضُرَّهم، ووفِّقْهم لطاعتِك وارْزُقني بِرَّهم. والضميرُ في (برَّهم) يحتملُ عوْدَة علىٰ الأب وإلىٰ الأولاد. وكما أن الولدَ يسمىٰ عاقاً، وكذلك الأب. وفي البِرِّ كذلك.

والبرَكَةُ شأنٌ آخر؛ ولسيدِنا أحمدَ بن محمدٍ الحبشيِّ[٤] هذه الدَعوات: «اللهمَّ لا تكشِفْ لنا حال، وبارِكْ لنا في الأهلِ والمالِ والعيال، وارزُقْنا من رزقِكَ الحلال؛ واكفِنا شرَّ ما تأتي به الأيامُ والليال». ولسيدِنا عبدِ الرحمن

---

(١) هو كتاب: «الجوهر الشَّفَّاف في حكايات السادة الأشراف» للشيخ الصالح عبد الرحمن بن محمدٍ الخطيب التريمي، المتوفىٰ سنة ٨٥٥ هـ.

(٢) تأليف الحبيب الإمام أحمد بن زينِ الحبشيِّ المتوفىٰ سنة ١١٤٥هـ.

(٣) أي: اضطرَّتهم.

(٤) هو صاحب الشِّعْب، المتوفىٰ سنة ١٠٣٨ هـ.

مَوْلَىٰ العرشَة[١] : «اللهمَّ نزِّهْ قلبي عنِ التعلُّقِ بمَن دونَك، واجعَلنِي مِن قومٍ تحبُّهم ويُحبونَك».

❊ ❊ ❊

وقال رضيَ الله عنه: حضرَموتُ تحتاجُ إلىٰ عفة وحرْفة. وأتىٰ بهذين البيتين:

وَيْكِ! لا تسْتنكري لمْسَ يدي[٢] ليس مَن يكسَبُ عزّاً بذليلْ
إنما الـذِّلَّـةُ أن يمشِـيْ الفتـىٰ ساحِبَ الذَّيلِ إلىٰ بابِ البخيلْ

أصلُ التربيةِ من حيث الإجمال: أن تُصغِّرَ الدنيا في قلبِ أولادِك وأهْلِكَ، وتكبِّر الآخرة، وإن عكَسْتَ انعكَسَتْ. إذا كبَّرْتَ الدنيا عندَهم؛ إذا كَبِرَ عَقَّك، ويرىٰ خُمْسِيَّةً[٣] خيراً منك، وأنت سبَبُ العقوق، أنت عَـقَّيتَـهُم بقِلِّ التربية.

❊ ❊ ❊

وقال رضيَ الله عنه: موتُ الغربةِ شهادة، معَاذْ بانَغُرّ[٤] آل حضرَموت، وإلّا سفرُهم جهاد؛ لأن الجهاد ألّا نيّة. والسرُّ: في صلاحِ النية في سفرٍ أو غيرِه. وآلُ حَضْرَموت مُمْتَحَنُون؛ وعلامةُ الإيمان: الامتحان.

---

(١) هو الحبيب عبد الرحمن الجفريُّ المتوفىٰ بـ: (تريس) سنة ١٠٣٧ هـ، والعرشة: شجرة ضخمة كانت إلىٰ جوار ضريحه.

(٢) أي: اخشونتها من أثر المهنة.

(٣) الخُمْسِبة: قطعة قليلة القيمة من الدراهم والنقود.

(٤) أي: ما نريد أن ندخل عليهم الغرور.

وعسىٰ الله يكثِّر المذكرين، ويكثِّر أنوارَهم حتىٰ يصادموا ظُلمةَ الجهْل، والزمانِ الخايبِ العَايب.

❊ ❊ ❊

وقال رضيَ الله عنه: في كلِّ آدميٍّ سرٌّ عجيب، وهو: الترقيّ إلىٰ أعلىٰ عليِّين، ما أعطاه اللهُ الملائكة، حيث قال تعالىٰ مخبراً عنهم: ﴿وَمَا مِنَّآ إِلَّا لَهُۥ مَقَامٌ مَّعْلُومٌ﴾ [الصافات: ١٦٤]. وقال بعضهم في قوله تعالىٰ: ﴿لَقَدْ خَلَقْنَا ٱلْإِنسَٰنَ فِىٓ أَحْسَنِ تَقْوِيمٍ﴾ [التين: ٤]: يعني وهو رُوحٌ قبْلَ الجسم، ﴿ثُمَّ رَدَدْنَٰهُ أَسْفَلَ سَٰفِلِينَ﴾ [التين: ٥]، يعني: في الجسْم، ﴿إِلَّا ٱلَّذِينَ ءَامَنُوا۟ وَعَمِلُوا۟ ٱلصَّٰلِحَٰتِ﴾ [التين: ٦]، يعني: الذين ترَقَّوْا إلىٰ المقامِ الأعلىٰ، ما بقُوا في حضيضِ الجسم ولا نزَلوا إلىٰ أسفلِ سافلين. أو كما قال.

ولكنْ ظلَمَ نفْسَه[١]، حيث أحرمَها الخير الكثير؛ وكلُّ مَن جهِلَ قدْرَ نفسِه ضيَّعها، ومَن عَرفَ قدْرَها حفِظها؛ ويصِحُّ أن يكونَ كلُّ إنسانٍ قطْبَ زمانِه، وفِرعونَ زمانِه، يصلُحُ لِـذِهْ وذِهْ، للجنةِ والنار.

همُّوا بمعالي الأمورِ وكبِّروا هِمَمَكم وهمَمَ أولادِكم في الخير. كان سيدُنا الحبيبُ عمرُ بن حامد علَوي يطالعُ قراءتَه علىٰ الحبيب عبدِ الله ثمانيَ عشرةَ مرّة، والحبيبُ أحمدُ بن زينٍ الحبشيُّ ثلاثاً وعشرينَ مرة.

قال الحبيبُ محمد بن سُميطٍ رضيَ الله عنه: دخلَ الحبيبُ أحمَدُ علىٰ مكانٍ فيه جُمْلَةُ كتُب؛ فقال لي سيدُنا أحمَدُ بنُ زين: لوِ احترقَتْ عليكَ أمليتُها عليكَ مِن حفظي. أو كما قال.

---

(١) أي: الآدمي أو الإنسان.

وقد رُوِيَ عن ابنِ الحداد[١] لمّا احترقَتْ خِزانة كتب علىٰ الملك، فاشتَغَل، قالوا له: لا تشتغلْ؛ ابن الحدادِ يُمليها عليك مِن حفظِه!

قال سيدُنا محمد بن سُميط: أنا أفْرَحُ لمَن مات صغيراً علىٰ خيْريَّتِه! يعلَمُ الله، لو طال عمرُهُ كيف يقعُ الحال؟ وذلك حين توفّي بكّار بِلْفَقْيهْ المسمىٰ بالهَارِش.

وسارَ الحبيبُ محمّدٌ إلىٰ دوعنَ عند الحبيبِ عمرَ البار. فرأىٰ بعض أولادِ العموديِّ يجي ويروح مع أولادِ سيدنا عمر، وكان أبوه واليَ ذلك المكان، فقال الحبيبُ محمد: هذا ابنُ فلان؟ فقال: نعم. فقال: إنه جُوَيِّد[٢]؛ فقال الحبيبُ عمر البارُّ برفَعْ صوته: يعلَمُ الله، إذا طالتْ أيامُه يبقىٰ كذا أو يتغير؟ فلمّا كَبِر ذلك الولدُ رجَعَ في حالةٍ أخرىٰ، حتىٰ قال له بعضُ أولادِ الحبيب[٣]: إن المذكورَ بلغَ من أذاه في بيتِنا كما فعل المَكْرُميُّ في بيوتِ أهل المُعَيقَاب[٤]. أو كما قال.

وقال رضيَ الله عنه: دُنيانا خيرٌ من دنيا الأوّلين، ناصِحَةٌ أظهرَتْ عيوبَها من بَرصٍ وجُذام، وأمّا دنيا الأوّلينَ تبرَّجتْ لهم ودجَّلت ولكنْ

---

(١) لعله سعيد بن محمد الغسَّاني، المولود سنة ٢١٩ هـ، والمتوفىٰ سنة ٣٠٢ هـ. من أهل القيروان، كان مناظراً قوي الحجة.

(٢) جويِّد: تصغير جيِّد؛ يقصد بها: عليه سَمْتُ الخير.

(٣) أي: من آل البارّ.

(٤) المكرمي تقدم، وهو الذي حاصر شبام. والمعيقاب: حصنٌ قريبٌ من شبام في طريق الذاهب إلىٰ الحَزْم والحوطة، وقد اندثر وبقي موضعه معروفاً بهذا الاسم.

معَهُم نورٌ وافر، فصارت دنيانا مُعاونةً للدعاءِ[١] إلىٰ الله، ويعلم الله كيف يكونُ الحال لو ساعدتِ الأسباب؟!

وأنا متعجِّبٌ من عظيمِ لطْفِ الله معَ خُروجِ المكْرُميّ، حيث تمَّ الحفْظُ مع أن خروجَه والناسُ في غفلة، تسعةُ أعشارِ أهلِه ما يصَلُّون[٢]. أو كما قال.

* * *

وقال الحبيبُ عمر حامد رضيَ الله عنه: إن خروجَ تلك الجند ـ يعني الطائفةَ المُضلَّة ـ نُصْرةٌ للحبيبِ عبد الله[٣].

قال سيدي رضيَ الله عنه: ومِن ذلك الوقت والأسبابُ في قُصْران[٤] إلىٰ الآن.

* * *

وقال رضيَ الله عنه: عندَ ذكر الصالحينَ تنزلُ الرحمة، فكيف بمُجالستِهم، وكيف بذكْرِ أصْلَح الصالحينَ الرسولِ ﷺ؟ والدعاءُ عند ذِكْره

---

(١) أي: الدعوة.

(٢) تقدمتْ مثل هذه المقولة أول الكتاب نقلاً عن الحبيب عمر بن زين، والد المتحدث.

(٣) أي: الإمام الحداد. وتقدم مثل هذا القول قريباً، وسيأتي أيضاً شرح معناه من كلام الحبيب أحمد.

(٤) أي: تقاصر وانحسار.

مقبول، وبعدَ الصّلاة عليه يدعو الإنسان[١]: «ربِّ اشرَحْ لي صدْري ويَسِّرْ لي أمْري؛ اللهمَّ كما حسَّنْتَ خَلْقي فحَسِّنْ خُلُقي». . . إلخ.

وحُسْن الخُلُقِ كما قال الغزاليُّ رضيَ الله عنه: هيئةٌ راسخةٌ في الصدور، تصدُرُ عنها الأفعالُ الجميلةُ بسهولة. ومن جملةِ حُسن الخلُق: بشاشَةُ الوجهِ وطلاقتُه. ومِن أفضلِه: أن تعفوَ عمَّن ظلمَك، وتعطيَ مَن حرمَك، وتصلَ مَن قطَعك. قال تعالىٰ: ﴿خُذِ ٱلْعَفْوَ وَأْمُرْ بِٱلْعُرْفِ وَأَعْرِضْ عَنِ ٱلْجَٰهِلِينَ﴾ [الأعراف:١٩٩] ومنها الغضبُ لله؛ فقد كان عليه السّلامُ إذا غضبَ لا يقومُ لغضبِه شيء[٢]، ولا يغضَبُ إلا لله. وأصلُ الجهادِ إلاَّ غضَبُ الإنسان يحمِله[٣] علىٰ ذلك، وإذا عُدِم ذلك من الإنسانِ سُمّي دَيُّوثاً، وهو: الذي يُقِرُّ الخَبَث في بيتِهِ؛ فينبغي أن يتسبَّبَ في حصولِ ذلك الغضبِ من نفسِهِ لله.

وقد فصَّل العلماءُ رضيَ الله عنهم حُسْنَ الخلق؛ سُئل بعضُهم عنه، فقال: وجْهٌ طَلْق، وكلامٌ ليِّن.

وسألتْ أمُّ سلمةَ رضيَ الله عنها النبيَّ ﷺ عن المرأةِ تتزوجُ الرجَال؛ تكونُ لمَن منهم في الآخرة؟ قال: «لأحسنِهم خُلُقاً»، فقالت: ذهبَ حُسْنُ الخلُقِ بخيرِ الدنيا والآخرة. أو كما قال عليه السّلام.

---

(١) لأن الصلاة علىٰ رسول الله مقبولةٌ قطعاً، و من صلىٰ عليه ودعا ثم ختم بالصلاة عليه كان ذلك أرْجىٰ وأدْعىٰ للقبول.

(٢) أخرج نحوَه أبو نعيم في «الحلية»: (٩:٢٢٧)، ولفظه: «كان إذا غضب لم يجترئ أحد أن يكلمه».

(٣) أي: يحمله ذلك الغضب علىٰ الجهاد والقتال.

وكذلك الفقهُ مراتِب؛ ومن أجْمَـلِهِ: الفِقْهُ المشهور. وأدنىٰ مراتبِ الفقه: أن يعْلَمَ أن الآخرَةَ خيرٌ وأبقىٰ.

* * *

وقال رضيَ الله عنه عندَ قولِه عليه السّلام: «كان أصحابُ رسولِ الله ﷺ لا يرَوْنَ شيئاً من الأعمالِ ترْكُه كفرٌ غيرَ الصلاة»[١]: لأنهم عرفَوا ذلك من فعلِه عليه السلام، حين أتاه ثقيفٌ وأبَوْا من الصّلاة، فلم يقبَلْ عليه السّلامُ إسلامَهُم، وقال: «لا خيرَ في دِينٍ لا رُكوعَ فيه»[٢].

بخلافِ الذي أتىٰ مسلماً وشرَطَ الفاحشة، فقبِلَ إسلامَهُ، ثم قال عليه السلام: «أترْضىٰ أن يكونَ ذلك لأُمِّك؟ أترضىٰ أن يكونَ ذلك لأُختِك؟»؛ ومسحَ صدرَه، فزال ذلك[٣]، لأن عدَمَ الصلاةِ المانعُ منها الكِبْرُ، وهو أكبرُ المعاصي ﴿أَبَىٰ وَٱسۡتَكۡبَرَ وَكَانَ مِنَ ٱلۡكَٰفِرِينَ﴾ [البقرة: ٣٤]، ﴿سَأَصۡرِفُ عَنۡ ءَايَٰتِيَ ٱلَّذِينَ يَتَكَبَّرُونَ فِي ٱلۡأَرۡضِ بِغَيۡرِ ٱلۡحَقِّ﴾ [الأعراف: ١٤٦]؛ بخلافِ الزنا، فإنه شهْوةٌ تنفعُ فيه موعظةُ الواعظين، أما الكِبْرُ فلا ينفعُ فيه ذلك.

* * *

وقال رضيَ الله عنه عندَ قولِ سيدِنا عبدِ الله الحدّاد:

---

(١) أخرجه الترمذي (٢٧٥٧)، والحاكم في «المستدرك» (١: ٧)، ومحمد بن نصر في «تعظيم قدر الصلاة» (٩٤٨).

(٢) أخرجه الإمام أحمد في «مسنده» (٤: ٢١٨).

(٣) رواه أحمد (٢٢٢٦٥) والطبراني في «الكبير» (٧٦٧٩) (٨: ١٦٢).

مـا تـراهُـمْ أعـوانْ إلاَّ علىٰ باطلْ وترْكِ قُرْبَهْ(١)

قال سيدُنا الحبيبُ عمر بن سقافٍ في قصيدتِه:

* وتشاغُلٍ بأمورِ لهْوٍ باطلٍ *

وكلُّ ما لا لَهُ ثمَرٌ في العاقبةِ فهو مِن قسمِ الباطل، وإن لم يكن حراماً، كرَّرَها مِراراً.

قدِّموا الزائدَ إلىٰ الفِردَوس وجَنَّةِ عدْن. بانضرب لكُمْ مثلاً: يُحْكَىٰ عن بعض الأذكياء من آلِ باذيب؛ وهو عليُّ بن عبود لعجم، قال لمن بايجي عندَه في قهوة(٢): هَاتوا دَيْر العادة، والزائد هَاتوه يابس(٣). وكانوا في ذلك الوقْت يشلّون دَيْر وافر: قِشر، وعسَل، وسكّر؛ والزائد علىٰ دير العادة من جملةِ المذكورين نحوَ خمسة قروش، فأجابُوه إلىٰ ذلك، وفعلَ لهم به فُسْحةً.

---

(١) وتمامه:

إنّ قـلـبـيَ الآنْ يا صـاحبي في غُربـةٍ وكُرْبـهْ

مِـن زمـانٍ قـد خـانْ ومعشَـرٍ لا يحفَظـونَ صُحْبـهْ

مـا تـراهُـمْ أعـوانْ إلا علىٰ بـاطـلْ وتـرْكِ قُربَـهْ

مـا أولـئـك أخيـارْ كـلاّ، ولا بالمتّقـينَ الأبـرارْ

والله يخلُـقُ ما يشـا ويختـارْ

(٢) أي: يشربها عنده.

(٣) أي: أحضروا معكم المعتاد، وما زاد عندكم أحضروه يابس أي: غير مطبوخ، يقصد البن وخلافه.

وأنتم، خُذوا هذا المِثالَ وافهَموا المعنىٰ، قدِّموا إلىٰ فُسْحَة الجنةِ في الأبدان العارية والبطونِ الجائعة وإحياءِ الإسلام. وأما الشَّهَواتُ إذا ما تيسّرتْ لك افْرَح.

❊ ❊ ❊

وقال رضيَ الله عنه: يقال في الماءِ البارد: يهضم الطعام، ويقتلُ الدود، ويُخْرِجُ الحَمْد من صميمِ القلب.

❊ ❊ ❊

وقال رضيَ الله عنه: ما هُوْ شِيْ مَن رَضِي عن نفْسِه.

❊ ❊ ❊

وقال رضيَ الله عنه: كان حبيبي[(١)] زينُ بن علوي في تريمَ في ضِيْقٍ من العيش، كان يقول له سيِّدي الحبيبُ أحمدُ بن زينِ الحبشي: يا سيد زين، إذا ما معكم عشاء ادْهَروا في التنور، وإذا ما معكُم قهوة صَرْقِعُوا بالمِنْحَاز[(٢)] حتىٰ ما يحسّ الجيران أن ما معكم شيْ! هذا وصفُ الذين قال اللهُ تعالىٰ فيهم: ﴿يَحْسَبُهُمُ ٱلْجَاهِلُ أَغْنِيَآءَ مِنَ ٱلتَّعَفُّفِ﴾ [البقرة: ٢٧٣]، وأين نحن من سَيْـرِهم؟ رحنا في شَوْر النساء.

---

(١) أي: جَدِّي؛ لأن لفظة الحبيب تطلق فيراد بها الجد عامّة، وتخص فيراد بها العالِمُ أو العاقلُ من السادة الأشراف آل أبي عَلَوي.

(٢) المِنحاز: هو الآلة التي يُـرَضُّ بها البن ونحوه، يقال له: المدق، أو الهاون، ويكون من نحاس أو عود.

والمعنىٰ: افعلوا صوتاً بذلك المنحاز كأنكم تدقّون البن لعمل القهْوة!! تعففاً.

قال: وفي بعضِ الأيام قال له الحبيبُ عبدُ الله الحداد: يا سيد زَيْن، لعل تحصّلون حجَّة بأجرة، وسافِرْ بها أنت والكبيرُ من الأولاد، قد عنده شي من العلم، يعني سيدنا محمد. قال: فثَقُلَ ذلك علىٰ حَبِيبي زين، حيث شقَّ عليه الخروجُ من تريمَ ومخالفةُ كلام سيدِنا عبد الله. فحكىٰ بذلك للحبيبِ أحمدَ بن زين؛ وكانت بينَهما صُحبة، فقال له: إن الحبيب بايشُوفَكْ عاد شي اضطراب معَك إلىٰ الأسباب أم لا؟[١]

قال: وفي ثاني جُمعة أعاد عليه الكلامَ سيدُنا عبد الله، فسكت حبيبي زين، ثم قال سيدُنا عبد الله: عادُهْ يخْطُر ببالك الخُرُوج من تَريم؟ معاد يصلح. أو كما قال.

فهم يرَونَ حَضْرَموت أحسنَ الأماكن، ومغتبطونَ بها مَع الجوع، رضيَ الله عنهم.

❊ ❊ ❊

وقال رضيَ الله عنه: لسانُ حَال الأسباب تقول: اجلِسوا في بلادِكم، لا عادْ تسافرون، اقنَعوا؛ لأن الأسباب إلاَّ مخيض[٢] ماء، والناس إلاَّ كما

---

(١) أي: يريد اختبارك هل لا زالت نفسك تنزع إلىٰ الكسب، والسفر خارج حضرموت لأجل الحصول علىٰ شيءٍ من المال!

(٢) أي: أن أسباب الكسب والضرب في الأرض ليست إلا كمخيض الماء، لا يُنتج الزُّبْدة، ولذا سميت أسباباً لأن الله هو الرزاق حقيقة وما هي إلا أسباب لحصول الرزق.

(نبيش حاتم)[١]، كان يسافر مع العوابثة[٢]، وبعد لمَّا قدْهم في الطريق شافوا شجرة، قالوا: كلّنا بانطمرها[٣]، فطمروها. قال نبيش: وأنا كَمَا هُم. فوقَع فيها، رَجْعَوا يخرِّجونه منها، ويخرّجون منه الشوك.

وغالبُ الناس لا يسافر يوم شَافْ غيرُه، لا تقعوا أذْوَه علىٰ بعضكم، اقْعُوا قدوة في الخير. وهذهِ (جاوة) وقعتْ فتنةً علىٰ الناس؛ كل مَن سافَر حاسِبْ أنه بايغْرِف.

ولكن ورَد في بعض الأحاديث[٤]: أن في آخر الزمان ينحسرُ الفرات عن جبلِ ذهب، فيذهَب إليه الناس، يسْلَمُ من الألفِ واحد، ومن المئةِ واحد، جاوة وقعَتْ مثْل هذا.

* * *

وقال رضيَ الله عنه: إذا أردْتَ أن تعرفَ ربَّك هل هو راضٍ عليك أم لا؟ انظُرْ إلىٰ نفسِك، هل أنت راضٍ بما قُسِمَ لك مِن الرزقِ أم لا؟ فإن كنت راضياً فهو عليك راضٍ، وإلاَّ فلا. قال عليه السّلام: «مَن رضِيَ فله الرِّضا، ومن سَخِطَ فله السَّخَط»[٥].

---

(١) اسم شخص.

(٢) العوابثة، جمع عوبثاني، وهم قبائل معروفة.

(٣) أي: سنقفر عليها.

(٤) منها: حديث أبي هريرة المتفقُ عليه، البخاري (٦٧٠٢)، ومسلم (٢٨٩٤): «يوشكُ الفرات أن يحسرَ عن جبلٍ مِن ذهب...»، وهذا لفظ البخاري، ولفظ مسلم: «لا تقومُ الساعةُ حتىٰ يحسرَ الفراتُ عن جبلٍ مِن ذهب...» الحديث.

(٥) رواه الترمذي (٢٣٩٦)، وابن ماجه (٤٠٣١).

وذلك كما سُئلَتْ سيدَتُنا رابعةُ العدوية[١] رضِيَ الله عنها فأجابتْ بمثْلِ هذا؛

وإن تـرْضَ بـالمقسـومِ عشْـتَ مُنَعَّمـاً

وإن لم تكنْ ترضىٰ به عشتَ في حَزَنْ[٢]

ودليلُ الرِّضا: الرِّفقُ في المعيشة؛ ودليلُ السخَط: الخَرَق، كما في الحديث[٣].

وهذه العوائد تَشُبُّ نارَ الحرصِ في القلوب، لو بايهوِّن الإنسان حصَّل شي يطلُبه[٤]. اهدِموا العوائد وشيِّدوا مبانيَ الدين، وإلاّ هَدَمَتْكُم ثم غرَّبَتْكم، ولولا حرْصُ الحريصِ لما قنِع القانع؛ لأن الحريصَ يَلُوبُ ويجْلِبُ جميعَ الأشياء للقانع؛ والقانع كما مُفَجِّشْ بَوْر[٥]، يَجُون بالأفْقَاش إلىٰ عنده.

---

(١) هي: السيدة العابدة الربانية رابعة بنت إسماعيل العدوية، توفيت بالقدس سنة ١٣٥ هـ. قال ابن خلكان: (وقبرها يزار).

(٢) من قصيدة للإمام الحداد، مطلعها: «عليك بتقوىٰ الله في السرّ والعَلَنْ».

(٣) أي: الذي تقدم.

(٤) أي: إذا أراد الإنسان أن يقلّل من سعيه وكدِّه في طلب المعيشة وجد أموراً وراءه تطلبه!

(٥) بور: بلدٌ معروفة، والمُفَجِّش: الرجل الذي يكسِّر الأفقاش، والأفقاش: معروفة، جمع فُقْش، وهو الطين اليابس. والمعنىٰ: أن القانع يأتي إليه ما يحتاجه إلىٰ عنده، ولا يكلف نفسه عناء السفر والتغرب لأجله.

وكما في المثل: «رِزْقُ القَانِع» وهو الذباب، لأنه يُلْقِي نفْسَه في الحارِّ والبارِد، شبيهُ الحريص، يخَبْخِب من شَامْ إلىٰ يَمَنْ. و(القانع) وهو الشُّبَثْ[١]، جالسٌ في العنكبوت[٢]، وقُوْتُه الذباب، يأتي إلىٰ عندِه، فإذا وقعَ في الشبكِ جاء يحُوِّكُ عليه من بعيد ؛ لأنه جَبَان، فإذا ظنّ أنه مات أكلَهُ شيئاً فشيئاً.

وهذا المَثلُ يمثِّلونَ به أهْلُ السَّيْر إلىٰ الله في سَيْرِهم، ولهم في ذلك معانٍ.

* * *

وقال رضيَ الله عنه: ما هو بعيد عندي أنّ هذا البلاء في الأماكن التي وقعَ فيها، هو نوعُ الكُبَّة[٣]، سنة (١٢٥٠) خمسينَ ومئتينِ وألف، ووقعَ بِبَوْر وسيؤن ونواحيها[٤] وفي عَلْوَا، أن ذلك من التساهلِ بالمُظاهَرة بينَ النساء والرجال؛ لأنه ورَدَ في الحديث: «إذا كثُرَ الزِّنا كثُرَ موتُ

---

(١) الشبث: هو العنكبوت.

(٢) أي: بيت العنكبوت، ويقال له: الحوكة.

(٣) مرضٌ وقع في ذلك الزمان؛ قال السيد عبد الله الحبشي: (والكبة في العرف العامي: هي مؤخرة الرأس. ولعل هذا المرض هو المعروف الآن بالحمّىٰ الشوْكية). اهـ. «العدة المفيدة»: (١: ٣٢٦) (حاشية).

(٤) وممن مات آنذاك من أعيان أهل حضرموت بسبب هذا المرض: السيد العلامة محمد بن عبد الله بن قطبان السقاف بسيون، والحبيب الولي عبد القادر بن محمدٍ الحبشيُّ بالغرفة، ذكرهما ابن حميد في«العدة»: (١: ٣٢٦) ومنهم والد الكاتب كما سيذكره لاحقاً.

الفَجْأة»[١]، وفي الحديث أيضاً: «زنا العينِ النظر، وزنا الأُذنِ الاستماع»[٢]؛ لأن المذكوراتِ مقدِّمَات الزِّنا، اكتبوها إلىٰ أهلِ هذه النواحي وذكِّروهم بذلك؛ قال تعالىٰ: ﴿وَمَا نُرْسِلُ بِٱلْأَيَٰتِ إِلَّا تَخْوِيفًا﴾ [الإسراء: ٥٩].

وأنتم يا أهلَ شبام ما شي عندَكم! استدْفِعوا ذلك بدَعْوةِ مَن لا يُؤْبَهُ له، مثلَ أهل الخَلْوات[٣]، عَوِّلوا علىٰ صغارِهم ذكوراً وإناثاً يطلِّعونهم إلىٰ العُلْمة، ونادُوا بذلك بالتَّطْروب في السوق. بهذا يدفعُ الله البلاء.

وأنا مستغبِطٌ بعُلْمَةِ البنات، بها يدفَعُ الله البلاء، اشكروا النعمةَ بالمعاونةِ علىٰ ما يزيدُها، حتىٰ يتمَّ الحفْظُ لبلادِكم، قولوا: إن شاء الله، ولا حولَ ولا قوّةَ إلا بالله، وما توفيقي إلا بالله.

* * *

وقال رضيَ الله عنه عندَ قولِ سيدنا الحبيب عمرَ بن سقافٍ في قصيدته:

* فحَذارِ مِن نظرِ العيونِ تعَشُّقاً * إلخ:

اغْضُضْ عينَك عن الدنيا، حتىٰ تستريحَ في الدنيا والآخرة ﴿وَلَا تَمُدَّنَّ عَيْنَيْكَ إِلَىٰ مَا مَتَّعْنَا بِهِۦٓ أَزْوَٰجًا مِّنْهُمْ زَهْرَةَ ٱلْحَيَوٰةِ ٱلدُّنْيَا لِنَفْتِنَهُمْ فِيهِ وَرِزْقُ رَبِّكَ خَيْرٌ وَأَبْقَىٰ﴾ [طه: ١٣١]، شعر:

---

(١) لم أجده.
(٢) أخرجه الإمام أحمد في «مسنده» (٨٣٣٨).
(٣) أي: يطلب الدعاء من الصالحين أهل الخلوات.

وأنتَ إذا أرسلْت طرْفَك رائداً لقلبِكَ يوماً أتعبَتْك المناظرُ
رأيتَ الذي لا كُلَّه انت قادرٌ عليه ولا عن بعضِه أنت صابرُ

سمِعَ سيدُنا عمر بن سقافٍ بنْتَه تصِفُ في مَرِّيَّة أو دقَّة[١]، فقال لها: فلانة؛ اليوم سقَطْتِ مِن عيني! فانظُرْ كيف تأديبُ الصالحينَ لأولادِهم!

* * *

وقال رضيَ الله عنه: ما كانت تُعرَفُ الجَوابي في المساجد، ولا الحُزُوب ولا الروَّاتب في زمن الأوّلين، ولكنْ لمّا علِموا عَجْزَنا ونقْصَنا، خافوا تَرْكَ ذلك، فعَلُوا لنا المذكورات. والوضُوءُ في البيت أفْضَلُ وأحسن، خصوصاً لمَن يعتادُ ذلك، ويَشْوَرُ به. قال عليه السّلام: «مَن توضَّأَ في بيتِه وزارَني في بيتي فعلىٰ المَزُورِ أن يُكرِمَ زائرَه»[٢]، أو كما قال عليه السّلام.

وكان الوالدُ يتوضأُ في الدار، ولم أحْزُرْ يوماً أنه توضّأ في الجَوابي.

❑ ❑ ❑

ووقعَ الوَباءُ[٣] في البلادِ[٤] في السنةِ المذكورة، سنة ١٢٥٠هـ، أولاً توُفّوا منه نحْوُ خمسينَ من البلاد، وليلة توفِّيَ سيدي الوالدُ عبد الله بنُ عُمَر لَعْجَم في ذلك، قال سيدُنا أحمدُ رضيَ الله عنه: إنه منَ الأخيار،

---

(١) المريّة: نوعٌ من حلي النساء، ومثلها: الدقة. كان النساء يلبَسْنَها آنذاك.

(٢) أخرجه الطبراني في «الكبير» (٦: ٣١١).

(٣) هو مرض الكبة المتقدم ذكره.

(٤) أي: شبام.

ومن الذين يدفَعُ الله بهمُ البلاء، ومنَ الذين يحييهم في عافية، ويميتُهم في عافية، حيثُ أخَذَ ليلةً في المَرَض. وتوفّي يومَ الربوع ١٦ شهرِ ربيعٍ الأولِ سنةَ (١٢٥٠هـ) خمسينَ ومئتينِ وألف.

وقال: إن هذا الوباءَ شهادة، وإنه من المذكِّرات؛ لمَّا قلَّ المذكّرونَ جاءتِ المذكِّرات.

اذكروا شأنَ المظاهرة[١]، وطَرِّبوا[٢] في الأسواق، بأنّ: مَن ظاهرَ يُصَلَّىٰ عليه فوقَ العُصْبِي[٣]، وكذلك مَن لم يُصلِّ أو يتساهلُ بالصلاة، ويُدْفَنُ في جانبٍ من المقبرة ونسمِّيها (مقبرةَ الشياطين)، لعل بذلك الحيّ المقصِّر يتّعظُ وينْزَجر، وأمّا الميِّتُ فقد لاقىٰ عملَه. اسألوا في ذلك. وتعاونوا يا آلَ باعلوي علىٰ ذلك.

وقد ذكرَ المحَلِّيُّ ذلك عن ابنْ النحْوي، إذا عُـرِفَ أنه باينزجر المقصِّر. أو كما ذكروا.

وهذه سياسة؛ لأن ما معَنا وَالٍ يُسَمِّح[٤] الناس، وإلّا حَدُّ تارك الصلاة إلّا القَتْل. وقد عَمِل المُصْطفىٰ عليه السّلامُ بالسياسةِ في حقِّ الرجُل الذي لم ينطِقْ بالشهادتَين، وكانت له أمٌّ غيرُ راضيةٍ عليه، فقال عليه السّلام:

---

(١) أي: رؤية الرجال للنساء الأقارب، والاختلاط بهن في البيوت مع عدم المحرمية.

(٢) أي: نادوا.

(٣) العصبي: دكة المسجد، خارجه. أي: عقوبة له لا نصلي عليه في المسجد.

(٤) أي: يصلح أمورهم.

«هاتوا ناراً نحرِقُه بها»، نارُ الدنيا ولا نارُ الآخرة، فلمّا علمَتْ أُمُّه قالت: رضِيتُ عنه(١) . أو كما قال.

وترىٰ تاركَ الصلاةِ يُـقْتَـلْ بسيفِ الحقيقة، ألا ترىٰ القبائلَ يتقاتلُونَ علىٰ غيرِ شيء، ماهو(٢) إلاّ تَرْكُ الصلاة، لمَّا خَمَدَ سُلطانُ الشريعة، تجلّىٰ سلطانُ الحقيقة.

قال الوالدُ عمرُ رضيَ الله عنه: كان عندَنا شارحٌ(٣) في الخلا بتَريم، وكان لا يصلّي، ولا نفع فيه الكلام، مع أنّه له محاسنُ كبيرة، ثم إنّه رُمِد، فجلسَ في بيتِه، فجاء له الأبعوس(٤)، فذبَحوه ذبْحَ الغنم، قال الوالد: عسىٰ ذلك حَدُّه.

قال سيدنا: رَجَا له الوالدُ إقامةَ الحدّ عليه!

* * *

وقال رضيَ الله عنه: كان الوالدُ رضيَ الله عنه يقول: من علامةِ الرضا، السيُولُ الصغار؛ ولا تفرَحوا بكَثْرة السيول، سَيْل واحد وفيه بركة؛ لأن البلادَ(٥) ما تحمِلُ الوَخَم(٦)، وأصْلُ جَوِّها زين، يشْبه جَوّ قارةِ

---

(١) الحديث.

(٢) أي: ما السبب؟

(٣) الشارح: الذي يعتني بالنخيل ويلقحها ويقوم بكل ما يلزم لها، ويكون له نسبةٌ من الثمر.

(٤) من قبائل يافع، جرت منها حوادث في تريم أيام حكم آل غرامة.

(٥) أي: شبام.

(٦) أي: العفونة، وتغيّر الهواء.

الصَّناهِجة[١] ، كما قال الحبيبُ جعفرُ بن أحمد؛ وإنما عرَضَتْ لها الوُخَمْ من هذه الحُوَمْ والعتوم[٢] ، فيحتاجون الدخُونَ والطِّيْب، حتىٰ يُجَذَّعَ[٣] في الشوارع معَ أيامِ الأمطار، لأنّ الدخانَ يفتِّقُ الجوّ.

* * *

وقال رضيَ الله عنه: كلُّ مؤمنٍ يتثبتُ في الكلامِ والأخبار، لا يخابرْ إلّا بخَبَرٍ محقَّق، وأمّا المكروه وخبرَ الشرِّ خَلْ غيرك يخابرْ به؛ لأن العجلةَ وعدَم التأني مذموم.

ويقال: إنّ حكيمَ العرب معَه امرأة، فرآها آخِرَ الليلِ تتخلَّل[٤]، فقال: لا تصلُحينَ لي، إن كان الطعامُ بينَ أسْنَانِكِ من أولِ الليل فناهيكِ مِن عثاثة، وإن كان من أكْلٍ بِهذه السَاعةِ فبئستِ البطالة، وفارَقَها. فقالتْ له: لا مِن ذا ولا مِن ذاك، ولكنْ مِن شطَاط السِّواك.

ثم نزوّجَها يوسُف، أبو الحَجّاج، فجاءت له بهذه الداهيةِ الحَجّاج، وُلِدَ وليس له دُبُر، فجاءوا إلىٰ الحكيمِ المذكور، فقال لهم: اسقوه لبناً، ثم اسقوه سَمْناً، ثم اسْقُوه دماً، فتحدد.

---

(١) قارة الصناهجة، ويقال: الشناهرة، بقرب تريم، كانت مسكن أجداد السادة آل سميط وآل بن يحيىٰ، ينظر الكلام عنها في «إدام القوت».

(٢) الحُوَم جمع حَومة: وهي المستنقع، والعتوم: المجاري المكشوفة التي كانت منتشرة في الشوارع.

(٣) أي: يحرقون جذوع النخيل.

(٤) أي: تستعمل الخلال في أسنانها لتصفيتها.

وقال رضيَ الله عنه: ما حُكْمُ الذي يصِلُ أرحامَه بالعطاءِ والصلة الحسَنة والجَبْر، ولكنّه لا يسألُهم عن دينِهم، ولا يعلِّمُهم ذلك، هل يُحْشَرُ يومَ القيامةِ مع الواصلين أو معَ القاطعين؟ اسألوا أهلَ العلم حتىٰ ينتفيَ منكمُ الغرور.

وقد ذكرَ ابنُ عطاءِ الله في كتابِه «التنوير» أن مَن يصَلِّي ويحافظُ علىٰ الصلاة وله أهلٌ لا يصلُّون، ولم يأمُرْهم ويزجُرْهم ويهجُرْهم، لا يحشَرُ معَ المصلِّين بل مع المُضيِّعين، أو كما قال، وإن كان يصلِّي أولَ الوقتِ وفي الجماعةِ وفي أوّلِ صَفّ.

قوموا علىٰ أهليكم بما أمرَ الله، واسحَبوهم إلىٰ الجنة، وإلاّ سحَبُوكم إلىٰ النار؛ أو كما قال رضيَ الله عنه.

* * *

وقالَ رضيَ الله عنه: لا يُدرَكُ النورُ إلا بالنور.

* * *

وقال رضيَ الله عنه: كان الشيخُ محمد بن أبي بكرٍ عبّاد[1] متصدياً للفتوىٰ بشبام ولا عُلِمَ له تصنيفٌ[2] ولا فتاوىٰ.

---

(١) تقدم ذكره.

(٢) لكن وقفتُ علىٰ تأليف له اسمه: «المنهج القويم في مناقب الشيخ القديم» (مخطوط).

والشيخ عبدُ الله بن محمد عبّاد(١) غالبةٌ عليه العبادة؛ أخذ اثنتي عشرَةَ سنةً يتعبَّدُ في (مسجد الخَوْقَة) ولا يدري ماذا قال الناس!

* * *

وقال رضيَ الله عنه: بيعُ العِيْنة جوَّزه الإمامُ الشافعيُّ مع الكراهة، وحرَّمَه الأئمة الثلاثة: مالك، وأحمد، وأبو حنيفة.

وصورته: أن يتواطأَ المتبايعانِ علىٰ الزيادةِ في الدراهم؛ فيقول أحدهما: تبيعُني ثوبَك بعشرةٍ مثلاً، ثم يشتريه، ثم يردُّه إليه باثنيَ عشرَ فيكتبُ الزائدَ ويعطيه عشرة، وهذا كلُّه حيلة؛ ولا تَعْبُرُ الحِيَلُ علىٰ الله تعالىٰ.

* * *

وقال رضيَ الله عنه: كتُب الفقْه بغت شيخ من شيخ؛ لأنهم وضعوا فيها شيئاً من هذه الحِيَل، ومرادُهم بها مثل الدَّرْقَة(٢) يُتَّقَىٰ بها، فمَن جعَلها كذلك انتفَعَ بها، ومَن جعَلها سَيْفاً ضرَّته.

وقد أخَذَ ساداتُنا آل باعلوي علىٰ بعضِهم العَهْدَ أن لا يُقْرِئُوا أحداً من آل باكثير(٣) كتابَ فقْهٍ إلا بكتابٍ في التصوُّف معَه، لأنَّ فيهم فهماً

---

(١) هو الشيخ القديم، تقدم.

(٢) أي: كالترس.

(٣) أسرةٌ معروفةٌ، صنَّف في تراجم أعلامهم وتاريخهم الشيخ محمد باكثير (ت ١٣٥٥هـ)، كتاب «البنان المشير»، مطبوع.

وذكاءً وحاجة، وربّما تأْزِيهُم الحاجةُ فيفتَحون شيئاً من هذه الأبواب. قال والدي رضيَ الله عنه: إلاّ آلَ بن قاضي منهم[١]، فإن عليهم نَظَراً من الحبيبِ أحمد بن زين. انظُرْ إلىٰ الشيخ علي بن قاضي[٢] وورَعِه وقد صنّف كتابَ «البواتر الدامغة»[٣] بإشارةِ الحبيب حامد بن عمر.

وأنتم احزرُوا هذا الكلام، وكلّ إنسانٍ ما عليه إلاّ نفْسُه، يذْهَنْ بها ويعتقدُ فيها كلَّ شَر؛ وأمّا الناسَ فخلّهم علىٰ ربِّهم؛ أو كما قال.

* * *

وقال رضيَ الله عنه: عليك أن تقول: «اللهمَّ ارزُقني متابعةَ رسولِك ﷺ». فإنك إذا قلتَ ذلك تكفَّلَتْ لك بخيراتِ الدنيا والآخرة ﴿قُلْ إِن كُنتُمْ تُحِبُّونَ ٱللَّهَ فَٱتَّبِعُونِى يُحْبِبْكُمُ ٱللَّهُ﴾ [آل عمران: ٣١]، عسىٰ الله يرزُقنا متابعتَه في عافية.

* * *

وقال رضيَ الله عنه عندَ قوله: ﴿فَلْيَحْذَرِ ٱلَّذِينَ يُخَالِفُونَ عَنْ أَمْرِهِۦٓ أَن تُصِيبَهُمْ فِتْنَةٌ﴾ [النور: ٦٣]: إن كان مرضاً أو فواتَ مالٍ فليستَ فتنةً بل هي نِعَم،

(١) أي: من آل باكثير، فخذٌ منهم.

(٢) العلامة علي بن عمر بن قاضي باكثير، توفي سنة ١٢٣٠هـ.

(٣) كتاب «البواتر الدامغة في التحذير من تعاطي الحيل الربوية الزائغة» (مخطوط)، منه نسخةٌ بمكتبة تريم رقمها (٢٦٩٥).

(كم نِعَمْ طيَّ المصائبْ)[١]، ومن الرضا ما يهوِّنُ علينا به مصائبَ الدنيا. ما الفتنةُ والمصيبةُ إلاّ فتنة الدين.

* * *

وقال رضيَ الله عنه: إذا كتَبَ الإنسان بقلمِه شيئاً لا يجوزُ، فقد كَفَر النِّعَم؛ نِعْمَةَ القلم، والبيَاض، والدَّواة، واليد، والأرضِ التي أقلّتْه، والسماءِ التي أظلّته، والشمس التي رأىٰ بها، والسماءِ التي ضمَّتِ الشمس، وهكذا.. إلىٰ شيءٍ لا يُحصَر، لهذا وَقَعَ عاقبةَ ترْكِ الشكْرِ العذابُ الشديد، وسُمِّي كافراً. كما قال.

* * *

وقال رضيَ الله عنه: تدبَّروا كلامَ سيدِنا عبدِ الله الحداد؛ فإنه أخَذَه من الكتابِ والسنة، وللقرآنِ العظيم صَدْمة؛ لأنه كلامُ الحقِّ سبحانَه، فقد لا يتيسرُ التفكُّرُ فيه لكل الناس، بخلافِ كلامِ المخلوقِ يسهُلُ التدبُّرُ فيه.

وسيدُنا عبدُ الله نِعمةٌ مكفورة. كما قال رضيَ الله عنه؛ قد قال: إني نعمةٌ مكفورةٌ لم يعْرفوها غالبُ الأَحْياء.

---

(١) من قصيدة (موَشّح) للإمام الحداد، قال فيها:

إن في الغيبِ عجائبْ
كم نِعَمْ طيَّ المصائبْ
وأخــو التدبيرِ خـائبْ
لم يزلْ في قبضةِ الشكِّ رهينْ   لم يذُقْ عيشَ العبادِ الصالحينْ

«الديوان»: ٤٩٨.

قال الحبيبُ عمر حامد ــ وذلك في مرضِ موتِه ــ لبعضِ أولادِ الحبيبِ عبد الله الحداد: ما حَدْ عَرَفْ قَدْر أبيك إلّا إن كان الحبيب أحمَد ابن زين الحبشي، رضيَ الله عنهم، آمين.

وكلامُ سيدِنا عبد الله الحدّاد دواءٌ لأهلِ القلوب المنوَّرة، كما قالَه شيخُه مديحِج[١]، وهو من كبارِ مشايخ سيدِنا عبد الله، وذلك حينَ سمعَ قصيدتَه:

وصيّتي لك يا ذا الفضْلِ والأدبِ[٢]

* * *

وقال عندَ قولِه: طوبىٰ لعبدٍ رآهم أو رأىٰ مَن رآهم. قال سيدُنا الحسن البصْريُّ لبعضِهم: أنت أفضَلُ مني لأنك رأيتَ الصحابة رضيَ الله عنهم.

* * *

وقال رضيَ الله عنه: ذاكَرَ سيدُنا أحمَدُ بنُ زينٍ الحبشيُّ عند بَعْض القبور، ثم قال: بانوْهَبُه الميت؛ ونحن بانجيب «التذكرة» وبانوهبها الميتة؛ فأَتَوْا بها؛ إلىٰ آخره.

---

(١) هو العلامة الجليل السيد محمد بن عبد الرحمن بن أحمد مديحج باعلوي، توفي بتريم سنة ١٠٨٠هـ تقريباً.

(٢) وهي وصيةٌ عظيمة، نظمها سيدنا الإمام لتلميذه الفقيه حسن بن عبد الله العمودي، وقد شرحها الكثيرون، منهم الإمام أحمد بن زين الحبشي، والعلامة السيد علوي السقاف، والسيد العلامة أحمد بن أبي بكر ابن سميط.

قال: قَدِّموا الأهمَّ فالأهمَّ، وما زاد هاتوا عوائدَ السلف، ترتيبُ الفواتح[١] نقول: عادةٌ مباركة. وإذا قال الإنسان: (وفروعِهم)؛ يشملُ جميعَ المسلمين من آدمَ حتىٰ الحاضرين. وإذا قال: (وجميع المسلمين) شملَ مسْلِمي الجِنّ.

اخصِروا في الكلام وهاتوا الأهمّ، واشتغلوا بالمعاونةِ علىٰ البرِّ والتقوىٰ؛ لأنَّها سَعَادة، وترْكُها عارٌ ونارٌ في الدنيا والآخرة. وباتندمون علىٰ تركها ندامة عظيمة؛ يا حسرَةْ من لا يعاوِن علىٰ الدعوة إلىٰ الله.

واحرِصوا علىٰ أولادِكم ونسائكم وأخدامِكم، فقِّهوهم في الدين وعادهم صغار، واحشُوهم من العلوم، ما زال قلوبُهم واسعة؛ لأن الإنسان إذا كَبُـرَ معَادْ يسَع قلبُه إلا الباطل.

قال سيدُنا الحبيبُ عمر حامد لبعضِهم حينَ سأله: لمَ لا زوّجتوا الأولاد؟ وقدهم كبار. قال: بغيناهُم يتضلّعُون من العلم. أو كما قال.

❊ ❊ ❊

وقال رضيَ الله عنه: تخيَّلوا المصطفىٰ ﷺ كيفَ يجلسُ بين أصحابِه أبي بكرٍ وعمرَ وغيرِهما، وكيفَ محاورَتُهم له عليه السّلام.

❊ ❊ ❊

وقال رضيَ الله عنه: كان سيدي الحبيبُ أحمد بن زينٍ الحبشي

---

(١) أي: قراءتها ووهْبُ ثوابها للأموات.

رضيَ الله عنه إذا سار إلىٰ تريمَ لطلبِ العلمِ يأمُرُ خادِمه يشلّ[١] الذي يقدر لُهْ تمْر، ويجلسُ في تَريمَ في منارةِ باعلوي[٢] ليلاً ونهاراً علىٰ تمْرٍ مدَّةَ طلبِه. ولا يحصُلُ العلْمُ إلاّ مع القِلِّ من العَيْش.

وكان سيدُنا أحمد المذكورُ رضيَ الله عنه لا يتكلَّفُ للضيف؛ جاءوا عندَه أولاد شيْخه سيدِنا الحبيب عبد الله الحداد، فصنع لهم عشاءً خميراً ودُجراً؛ لأنه الموجودُ عندَه في تلك الليلة[٣]. وأمرَ الحبيب جعفر يتعشىٰ معَهم وجلسَ هو للحِزْبِ في المسجد، فذهبَ سيدُنا الحبيبُ جعفرٌ إلىٰ الدَّار، وفرَشَ لهم مكيلاً[٤] في الضَّيْـقَهْ، وأكلوا ذلك الخبزَ وغسَلوا في الصحفة، معَ أنهم أولادُ شيخِه، ما تكلَّفَ ولا تدَيَّن.

□ ثم جاء في بعضِ الليالي إلىٰ عندِه بعضُ السادة آل الجفريِّ وقد أتىٰ لسيدِنا أحمدَ رأسُ غَنمٍ وبُرٌّ من عندِ بعضِهم، فقال لهم: اصنَعوه كلَّه للسادة، فصنَعوه ضيافة. هذا حالُ الكبار ـ رضيَ الله عنهم ـ وسيرتُهم.

يا بخْت مَن هُوْ عندهم تربَّىٰ ... السـالكـين لله خـير مَسَـلـكْ

* * *

---

(١) أي: يحمل.

(٢) أي: مسجد باعلوي.

(٣) تقدمت هذه القصّة في موضع سابق بأخْصَر مما هنا.

(٤) المكيل: مفرَشٌ من خوص.

□ **قال سيدي رضيَ الله عنه:** أتىٰ عندَ سيدِنا أحمدَ بن زينٍ المذكورِ السيد عمرْ بن عبد اللهِ العيْدَروس، جدُّ السَّادة آل الشِّحْر، وكان قد خرَجَ إلىٰ تريم، ثم عزَمَ راجعاً إلىٰ الشِّجْر، وأتىٰ إلىٰ عندِ الحبيب أحمد بن زينٍ الحبشي بايستودع منه، ومعه جملة من أصحابه، فقصَدوا المسْجد.

فجاء الحبيبُ جعفرٌ وأخبر سيدَنا أحمدَ بهم، فقال له: لا حاجةَ لنا بهم. ما أنا مقصَد للأكْل؛ إن بايجي السيد وحْده لا بأس. فذهب الحبيبُ جعفَر إلىٰ عندِهم، وقال للسيد: إنّ الوالد إذا ماشي مَدْرَس يحْصُل معه انقباض، وإن باتجي أنت واثنان من الجماعة لا بأس. قال له: حتىٰ أنا وحْدي، ما المقصود إلّا الاجتماع به.

وكان عندَ سيدِنا الحبيب أحمدَ ابنُه الحبيبُ علوي بن أحمد يقرَأُ عليه في «شرح مسلم» أو في «مسلم»؛ لأنه يخرُجُ إلىٰ عندِ والده في الشَّهْر مرةً فقط[1]، فجاء السيدُ المذكورُ ومعه اثنانِ من جماعتِه، فانبسطَ معهُم الحبيب، ثم قال للسيد المذكور: كأنّ بينكم اتفاقاً أنت وعلوي حيث وقعتم مرة. وكان السيدُ المذكُورُ يحبُّ الكسَاءَ والظهورَ كمثْلِ سيدِنا الحبيب علوي رضيَ الله عنه.

وكان سيدُنا الحبيبُ محمد بِنْ سُميطٍ عندَهم، فجاء الحبيبُ جعفرٌ يغمِزُ والدَه، يقول: أتأذَنُ لي أن أصْنعَ لهم غداءً هو والذي في المسجد؟

---

(١) لأنه كان متوطناً في شبام، وداره معروفة بها، وهي في موضع دار المرحوم سالم بن محمد بن سالم باصهي، المجاورة لدار آل مسلّم.

فقال له سيدُنا أحمد: إن كان من وَضِيْعَك[١]؛ برفْع صَوْته؛ فصَنَع لهم غداء؛ هذه أحوالُهم رضيَ الله عنهم. (ولا تخالِفْ شورهم فتهلك).

❊ ❊ ❊

قال سيدي رضيَ الله عنه: وأتىٰ بعضُ أولادِ السادة عندَ سيدي أحمد، فأرادَ له تمر، فقالوا له: إن هنا إلا تمْر غابّ[٢]. فوصَّىٰ في تمْر زيْن، فتحيَّرَ الرسول. ثم قال سيدُنا أحمد للسادةِ المذكورين: إنّ أَباك ذو مرتبة، بانجي لكم بتمْر زين وصَّيْنا له، ونحن ما نحب نشغَل أهلنا نقول لهم: اخبزوا؛ أو كما قال رضيَ الله عنه.

ومَن تكلَّف تخلَّف عن سيرةِ السلف، رضيَ الله عنهم أجمَعين؛ آمين.

❊ ❊ ❊

وقال رضيَ الله عنه: علِّقوا همَّتكم بوالٍ عدْلٍ يحفَظُ الناس، ويردُّهم من طريقِ النار إلىٰ طريقِ الجنة؛ وتوجَّهوا إلىٰ اللهِ بالدعاءِ في ذلك، وقد قال سيدُنا الفُضَيلُ بن عياض: لو كان لي دعوةٌ مستجابةٌ لجعلْتُها لمَن يلي أمورَ الناس؛ هذا مَع حصولِه[٣] فكيف إلّا معَ عدَمِه، فالدعاءُ في ذلك أهم.

قال سيدُنا طاهر بن هاشم: أنا أتعجّبُ أولاً في مدحِ الشيخ عمر

---

(١) أي: مخزنك.

(٢) أي: متغيّر الطعم والرائحة، أو قديم.

(٣) أي: مع وجود الوالي العادل في زمن الفضيل.

بامخرمة للسلطان بدر[١]، فلمّا حدثَتِ الفتنُ والتجري علىٰ الله، عرفْتُ أن مدْحَه في محلّه، ما وقع بامخرمَة إلاّ ببركةِ بدر. ولا حُرِمناه نحن إلاّ بذنوبِنا؛ لأن العبدَ يُحرَم الرزقَ بالذنبِ يُصيبُه. ولكنْ فضْل الله وكرَمه وجوده يعطينا نحْن وإن لم نكُنْ أهلاً، لا تُحصىٰ مواهبُه، ولا تنفَدُ عجائبُه.

❊ ❊ ❊

وقال رضيَ الله عنه: علِّقوا همَّتكم، أقلُّ ذلك تموتُ بحَسْرةٍ على قِلِّ الوالي، حَتّى نسلَم من التوبيخ في القبور، ونفوز بالأجرِ، كمَن أرَادَ الحجَّ فماتَ علىٰ الطريق فأجرُه علىٰ الله.

وما تقولونَ فيمَن لا له همَّةٌ بحصول الوالي ولا يعوِّل عليه، هل يوَبَّخُ في قبرِه أم لا؟ ارفَعوا سؤال في ذلك. وأنا ما استانس أقول: بايُوَبَّخ. وقد قال سيدُنا عبدُ الله الحداد: أكثرُ ما يوَبَّخونَ العلماءَ في قبورِهم مِن أَجْلي؛ لأني الدّرْبُ الخارجيُّ عليهم، أتحمَّلُ عنْهمُ الأذىٰ. أو كما قال.

❊ ❊ ❊

وقال رضيَ الله عنه: سئلَ الشيخُ إبراهيمُ بن محمد هُرْمُزْ[٢] عن حالِ سيدِنا الحبيب علي بن أبي بكرٍ السكْران: أهو قطبٌ أم لا؟ فقال: إن لم يكن قُطْباً فليسَ للهِ وليٌّ علىٰ وجْهِ الأرض.

---

(١) هو بوطويرق، تقدم.

(٢) المتوفى سنة ٨٧٥هـ بشبام.

وكذلك سألَ السيدُ الزاهر[١] سيدَنا الحبيبَ حامد بن عمرَ عن حال سيدِنا عمرَ بن زين بن سُميط[٢]؛ أهو قُطْبٌ أم لا؟ فأجاب: نقول كما قال باهرمز: إن لم يكنِ الحبيبُ عليُّ بن أبي بكرٍ السكرانُ قطباً فليسَ للهِ وليٌّ علىٰ وجْه الأرض؛ ونقول في الحبيبِ عُمَر كذلك.

* * *

وقال رضيَ الله عنه: تَـنَـزَّلَ جميـعُ الناسِ عن سِـيْـرِ أسـلافِـهـم، الدولة[٣]، والسادة، وغيرهم، معاذْ أَحَدْ تبعَ سيرةَ أهلِه.

□ وقد كان السلطانُ عليُّ بن بدر[٤]، زِيُّه زيُّ الصوفية: بَياض[٥]. ورأىٰ بعْضَ السادة بزيٍّ مخالف، ومعَهُ تَبِعة، فأمر بحَبْسه وأخْذَ ما عليه من كساء وغيره، ثم بعدَ مُدَّةٍ أخرجَه من الحبسِ وأرسلَ للحَلَّاق فحلَقَ له، وأخرج له بُقشَة كساء أبيض، وألبَسَه ذلك.

وقال له: هذا زيك، وخلَّنا اسمَع بك في تريم من مَدْرسْ إلىٰ مَدْرَسْ.

فانتجَبَ السيدُ المذكورُ وصار مدرِّساً، وكان إذا رتَّبَ الفاتحة ابتدأ

---

(١) هو السيد محمد الزاهر بن عيدروس بن محمد بن شهاب الدين الأصغر، كان فاضلاً كريماً، وهو صاحب مسجد الزاهر بنويدرة تريم، توفي بالهند حوالي سنة ١٢٠٠هـ.

(٢) أي: والد المتحدث.

(٣) أي: الحكام؛ السلاطين.

(٤) هو السلطان علي بن بدر بن عمر بن بدر أبي طويرق، توفي بالشحر سنة ١١٠٧هـ.

(٥) أي: لباسه الثياب البيضاء.

بالسلطانِ عَليٍّ قبلَ سيدِنا الفقيهِ المقدَّم؟ فقيلَ له: كيفَ ذلك؟ فقال: ما رَدَّنَا شَرِيْف إلاّ السلطان.

وكذلك السلطانُ عمرُ بن جعفر(١)، جَدُّ هؤلاء(٢)، قال والدي: كانت له أيادي شريفة، وكان صَاحبَ نُسُك، وِرْدُه من الليلِ مئةُ ركعة. عسىٰ الله يمُنُّ علينا بوالٍ يردُّ الناسَ من طريق النار إلىٰ طريقِ الجنة. ما معَنا حياة، ولا معنا شيء، إلاّ مَنَّ اللهُ علينا بوالٍ علىٰ ما فيه، ولو هُو عَيْـف في نفسِه، يقَعُ في حُفْرة من النار، ولكن يَضُمُّ الناس؛ وإن وقعْ عادل فذلك فضْلٌ من الله تعالىٰ.

وهذه القهوة باتقيم لنا سلطانْ عادل لو وَفَّق الله، ولكن غلبَ الشيطان، بغاها ترُوْح في التُّرَّهَات ويضِيع بها الوقت في المُسايرة الدَّامِرَة للنساءِ والرجال.

❊ ❊ ❊

---

(١) هو السلطان عمر بن جعفر بن علي بن عبد الله بن عمر بن بدر أبي طويرق، توفي حدودَ سنة ١١٤٠هـ.

(٢) يعني الحبيب أحمد بقوله: (هؤلاء) أحفاد عمر بن جعفرٍ المذكور، الذين قامت لهم دويلةٌ هزيلةٌ في حضرموت في مطلع القرن الثالث عشر، وقد هرع العلويون حينها لنصرتهم ومؤازرتهم رغبةً في إقامة العدل.

قال السيد محمد بن هاشم: (ولم يقصر الحبيب العلامة أحمد بن عمر بِنْ سميط في نشر الدعاية لهذه الدولة التي علَّق الناس عليها آمالاً كباراً في إصلاح مستقبل حضرموت. . .) إلخ. «تاريخ الدولة الكثيرية»: (١: ١٢٠).

وقال رضيَ الله عنه في قولِه تعالىٰ: ﴿كُلَّ يَوْمٍ هُوَ فِي شَأْنٍ﴾ [الرحمن: ٢٩]: تفسيرُها هذه الآية: ﴿قُلِ ٱللَّهُمَّ مَٰلِكَ ٱلْمُلْكِ تُؤْتِي ٱلْمُلْكَ مَن تَشَآءُ﴾ [آل عمران: ٢٦]، يعني: شؤونٌ يُبديها لا يبتَديها، قد جَرَىٰ بها القَلَمُ في اللَّوح من قَبْل يُظْهِرها؛ يُغْني ويُفقِر، ويُصِحُّ ويُسْقِم، ويُحيي ويُميت، قد سَبَق في علمِه: أنَّ فلاناً يُقتَلُ في المكانِ الفلانيِّ في اليومِ الفلاني. فإذا علِمَ الإنسانُ أنَّ الأشياءَ مفروغٌ منها استفادَ التسليمَ والرضا بالقضاء. قال تعالىٰ: ﴿مَآ أَصَابَ مِن مُّصِيبَةٍ فِي ٱلْأَرْضِ وَلَا فِيٓ أَنفُسِكُمْ إِلَّا فِي كِتَٰبٍ مِّن قَبْلِ أَن نَّبْرَأَهَآ [أي: نُظهِرَها] إِنَّ ذَٰلِكَ عَلَى ٱللَّهِ يَسِيرٌ . لِّكَيْلَا تَأْسَوْاْ عَلَىٰ مَا فَاتَكُمْ وَلَا تَفْرَحُواْ بِمَآ ءَاتَىٰكُمْ﴾ [الحديد: ٢٢-٢٣]، فمَن لم يَأْسَ علىٰ ما فاتَه ولم يفرَحْ بما آتاه فقد أخَذَ الزهْدَ بطرفَيْه، وأشار سيدي رضيَ الله عنه بيديه ممثِّلاً له؛ هذا في شأنِ الدنيا ومصائبها.

وفي دعائه عليه الصَّلاةُ والسَّلام: «ومِنَ الرضا ما تُهوِّنُ به علينا مصائبَ الدنيا»، وله ثوابٌ في ذلك مهما صَبَر ورضي. وأمّا مصائبُ الدين فما فيها ثوابٌ إذا كان يقدِرُ على دفعها بالأمر والنهي، بل هو مُقرُّها إذا رضي بها، وهو الدَّيُّوث الذي يـقِرُّ الخَبَثَ في أهلِه؛ وكذلك إذا وفَّقَك الله للخيرِ تفرَحُ بذلك، من حيثُ فضلِه وامتنانِه وفَّقَكَ لها. أو كما قال.

* * *

وقال رضيَ الله عنه ونفَع به: في المال ثلاثةُ أشياء: حادث، ووارث، وحارِث.

فالحادث: الفَواتُ في بَـرٍّ أو بحْرٍ، كما جرىٰ في البنادر، ما لفَتَّـهُ

الذَّرَّة سَنَةً أَكَلَهُ الغرابُ صِيْم(١)، حتىٰ تعرِفَ أنّ الخَبَبَ في الرزْق مذموم، علىٰ تقديرِ أنه حصَل.

والوارث: أن تموتَ وتخلِّيه لزَوْج حليلتِك، وفي الحديث: «مالُكَ ما قدَّمْتَ، ومالُ وارثِك ما خلَّفْت»(٢) أو كما ورد.

☐ ومرَّ بعضُ السادةِ الفضلاءِ في شارعِ شبام، فوجَدَ اثنينِ متخاصمَين، وأحدُهما يقولُ برفَعِ صوتِه: مالي مالي! فقبَضَ السيدُ بكتفِهِ وقال: يا وَجْهَ الخير، غرُّوك! لقُوا لك سواد في بياض، وقلت: مالي. وأتىٰ بالحديثِ المشهور: «ما لَكَ مِن مالِك إلاّ ما أكلْتَ فأفنيْتَ أو لبِسْتَ فأبليْتَ أو تصدَّقتَ فأبقيْت»(٣) أو كما قال عليه السَّلام. فقال له الرجل: صدقْتَ يا حبيب.

والحارثُ: الذي يحْرُثُ فيه الخيرَ ويقدِّمُه للآخرة. قال بعضُهم: فكُنْ خَيْرَ الثلاثة؛ يعني الحارث.

كان بعضُهم يدعو بهذا الدعاء: «اللهمّ إنّا نباتُ نعمتِك، فلا تجعَلْنا حصَادَ نقمتِك». فكرَّرَها ثلاثاً.

☐ وكان بعضُ سادتِنا آل أبي علوي صَاحبَ استغراقٍ في الذكْر، وكان لا يطْرَحُ المِسْبَحة إلاّ عندَ شَلِّ الكتابِ للقراءة، وأنتم انصِتوا للتذكير، اصرِفوا همَمَكم إليه.

---

(١) هذا مثَل، معناه: ما جمعتْه الذرة (النملة) في سنة، أكله الغراب في لقمةٍ واحدة.

(٢) رواه النسائي (٤:٩٩)، والبيهقي في «الشعب»: (٣٣٣١).

(٣) الحديث، رواه مسلم (٢٩٥٨).

وقال رضيَ الله عنه: ما طريقُ الجنةِ إلاّ العِلْم، وكبِّروا همَّتكم حتىٰ تكونَ العطيةُ جَزِلة؛ لأن العطاءَ علىٰ قَدْرِ الهمَّة.

واترُكوا هذه الدنيا العائقة، لا يكنْ لكم هِمَّةٌ فيها، فربما يَهُمُّ الإنسانُ بها ويُبْتَلَىٰ بها، وهَوِّنوا في طلبِها وازهَدوا، وإن ما وقَع زُهد تقَع قَناعة، وحَقِّقوا القناعةَ بالاقتصاد، كالحَظْوةِ للمِلْحَفة[١].. لا يكونُ سلامة لها إلاّ بالحَظْوة؛ لأن القناعة محلُّها القلب، وهي: الاكتفاءُ بالموجود، وزوالُ الطمَع عنِ المفقود؛ وليس هيَ من مقدورِنا، بل هي نورٌ منَ الله يقذِفُه في القَلْب، بخلافِ الاقتصادِ فهو من مقدورِك.

ومِن نعمةِ الله علينا حيثُ لم نعرِف الياقوتَ والزمرُّد. ما هو كما قال الشيخُ محمَّد صَالح[٢]: مِن نعمةِ الله عَلَيَّ حيثُ لم أنظُرْ إلىٰ وجْه كافرٍ ولا بِدْعيّ.

ولا تغترّوا بالدنيا، بلِ اعرِفوا أنها فانية، وأنها فتنةٌ ومِحنة، وأن الآخرةَ باقية، وذلك عندَ قولِ بحرْق: (وفي الدنيا الدنيِّة)[٣]... إلخ، ما دَرىٰ بحْرَق إن عَاذْ ولد عَلْوي قفاه. قال سيدُنا عبدُ الله رضيَ الله عنه: (والزهدُ في الدنيا الدَّنيِّ متاعُها).. إلخ البيتين[٤].

---

(١) أي: خياطة حواشيها وأطرافها.

(٢) هو الشيخ محمد صالح الريس الزمزميُّ الزبيدي، مفتي الشافعية بمكة، توفي سنة ١٢٤٤ هـ.

(٣) «الحديقة الأنيقة» (٧٠).

(٤) «الديوان» : ٣٦٤، وهما قوله:

فقال له الحبيبُ عمر بن زين الحبشي: كنْتُ بالحَرَمين، فدخَلَ عليَّ شابٌّ وعندي ديوانُ الحبيبِ عبدِ الله الحداد، فنكشَه فوقعَ النَّكْش علىٰ قولِ سيدِنا عبدِ الله: عليك بتقوىٰ الله[١]. فبقيَ يقرؤها في نفسِه، ويحرِّكُ برأسِه.

ثم قال لي: أتأذَنُ لي في نقْلِها؟ فقلت: نعم. فأخرَجَ من خريطتِه بياضاً ودَواةً وقلماً، قد هو متأهِّب لطلبِ العلم، فنَقَلها.

ثم قال لي: أتأذَنُ لي أن أُقابلَها؟ فقلت له: نعم. فقابلْناها. فلمّا فرَغ، قال الشابُّ وهو ابنُ محمدٍ الأزْهر: إن كان فيَّ خيرٌ تكفينا هذه القصيدة.

ثم أُخبِرْتُ أنه وَقَع له فتوحٌ في العلم وإعراضٌ عن الأشياء، حتىٰ أن أباه بالمدينةِ أرادَ أن يُزوِّجَه، فتكلَّمَ عندَ بعْضِهم. وَقَبْلَ الزواج بليلةٍ هامَ الشابُّ ولا دَرَوْا به في أيِّ مكان. أو كما قال.

قال رضيَ الله عنه: أمَا علِمْتَ أنه كلامُ حدادِ القلوب، جذَب قلْبَه بكلامِه.

* * *

قال والدي عمرُ رضيَ الله عنه: في سفَري إلىٰ الشام اتفقتُ بإسماعيلَ

= والزهْـد في الدنيـا الدنيِّ متـاعُها ... دارِ الوبـاءِ فمـا بها من مرتَعِ
تُاهي عنِ الأخـرىٰ ولا تبقىٰ ولا ... تصفـو بحـالٍ فاجتنِبْها أو دَعِ

(١) تمام البيت:
عليكَ بتقوىٰ اللهِ في السرِّ والعلنْ ... وقلبَـك نظِّفْـه من الرجسِ والدرَنْ

النقْشَبَـنْدي[١]، وهو علامةٌ من العلماءِ الكبار، قال الوالد: جينا إلىٰ عنده وهو يشرَح «الشفاء» للقاضي عِياض. وقال: أنا في هذه الأيامِ في شرْح ﴿مُّحَمَّدٌ رَّسُولُ ٱللَّهِ﴾ [الفتح: ٢٩].

فذُكِرَ أنَّ بعضَ السادةِ آل الحدّادِ يسألُ عن الطرايقِ النقْشَبَنْدِية. فقال إسماعيل: أين السائل؟ قصيدةٌ من ديوانِ الحبيب عبدِ الله تكفيه؛ أمَا عَلِم أنّ (عليكَ بتقوىٰ الله) مشتملة علىٰ «الإحياء»؟ قال الوالد: فجعَلَ الشيخُ إسماعيلُ يقول: كذا وكذا فيها من رُبعِ المُهلكات، وكذا وكذا من رُبعِ المنْجِيات. قال الوالد: فتعجَّبْتُ من سَعَةِ عِلْمِه.

وأنتم كلٌّ مَن بغانا أفرَح به يجي عندي يأتي معه بكرّاس من «العُمْدة»[٢] و«خطبة الحبيبِ طاهر بن حسين»؛ خلّوا نحن نتكاثر، ونكثِّر سوادَ النبيّ ﷺ، فمَن كثَّر سوادَ قومٍ فهُو منهم؛ ويصيرُ المجلس رُوحاً، وإلاّ صار جسَداً بلا رُوح، وخلّوا الكتاب[٣] دستوراً لكم، كما القبائل شالِّين السلاح حتىٰ العُميْان، وأنتم سِلاحُكمُ العِلمُ. أو كما قال وأستغفرُ الله.

---

(١) هو العلامة الإمام الشيخ إسماعيل بن عبد الله الأسكداريُّ الحنفي، النقشبندي، نزيل المدينة المنورة، ولد سنة ١١١٩هـ، أخذ العلم عن أبي طاهرِ الكوراني، وصحب الإمام الحبيب عمر بن عبد الرحمن البار الكبير، وأخذ عن الشيخ محمد حياة السِّندي، والشيخ محمد ابن الطيب الفاسي. له: «مختصر صحيح مسلم»، و«مختصر شرح الشفا للخفاجي»، وغيرها. كان قوّالاً بالحق، معتقداً، توفي بالمدينة سنة ١١٨٢هـ. «سلك الدرر»: (١: ٢٥٥).

(٢) أي: كتاب «عمدة السالك» في الفقه.

(٣) أي: كتب العلم.

وقال رضيَ الله عنه: اِلزَموا هذه «الخطبة» وَشِيْعُوها، يعني خطبةَ الحبيب طاهر بن حسين[١]، وهي موهبةٌ من اللهِ تعالىٰ لأهلِ الزمان، ونرجو أن تكونَ هي الرشيدَ المشارَ إليه فيها بقولِه: (هل مِن رشيد)؛ إذا شِيْعَت يحصُل بها النفعُ الكبير؛ لأنه مات وهو متعلّقٌ بصلاحِ الجهة.

* * *

وقال رضيَ الله عنه: إذا اجتمعتوا اليوم علىٰ نشْر الشريعة وإحياء السُّنة، حصَل لكم الاجتماع ثَمَّ في الجنَّة، الجزاءُ من جنس العمل، اطلُبوا هذا النعيمَ والمُلكَ الكبير. قال تعالىٰ: ﴿وَإِذَا رَأَيْتَ ثَمَّ رَأَيْتَ نَعِيمًا وَمُلْكًا كَبِيرًا﴾ [الإنسان: ٢٠].

قالوا[٢] في تفسيره: إنّ الحقَ جلَّ وعلا يكتُبُ إلىٰ عبدِه[٣]: (منَ الحيِّ القَيُّوم، الذي لا يموت، إلىٰ الحيِّ الذي يموت: عبدي اشتقْتُ إليك)؛ ويطبَع عليه، فيأتي المَلَكُ إلىٰ العبْد، فيناولُه الكتاب، فيقول له: هل أتيتَ بالبُراق؟ فيقول: نَعَمْ؛ فيركَبُ إلىٰ حيثُ شاء الله. ثم يغلبُه الشوقُ فيطير، ويبقىٰ البُرَاقُ فارغاً. أو كما ورَد.

قال سيدي: لأنّ الحق ـ جلّ وعلا ـ لاَ أوّلَ [له] ولا آخِر؛ وأمّا

---

(١) وهي مطبوعةٌ ضمْن مجموع رسائل أخيه الحبيب عبد الله، آخر رسالةٍ فيه، ونظمها الشيخ أحمد بن عمر باذيب في «منظومة ألفية»، بإشارة شيخه صاحب هذا «المجموع».

(٢) أي: العلماء.

(٣) أي: في الجنة.

الآدميُّ له أولُ ولا آخِرَ له، بل خلودٌ أبديّ، إما خلودٌ في الجنّةِ ولا مَوت، وإمّا خلودٌ في النارِ ولا موت؛ وأمْرُ الخلودِ يُحَيِّرُ العقول!

* * *

وقال رضيَ الله عنه: تمسَّكوا بالكتابِ والسنة، واعتصِموا بهما، وألْقِ يدَكَ في يدِه عليه السَّلامُ لا تفُكَّها فيفُكَّك.

* * *

وقال رضيَ الله عنه: الإمامُ بحرق فحْل، وكتُبُه يُستأمَن عليها، وهو ممّن جمَع بينَ الظاهر والباطن. قيل: إنه توفِّي بأرضِ الهند، وله قصةٌ خارقةٌ هو وبعضِ البراهمةِ مشهورة.

كان سيدُنا عبد الله الحدّادُ لا يترُكُ قراءَةَ كُتُبِه[١]، وله «اختصارُ شَمَائل الترمذيّ»، كان الحبيبُ عمر بنُ سقافٍ يحمِلُها في كِيْسِهِ لأنها لطيفة.

* * *

وطلبَ الاستيداعَ من سيِّدِنا بعضُ السادة، فقال للمعلِّمِ عَوَضْ[٢]: زِدْ ذَكِّر الحبايب، فقرأ: بسم الله الرحمن الرحيم ﴿وَٱلۡعَصۡرِ﴾ . . . إلىٰ آخرِها.

فقال رضيَ الله عنه: كان سلَفُنا رضيَ الله عنهم لا يتفرَّقُونَ حتىٰ

---

(١) وكتبه كثيرة، تقارب الخمسين كتاباً ورسالة.

(٢) هو المعلم الشيخ عوض بن محمد سديس عُقْبَـهْ، توفي بشبام سنة ١٢٩٩هـ.

يقرأوا سورة ﴿وَٱلْعَصْرِ﴾، حرصاً منهم علىٰ التواصي بالحقِّ والصبر، قال الإمامُ الشافعيُّ رحمَه الله: الناسُ في غفلةٍ عن هذه السورة.

* * *

وقال رضيَ الله عنه: ما خُلِقْنا في الدنيا إلاّ لشأنٍ عظيم. ما خُلِقْنا يا حبايب لِشَلِّ الدِّيُور من مكانٍ إلىٰ مكان، ولا هذا عادةُ سلفنا. ضاعتِ الأعمار، وفوَّتْنا الشيءَ العظيمَ الذي خُلِقْنا لأجْلِه، وقَلّوا المذكِّرون وقَلُّوا أهْلُ العِلم. كما قال سيدُنا عبدُ الله الحداد: (وقد ذهَبَ الأُساةُ وقد تَفانَوْا)... إلخ.

وقَلَّ من يُسْتَحْيا منه؛ إذا جيت إلىٰ بلد ما تحصّل فيها من يُستحْيا منه، معاد استَحيوا حتىٰ مِن كبارِهم، وهذا آخرُ الزمان، العاضُّ علىٰ دينِه كالعاضِّ علىٰ الجَمْر.

اطلُبوا منَ الله الثباتَ والحفْظ، بالتعاونِ والتظاهُر والتآزُر علىٰ الحقِّ والصبر، والشيطانُ ما بغا لكم ذلك، بغاكم توانسُونه في النار. والدنيا سجنُ المؤمنِ وجنّةُ الكافر، ولا أُخرِجَ آدمُ من الجنةِ إلاّ عقوبةً وبلْوىٰ. وشاهدُ الإيمان: الامْتحان، يُبْتلىٰ الرجلُ علىٰ قدْرِ إيمانِه.

وخذوا حِذْرَكم من أولادِكم ونسائكم، بتعليم ما أوجَبَ الله، وإلاَّ رجعَتْ صداقةً في الدنيا عداوةً في الآخرة. قال تعالىٰ: ﴿يَٰٓأَيُّهَا ٱلَّذِينَ ءَامَنُوٓاْ إِنَّ مِنْ أَزْوَٰجِكُمْ وَأَوْلَٰدِكُمْ عَدُوًّا لَّكُمْ فَٱحْذَرُوهُمْ﴾ [التغابن: ١٤]، وقال تعالىٰ: ﴿ٱلْأَخِلَّآءُ يَوْمَئِذٍۭ بَعْضُهُمْ لِبَعْضٍ عَدُوٌّ إِلَّا ٱلْمُتَّقِينَ﴾ [الزخرف: ٦٧]، يخاصِمونَكم عندَ الله، يقولُ أحدهم: يا ربِّ خُذْ لي حَقِّي

من أبي كما ظَلَمَني، ما علَّمَني شرائعَ الإسلام. اتقوا شرَّهم في الدنيا، ولا تزالون تطلبونَ الحفْظَ من الله، ما أحد معصوم، وكلُّ من سَار مكان ينوي التعلم والتعليم.

ـ وأنت يا حبيبُ عمر، يعني عمر بن زين الحبشي[١]، إذا جيت إلىٰ شبام انْوِ طلَبَ الزيادة، وكذلك إذا سرْتَ إلىٰ تريم انْوِ التعلُّمَ والتعليم؛ لأنهما متلازمان، لا يحصُلُ ذا إلاّ بذا.

فتعلَّموا وعلِّموا تَسْلَموا وتَغْنَموا، وإلاّ فلا سلامةَ ولا غنيمة. وقال تعالىٰ: ﴿فَلَوْلَا نَفَرَ مِن كُلِّ فِرْقَةٍ مِّنْهُمْ طَآئِفَةٌ لِّيَتَفَقَّهُواْ فِي ٱلدِّينِ﴾ [التوبة: ١٢٢]، يعني: ما بغاهم كلّهم يروحُون للجهاد في سبيل الله، بغا بعضهم للتفقُّه في الدِّين، ﴿وَلِيُنذِرُواْ قَوْمَهُمْ إِذَا رَجَعُوٓاْ إِلَيْهِمْ لَعَلَّهُمْ يَحْذَرُونَ﴾ [التوبة: ١٢٢].

اجْلِسوا في حضرَموت علىٰ طلب علم وعبادة، هذه سيرةُ سلفِنا، ما نَسْخَىٰ بكم لجاوة ولهِنْد، ولكن سَوِّسوا أمورَكم علىٰ القناعةِ والاقتصاد حتىٰ يتأتَّىٰ لكم ذلك، وإن كان تركتُم هذا الحال عاقبَكُم الله بالغُرُبْ في طلب المَحَال.

❊ ❊ ❊

وقال رضيَ الله عنه: الأدَبُ ثمرةُ حُسْنِ العقيدة، وقلةُ الأدبِ مِن ضَعْفِ العقيدة؛ قال المُقْري[٢] شعراً:

---

(١) تقدم التعريف به.

(٢) هو الشيخ إسماعيل المقري الزبيدي، صاحب «الإرشاد»، توفي سنة ٨٣٧هـ.

مجالسُ ذكْرِ اللهِ تَنْهاكَ أن ترىٰ   بها ذاكراً للهِ ضَعْفَ العقيدةِ

والمدارُ كلُّه علىٰ الأدب، تأدَّبْ تأدَّبْ تأدَّبْ.

قال بعضُهم: اجْعَلْ علْمَكَ مِلْحاً وأدبَكَ دقيقاً؛ والأصْلُ في الأدبِ قولُه تعالىٰ: ﴿قُوٓاْ أَنفُسَكُمۡ وَأَهۡلِيكُمۡ نَارٗا﴾ [التحريم:٦]، يعني: فقِّهوهم وأدِّبوهم. ولهذا يُصدِّرونَ العلماءُ كتابَ الأدبِ بهذه الآية.

قال في «رياضةِ الصِّبيان»(١):

وفي كتابِ اللهِ قُوا أنـفُسَكمْ   مفهومُـه: وكلَّ من يلزَمُـكـمْ

أرادَ: بالتفـقيـهِ والتـأديـبِ   وكـثْـرةِ التعلـيـمِ والتهـذيـبِ

... إلخ

أدبِّوا أولادكم وفقِّهُوهم. ومن حقِّ العاقل إذا جاءه مولودٌ أن يَـبْـكِيَ ولا يفرَح؛ لأنه كُلِّفَ أمانة، ولكن يسألُ منَ اللهِ المعونةَ علىٰ حفظِها.

ومن أهمِّ الآداب: القناعةُ والاقتصاد، ينبغي للإنسانِ أن يقولَ للمُعلِّم: علِّمْ ولدي القناعةَ والاقتصاد.

---

(١) منظومة «رياضة الصبيان» للإمام العلامة شمس الدين محمد بن أحمد الرمليِّ المصريِّ، المتوفىٰ سنة ١٠٠٤هـ.

وقد أشار الحبيب أحمد بن عمر علىٰ العلامة الشيخ عبد الله باسودان أن يقوم بشرح هذه المنظومة، فشرحها في كتاب سمّاه «سمط العقيان» وقد تشرفتُ بخدمته، وهو مطبوع.

وأنت يا معلِّم محمد عبدون[1] علِّمْهم (بابَ القناعةِ والاقتصاد) من «رياضِ الصالحين» حتىٰ تقَعَ لك الشفاعةُ العظمىٰ والجاهُ عندَ النبيِّ صلىٰ الله عليه وسلم؛ أو كما قال رضيَ الله عنه.

* * *

وسمعته رضيَ الله عنه يقول إذا سمعَ المؤذن:

مرحباً بالقائلِ عدْلا، وبالصَّلاةِ مرحباً وأهْلا.

اللهمَّ افتَح أقفالَ قلوبِنا لذِكْرِكَ، وأتمِمْ علينا نعمتَك بفضلِك، واجعَلْنا من عبادِك الصالحين. ثم يجيبُ المؤذن.

* * *

وسمِعتُه رضيَ الله عنه يقرأُ هذه الآية في السكتةِ التي بعدَ الفاتحةِ في صلاةِ المغرب: ﴿فَاطِرَ ٱلسَّمَٰوَٰتِ وَٱلۡأَرۡضِ أَنتَ وَلِيِّۦ فِي ٱلدُّنۡيَا وَٱلۡأٓخِرَةِۖ تَوَفَّنِي مُسۡلِمٗا وَأَلۡحِقۡنِي بِٱلصَّٰلِحِينَ﴾ [يوسف: ١٠١].

* * *

وقال لي: إذا رأيتَ المعلِّم محمدْ عبدُون تذكَّرْ جدَّك عمرَ بن محمّد لعجم في سلامةِ الصّدر.

---

(١) هو الشيخ الصالح المعلم محمد بن أحمد عبدون شراحيل، سيتكرر ذكره في هذا المجموع، كما له ذكْرٌ في «الديوان» أيضاً، توفي بشبام ليلة السبت ٨ جمادىٰ الأولىٰ عام ١٢٦١هـ.

وقال رضيَ الله عنه؛ لمّا توفيَ بعضُ الأخيار، وهو عمرُ بنُ أحمدَ مَعَاشِر: هو من الذين يمْشُون علىٰ الأرضِ هوْناً، ومنَ الضعفاءِ المشارِ إليهم في الحديث: «إنّما تُنْصَرونَ وتُرْزَقونَ بضُعفائكم»(١)؛ كونوا مثْلَه.

وكذلك لمّا توفيَ أحمدُ بن محمّدْ جَبْر، قال: هو منكمشٌ في نفسِه، ومن الذين يمشُونَ علىٰ الأرضِ هوناً؛ أو كما قال.

❊ ❊ ❊

وقال رضيَ الله عنه وعفا عنا وعنه وعن جميع المسلمين، آمين: ولو كان شيءٌ يزيد الرزق لكانت القناعة أوْلىٰ بذلك؛ لأن القناعة مغناطيس الرزق، ولو كان شيءٌ ينقص منه لكان الحرص، ولكن الحريص والقانع لا يقع لهم إلا المقدَّر، وإنما هذا بهناء وذلك بنَغَص.

❊ ❊ ❊

وقال رضيَ الله عنه: قال سيدُنا الفضلُ بن عِياض: أعرِفُ ذنبي في خُلُقِ حِماري! قال اللهُ تعالىٰ: ﴿فَبِمَا كَسَبَتْ أَيْدِيكُمْ وَيَعْفُواْ عَن كَثِيرٍ﴾ [الشورىٰ: ٣٠].

وفي دعائه عليه الصّلاةُ والسّلامُ عندَ الفراغ من الشُّرب: «الحمدُ للهِ الذي جعَلَه عذْباً فُراتاً برحمتِه، ولم يجعَلْه مِلْحاً أُجَاجاً بذنوبِنا»؛ عسىٰ اللهُ يغفرُ الذنوبَ ويسترُ العيوبَ ويكشِفُ الكروب. لو رأىٰ الإنسان ما يكره من أولاده يعترفُ أنه بذنْبِه.

---

(١) أصله عند البخاري (٢٧٣٩): «هل تنصرون...» الحديث.

□ وكان الحبيبُ محمد بن سُمَيطٍ يقول في قولِه تعالىٰ: ﴿رَبِّ أَوْزِعْنِىٓ أَنْ أَشْكُرَ نِعْمَتَكَ ٱلَّتِىٓ أَنْعَمْتَ عَلَىَّ وَعَلَىٰ وَٰلِدَىَّ وَأَنْ أَعْمَلَ صَٰلِحًا تَرْضَىٰهُ وَأَصْلِحْ لِى فِى ذُرِّيَّتِىٓ إِنِّى تُبْتُ إِلَيْكَ وَإِنِّى مِنَ ٱلْمُسْلِمِينَ﴾ [الأحقاف: ١٥]، ومن الإصلاح: وجودُهما منَ العدم: ﴿إِنِّى تُبْتُ إِلَيْكَ﴾، أي: من الذنبِ الذي عقُّوني بسببِه. أو كما قال. حتَّىٰ مِن عَدَمِ فهْمِهم للعِلم.

اعترفْ أنْتَ أنَّه بذَنْبِك، واَشْكُ نفسَك إلىٰ ربِّك، وقل: يا ربّ، أنت سلَّطتَها عليّ، فأعنّي علىٰ إصلاحِها؛ لأنها عدوٌّ محبوب؛ وقَدِّرْ أنك في الوجودِ وحْدَك، وقمْ علىٰ نفسِك وأهلِك وأولادِك. أو كما قال.

* * *

وقال رضيَ الله عنه: السعيدُ مَن رُزِقَ حظّاً وافراً مِنَ اتِّهامِ النفْس، وهي عدوٌّ محبوب، ولا سبيلَ للشيطانِ علىٰ الإنسانِ إلّا مِن قِبَلِها؛ لأنها بمنزلةِ الوزيرِ للملك، ومثْلُها الزوجة، عدوٌّ محبوب: ﴿إِنَّ مِنْ أَزْوَٰجِكُمْ وَأَوْلَٰدِكُمْ عَدُوًّا لَّكُمْ فَٱحْذَرُوهُمْ﴾ [التغابن: ١٤].

والفرْقُ بينَ خاطرِ النفس وخاطرِ الشيطان: أنّ النفْسَ إذا عزَمَتْ علىٰ شيءٍ صممَتْ عليه ولا تسكنُ إلّا به؛ لأنها عندَ شهْوَتِها كالطفل، إذا بغا شَيْ ما يسكُنُ إلّا به.

وخاطرُ الشيطان يداريك، لأنّ مقصودَه: الظفَرُ بك علىٰ أيِّ حالٍ، يقول لك في المعصِية، فإذا امتنعْتَ أتاك في الطاعة، إمّا بالعجَلَة، أو الرِّياء، أو العُجب، ويروِّجُ لك الشرَّ في مَعْرَضِ الخير.

ولا معَك إلّا ربُّك التَجِئْ إليه، وقُلْ: «اللهمَّ إنك سلَّطْتَ علينا

عدُوّاً»... إلخ. وقد أغْوَىٰ أبانا آدم ﴿ثُمَّ ٱجْتَبَٰهُ رَبُّهُۥ فَتَابَ عَلَيْهِ وَهَدَىٰ﴾ [طه: ١٢٢]، وأخرَجَه إلىٰ الدنيا للعقوبة، كمثْلِ المَلِك إذا غضِبَ علىٰ أحدٍ أدَّبَه بالسجن. والدنيا سجْنُ المؤمن، وهي لتكميلِ أبينا آدم، ما خرَجَ إلىٰ الدنيا إلّا لِيُكمَّل، ويدعُوَ أولادَه إلىٰ الله؛ اقتدوا بأبيكم آدم.

* * *

وقال رضيَ الله عنه: الحِكمةُ تقضِي علىٰ صاحبِها بالزهْد في الدنيا، وإلّا ليس بحكيم، قال الحبيبُ عمر بن سقافٍ شعراً:

فإذا تَعَشَّقها الحكيمُ فما له من حِكمةِ

... إلخ.

□ كان الحبيبُ عبد الله الحدّادُ يسمي أولادَه: عَلَوِيّ: صالح؛ وحسَن: حكيم. قال الوالد: انظُرْ قوْلَه: (حكيم) اقتضتْ حِكمتُه زهدَه في الدنيا، إنه كان يتقَهْوىٰ زعْتَر، ويجلِس علىٰ دِيْم، وفي الغالِب يسيرُ بلا رِدَاء؛ بهذا صاروا أكابر.

وجاء إلىٰ شبام، أعني الحبيبَ حسنَ بن عبد الله الحدّاد، مع سَفَرِه إلىٰ الشام(١)، فاتَّفقَ السفرُ في يومِ الربوع، فقال له بعضُهم: إنه يومُ الربوع، ما حد يْسافر فيه. فقال له: عسىٰ ولا يعودْ عليّ بسَفَر، ما بغيت السفر، ألاّ الحجّ آزاناً علىٰ السفر. أو كما قال.

□ قال الوالدُ رضيَ الله عنه: سلَفُنا يؤْثرونَ الجلوسَ في تَريم حتىٰ

---

(١) يقصد بالشام: الحجاز وجهتها في عرف أهل حضرموت.

علىٰ بعضٍ كِفاية، وكلُّها حضرَموت بغت تَـكَفِّي واقتصاد في العوائد، كما قال القائلُ شعراً:

ما كُلُّ ما فوقَ البسيطةِ كافياً　　　وإذا قنِعْتَ فكلُّ شيءٍ كافي[١]

يعني: إنّ ابنَ آدم ما يكفيه شيءٌ مع التوسّع، «لو كانَ لابنِ آدمَ وادٍ من ذهبٍ لابتغىٰ إليهِ ثانياً»[٢]. . . إلخ، وإذا قَنِـع كلُّ شيءٍ يكفيه؛ وذا مع ذا حتىٰ يتأتىٰ له الحلالُ وإلاّ أكَلَ الشُّبَهَ والحرام واحْتاجَ إلىٰ الحِيَل، فاقتَصِروا في العوائد.

كما قال سيدُنا إبراهيمُ بنُ أدهمَ حينَ قالوا له: إن اللحْمَ غالي، قال: أرْخِصوه بالتَّرْك.

☐ وقال عبدُ الله بَاناعِمَه[٣]؛ حينَ غلِيْ السَّمْن، بلغَ ستّ أواقٍ بأوقية[٤]، قال: أنا حَصَّلتُه من رطل. قالوا له: كيف؟ قال: لقمةٌ بسَمْن ولقْمَةٌ بلا سَمْن.

معنىٰ كلامِه قريبٌ من كلام سيدِنا إبراهيم، وإنما ما أُثبِتَتْ مقالَتُه في الكتُبِ لأنه ما يُـؤَبهُ له. وأنْتَ افْهَمِ المقصود، وإن صَدَر من مجذُوبٍ أو مغروم عندَ الناس، فكلامُه هذا كلامُ العُقَّال. أو كما قال.

---

(١) البيت لابن الفارض.

(٢) متفقٌ عليه، البخاري (٦٠٧٤)، ومسلم (١٠٤٨).

(٣) آل باناعمه من الصَّدِف من كندة، أصلهم من (صيف) بدوعن، وانتقلوا إلىٰ (سيون)، ومنهم جماعة بمكة وجدة.

(٤) أي: ست أواقي سمن بأوقية فضة.

[شرح قصيدة (يا ربنا) للإمام الحداد]

وقال رضيَ الله عنه، عندَ قراءتي عليه لقصيدةِ سيدِنا عبدِ الله الحدّاد: «يا ربَّنا يا ربَّنا»[1]، عند قولِه فيها:

ما عنهُ حِـرْنا إنَّما　　　فيه نَحِيرُ لِعَجْزِنا

الحَيْرةُ في الله مقصودُ الأكابرِ أهلِ الله، كما قال سيدُنا أبو بكرٍ الصدِّيقُ رضيَ الله عنه: «اللهُمَّ زِدْني فيك تَحَيُّراً»، وأما الحَيْرةُ عَنْه فهي كفْرٌ والعياذُ بالله.

وقال عندَ قولِه:

إنّ الوجُودَ بأسْرِهِ　　　بالأحَدِيَّـةِ مُعْـلِنـا

كما قال القائل:

وفي كلِّ شيءٍ له آيةٌ　　　تدُلُّ على أنه واحدُ[2]

ألا ترىٰ أنك إذا رأيتَ ما يعجبُك مِن صُنع الله قلت: سبحانَ الله! فهذا يَشْهد له بالوحدانية.

* * *

---

(١) تمام البيت:

يا ربَّـنـا يا ربَّـنـا　　　يا ربُّ يا أهلَ الثنا

«الديوان» (٤٥).

(٢) البيت لأبي نواس.

وقال عندَ قولِه رضيَ الله عنه:

سُحْقاً لمَن يشُكُّ في الـ　　حَـقِّ وقـد تـبَـيَّـنا

قال تعالىٰ: ﴿ سَنُرِيهِمْ ءَايَٰتِنَا فِى ٱلْآفَاقِ وَفِىٓ أَنفُسِهِمْ حَتَّىٰ يَتَبَيَّنَ لَهُمْ أَنَّهُ ٱلْحَقُّ ﴾ [فصلت:٥٣] «اللهمَّ أَرِني الحقَّ حقاً وارزُقْني اتّباعَه، وأرِني الباطلَ باطلاً وارزُقْني اجتنابَه، ولا تجعَلِ الأمرَ متشابهاً عليَّ فأتَّبعَ الباطل».

الْهَجُوا بهذه الدعوةِ وأكثِروا منها حتىٰ ينتفيَ عنكم تلبيسُ الشيطانِ والنفْس والهوىٰ، واطلُبوا منَ الله الثبات. ما الدنيا إلاَّ فتنة ﴿ إِنَّمَآ أَمْوَٰلُكُمْ وَأَوْلَٰدُكُمْ فِتْنَةٌ ﴾ [التغابن:١٥]. «واسْأَلْه السَّلامةَ من دارِ الفُتُون»(١).

* * *

وقال عندَ قوله:

يا أملَ المؤَمِّلينْ　　ويا ملاذاً كُنْ لنا

ما معَك إلاَّ ربُّك، ما الركونُ إلاّ إليه، لا إلىٰ عِلْم، ولا إلىٰ عمل، ولا إلىٰ نَسَبٍ ولا حسب؛ بل لو وكَلَكَ إلىٰ نفسِك هلكْت، اللهمَّ لا

---

(١) هذا بيتٌ من قصيدةٍ للإمام الحداد؛ مطلعها:

الـزَمْ باب ربك واتـرك كل دونْ　　واسأله السلامة من دار الفتونْ

لا يضـق صدرك فالحادث يهونْ　　اللهُ المقـدر والعـالم شـؤونْ

لا يكـثر همك، ما قـدِّر يكـونْ

«الديوان» (٤٨٩).

تكلِنْي إلىٰ نفسي فأهلِك، ولا إلىٰ غيرِك فأضيع، فالموكُولُ إلىٰ نفْسِه هالك، وإلىٰ غيرِه ضائع. اللهمَّ واقيةً كواقية الوليد.

□ حزِنَ بعضُهم علىٰ موتِ شيخه، فشكا ذلك إلىٰ بعضِهم، فقال له: لِمَ جعلتَ شيخَك مَن يموت؟ ويقال للراكن إلىٰ أهلٍ أو مال: ﴿وَٱنظُرْ إِلَىٰٓ إِلَٰهِكَ ٱلَّذِى ظَلْتَ عَلَيْهِ عَاكِفًا﴾ [طه: ٩٧]، فارْجِع إليه تعالىٰ مِن سَمحْ[١].

❊ ❊ ❊

وقال عندَ قوله:

فمِنْكَ كلُّ خيرةٍ وكلُّ نعمةٍ بنا

اللهمَّ ما أصبحَ بي مِن نعمةٍ فمنك وحدَك. . . إلخ، هذا شكرُ الجَنَان، وهو أفضلُ الشكر، يعني: التوحيدَ في قولِه: (فمنك وحدَك) إلخ؛ وشكرُ اللسانِ الحمدُ والثناء. وشكرُ الفعل: ﴿ٱعْمَلُوٓا۟ ءَالَ دَاوُۥدَ شُكْرًا ۚ وَقَلِيلٌ مِّنْ عِبَادِىَ ٱلشَّكُورُ﴾ [سبأ: ١٣]: شكْرُ الأركانِ بالأعمال الصالحة، والسعْيِ في حِفْظ نعْمَة الإسلام، وهو عزيز، يعني: شكرَ الفعل.

❊ ❊ ❊

وقال عندَ قولِه:

أحسَنْتَ فيما قد مضىٰ أَبِّـدْ وزِدْ يا مُحسِنـا

طلبَ زيادةَ النعمةِ بالنعمة؛ كما أنعمْتَ عليَّ بنعمةِ الإسلام فتمِّمْها؛

---

(١) أي: عاجلاً.

تدري ما تمامُها؟ دخولُ الجنة. فنسألُ اللهَ تعالىٰ حسْنَ النية، وتمامَ النعمة، ودخولَ الجنةِ برحمتِه، وكمالَ اليقين، والثباتَ في الدِّين، لنا ولكافةِ المسلمين.

وفي قولِه: (أبِّد): النعيم الأبديّ إذا حصَّلت حُسْن الخاتمة، والمعاونة علىٰ البرِّ والتقوىٰ تُثْمِر حُسْن الخاتمة.

واجمَعْ قلوبَنا علىٰ التقوىٰ، ووفِّقنا وإياهم أجمعينَ لمَا تحبُّه وترضاه، واختمْ لنا ولهم بالحسنىٰ في خير ولطفٍ وعافيةٍ يا ربَّ العالمين، فعَجِّلْ ثمرةَ الاجتماع، واختمْ لنا ولهم بالحسنىٰ.

إذا حصَلَ الاجتماعُ في الدنيا علىٰ الدينِ فيقعُ الاجتماع هناك في الجنة؛ يُرجَعُ إلىٰ قولِ سيدِنا عبد الله الحدّاد:

يـا ربِّ واجمعْـنَـا وأحبابـاً لـنـا   في دارِك الفِرْدَوْسِ أطْيَبِ موضِعِ[1]

والفردوسُ هي للآمريـنَ بالمعروفِ والنّاهينِ عنِ المنكر؛ وسيدُنا عبدُ الله استعان بطلب النعمةِ علىٰ النعمة، كما أعطيتَني الفَرَس، فأَعْطِني العَبْدَ يَسُوسُ الفرَس. وأنت كذلك، أمّا إن كانك قلت: يوم أنا، يوم أنا، ما استَحقيت شيْ ولا تستحق شيْ.

* * *

(١) من «العينية الكبرىٰ». «الديوان» (٣٦٥).

وقال عندَ قولِه:

مَـلَكَتْـهُ أُمنيـاتُ نَـفْـ ـسٍ هَمُّـهَا عَرَضُ الدُّنـا

شهدَ رضيَ الله عنه علىٰ نفسِه بحبِّ الدنيا، فكيف ألّا نحن؟ اللهم لا تجعَلِ الدنيا أكبرَ همّي ولا مبلَغَ علمي. و«حبُّ الدنيا ذنبٌ لا يُغْفر» كم في الحديث[١]. يا الله بالثبات في الحياة الدنيا وفي الآخرة.

❊ ❊ ❊

وقال رضيَ الله عنه: لا يقدِرُ أحدٌ أن يذُمَّ الأكابرَ بمثْل ما يذُمُّونَ به أنفسَهم. انظروا إلىٰ قولِ سيدِنا عبد الله الحدّاد: «يا ويحَ نفْسي الغويّة»[٢] . . . إلخ، وقولِه: «علىٰ أنني آثرتُ دنيا دنيّة»، إلىٰ غيرِ ذلك.

ومن ذلك: حين سَبَّ بعضُهم سيدَنا زينَ العابدين، فقال له: وما خفِـيَ عليك بأعظم. ألك حاجةٌ نعينُك عليها، أو دَينٌ نقضِيه؟ أو كما قال.

❊ ❊ ❊

وقال رضيَ الله عنه: أهلُ القلوب المنوَّرة يفرَحُون بالتذكير، وأهْلُ القلوب المظلِمة يشُقُّ عليهم ذلك.

---

(١) لم أجده.

(٢) تمام البيت:

يا ويحَ نفسي الغويّهْ عن السـبيـلِ السَّـويَّـهْ
أضحَتْ تروّجْ عَلَيّـهْ وقصدُها الجاهُ والمالْ

«الديوان» (٤٤٤).

وقال رضيَ الله عنه: الرِّفقُ والاقتصاد يُثمر خَصلتين زيان جم جم: العطفُ من الأغنياءِ علىٰ الفقراء بالفَاضِل؛ والتعفّفُ من الفقراء؛ لأنه إذا ما شي يُحْوِجُه تعفَّف، وإذا بغاهْ كلُّهُ استازَىٰ علىٰ السؤال.

□ رأىٰ بعضُهم في المنامِ بعْضَ الصالحين المُقلِّينَ يقول له: كنا مُقلِّينَ فقراء، فأغنانا اللهُ بقدومِ فلان. فقال له: كيفَ ذلك وهُوَ فقير؟ فقال له: دلَّ فقراءَنا علىٰ التعفف، وأغنياءَنا علىٰ التعطُّف. أو كما قال.

فقال سيدُنا: انظُروا بركَةَ الدعوةِ إلىٰ الله؛ فأدَبُ الفقير: التعفُّف، وأدبُ الغنيِّ: التعطُّف؛ كرَّرها ثلاثاً. ولا يتأتىٰ ذلك إلاّ بالرِفْقِ والاقْتصاد، ولا يتأتىٰ الورَعُ إلاّ بذلك؛ ومُحَالٌ الورَعُ ممَّنْ بغَاه كلَّه؛ لأن القناعةَ بساطُ الورع، وإذا عُدِمَتِ القناعةُ عُدِمَ الورَع، لا أحَدْ يغشّ نفسه ويغُرّها.

* * *

وقال رضيَ الله عنه: ما يفرَحُ الإنسانُ بأحدٍ يكونُ خيراً منه إلاّ ولده، فهو يفْرَحُ أن يكون خيراً منه.

□ كما يُحكىٰ عن سيدِنا الشيخ عبد الله بن شيخ بن عبدِ الله العيْدَروس(١) أنه أتىٰ بابنِه مُحمَّدٍ(٢) إلىٰ سيدِنا الحبيب أحْمَد باحَجْدَبْ،

---

(١) هو الأوسط، المتوفىٰ بتريم ساجداً في صلاة العصر ليلةَ الجمعة ١٤ ذي القعدة ١٠١٩هـ.

(٢) هو السيد محمد العيْدروس بن عبد الله بن شيخ، مولده بتريم سنة ٩٧٠هـ، وتوفي بسورت بالهند سنة ١٠٣١هـ.

وهو نقيبُ آل باعلوي وتولىٰ القطبية. فقال له العَيْدَروس: هذا مُحَمّدٌ ولدي، بارِكوا عليه! فمسَح رأسَه وقال له: ابنُكَ محمد خيرٌ منك. فخَرَّ سيدُنا عبد الله شكراً لله تعالىٰ. وسيدُنا محمدٌ المذكورُ هو مصنِّفُ كتاب «إيضاح أسرارِ علومِ المُقرَّبين».

□ وكذلك يروىٰ عنِ التاج السُّبكيّ[1]، وكان يُدرِّس، فقيل له: ابنُك أحمد في التدريس أحسنُ منك. فأنشأ هذا البيت:

دروسُ أحمدَ خيرٌ مِن دروسِ عليْ   وذاكَ عـنـدَ عـلـيٍّ غـايـةُ الأمَـلِ

قال سيدُنا رضيَ الله عنه: وأنا إن كان أولادي بايقعون إلاّ مثلي فلا أرضىٰ لهم بحالتي؛ كبِّروا همَمَكم في أولادِكم وكلّ مَن تحتَه ولد يبخَل به، يحسَب أنه جوهرة، ويفرِّغه لطلبِ العلم والرحْلَةِ له، وإلاّ لَعاد يتمنىٰ العيال إذا حالتنا إلاّ هذه، نكونُ كما قال في الحديث: «خيرُكم بعدَ المئتينِ الخفيفُ الحاذِ الذي لا أهلَ له ولا ولد»[2].

لا يُغبَطُ اليومَ إلاّ مَن لا تزوَّج ولا تحتَه عيال. وسعِدَ من ماتَ صغيراً علىٰ حالةٍ مَرْضِيَّة. ولا أحد يتمنىٰ طول العمُر، لماذا يكتسب أوزار؟ ولا معنا أعمال حتىٰ نتمنىٰ الموت، أو كما قال.

---

(١) الرواية عن التقي علي بن عبد الكافي السبكي لا ولده التاج، وهو المشار إليه في البيت بـ (علي). والرواية ذكرها التاج عبد الوهّاب السبكي في «طبقات الشافعية الكبرى» (١٠: ١٩١).

(٢) الحديث أخرجه ابن عدي في «الكامل» (٣: ١٠٣٧)، وابن الجوزي في «العلل المتناهية» (٢: ١٤٦)، من حديث حذيفة رضيَ الله عنه، ولا يصح.

وقال رضيَ الله عنه: ادعوا بهذه الدعَوات: «اللهمَّ متِّعْنا بخِيارِنا، وأعِنّا علىٰ أشرارِنا، واجعَلْنا أخياراً كلَّنا».

* * *

وقال رضيَ الله عنه: الْهَجُوا بطلبِ الوالي حتىٰ تموتوا ما يعذِرُكم إلاّ الموت، وموتوا حَسارىٰ[١] علىٰ فقْدِه، وإن مَنَّ اللهُ به فذلك المطلوب، وإلاّ خرَجْنا منَ العُذرِ وسلِمْنا من التوبيخ. ما معك إلاّ جهدك.

قال سيدُنا عبد الله الحداد:

فـإنْ ظَفِـرْتَ فـإنّ اللـهَ ذو كـرَمٍ ... وإن فقَدْتَ فقد أُعْذِرْتَ في المثَلِ[٢]

وهو قولُ أمرئِ القيس:

بكىٰ صاحبي لمّا رأىٰ الدرْبَ دونَهُ ... وأيقَـنَ أنّـا لاحِقـانِ بقيصَـرا
فقلتُ له: لا تبْكِ عينـاك، إنمـا ... نحـاولُ مُلكـاً أو نموتَ فنُعْذَرَا

واللهُ جلَّ وعلا يعطي ويمنَع، ما أحَدْ يحكُم عليه، إنْ أعْطَىٰ فبفضلِه، وإن منَع فبذنوبِنا؛ لأن العبد يُحرَمُ الرزقَ بالذنْب يصيبُه. واجتهِدوا في ذلك وعلِّقوا همَمَكم به.

---

(١) أي: مُتَحسِّرين.

(٢) من القصيدة التي مطلعها:

خلِّ ادِّكارَكَ ربْعاً دارسَ الطَّلَلِ ... ومنزلاً بينَ ذاتِ الضالِ والأثَلِ

«الديوان»: ٤١٥.

□ وقد ظهَرَ لكم عمرُ بن جعفر(١)، وعمرُ بن مُقَيْص(٢)، ما تسَبَّبْتُوا لكم وتطَيَّبْتُوا، أو حسبتم مَلَك باينزل، أو عُمَر بن عبد العزيز؟ ما بايقع لكم ألاّ منكم، وإلاَّ ما تنفَع الحياة؛ وإذا ما شيء والي غَبَـنْتوا أولادَكم ومكالفكم، ولا شي مكان يُعيض في حضرَموت تهاجِر إليه، قد الأرض كلها متشبهة، عادْ حضرَموت أشْكَل موجود، تعاونوا علىٰ نصرِ الدين، لا تخلونه يحقّْ فيكم قول سيدنا عبدِ الله الحداد:

ـــا تـــراهُـــمْ أعْـــوَانْ　　　إلاّ علىٰ باطلْ وترْكِ قُرْبهْ

وأمْرُ المَعاشِ كلُّه من الباطل.

* * *

وقال رضيَ الله عنه: العلمُ والعمَلُ من الباقياتِ الصالحات. قال اللهُ تعالىٰ: ﴿وَٱلْبَٰقِيَٰتُ ٱلصَّٰلِحَٰتُ خَيْرٌ عِندَ رَبِّكَ ثَوَابًا﴾ [الكهف: ٤٦]، فخُذْ منهُنّ؛ وأما الفاني فخذْ منه ألاّ قدْرَ الضرورة، وإن أبيْتَ فخُذْ منه قدْرَ الحاجة.

قال سيدُنا عبدُ الله الحدّادُ رضيَ الله عنه:

واترك الفاني المرْذول　　　واقبِـلْ علىٰ آخـــراك

---

(١) هو السلطان عمر بن جعفـر بن علي بن عمر بن جعفرِ الكثيري، آخر سلاطين آل عمر بن جعفر، امتدّ حكمه إلىٰ سنة ١٢٤٠هـ، وكان حبل الأمن في زمنه مضطرباً جداً.

(٢) هو المقدّم عمر بن عبد الله بن مقيص الأحمديّ اليافعي، كانت له نية صالحة، وله عزم علىٰ تخليص الوطن من ويلات الفتن، وقامت دولته في قرية (بيت جُبير) في ربيعِ الثاني سنة ١٢٤٣هـ، ولم تدم غير سنتين حتىٰ قُوضت خيامها وزالت.

قال سيدُنا الشافعيُّ رضيَ الله عنه: أعطِ العلمَ كلَّك يُعطِك بعضَه.

كما قيل:

لم يُحِطْ بالعلم يوماً أحدٌ ... لا، ولو مـارسَـهُ ألفَ سَنَهْ
إنمـا العلـمُ بـعيـدٌ غوْرُهُ ... فخُذوا من كلِّ علْمٍ أحسنَهْ

وأهل الزمان عكسوا الحال، أعطوا الدنيا قوالبَهم معَ القلوب، فيا للهِ مِن عجَبٍ[1].

* * *

وقال رضيَ الله عنه: إذا ضاعَ الصِّغَر ضاع الكِبر.

□ رأىٰ بعضُهم سائلاً يُلحُّ في المسألة؛ فقال: ترونَ هذا في هذه الحالة، هذا ضيَّع حقَّ الله في صِغَره فضيَّعهُ الله في كِبرَه.

* * *

وقال رضيَ الله عنه: قلةُ المالِ وقلةُ العيالِ اليومَ عافية، كما في الحديث: «وقلةُ المالِ قلةُ الحساب»[2]، أو كما ورَد؛ «خيرُكم بعدَ المئتين الخفيفُ الحاذ» أو كما قال عليه الصّلاةُ والسلام.

---

(١) أخذاً من قول الإمام الحداد:

تنافَسُوها وأعطَوْها قوالبَهمْ ... معَ القلوبِ، فيا لله من عَجَبِ

«الديوان» (٨٢).

(٢) أخرجه الإمام أحمد في «مسنده» (٢٣٦٧٤)، بلفظ «. . . وقلة المال أقل للحساب».

فخذْ حِذْرَك من نفسِك ومن زوجتِك ومن ولدِك. قال الله تعالىٰ: ﴿إِنَّ مِنْ أَزْوَٰجِكُمْ وَأَوْلَـٰدِكُمْ عَدُوًّا لَّكُمْ فَٱحْذَرُوهُمْ﴾ [التغابن: ١٤]، وقال تعالىٰ: ﴿مَّوَدَّةَ بَيْنِكُمْ فِى ٱلْحَيَوٰةِ ٱلدُّنْيَا ثُمَّ يَوْمَ ٱلْقِيَـٰمَةِ يَكْفُرُ بَعْضُكُم بِبَعْضٍ وَيَلْعَنُ بَعْضُكُم بَعْضًا﴾ [العنكبوت: ٢٥].

□ دخلَ جماعةٌ علىٰ سيدِنا عبدِ الله بن مسعودٍ الصحابيِّ رضيَ الله عنه وعندَه أولادُه فيهم نَشْمة(١)، فقال: تدرُون ماذا أحِبُّ فيهم؟ قالوا: ماذا؟ قال: أن يقولوا: نفَقوا، يعني: ماتوا؛ وذلك خوفاً من عدمِ القيامِ بحقوقِهم، يرجِعونَ أعداءَهُ يومَ القيامة.

* * *

وقال رضيَ الله عنه: يُعينُك علىٰ ترْكِ الحَسَد القَناعة، وأمّا الطامعُ فلا يخلو من حسَد؛ لأنه بشَر؛ والحاسدُ سَاخطٌ لقضاءِ اللهِ تعالىٰ.

العلومُ ثلاثة: أولُها عِلمُ العقيدة، ثم علمُ الشريعة، ثم علْمُ أخلاقِ القلب. فهذه فروضٌ تجبُ علىٰ كلِّ شخْصٍ فرْضَ عَين؛ وباقي العلوم فرضُ كفاية.

* * *

ميْتةُ الآدميِّ طاهرة، وإن كان كافراً مُراقَ الدم. وأمّا قولُه تعالىٰ: ﴿إِنَّمَا ٱلْمُشْرِكُونَ نَجَسٌ﴾ [التوبة:٢٨]، يعني: نجاسَةَ اعتقادِهم. وعندَ الإمام

---

(١) أي: أُبَّهة ووسامة.

أبِي حنيفة: ينجُسُ الآدميُّ بالموت؛ فعلىٰ هذا: لو أوصىٰ شخصٌ ــ إذا مات ــ أن لا تدْخُلَ جِنازتُه المسجِد.. وجَب اتّباعُه.

* * *

وقال رضيَ الله عنه: الدِّينُ تعظيمُ الدين؛ قال تعالىٰ: ﴿ذَٰلِكَ وَمَن يُعَظِّمْ شَعَـٰٓئِرَ ٱللَّهِ فَإِنَّهَا مِن تَقْوَى ٱلْقُلُوبِ﴾ [الحج: ٣٢]، وأمّا صُورَةُ الطَّاعة فقد تصْدُرُ حتىٰ منَ المنافق؛ والطاعةُ ــ وإن قَلَّتْ ــ معَ التعظيم، أفضَلُ من كثيرِها مع الغَفْلَةِ وعدَم المُبَالاة.

* * *

وقال رضيَ الله عنه عندَ قولِه تعالىٰ: ﴿وَرَتِّلِ ٱلْقُرْءَانَ تَرْتِيلًا﴾ [المزمل: ٤]، أي: وجوباً؛ لأن الأمرَ عندَ أهلِ الأصولِ للوجوب، إلّا إن دلَّ دليلٌ علىٰ النَّدْب أو علىٰ الإباحة.

* * *

وقال رضيَ الله عنه عندَ قول الإمام العامريِّ[١] رضيَ الله عنه في السكتةِ المسنونِ تطويلُها بعدَ الفاتحةِ في الجهرية للإمام: إنها سنةٌ مهجورة،

---

(١) هو العلامة الفقيه المحدث الشيخ يحيىٰ بن أبي بكر العامريُّ الحرضي، ولد سنة ٨١٦هـ، وتوفي سنة ٨٩٣هـ، له مؤلفات نافعة، منها: «بهجة المحافل وبغية الأماثل في تخليص السير والشمائل» مطبوعة وعليها شرحٌ للعلامة محمد بن أبي بكرٍ الأشخر، وغيرها ينظر: «الضوء اللامع»: (١٠: ٢٢٤)، و«البدر الطالع»: (٢: ٣٢٧).

قلَّ من يُراعي لها؛ كما هجَروا سنّةَ الدعوة إلىٰ الله، وكما هجروا المُعاونةَ علىٰ الخير هَجَرهُم الخير. وحاقُوا بالإِثْم والنكَد، وكم من سُننٍ هُجِرَت، وكَمْ وكَمْ.

□ والإمامُ يحيىٰ العامريُّ أدرَكَه سيدُنا العَدَنيُّ وقرأَ عليه؛ وهو مقبورٌ في (حَرَضْ) من بلادِ اليمن.

وكانت له خاصيةٌ عظيمةٌ وهي: إذا لمَسَتْ يدُه شيئاً لم تضُرَّه النار، حتىٰ أنه وقفَ ببابه سائل، فما وجد الشيخُ في بيتِه إلاّ عجيناً، فأعطىٰ السائلَ منه، فذهبَ السائلُ به ليخبزَه، فناولَه أهلَ بيْتٍ آخر فلم تُنضِجْه النار، فقالوا له: لمَسَه العامريّ؟ قال: نعم. قالوا: لا تُدخِلِ النارَ شيئاً لمَسَه العامري. نفَع الله به.

* * *

وقال رضيَ الله عنه: سلَّطَ اللهُ علينا هذه العوائدَ بإزاءِ المعاملةِ الفاسدة، «رزْقُ الماءِ في الماء».

كما في قصّة رجُلٍ كان يغِشُّ اللبنَ بالماء، فركبَ المركبَ هو وابنُه، ومعهم كيسٌ فيه دراهم، فجاء قِرْدٌ وحمَلَه وطلَع به رأسَ الدَقَل[1]، وجعَلَ يرمي بالدراهم؛ درهمٌ في الماء ودرهمٌ إلىٰ الساعية، حتىٰ فرغَ الكيسُ ونصفُ الدراهم في الماءِ ونصفٌ في الساعية؛ فقال الولد لأبيه: يا أبتِ، رزقُ الماءِ في الماء.

---

(١) صاري السفينة.

يعني: الماءَ الذي في اللبن؛ أو كما قال. والسبَبُ كلُّه في عدَمِ القناعـة. رُدُّوا لنا مُـلكَ أهـلِنـا: القناعـةَ والاقتصـاد، طَـرِّبوا عليهـا في الأسـواق.

مُلْكُ القناعةِ لا يُخْشىٰ عليه، ولا   يُحتـاجُ فيه إلىٰ الأنصـارِ والخَوَلِ

* * *

وقال رضيَ الله عنه لي: رأىٰ جدُّك محمد لعجم كأنَّه يقولُ لسيدِنا عبدِ الله الحداد: ائذن لي في التدريسِ بشبام. فقال له: إنّ فيها مَن يكفي في التدريس: السيدُ محمدُ بِنْ سميطٍ؛ والذين عاشروا السيدَ محمداً خيرٌ منَ الذين قبلَهم، وأخوك بكار عوض خيرٌ منك.

فلمّا انتبهَ جاء إلىٰ الحبيبِ محمد بن سُميطٍ وقال: رأيت رؤيا باقُصَّها عليك، ولا بغيت أخي بكار يسمع؛ فقصَّها عليه.

قال سيدي أحمد: انظُرْ شفقتَه علىٰ أخيه في عدم إسماعِه الرؤيا؛ فيها مَدْح له.

* * *

□ ورأىٰ السيدُ صالح بن عبد الله[1] صَاحبُ وادي عَمْد ـ وذلك

---

(١) هو السيد الحبيب الولي صالح بن عبد الله بن عيدروس الحامد، المتوفَّىٰ ببلدة (عَمْد) سنة ١٢١٢هـ تقريباً.

ووقع في بعض النسخ: عبد الله بن صالح، وهو خطأ من النسّاخ.

لمّا بلغتْه أخبارٌ مِن شبامَ أيامَ حَصْر الشوَيرع[١] ـ قائلاً يقول له: لا تخَفْ علىٰ شبام وفيها المَشْغان الأصقع، واسمُه محمد[٢].

قال سيدي: أدركْتُه، صاحبُ ذهول، وهو عبدٌ صالحٌ وفيه دعابة، تزوَّج ثم فارَق، فقيل له: لِمَ؟ قال: قد بنتي تخْبز.

وذُكِرَ الفقرُ عند الحبيب محمد بن سُميط، فقال: عوَيْمر!! ما لكَ حاجة بي.

* * *

وقال رضيَ الله عنه: رأىٰ الحاجُّ أحمدُ بن عُقْبة بعضَ السادة بعدَ موتِه، فقال له: بماذا نفعَك الله؟ قال: بهذا المجلّد. فلمّا انتبهَ الحاجُّ جاء إلىٰ أولاد السيد المذكور، فقال لهم: أرُونا كتُبَكُمُ الجميع؛ فأرَوْه إياها، فنظر في المجلدِ المذكور فإذا هو مجموعٌ من كتبِ سيدنا عبد الله الحداد، و«سبيل الادِّكار»[٣] من جملة ذلك، فقال: هذا الذي نفَع الله به والدَكم؛ أو كما قال.

---

(١) في نسخة تريم زيادة: (أيام حَصْر بن علي جابر). اهـ؛ وقد جرت منهم مناوشات سنة ١٢٢٤هـ.

(٢) هو الشيخ الصالح محمد مشغان، يلقب بالأصقع، من الآخذين عن الإمام محمد ابن زين بن سميط.

(٣) كتاب «سبيل الادّكار بما ينقضي للإنسان من الأعمار» مطبوع.

قال سيدي: والمذكورونَ[١] من تلامذة الحبيب محمد بن سُميط.

* * *

وقال رضيَ الله عنه: كنت نائماً ضَحْوَة، فرأيت سيدَنا عمر بن سقافٍ وكأن نحن في منزلٍ غِلسٍ كما في أيام الشتاء، ويقولُ ليَ الحبيبُ عمر: سَلْوَتكْ والأنس، فلما انتبهتُ تعجَّبت من ذلك، فجاء مكتَّبٌ من تَريم بوفاة السلطان جعفر بن عليّ[٢]، فعرفتُ أن تأويلَ الرؤيا حصولُ اغتمامِ الناس بذلك مع شدَّة فرَحِهم بالسلطان، وذلك سنةَ اثنتين وعشرين ومئتين وألف[٣]، فحضرَتْ ليَ الآبياتُ التي أوّلُها:

يـا مريـدَ العلـمِ والعملِ　　　فُزتَ بالمطلوبِ والأمـلِ
سَلْوَتكْ والأُنس تَلْقَهُمـا　　　فيهما من غيرِ ما جدَلِ[٤]

---

(١) وهم: الشيخ محمد مشغان، والشيخ أحمد بن عقبه، والسيد عبد الله بن صالح الحامد.

(٢) هو السلطان جعفر بن علي بن عمر بن جعفر، أول سلاطين دُويلة آل عمر بن جعفر الأخيرة بحضرموت.

كان أول قدوم له إلىٰ حضرموت من جهة الهند وجاوة سنة ١٢١٨هـ، وأقام أولاً بهينن. وفي أيامه قدم آل بن قملا من نجد في أول مرةٍ وردَّهم هذا السلطان عن شبام فرجعوا، وله حوادث وأخبار. وكانت وفاته بتريم في المحيضرة سنة ١٢٢٣هـ، كما في «تاريخ الدولة الكثيرية» (١٢٠- ١٢١).

(٣) في نسخة شبام ١٢١٦هـ.

(٤) وهي في «الديوان» (١١٠-١١٤).

وقال رضيَ الله عنه: طريقةُ سيدِنا عليٍّ الخوَّاصِ(١) السياحة. قال رضيَ الله عنه: سلكْتُ إلىٰ مكةَ تسعةَ عشرَ طريقاً، من جُملتِها: طريقان من ذهبٍ وفضة.

□ وحصلتْ له فترةٌ في بعض الأيام، فخرَج إلىٰ شاطىءِ البحر، فجعَلَ يعْمَلُ قفافاً من خُوْص ويرمي بها إلىٰ البحر، ثم أفاق فتفكّر: لماذا سخرني الله تعالىٰ؟ فسَارَ علىٰ ساحل البحر، فلقي امرأةً جالسة، فسألها عن جلوسِها؟ فقالت: لي زوجٌ ماتَ وخلَّف خمسةَ أيتام أعُوْلُهم، وكنْتُ أخرُجُ إلىٰ الساحِل ألتقطُ قِفافاً يقذِفُها البحْرُ أتقَوَّتُ بثمنِها. فتعجّبَ الشيخ عليٌّ من ذلك؛ وقال: يا ربِّ، لو علمْتُ أنك سخّرْتَني لخمسةِ أيتامٍ لَبقيتُ في عمَلِ القِفاف. ثم كفلَ المرأةَ وأولادها يعُولُهم، رضيَ الله عنه.

قال سيدي رضيَ الله عنه: انظُرْ كيف فترةُ أولياءِ الله!

* * *

وقال رضيَ الله عنه: العلمُ فنون؛ وكلُّه شريف، وبعضُه أشرَفُ من بعض، ولبَعْضِه ثوابُ العَمَل بالعلم، ولبعضِه ثوابُ العِلْم.

وهو العلمُ الذي فُقِدَ بموتِ سيدنا عمرَ بن الخطابِ رضيَ الله عنه، وبه تُطْفأُ نيرانُ الجهل، ولكنْ كلُّ شيءٍ يُطْفىءُ شيئاً، فنارُ الحِرْصِ لا يُطْفيها العلْمُ بأبوابِ السَّلَم، وإنما تُطْفأُ بالعلم بنحوِ قولِه عليه السّلامُ:

---

(١) هو الشيخ العارف بالله، علي الخوّاص، من أهل القرن العاشر الهجري، عاش بمصر، وهو شيخ العلامة عبد الوهاب الشعراني.

«ما أخطأَكَ لم يكنْ ليُصيبَك»[١]، هذا الذي فُقِدَ بموتِ سيدنا عمر. أو كما قال.

* * *

وقال رضيَ الله عنه: إذا قلتَ دعاءَ الخروج من البيت: «اللهمَّ إني أَعوذُ بك أن أضِلَّ أو أُضَلّ، أو أَزِلَّ أو أُزَلّ، أو أَظْلِمَ أو أُظْلَم»[٢]؛ توسَّعْ في المعنىٰ، لا تقتصِرْ علىٰ معنىٰ الظُّلْمِ الذي سَبَقَ إلىٰ الفهم.

لأن أصْلَ الظلم: وضْعُ الشيءِ في غيرِ مَحَلِّه؛ ومنه: أن تضَعَ صدقَتَكَ في مفضولٍ وعادْ أفضل منه، فإنك ظَلَمْت. مثلاً: التصدُّق بخُمْسِيَّتين[٣] في مفضول وعادْ أفضل منه، بتركِكَ عدمَ التخْيير، من باب قولِه عليه السّلام: «تخيَّرُوا لنُطَفِكم»[٤]، بل تخيَّرْ لها، وضَعْها في طالبِ علمٍ تقيٍّ حتىٰ يزيدَ ربحُ الصَّدقة، أو كما قال.

* * *

وقال رضيَ الله عنه: كانت الملوكُ السابقونَ مستجابي الدعوة.

□ يقال: إن امرأةً وقفتْ تبكي بدارِ مَلِك، فسألها الملكُ عما يُبكيها،

---

(١) رواه أبو داود (٤٧٠٠).

(٢) رواه أبو داود (٥٠٩٤).

(٣) الخُمسيّة: فئة من العملات التي كانت متداولة في عصر المؤلف، ولعلها من مسكوكات السيد حسين بن سهل التي ضربها في الشحر في القرن الثالث عشر.

(٤) رواه ابن ماجه (١٩٦٨)، والدارقطني (٣:٢٩٨)، والحاكم: (٢:١٧٦).

فقالت: من القَحْط. فقال: وهل سوىٰ ذلك؟ فطلَعَ بيتَه، وأمرَ خادِمَه أن يُكَورم[١]، فطلَعتْ سحابةٌ مثلُ الترس، فقشَعَ فيها البرق، وأغاثَ اللهُ الأرضَ في تلك الليلةِ ببركةِ دعائه. أو كما قال.

* * *

وقال رضيَ الله عنه: سأل سيدُنا عبدُ الله الحدادُ سيدَنا الحبيبَ محمَّدَ ابْنَ سُميط: ماذا تطالعُ فيه من الكتب؟ فقال له: في «سبيل الرشاد» لبازَرْعة[٢]. فقال له: طالِعْ في «فتح الجواد»[٣]، واقصِدِ اللهَ بالعِلْم، واحذَرْ أن تكونَ مِن حطَبِ النار. أو كما قال.

قال سيدي: لأن لسانَ سيدي عبدِ الله الحدادِ ناطقةٌ بالخوف.

كما قال[٤] رضيَ الله عنه: حالِيْ الرجاء، وإنما أنطقَني اللهُ بالخوف رحمةً لأهل الزمان؛ لأنهم كثيرو الاغترارِ بربِّهم.

* * *

وقال رضيَ الله عنه: سببُ القبائل وضَيَاعِهم: عدم القِصاص. ماذا

---

(١) أي: ينادي: يا كريم، يا كريم. تبشيراً بطلوع السحاب الممطر.

(٢) هو كتاب «سبيل الرشاد شرح الإرشاد» في الفقه، للعلامة الفقيه الإمام عبد الله بن أحمد بازَرعة الدوعنيِّ الحضرمي. (مخطوط) منه نسخة بمكتبة الأحقاف بتريم برقم (٧٥٠) الجزء الأول فقط.

(٣) وهو أيضاً شرحٌ علىٰ كتاب «الإرشاد»، تأليف العلامة الإمام أحمد بن حجر الهيتمي المكي.

(٤) أي: الإمام الحداد.

بايقولون لهذه الآيةِ يومَ القيامة: ﴿ يَٰٓأَيُّهَا ٱلَّذِينَ ءَامَنُواْ كُتِبَ عَلَيۡكُمُ ٱلۡقِصَاصُ فِي ٱلۡقَتۡلَىۖ ﴾ [البقرة:١٧٨]؟

وسببُ ما نحن فيه: ضياعُ الاقتصادِ في المعيشة، راحت الأموال في الكُعْدِه[١]، وما ضاهاها من زوائدِ العوائد.

يستغرقُ آلُ حضرَموت كم في القهوة؟ قيل له: نحوُ ستينَ ألفَ قَرْشٍ في السنة جَفَل وسُكّر ونحوَهما؛ باتقيم لنا والياً يسوق نحن إلىٰ الجنة، ويرُدُّ نحن من طريق النار، ماذا نقول حين نُسأَلُ عن المال فيما أنفقْناه؟ فاستحيُوا من الله، شُفوا الحجة قائمة علينا.

والذين يتظاهرون: رجال ونساء، ماذا بايقولون لآيةِ النور: ﴿قُل لِّلۡمُؤۡمِنِينَ يَغُضُّواْ مِنۡ أَبۡصَٰرِهِمۡ﴾ [النور:٣٠] وآيةِ الأحزاب: ﴿ وَإِذَا سَأَلۡتُمُوهُنَّ مَتَٰعٗا فَسۡـَٔلُوهُنَّ مِن وَرَآءِ حِجَابٖۚ﴾ [الأحزاب:٥٣]؟ نقرأ القرآنَ حجةً علينا، هل أُذُنٌ واعية؟ قال تعالىٰ: ﴿وَتَعِيَهَآ أُذُنٞ وَٰعِيَةٞ﴾ [الحاقة:١٢]، وإلا ترجعْ عقوبات علينا. قِدْ مابآل حضرَموت إلاّ مخالفَةُ القرآن، يتنكَّسونَ في المِحن بسبب مخالفتِهم؛ وأهلُ الزمانِ ما لهم همّةٌ في معالي الأمور، همتُهم خسيسَة، وفي طلبِ المُحَال، مفجوعونَ من المَعاش، ضدُّ السلفِ رضيَ الله عنهم.

قال سيدي عبدَ الله الحدادُ فيهم:

. . . . وهمتُهمْ نيْلُ المكارمِ والفضلِ[٢]

---

(١) آنية من الخزف تطبخ فيها القهوة.

(٢) تمام البيت: =

وفيها:

. . . .   هُمومُهُمُ في لَذّةِ الفَرْجِ والأَكْلِ(١)

أو كما قال.

والهمّةُ قالَبُ التوفيق، كما أن السَّحْوَةَ(٢) تقْنصُ الطيرَ وهو في الهواء، فكذلك الهمةُ تقنص طيرَ التوفيق.

* * *

وقال رضيَ الله عنه: لا ينفعُ ذكْرُ الموت باللسان، بل تذكُرُ أقرانَك ومَن عاشرْتَهم من آباءٍ وإخوانٍ وجيران، لهذا قال عليه السّلام: «كنتُ نهيْتُكم عن زيارةِ القبور، فزُوروها تُذكِّرْكُمُ الآخرة»(٣) أو كما قال.

معناه: تُذكّرْكم آخِرَ أمْرِكم، كانَ أهلُ القبورِ مثلَك وتصيرُ مثْلَهم. هذا ذكْرُ الموتِ الذي يُجدي. قال عليه الصّلاةُ والسلام: «أكثِروا مِن ذكْرِ هاذمِ اللذات، فإنه ما كان في كثيرٍ مِنَ العملِ إلاّ قَلَّله، ولا في قليلٍ مِنَ العيشِ إلاّ كَثّرة»(٤).

= وقد درَجَ الأسلافُ من قبْلِ هؤلاء   وهمتُهم نيْلُ المكارمِ والفضْلِ

«الديوان: ٣٩٩».

(١) تمام البيت:

أما إنّ هـذا الدهْـرَ قد ضلَّ أهْـلُه   همومُهـمُ في لـذَّةِ الفَـرْجِ والأكْلِ

(٢) آلة من العود لقنص الطيور.

(٣) رواه مسلم (١٩٧٧).

(٤) رواه الترمذي (٢٣٠٧)، والنسائي (٤:٤)، وابن ماجه (٤٢٥٨).

كما قال بعضُهم: أما ترىٰ، عندي أربعةُ دراهم، متىٰ تراني أُفنيها؟ ولا عادْ تُخاصم ولا تُنازع علىٰ أمورِ الدنيا؛ لأنها: (ما تسوىٰ العداوةَ للحشيم)، كما قال سيدُنا عليٌّ بن حَسَن[١].

وقال بعضُهم: مَن نازعَك في دنياك فألْقِها في نحْرِه، ومن نازعَك في دينِك فلا تُطِعْه.

وخيرٌ للإنسانِ أن يتسلَّطَ علىٰ مَالِه ظالمٌ ولا يَصرِفُه في شَهواتِ نفسِه؛ لأنه إذا ظُلِمَ وصَبَر أُثيبَ علىٰ ذلك، فإن عفا عنه وكظَمَ غيظَه أُثيبَ غيرَ الثواب الأول، وهكذا يُثابُ ويصبِر! (كَم نِعَمْ طيَّ المصائب).

□ كان سيدُنا أبو الدُّغَير من قدماءِ أئمة تَريم، جعَلَ عليه بعضُ الولاةِ كلّ يومٍ حسوك فرس[٢]، فإذا جاء له السايسُ دفعَ له ذلك بعدَما ينحزه ويطيِّبه، فقيلَ: لِمَ ذلك؟ قال: حتىٰ يأتيَ الثوابُ منَـقَّىٰ. فجاء له السايسُ يومَ الجمُعة، معَ انصرافِه إلىٰ المسجد، وطلبَهُ الطعامَ، فقال له: بعْدَ الصلاة، فأبىٰ إلَّا في هذه الساعة. فقال له الشيخ: أنت تبقىٰ قائماً حتىٰ أُصليَ وأعطيكَ الطعام؛ فمضىٰ الشيخُ إلىٰ المسجدِ والرجلُ قائمٌ في الشمس لا يقدِرُ أن يميلَ كذا ولا كذا، حتىٰ صلَّىٰ وجاءَ الشيخُ والسايسُ قائمٌ في محلِّه. فقال الرجل: فُكَّ عليّ، وطعامُك لك.

وقال سيدي: هذا حالُهم يصبِرونَ علىٰ الأذىٰ معَ أنَّهم أهْلُ

---

(١) هو العطاس: صاحب المشهد.

(٢) لعله: طعامٌ للفرس.

تصريف[1]. فمثلُ هؤلاءِ أهل القلوب، تصلح لهم الدنية، وأما نحن أهل النفوس، إذا حصل علىٰ أحدنا أذًىٰ يوَدِّي أن يُهـلِك الظالمَ وتُدْمَر ذريتُه.

❊ ❊ ❊

ودخَلَ سيدنا الحبيب عمَرُ بن زينٍ الحبشيُّ حالَ وصولِه من مكانِه علىٰ سيدي رضيَ الله عنه، مع قراءتي هذا البيتَ له:

ربَّنا انفَعْنا بما علَّمْتَنا ربِّ علِّمْنا الذي ينفَعُنا

ربِّ فقِّهْنَا وفقِّهْ أهلَنا وقَرابـاتٍ لنـا في دينِنـا

معْ أهلِ القُطْرْ، أنثىٰ وذكَر[2]

فقال سيدي رضيَ الله عنه: أعيدوا الدعاءَ لوصُولِ الحبيب عمر. هذا شاهد القبول إن شاءَ الله؛ ولكنْ في الوقت الذي يريدُ لا الوقتَ الذي تريد، وربما تختارُ الفاني، وربُّك بغا لك الباقي.

ثم قال: كيف طلبتُمُ الفقهَ في الدِّينِ لجميعِ الخلق؛ لأنهم إذا تفقهوا في الدِّين زهِدوا في الدنيا، واللهُ سبحانه وتعالىٰ أراد عمارتَها ولا تُـعْمَرُ إلاّ بأهل الغفلة، أما أهْـلُ الله فهُمْ في ذكْـرٍ وفكْـر، باترجَع تخـرَب الدنيا أم كيف؟

ثم قال: حتىٰ تشْهَدَ حكمةَ اللهِ سبحانَه وتعالىٰ؛ لأنه الحكيم؛ انظُرْ

---

(١) لأنهم أرلياء الله؛ وأولياء الله لهم كرامة كما في الحديث: «ولئن سألني لأعطينه، ولئن استعاذني لأعيذنه».

(٢) وهي الأبيات التي يؤتىٰ بها في ختام المجالس والدروس العلمية.

تجِدْ أخوَين، أحدُهم زاهدٌ في الدنيا، والآخرُ حريص، اقتضتِ الحكمةُ ذلك. لا تعترضِ الحكيمَ في حكمه.

ما تقولُ لو بَنىٰ أحَدٌ داراً ولم يفعَلْ فيه بيتَ ماء[١]، بل فعَلَه كله مَحَاضِر؟ فإنه يُنقَمُ عليه في ذلك لعدَمِ حكمتِه؛ لأن الحكمةَ تقتضي بيتَ الماء للحاجةِ إليه. أو كما قال.

❋ ❋ ❋

وقال رضيَ الله عنه: الكبيرُ يَنوبُ عن أهلِ وقته. يشيرُ إلىٰ ذلك قولُ سيدنا عبدِ الله الحداد، وقيل عنهم: «اشتَدّي أزْمَةُ تنفَرجي»، البيت[٢].

❋ ❋ ❋

وقال رضيَ الله عنه: مِن كلامِ سيدِنا الحبيبِ حامد بنِ عمر: حوادثُ الزمانِ تُـنْـكَرُ ولا تُسْتنكَر، أي: تُـنْكَرُ من حيثُ الشريعةُ بالأمرِ بالمعروف والنهيِ عن المنكر؛ لأن ماشي يعذرك، ولا عَذرَكَ الله بذلك، بل قال تعالىٰ: ﴿لِمَ تَعِظُونَ قَوْمًا ٱللَّهُ مُهْلِكُهُمْ أَوْ مُعَذِّبُهُمْ عَذَابًا شَدِيدًا قَالُوا۟ مَعْذِرَةً إِلَىٰ رَبِّكُمْ﴾ [الأعراف:١٦٤]، ولا تُسْتَنكَر؛ لأنها موعودٌ بها. قال عليه السَّلام: «لَتَـتَّـبِعُنَّ سَنَنَ مَن كان قبلَكم حَذْوَ القدَمِ بالقدَم، حتىٰ لو كان فيهم مَن أتىٰ أُمَّهُ لَكان فيكم مَن يأتي أُمَّه»[٣]، «بدأَ الدِّينُ غريباً، وسيعودُ غريباً كما بَدأ»[٤]

---

(١) أي: بيت خلاء.

(٢) كذا في الأصل، ولعل في الكلام سقطاً.

(٣) متفقٌ عليه، البخاري (٧٣١٩)، ومسلم (٢٦٦٩).

(٤) مسلم (٢٣٢)، والترمذي (٢٦٢٩)، وابن ماجه (٣٩٨٨)، والدارمي (٢٧٥٨)، =

الحديث. ﴿هَٰذَا مَا وَعَدَنَا ٱللَّهُ وَرَسُولُهُۥ وَصَدَقَ ٱللَّهُ وَرَسُولُهُۥ﴾ [الأحزاب: ٢٢] ﴿هَٰذَا مَا وَعَدَ ٱلرَّحْمَٰنُ وَصَدَقَ ٱلْمُرْسَلُونَ﴾ [يس: ٥٢].

بل ما تراهُ من الحَوَادث معجزةٌ للنبيِّ عليه السَّلام؛ لأن ما أخبرَ به وَاقعٌ لا مَحالةَ، ولكنّ الأمرَ بالمعروفِ والنهيِ عن المنكرِ لا رُخصةَ فيه.

* * *

وقال: المدارُ كلُّه علىٰ التربية؛ شَكَا بعضُهم من ولدِه أنه ضرَبه، فقال له: ماذا عَلَّمتَه؟ قال: يبقر علىٰ ثورين. قال: حَسبَكَ ثوراً مِن ثيرانِه.

ومِن هذا القبيلِ ما تراه من القبائل، والسبب: تضييعُهم في الصِّغر، ما حَدْ ذَكَّرهم وعادهم صغار قابلين، حتىٰ أنهم نَشَوْا علىٰ ما ترىٰ، واليوم إنْ عادْ شيْ مُـلافاة[1] باتقع لِصغَارهم، فالرجاءُ في الله، ما أحَدْ بايـيأس مِن كرَمـه.

* * *

وقال رضيَ الله عنه: كان سيدُنا الحبيبُ محمدُ بِنْ سُميطٍ رضيَ الله عنه يبكي في مرَضِ موتِه، ويقول: بَدَّلْنا ضِرْسَ حمَار بضِرْس غَزَال، يعني: علىٰ محَلَّتِهم في شبام علىٰ تريم[2].

= وأحمد (١: ٣٩٨) و(٤: ٧٣)، وغيرهم.

(١) مُلافاة: تدارُك.

(٢) لأن تريم هي مسقط رأسه رضي الله عنه، بها ولد ونشأ. وأيضاً، لأن أهل تريم كانوا يعظمون آل بيت رسول الله ﷺ وهم كثرة بها، أما شبام فآل البيت فيها قلة،=

وقال رضيَ الله عنه: رأىٰ بعْضُهم كأنّه في مسجدِ الجامع بالجانب البحريِّ ورجلٌ مُعَظَّمٌ بالجانبِ النجْديِّ وهو يقول: اللهَ اللهَ في عِيالي!

ثم قصَّ الرؤيا علىٰ الوالد عمر رحمه الله فقال له: الرجلُ المعظَّمُ هو النبيُّ ﷺ، وهو الجامعُ لصفات الكمالِ، وعيالُه هم أهلُ البيت. أو كما قال رضيَ الله عنه.

* * *

وقال رضيَ الله عنه: خلُّوا فلان ـ وكان به جُرح في رجْلِه ـ يقْرَأْ علىٰ الجُرح ما ذَكَر سيدُنا عبدُ الله الحدّاد: (يا ذا النَّبْتُ المنبوت، مُتْ في جسدِ مَن يَمُوت، بقدْرَةِ الحيِّ الذي لا يموتْ)، وأظـنُّه علىٰ الرِّيق.

* * *

وقال رضيَ الله عنه: تبصَّروا في عيالِ القبائل، البناتِ والأولاد، خلُّوهم يتفقهونَ وهم أبناءُ سبع سنين أو ثمان، ما عادْ يبلُغ خمسَ عشرة سنةً إلاّ وقد أحْرَز أمْرَ دينِه. ولو عرَفوا مِنَ القرآنِ «الفاتحةَ» تكفي، أمُّ الكتاب؛ لكنك لو صلَّيتَ خلفَه استأمنْت، ونرجو منَ اللهِ أن يكونَ ذلك بَذْرَ السلطانِ العادل، يُكرِمُ اللهُ به، إذا تمَّتِ المعاونةُ علىٰ ذلك. وما ذلك علىٰ اللهِ بعزيز. ما حَالْ يَعْسُرك يا حنَّان يا منَّان، ما عَسِرْ إلاّ الذي في قُدرتِك يا مخلوق. أو كما قال.

= ولكنهم صبروا علىٰ ذلك لتسيير الدعوة ونشرها، فنفع الله بهم ونالوا بذلك درجاتٍ رفيعة.

وقال رضيَ الله عنه: أهلُ شبامَ لهم حِصَّةٌ كبيرةٌ في شهوة القِيل والقال(١).

□ حضروا ناس عندَ رجلٍ ومعَه بضاعة، فرجَّفوا عليه بأنها باترخص وَسَاقطة، فلمّا خرجوا مِن عندِه أرسَلَ لبعضِ الدلاّلينَ وأخْبَره بذلك. فقال له الدلاّل: هذا كلام ماله راس؛ فقال له: بِعْها. فباعَها بسببِ إرْجافهم، فبعدَ ذلك ندِمَ علىٰ البيع.

والآنَ العجلةُ علىٰ قطيعِ الخريف ــ وعاده بُسْر ما بَعدْ نجَح ــ من المُنكَر، أعطاهُم الله رزْق استعجلوا عليه من غير حادث، لا قومْ ولا خوف. ولكن ما لهم أبُو يقهرْهم، كلٌّ يفْقَعُ علىٰ رأسِه(٢).

والمجالسْ معَادْ لها ذَوق ولا رُحْلة ولا فَرح، قدْها إلاّ عادِهْ، معاد شي انتفاع، ولا تصلُح هذه الأشياء ما يقَع شور، وهذا إصلاحٌ في أحوال الدنيا، فكيف أحوالُ الدِّين؟ ولا هناك مانعٌ من المعاونةِ حتىٰ نعذرهم بذلك، أو كما قال.

* * *

وقال رضيَ الله عنه: قد ظهَرتِ المخالفاتُ والأمورُ البشِعة أيامَ الحبيب حامد بنِ عمر، والحبيبِ أحمدَ بن حسَن، ولا وقعَتْ مُلافاةٌ وانتقادٌ وزَعَل منها. ومن ذلك الوقتِ إلىٰ اليوم والأمورُ إلىٰ هابط، إلىٰ هابط، حتىٰ صَار الحالُ إلىٰ الذي نقاسيه.

---

(١) إلا من رحم الله.

(٢) لعلها: علىٰ مرواسه؛ والمرواسُ: طبل صغير، معروف.

أظْهِروا الحقَّ وبالِغوا في إظهارِه؛ لأنّ العلةَ تبالَغَتْ، ولا عليكم إيجادُ الوالي، عليكم إلاّ بذلُ المجهود في طلَبه وإظهارُ التعويلِ عليه، في الجُمُوع أولْ ما يُبْدأ بذكرْ طَلبه، إذا ما تكلمتوا يا الأعيان بغيتوا مَن يتكلم؟ هَيّا، أمّا هذا اليوم كلٌّ يذْكُر ما مَعَه، لا تكتموا الحق، ولو كان الحبيبُ طاهرُ بن حسينٍ رحمَه الله موجوداً ما أعذرْناه منَ القيام في هذا الأمر، ما يُعذَر، وأظنُّه مات كنيـنةْ ممّا شاهَدَه ولم يقدِرْ علىٰ زوالِه.

وانظروا كلامَ الحبيب عبدِ الرحمن بن عبدِ الله بلفقيه آخرَ وقتِه، في القصيدةِ التي أولُها: (لك الحمْدُ يا محمودُ) إلىٰ آخرِها، فإنها خلافُ كلامِه الأولِ الذي في سؤالِ الصَّنعاني؛ لأن الوقتَ إلىٰ هابط، عسىٰ نفحه.

ولا نغبِطُ اليومَ إلاّ من لا تزوَّج مثلَ فلان وفلان، إذا ما عجبَه شي شَلْ نفسه، أمّا مَن معَه عيال ما يسَعُه السكوت، والوقتُ كما يشاهد. أو كما قال رضيَ الله عنه.

❊ ❊ ❊

وقال رضيَ الله عنه: من بايجْلِسْ في حضرَموت يبني أمرَه علىٰ قول سيدنا عبدِ الله الحداد:

يصبـرُ علىٰ الطاعـاتِ والقناعَـهْ   والفـقـرِ والإقـلالِ والمَـجـاعَـهْ
فما الشجاعهْ غيرُ صبْـرِ سَـاعـهْ   والفوزُ في العُقبىٰ لكلِّ صَبّارْ[١]

---

(١) «الديوان» (٢١٢).

ولا يتجشَّم الغُرَبْ مِن عَقْبَه إلىٰ غُبَّه. وإذا شَقَّ عليه ذلك مِن ضيقِ المعيشَه يذكُر القبر. كما قال سيدُنا عبدُ الله الحدادُ بعدَ ذلك:

والقبرُ إمّا روْضةٌ نَعيمَهْ نعَمْ، وإلاّ حُفرةٌ جَحِيمَهْ[١]

ويذكُرْ أحوالَ أهلِ النار وقُوْتُهمُ الزقُّوم، حتىٰ يشكُرَ الله علىٰ حالتِه التي هو فيها، ويقعَ له العيشُ الرغيدُ في الجنة، ولكنْ ما يقَع العيش الرغيد إلاّ لمن صبرَ علىٰ العيش الشديد، كما سلفنا رضيَ الله عنهم، كان غالبُهم أهلَ تجَلُّدٍ فِي المعيشة، ويسْتَقُونَ[٢] لأنفُسِهم، عاذْ باقيهم الشيخ معروف باجمال[٣].

□ ويُحكىٰ أن الشيخَ الكبير معروف باجمال[٤] كان يسْرَح إلىٰ عندِ شيخِه باهرمز[٥] ويضْوي في نهارِه، كان صاحبَ مُجاهداتٍ كثيرة، حتىٰ أن كَشْفه كثيرٌ جمّ.

* * *

(١) ديوان الحداد (٢١٢).

(٢) أي: يجلبون الماء من الآبار بأنفسهم.

(٣) يعني به: الشيخ الصالح معروف بن محمد باجَمّال، المتوفىٰ بشبام سنة ١٢٦٤هـ، الذي صنف مناقب الحبيب محمد بن زين المسمّاة: «مجمع البحرين».

(٤) هو الكبير المتوفىٰ سنة ٨٦٩ هـ.

(٥) هو الشيخ عبد الرحمن الأخضر، المتوفَّىٰ بهينن سنة ٩١٤هـ.

وقال رضيَ الله عنه: مَثَلُ الكُتُبِ الكبار ــ مِثْلَ «الإحياء» ــ كمَثَلِ السُّوق، يَبْعُد علىٰ الطالب أَخْذُ المطلوبِ في ساعة، ومَثَلُ المختَصَرَةِ كخُطبةِ سيدِنا طاهر بن حسينٍ كمَثَلِ المَخْزَن في السوق، فيه جميعُ المطلوب، يحصُلُ لك في ساعة.

حصِّلوا منها نسَخاً كثيرة، وتشَبَّهوا بكلام سيدِنا العيْدَروس في «الإحياء»: مَن حصَّلَ أربعينَ نسخةً من «الإحياء»، إلىٰ آخرِ ما قال؛ وحَصِّلوا أربعينَ نسْخَةْ من «الخطبة»؛ وفضْلُ اللهِ واسع، إن لم تكونوا مثْلَهم فتشبَّهوا، ومِثْل «الإحياء» بغا ألآ فُحُول، ما هو لكل الناس؛ و«الخُطبة» لكلِّ الناس.

* * *

وقال رضيَ الله عنه: الشَّرِّيُّ[1] من الناسِ ــ بالنسبة إليك ــ مَن يظهَرُ شَرُّك بسببِه، فابْعِدْ عنه واحذَرْ منه، وإن كانَ خيّراً في نفسِه، ما لك حاجةٌ بمجالستِه؛ كصاحب جُرْحٍ يتضرَّر بمجالسةِ مَن فيه مِسْك؛ لأن جُرْحَه بايتضرَّر بذلك؛ وإن كان صاحبُ المسكِ محموداً في نفسِه، لكن بالنسبةِ إليك ما لَكْ فيه صالح؛ أو كما قال.

ماذا يضُرُّ الإنسانَ إذا لبِس مثلَ هذا القميص وجلسَ علىٰ مثلِ هذه الشَطْفَهْ؟ إن أرادَ الجلوسَ في حضرَموت، حتىٰ يَتأَتَّىٰ له الحلال؛ لأنه عزيزٌ في زمانِنا، كما قال الغزاليُّ رضيَ الله عنه: فمِن أيْنَ لنا، في زمانٍ عزّ فيه ما

---

(١) الشري: المنسوب إلىٰ الشر.

يسُدّ الجُوْع ويواري العورة من الحلال؟ قال سيدُنا عبد الله بنُ علوي الحدادُ في «النصائح»: (قلت: ومَن أراد التورعَ منَ الشُبهات). . . إلخ.

□ اتفَق والدي عُمَر ببعضِ أهل الفضْل ببندر المخَا، فذكَروا حضرَموت وحقارتَها في المعاش، فقال: ما تصلُح حضرَموت إلاّ لَكْ يا عمر؛ يعني: الوالد. وأمّا فلانٌ وفلان من آلِ حضرموت المَحْرُوبين(١)، ما تصْلُح لهم. أو كما قال.

* * *

وقال رضيَ الله عنه: وَسّعوا المشهَد في مولاكم سبحانَه وتعالىٰ، فالعطاءُ يأتي منه علىٰ كُبْرِ الهمة وصُغْرِها، وَجُودُه فائض، ولا هو مخصوصٌ بأحد، واطلبُوا منه مطلبَ الأكابر، واشهد نفسَك أخَسَّ الخَس؛ لأنه تعالىٰ ما ينظر إلاّ هَمَّ العبد، بأيِّ شيء هو(٢)؟

واطلُبوا منَ الله والياً علىٰ ما فيه، كما قال سيدي عمرُو بنُ العاص: والي غَشُوم خيرٌ من فتنةٍ تدوم؛ لأن الفتنةَ ما تحْتَها خير، اطلبوا ذلكَ ويفعَلُ الله ما يشاء. ما أحد يحكُم عليه، وإنما الحمدُ للهِ علىٰ إذْنِه في الدعاءِ لنا: ﴿ٱدْعُونِىٓ أَسْتَجِبْ لَكُمْ﴾ [غافر:٦٠]، هذا ترغيبٌ في الدعاء. وعنه عليه الصَّلاةُ والسّلام: «مَن لَمْ يسألِ اللهَ يَغضَبْ عليه»(٣)، هذا ترهيب.

---

(١) أي: المدلّلين المترفين.

(٢) أي: إلىٰ همِّ العبد، أي توجهه، أو همته، بأي شيء يتعلق ذلك الهم.

(٣) رواه الترمذي (٣٣٧٣).

ولكنْ يجْمَعُ الإنسانُ بينَ الدعاءِ والدعوة؛ لأن شرطَ قبولِ الدعاء الدعوةُ إلىٰ الله، كما قال عليه السّلام: «لَتأمُرُنَّ بالمعروف».. إلىٰ أن قال: «ثم تدْعُونَه فلا يستجيبُ لكم».

❊ ❊ ❊

وقال رضيَ الله عنه: ارفَعُوا هِمَمَ أولادِكم إلىٰ اللهِ تعالىٰ.

□ مرَّ بعضُ المشايخِ علىٰ صبيَّينِ معَ أحدِهما قُرْصٌ وكَامِخ[١]، ومعَ الآخر قرصٌ فقط، فقال الذي معَه الكامخُ للذي ما معه شي: أعطيك مِن كامخي وأنت «كلبي»؟ قال: نعم. فأعطاه، وربَطَ حبْلاً في رقَبتِه وجعَلَ يسُوقُه وهو ينبحُ ويقول: هَوْ هَوْ. فقال الشيخُ لمن معه: انظروا إلىٰ هذا الصبيّ؛ لو قنَع بقُرْصِه لمَا صار كلباً بسببِ الكامخ.

قال سيدي: ونحن كذلك، الحذَرْ نقع كلاباً لبعضِنا البعض، ارفَعوا الهمة.

❊ ❊ ❊

وقال رضيَ الله عنه: عوِّلوا علىٰ دعوةِ السُّوَّال وخلُّوهم يصلُّون صلاةً ظاهرة. ومَن لم يصلِّ يخْرُجْ من البلاد. طرِّبُوا بهذا في السوق؛ لأن شرَّهُم علينا، وإذا صَلَّوْا نِلْنا الخير.

كما رُويَ عن سيدِنا موسىٰ عليه السّلامُ حينَ استسقىٰ بقومِهِ، فمُنِعوا

---

(١) شيء كالإدام.

بسبب الرجُلِ الذي لم يَتُب، وهو في القوم، فتابَ في تلك الساعةِ فَسُقُوا، فقال موسىٰ: يا ربّ، بمَن سقيْتَنا؟ قال: بالذي منعْتُكُم به. أو كما ورَد.

* * *

وقال رضيَ الله عنه: تغافَلُوا في هذا الزمان وعلِّمُوا أولادَكُم التغَافُل. ومَن لا تَغافَل وادَّعىٰ المَحْذَقَة[1] وقعَ في الشَّبك.

☐ ومِن التغافل: ما فعَلَه بعضُهم في زمنِ سيدِنا أبي حنيفة، وذلك حينَ طلَبَ الوالي أربعَةَ نفرٍ للقضاء، منهم: سيدُنا سفيانُ الثوري، فحينَ سمعَ بذلك ركِبَ السفينةَ وسار مِنَ البلد؛ ومنهم: سيدُنا أبو حنيفة، وقد قال لهم حينَ سمعَ بذلك: أمَّا أنا باأخرج بعُذْر، وفلان كذلك، وأخىٰ علىٰ فلان.

فحينَ حضَروا عندَ الوالي أجابَهم سيدُنا أبو حنيفة وقال: إني لا أصْلُحُ للقضاء، فقالوا له: لِمَ؟ فقال: إني إن كنتُ صادقاً في قولي: أنا لا أصلحُ للقضاء فأنا لا أصلُح، وإن كنت كاذباً في قولي ذلك، فالكاذبُ فاسق، والفاسقُ لا يصلُح للقضاء.

والثاني منهم: لمّا حضَر ادَّعىٰ أنه مجْنُون. فقال: كيفَ حالُك يا والي؟ وكيف حالُ عيالِك وخيْلِك وغَنَمِك؟ فقال الوالي: مَن هذا؟ أخرِجوه من المجلِس. فخرَجَ سالماً.

---

(١) أي: المعرِفة بكل الأمور = الفهلوة.

قال سيدُنا: والثالثُ وقعَ في الشبَك، ادَّعىٰ وَجَعَ عينيه، فقال الوالي: أعطوه الهريسة تنفَعْه. والذي ادَّعىٰ أنه مجنونٌ هو المُتَغَافِل.

* * *

وقال رضيَ الله عنه: كانت شبامُ بلادَ المنقود، اخبَرني الحبيب عليُّ ابن سالمِ الحبشي، قال: أخذَ بعضُ أهلِ البلاد دراهمَ من جُنديٍّ يافعي، هو ابنُ أحمدَ ناصر، فلمّا علِمَ بذلك أصحابُه، قالوا: معَاذْ يجلس مجلِسنا، فإذا جلسَ قوموا وخلُّوا المجلسَ له. ففعَلوا ذلك، فأنكَرَ منهم ذلك، وعرَفَ أنه بسببِ الدراهم، فردَّ الدراهمَ في الحالِ إلىٰ صاحبها.

وكذلك دخَل السوقَ ثمانونَ حِمْلاً حوير(١)، فيها حِمْل حق كثيري ابن سلامة، فأخذوا جميعَ الحَوِير إلاّ الحِمْل المذكور، فخرَج به من البلاد، فهذه أفعالُهم. كما قال سيدُنا عبد الله الحداد:

(مقالُهُمُ صِدقٌ وأفعالُهُمْ هُدىٰ)(٢).

. . . إلخ ما قال.

وهذا الرِّفقُ في النصيحةِ والسياسةِ بالفعل؛ لأنه أبلغُ من القول. والأمرُ يَسْهُل، لو عاملوهُمْ بذلك لمَا رأيتَ منكراً، ورجعَ الجميعُ زيان بسهالة.

---

(١) الحَوِير:

(٢) تمام البيت:

(وأسرارُهمْ منزوعةُ الغشِّ والغِلِّ). «الديوان»: (٣٩٩).

لو عاملَ الناسُ قُطَّاعَ الصلاةِ بما في «بهجة العامريِّ» لم يخلُّوها. إلخ، فالصلاةُ مثالٌ، وباقي الأشياءِ كالصلاة.

□ لهذا، امتنَع سيدُنا أحمد باجَحْدب نقيبُ آل أبي علوي بِتَريم، حينَ طلبَهُ في وليمةٍ مَن يعامِلُ بالكيْل، وكان من أعيانِ البلد، وهو أولُ مَن بَدَعَهُ، وقال: إني لم آخُذْ منهم ما فعلتُه إلاّ لأجلِ يُسْرِعُون بالذي عندَهم. أو كما قال.

قال سيدي: وهكذا كل بدعةٍ تُنْكَر مع حدوثِها، ثم تصيرُ عادةً يفعلها حتىٰ مَن أنكرَها.

ثم قال:

فقَدْنا جميعَ الخيرِ لمّا تَرَحَّلُوا　　　ومنهم خَلاَ وعْرُ البسيطةِ والسهْلِ

... إلخ. وأولُ الخيرِ ورأسُه: العلْمُ، شرد من حضرَموت، ورجَعوا في ظلْمة، أعورُ يقودُ أعور إلىٰ النار. وكثيراً ما يرددُ هذه الكلِمة رضيَ الله عنه.

* * *

وقال رضيَ الله عنه: المؤمنُ إذا كمُلَ إيمانُه زاد امتحَانُه، وليس بكَمَالِ تأتِّي أسبابِ الدنيا للإنسان، بلِ الكَمَالُ كما في قوله عليه السّلامُ عنِ الله تعالىٰ: «يا دُنيا، تكَدَّري وتمَرَّري علىٰ أوليائي، لا تَحْلِي لهم فتَفتِنيهم»[١].

---

(١) رواه القضاعي في «مسند الشهاب» (١٤٥٣) بلفظ: «يا دنيا مُرِّي علىٰ أوليائي، لا تحلَوْلي لهم فتفتِنيْهم».

□ كان سيدُنا عليٌّ رضيَ الله عنه ـــ في أولِ الإسلام ـــ يسْتَقي الماءَ للناسِ بالأجرة، ويطلِّعُ كلَّ دلوٍ بتمرة.

□ وكانت سيدَتُنا فاطمةُ رضيَ الله عنها تطْحَنُ للناس بِالأجرة؛ فدخَل عليها عليه السّلامُ وهي لابسةٌ جلداً؛ أو كما قال. ومعَ ذلك مُستغبِطونَ بذلك ومُتلذِّذونَ به؛ أو كما قال.

* * *

وقال رضيَ الله عنه: إذا بَصَّرْتَ غيرَك بعيوبه بَصَّرَك اللهُ بعيوبِ نفسِك، الجزاءُ من جِنس العمل، عسىٰ الله يُبصِّرُنا بعيوبِنا؛ لأن ابنَ آدم محَلُّ الخطأ والنقص.

* * *

وقال رضيَ الله عنه: العمَلُ بغيرِ نيةٍ لا يقرِّبُك إلىٰ الله، والنيةُ بغير عَمَلٍ تقرِّبُك عندَ الله، انظرْ سحَرةَ فرعونَ حين قالوا: آمنا بربِّ العالمين، ثم قَتَلهم فرعونُ قَبْل عمَلِهم شيئاً صاروا مقرَّبينَ بنيّتِهم.

* * *

وقال رضيَ الله عنه: التأويلُ أولىٰ وأسلمُ من التَّتْويل(١)، وظاهرُ الشريعةِ لا يُترَك، وخَلِّ قلْبَك محفوظاً، واعتقِدْ في الذي تأمُرُه أنه مُكَاشِف.

---

(١) التتويل: التنقيص.

□ كما حُكيَ في «روض الرياحين»[١]: أن بعضَهم صلّىٰ خلفَ رجُل، فلحَنَ في قراءتِه، فخَطَر له أن يُنبِّهَه بعدَ الصلاة أو يروحَ لحاجتِه ويفوِّتَ التنبيه. فلما سلَّمَ الرجلُ كاشَفَه وقال: قمْ يا عبدَ العزيز (وكان اسمُه ذلك) إلىٰ حاجَتِك؛ واللحْنُ الذي سمعْتَه لا يُكْرَه[٢]. أو كما قال.

□ وكذلك جاء بعضُهم ليزُورَ بعْضَ الصالحين، فلمّا حضَرَ سمِعَه يُنشدُ هذا البيت:

يظنُّ الناسُ بي خيراً وإني ... لَشَرُّ الناسُ إن لم تَعْفُ عني

بضم (الناسُ) الثانية[٣]، فخطرَ للزائر: خابَت السفْرة؛ حين سمعَ الشيخَ يلحَن. فسار مِن عندِه، ثم أتاه بعدَ مدة، فلمّا دخَل عليه أنشدَ البيتَ المذكور، بكسْرِ لفظ (الناس)، ففرِحَ الزائرُ بذلك، فقال له الشيخ: يا هذا، ذهبَتْ بك ضمةٌ وجاءت بك كسْرَة! أو كما قال.

فهذا غايةُ التأويل، ومن حيثُ الظاهرُ أعْطِهِ حُكْمَه:

وسَلِّمْ لأهلِ اللهِ في كلِّ مُشْكلٍ ... لديْـكَ لديـهِم واضحٌ بالأدلَّـةِ

* * *

---

(١) هو كتاب «روض الرياحين في حكايات الصالحين» للإمام عبد الله بن أسعد اليافعيِّ المتوفى بمكة المكرمة سنة ٧٦٨ هـ.

(٢) «روض الرياحين» (٢٩٩)، الحكاية رقم (٢٤٣)، وعبد العزيز: هو الديريني، العارف المشهور.

(٣) لأن حقَّها أن تُخفض؛ لأنها مضافٌ إليه.

وقال رضيَ الله عنه: «خُطبةُ الحبيبِ طاهر بن حسينٍ» رَمَتِ الغَرَض. مَوْهِبةٌ من اللهِ تعالىٰ وخصوصيَّةٌ لأهلِ الزمان، شِيْعُوها واعقِدوا لها مجلساً في الشهرِ يحضُرُونَه كلُّ الناس خَلاء وبِلاد. وطَرِّبُوا في الأسواق، وَأعلِمُوا أهلَ الخَلَواتِ بذلك، وتحبَّبُوا إلىٰ الله بهذا المَجْلِس حتىٰ يرسَخ.

كما حضْرة الحبيبِ أحْمَدَ بنِ زين، يأتونَ إليها من كلِّ مكانٍ ببرَكتِه نفَع الله به؛ أوْ يومَها فيها طَارْ! كما قال القائل:

إذا أَتَوْك لهم في القصْدِ أوْطارُ فلا تُبالِ بمَن جا منهُم آو طَاروا

ونرجو أنّ رُوحَهُ حاضرةٌ عندَ قراءتِها، واحمَدوا اللهَ علىٰ ذلك، يخاطِبُكُم بالنصيحة مِن ضَريحِهْ! أو كما قال.

* * *

وقال رضيَ الله عنه عندَ قولِه:

فكمْ تَوَدَّدْتَ بالإحسانِ مُبْتدِئاً وكمْ تَبَغَّضْتُ بالعصيانِ والحَرجِ[1]

كرِّرْ هذا حتىٰ تعلَمَ بقِلَّةِ حياك منَ اللهِ سبحانَه وتعالىٰ، يمُدّك بالنِّعَم وتجاهرُه بالمعاصي، وأكبَرُ النعم: نعمةُ الإسلام، جعَلك الله مسلماً، وأبويْك مسلميْن ابتداءً منه من غير سبْقِ سؤالٍ منك، وأحْرَمَها آزر أبا نبيِّ اللهِ إبراهيمَ، ووَلَدَ نوح، وأبا طالبٍ عمَّ رسولِ الله ﷺ.

ولهذا جعَلَ قولَه: «اللهمَّ أنت ربِّي، لا إلٰهَ إلاّ أنت، خلقْتَني وأنا

---

(١) أي: قوله هو، كما في «ديوانه» (٢٠).

عبدُك». إلخ، سيِّدَ الاستغفار؛ لأنك إذا أقرَرْتَ له بنعمتِه عليك واعترفْتَ بذنبِك، تولَّدَتْ من هذينِ المَشهدَينِ حالةٌ تسمىٰ الحياء، وهو مقامُ المراقبةِ له تعالىٰ.

□ خرَج بعضُ المشايخ هو وتلامذتُه قاصدينَ المسجد، فرأَوْا جماعةً من اليهودِ قاصدينَ كنيسَتَهم، فحَجَل الشيخ، فسُئل: لماذا؟ قال: ذكرْتُ نعمةَ الإسلامِ حين رأيت هؤلاءِ وما هم فيه فحَمِدتُ اللهَ علىٰ ذلك. أو كما قال.

* * *

وقال رضيَ الله عنه؛ حين صافحَه رجلٌ من آلِ باشراحيل: والشيخُ أحمَدُ بن جُبيرٍ من آل باشراحيل، وكان أُميّاً تغلِبُ عليه الحقيقة، سمَع قارئاً يقرَأ: ﴿رَبَّنَا وَلَا تُحَمِّلْنَا مَا لَا طَاقَةَ لَنَا بِهِۦ﴾ [البقرة:٢٨٦]، فقال له: يا هذا؛ لا تقْمَحْ[١] نفسَك الثواب؛ قل: حَمِّلْنا؛ حينَ غَلَبتْ عليه الحقيقة.

□ واستشارَه الشيخُ معروفُ بنُ عبْدِ الله في سفَرِه الشام، فقال علىٰ لسانِ الحقيقة: عَبْدي معروفٌ ليس له سفَرٌ إلىٰ الشام، أريدُ أن أُبقيَه لنفْعِ عباد الله. أو كما قال.

هذا مقامُ سلَفِنا ذهبَتِ الأرواح وبقيَتْ أشْباح. كما قال سيدُنا عبدُ الله الحداد: لا عادْ آل باعلَوي آل باعلوي، ولا آل باعَبَّاد آل باعَبَّاد، ولا آل باشَراحيل آل باشَراحيل، قدْها إلاّ صوَر بلا حقيقة.

---

(١) لعل معناه: لا تحرم.

فأنتَ يا معلِّم محمد عبدون من آل باشَراحيل، لا عاذْ تقول: أنا من آل فلان، قل: أنا عبْدٌ من عبيدِ الله، فكيف عادَكْ إلاّ باتفتخرْ بهم وتنتسِب إليهم. لهذا أهلُ الزمانِ أنكروا نحْن في الدعوة، ندعُوهُم إلىٰ شمْسٍ مثل هذه ما قبِلوا، ولعادْ المُجَالسة ترجَعْ حجَّة علينا، ما نفرَح بالجليس إلاَّ إذا هو بايعاون، بايفرِّح قلبَك، وإلاّ معاد حاجَةْ للمُجَالسَة.

* * *

وقال رضيَ الله عنه: كلُّ إنسانٍ مُودَعٌ فيه العلم، ولكنه كالأرضِ: إذا حُرِثَ ظهرَ خيْرُه.

مثالُه: كالعَلْجُوم[1]؛ تأكُلُه ضانة ويفسُدُ سِرُّه، أو يُبْذَرُ في الأرضِ ويصيرُ نخْلَةً فتُثمرُ ويبذُرونَ عَجَمَها، وهلمَّ جراً. وهو يترقّىٰ إلىٰ أن يموت.

والعلْمُ مكنونٌ في الآدميّ، كما يروىٰ عنِ الله: لا تقولوا: ليس العِلمُ فينا! أهو في السماء؟ فمَن يُنزِلُه؟ أو مِن وراءَ هذا البحر! فمَن يأتينا به؟ المقالةُ إلىٰ آخرِها في«الإحياء» في كتابِ العلم. أو كما قال، وأستغفرُ الله.

* * *

وقال رضيَ الله عنه للمعلِّم محمّد عبدون: الذينَ يتعلّمونَ عندَك علىٰ ثلاثةِ أحزاب:

١ ــ ناسٌ يريدونَ إلاّ تعلُّمَ القَلَم فقط، فهذا دنياويٌّ محْض، احذَرْ منهم، وخُذ عليهمُ العهدَ فيه، وإلاّ أَصبحْتَ تُقاسمُه في وِزره. كما قال

---

(١) نواة التمر.

الإمامُ الغزاليّ: «ومعلِّمُك شريكُك»، وعلِّمْهم آفاتِ القلَم قبل أن تعلمَهم إياه؛ لأنه خطَرٌ في آخرِ الزمان، بغا الا تقوىٰ وورَع وخوف من الله. ولو هو كمالٌ علىٰ الإطلاق لمَا كان سيدُ الأولينَ والآخرِينَ ﷺ أُميّاً لا يكتُب.

٢ــ ونَاسٌ يريدونَ تعلُّمَ القرآنِ فقط، قراءة فقط، ولا لَهُم همّةٌ علىٰ تعويلِ فَهْم معانِيه ومقصودِه، وهُمْ أهْلُ الزمان، غالِبُهُم هكذا.

٣ــ وناسٌ يريدونَ تعلُّمَ مقاصدِ القرآن ومعانيه، فهؤلاءِ عَوِّلْ عليهم وتخبَّرْ منهم إذا ما جاءوا، واحرِصْ واجتهدْ معَهم. أو كما قال.

* * *

وقال رضيَ الله عنه: كلُّ إنسان مَذْريٌّ[١] بالخير والشر، فإن مَطَرَتْ عليه مطرُ الخير ظهَرَ خيرُه، وإن مطَرَتْ عليهِ مطَرَ الشرِّ ظهَرَ شرُّه؛ فأمّا مطرُ الخيرِ فهي بمجالسةِ الأخيار، وأما مطرُ الشرِّ فهي بمجالسةِ الأشرار، فالمدارُ كلُّه علىٰ الجليس.

* * *

وقال رضيَ الله عنه ــ عندَ قراءتي عليه هذينِ البيتينِ من قصيدتِهِ «الجيميّة»:

فعـامِلِ الخَـلْـقَ للخلاّقِ مُـدَّكِـراً قرْبَ الوداعِ لذي رِفْقٍ وذي هَوَجِ
يَصْفُ لك العيشُ والطاعاتِ تُتْقِنُها بلْ تستقِمْ إن تَقُمْ بالشرطِ والعِوَجِ[٢]

---

(١) أي: مبذورٌ فيه.

(٢) «ديوان بن سميط» (٣٢).

تدَبَّروا هذينِ البيتين، وتعلَّقوا بهما، وابنُوا أمرَكم عليهما إن بغيتوا صفَاءَ العيش وإحسانَ الطاعة، وإلاّ صارَ الإنسانُ ممْحُوناً إذا عاملَ الخلْقَ لأجلْ مكافَأتِهم له، بل يطلبُ الجزاءَ من الله، قال تعالىٰ: ﴿لَا نُرِيدُ مِنكُمْ جَزَآءً وَلَا شُكُورًا﴾ [الإنسان: ٩].

وهذا مَعْنىٰ حُسْنِ الخلُق؛ لأنه احتمَالُ الأذىٰ، كما قال تعالىٰ: ﴿خُذِ ٱلْعَفْوَ وَأْمُرْ بِٱلْعُرْفِ﴾ [الأعراف: ١٩٩]، هذا حقيقةُ حُسْنِ الخلُق. وأمّا مجرَّدُ البشاشةِ وبَسْطُ الوَجْهِ فلا يَدُلُّ علىٰ حُسْنِ الخلُق؛ لأن الحَكَّ ٱلا عند الاختبار.

* * *

ليستِ الأحلامُ في حالِ الرِّضا إنّما الأحلامُ في حالِ الغَضَبْ

بل قد يكونُ ذلك البَسْطُ والبشاشَةُ في حالِ الرِّضا (أدبَ الهرّ).

□ يروىٰ أنّ بعضَهم أدَّب هِرّاً، حتىٰ صار يطْرَحُ السِّراجَ وقتَ المطالعةِ علىٰ رأسِه، فوُصِفَ ذلك لبعضِهم، فقال له: فلان؛ لكنَّه (أدَبُ هِرّ)! فما طاعَةُ في ذلك. فحضَرَ مطالعتَه وتوسَّل معه جُرَذ، فحينَ رأىٰ الهرُّ الجرذ طَمَر، وطيَّرَ السِّراجَ في الكتُب. فقال له: قد قلتُ لك: إنه (أدَبُ هِرّ).

وكذلك الإنسانُ إذا اخْتُبِر، ربّما معاذْ شي يصبح مِن حُسْن خلُقِه، والحَواصلُ ضاقَتْ عنِ الصبرِ واحتمالِ الأذىٰ، والسبَبُ: الطُّعْمة؛ كُلْ ما شئْت، فمثْلَه تعمَل؛ وحُسْن الخلُقِ ما يَتأتَّىٰ معَ أكل الشُّبَهْ.

والشرطُ في قولِه: (إن تقُمْ بالشَرْط) هو قولُه تعالىٰ: ﴿إِن يُرِيدَآ إِصْلَـٰحًا يُوَفِّقِ ٱللَّهُ بَيْنَهُمَآ﴾ [النساء: ٣٥]، حتىٰ كان سيدُنا عمر بن الخطاب

رضيَ الله عنه إذا بعثَ الحَكَمَيْنِ للإصلاح فلم يقَعْ، يعْلُوهُما بالدِّرَّةِ ويقول: إنَّ نيتَكما لم تصْلُح. أو كما قال.

وانظُرْ نبيَّ اللهِ يوسُفَ عليه السَّلام. . لمّا صبرَ واتَّقىٰ مَلَكَ أهْلَ مصرَ بصبره واحتمالِه، حتىٰ قال الوالدُ عمرُ رضيَ الله عنه: حَاصِل قصّةِ يوسُف في قولِه تعالىٰ: ﴿إِنَّهُۥ مَن يَتَّقِ وَيَصۡبِرۡ فَإِنَّ ٱللَّهَ لَا يُضِيعُ أَجۡرَ ٱلۡمُحۡسِنِينَ﴾ [يوسف: ٩٠].

وكذلك نبيُّنا عليه السّلامُ حين أتاه عَمْرُو بنُ العاص يريدُ قَتْلَه، وعمرُ ابن الخطاب يريدُ قتلَه، بحُسْنِ خُلُقِه عليه السّلامُ جذَبَهم وصاروا أئمة. أو كما قال.

* * *

وقال أيضاً رضيَ الله عنه عندَ قولِه:

فعِشرةُ الضدِّ لا تأمَنْ غوائِلَها(١)

كرِّروا هذا البيتَ واحفَظوه؛ لأن المدارَ كلَّه علىٰ الجليس.

* * *

وعندَ قوله: «شرُّ الأخِلاّء»(٢). . . إلخ: هذا المَثَلُ كان يُعْجِبُ سيدَنا عبدَ الله الحدادَ ويقول: مثالٌ عجيب! وهما هذين البيتين:

---

(١) «الديوان» (٣٧).

(٢) «الديوان» (٣٨).

يُـزانُ ناديكُمُ يـومَ الخِصـامِ بكُمْ ... كمـا تُـزانُ بيـوتُ الشِّعْـرِ بالمَثَـلِ
شـرُّ الأخِـلاّءِ مَن تَسْريْ عقاربُـه ... لا خيرَ في أدمٍ يُطوىٰ علىٰ نَغَلِ(١)

وشـرُّ الأخِلاّء: نفْسُك؛ لأنها تفْسِدُ عليك قلبَك؛ ثم زوجَتُك، كما قال عليه السّلام: «أعْدىٰ عدُوِّك نفسُك التي بينَ جنبَيْك»(٢)، و «أعدىٰ عدوِّك زوجتُك التي تُضاجِعُها وتُضاجِعُك»(٣).

انظُرْ إلىٰ أُمِّنا حواء؛ كانتِ السبَبَ في إخراج آدمَ من الجنة، مع أنها أكمَلُ وأفضَلُ من بناتِها، احذَروهنَّ، واسألوا منَ اللهِ الحفظَ.

اللهمَّ إني أعوذُ بك مِن شرِّ نفْسي ومِن شرِّ كلِّ دابّة.. إلخ، اللهمَّ ألْهِمْني رُشدي وأعِذْني مِن شرِّ نفْسي.

* * *

وقال عندَ قولِه:

خَلِّ مُخالَلَةَ المُشْفِينَ غيظَهُمُ(٤)

... إلخ.

---

(١) ومعنىٰ المثل: شـرُّ الأصدقاء هو من تكون أذيَّتُـه غيرَ ظاهرة، كمن يرسل عقاربه ليلاً لأذية الناس!

(٢) رواه البيهقي في «الزهد» (٣٤٣).

(٣) رواه الديلمي في «مسند الفردوس». «كشف الخفا» (١ : ١٦٠).

(٤) تمام البيت: (خوفاً علىٰ الدينِ والدنيا معَ المُهَجِ).

المؤمنُ لا يشفي غيظَه، بل يعفو ويصفَح، والأحمَقُ إذا أَدْنىٰ شيء كَدَّرَ عليه قَلَبَ الدنيا أسْفلَها أعلاها. لهذا حَذَّروا من صُحبةِ الأحمق.

* * *

وقال عندَ قولِه: «ما ضاقَ حالٌ بعبدٍ»(١) إلخ، هذا لسيِّدِنا أحمدَ بن عُجيل. وأصلُهنّ:

ما ضـاق حالٌ بعبدٍ فاستَعَدَّ لهُ عبـادةَ اللـهِ ألّا جـاءَهُ الفـرَجُ
ولا أنَـاخَ ببـابِ اللـهِ ذو ألَـم إلّا وأُذْهِبَ عنه الضِّيقُ والحرَجُ

* * *

وعندَ قولِه: «لا تُكثِرِ الهمَّ بالآتي»(٢) إلخ. أصلُهُ قولُه تعالىٰ: ﴿مَآ أَصَابَ مِن مُّصِيبَةٍ فِى ٱلْأَرْضِ وَلَا فِىٓ أَنفُسِكُمْ إِلَّا فِى كِتَٰبٍ مِّن قَبْلِ أَن نَّبْرَأَهَآ ۚ إِنَّ ذَٰلِكَ عَلَى ٱللَّهِ يَسِيرٌ . لِّكَيْلَا تَأْسَوْا۟ عَلَىٰ مَا فَاتَكُمْ﴾ [الحديد: ٢٢-٢٣].

وهذا البيتُ دواءٌ لِلهَمِّ بالآتي؛ لأن الهَمّ فَضْلَةٌ كما قالَه بعضُهم، والفضْلَةُ تحتاجُ إلىٰ شَرْبة، والشربةُ هي: ذكْرُ الموت، والإقْبالُ علىٰ الدارِ

---

(١) البيتان مما هكذا كما في «الديوان»: ٣٩- ٤٠:

ما ضاقَ حالٌ بعبْدٍ فاستَعدَّ لهُ عبـادةَ اللـهِ إلا فـاز بالفـرَجِ
ولا أنـاخ ببـابِ الله ذو كرَمٍ إلا وآب بما يرجُوهُ غيرَ شجي

(٢) تمام البيت:

لا تُـكـثِـرِ الـهَـمَّ بالآتـي أُخَـيَّ ولا تأْسَ لِمَا فاتَ، وارْضَ الحُكمَ وانتهَجِ

الآخرة، وإلّا تربَّتِ الفضلةُ وأخذَتْ صاحبَها. كما أنَّ أهلَ الطِّبِّ يعالجونَ فضْلَـةَ البلغَم وفضلةَ الصَفْراءِ بالشرْبة، كذلك أطباءُ القلوب: يأْمُرونَ بها.

وفائدةُ المصائب: أنها تخلِّيك ما تَفْرَح بحصول شيء من الدنيا، ولا تهتمّ عندَ فقْدِه.

□ وكان سيدُنا عبدُ القادر الجيلاني: إذا جاءه مولودٌ كبَّرَ أربعَ تكبيرات، ويقول: أحْسِبُه ميتاً، حتىٰ إذا مات معَادْ اشتغلْ عليه، أو ما هذا معناه؛ لأنه ما بغَىٰ شي يدْخُل قلبَه مع ربه، قال تعالىٰ: ﴿يَٰٓأَيُّهَا ٱلَّذِينَ ءَامَنُواْ لَا تُلْهِكُمْ أَمْوَٰلُكُمْ وَلَآ أَوْلَٰدُكُمْ عَن ذِكْرِ ٱللَّهِ﴾ [المنافقون: ٩].

فمن فَرِحَ بالفاني فهو سفيه، ومن حَزِنَ عليه فهو سفيه، يَحْزَنُ علىٰ ميِّتٍ ميِّت! والمؤمِنُ يرضىٰ بما قدَّره ربُّه؛ كما قال سيدُنا عبدُ الله الحداد:

وارض بالحكمِ من ربك حـلاَ عنـدك أو قَــرْ(١)

قال بعضُهم: لو أُدخِلْتُ النارَ واللهُ راضٍ عليَّ لم أُبالِ.

وكما قال الشيخُ عمر بامَخْرَمهْ:

رضِينا بحكمه رضينا　　　إلىٰ جنهْ أو نَـارْ تلهَبْ

وهذا مقامٌ رفيع.

---

(١) من القصيدة الحمينية التي مطلعها: (يا أحـمد اللهْ يـيسِّـر كل ما قد تَـعَـسَّـرْ). «الديوان» (٢٨٦).

وقال رضيَ الله عنه: قولُه: «فالرزقُ يسعىٰ كما تسعىٰ إليه»(١).. إلخ. أصْلُه: قولُه عليه الصّلاةُ والسّلامُ لعليّ: «ما قُدِّرَ يَكُنْ، وما تُرْزَقْ يأتِك»(٢)، أو كما قال عليه السّلام. فإذا كان الإنسانُ يمشي في طلبِ الرزق، فهو يسعىٰ إليه، أي: يخُبّ. ولضِيقِ النظْمِ عَبَّر بيسعىٰ ما قال: يمشي، ولأنه من باب المُقابلةِ والمُشاكَلة، كما في قولِه تعالىٰ: ﴿تَعۡلَمُ مَا فِي نَفۡسِي وَلَآ أَعۡلَمُ مَا فِي نَفۡسِكَۚ﴾ [المائدة: ١١٦]، وقولِ الشاعر:

قالوا: تُرِدْ شيئاً نُجِدْ لكَ طبخَهُ؟ قلتُ: اطبُخوا ليْ جُبَّـةً وقميصا!

أجابَهم بما ذُكِرَ مُقابَلةً لسؤالِهم، وهو مِن علْمِ البديع.

وفي الحديث، عنه عليه الصلاةُ والسَّلام: «ما قُدِّرَ لِمَاضِغَيْك أن يَمضُغاه فلا بدَّ أن يمضُغاه، فخُذْ رزقَك بعزٍّ ولا تأخُذْه بذُلّ»(٣). وقال عليه الصّلاةُ والسّلامُ لعليٍّ رضيَ الله عنه، حين رَمَىٰ له بتَمْرة: «لو لم تأتِها لأتتْك»(٤)؛ أو كما قال عليه الصلاةُ والسلام.

❊ ❊ ❊

---

(١) هو من قوله رحمه الله في الجيمية الكبرىٰ، وتَمامُه:

فالرزقُ يسعىٰ كما تسعىٰ إليه وما قُـدِّرْ يكونُ، وما تُرزَقْه سوف يجي

(٢) رواه أبو نعيم من حديث ابن مسعود، وعنده أيضاً عن أنس «كشف الخفا» (٢: ٥٢٣).

(٣) لم أجده.

(٤) أخرجه ابن حبان (١٠٨٦).

وقال عند قولِه رضيَ الله عنه: (كن مطمئناً بوعد الله. . .)[1] إلخ. أصلُه: قولُه تعالىٰ: ﴿ٱلشَّيْطَٰنُ يَعِدُكُمُ ٱلْفَقْرَ وَيَأْمُرُكُم بِٱلْفَحْشَآءِ﴾ [البقرة:٢٦٨] يعني: البخل. ﴿وَٱللَّهُ يَعِدُكُم مَّغْفِرَةً مِّنْهُ وَفَضْلًا﴾ [البقرة:٢٦٨]، أي: غِنىٰ.

وفي مَثَل آل حضرَموت يقولون: (وَعْد النّور)، والنورُ من أسماءِ اللهِ الحُسنىٰ، وهو قولُه: ﴿وَٱللَّهُ يَعِدُكُم مَّغْفِرَةً﴾؛ ولكنّهم ما يدرُونَ بمعناه، وصدَّقوا الشيطانَ في قوله: ﴿يَعِدُكُمُ ٱلْفَقْرَ﴾ كما قال تعالىٰ: ﴿وَلَقَدْ صَدَّقَ عَلَيْهِمْ إِبْلِيسُ ظَنَّهُۥ﴾ [سبأ:٢٠]، تَمْضي أعمَارُهُم في الغُرَبْ، ويخيِّلُ له الشيطانُ أنه بايحصِّل مالاً وباياُخُذ الأموال، وكلّها أوهام.

□ قال الوالد: جينا إلىٰ شبـام[2] وأهْلُها: ثلثٌ منْـهُم يعمَلون الجُوْبَة[3] جوَبه خَفيفة، وثلثٌ يَحْرِثون في الخَلا، وثُلُثٌ يسافرونَ وقْتَ الموسِم شَهْرَيْنْ زمان يتعوّض ويخرُج إلىٰ بلاده.

رجَعْنا الآنَ بَدَلَ الشَّهْرَين سِنين يحذفون بها في الغُربة، عسىٰ ماذا شكّ في الرزق! والشكُّ في الرِزق شكٌّ في الرازق، ويُثمرُ سوءَ الخاتمةِ والعياذُ بالله. أو كما قال، وأستغفرُ الله.

---

(١) تمامُه قولُه:

كنْ مطمئنـاً بوعِـدِ اللـهِ مغفـرةً ... منْهُ وفضْلاً ووسْوَاسُ اللعينِ هُجِي

(٢) في منتصف القرن الثاني عشر.

(٣) أي: صباغة الثياب.

وقال رضيَ الله عنه عندَ قوله: «لا تُهمِلَنَّ لمَا استكفيْتَ»(١) إلىٰ آخرِه: هذه المقالةُ لسيدِنا إبراهيمَ الخواصّ، وهي: (لا تتكلَّفْ ما كُفِيت)، يعني: الرزق؛ لأنَّ اللهَ يقول سبحانَه وتعالىٰ: ﴿وَمَا مِن دَآبَّةٍ فِي ٱلۡأَرۡضِ إِلَّا عَلَى ٱللَّهِ رِزۡقُهَا﴾ [هود:٦]، (ولا تضيِّع ما استكفيْت)، يعني: ما أمرَكَ اللهُ به منَ السَّعي لأمرِ الآخرة؛ لأن اللهَ تعالىٰ يقول: ﴿وَأَن لَّيۡسَ لِلۡإِنسَٰنِ إِلَّا مَا سَعَىٰ﴾ [النجم:٣٩]. وأهْلُ الزمانِ عكَسُوا الحال، كما قال سيدُنا عبدُ الله الحداد:

وزمـانٍ عُـكِّسَـتْ أحـوالُـهُ   صَارَ فيه الوجهُ في حدِّ القَفا!(٢)

فأحْسِنِ الظنَّ بربِّك في أنه لا يفعَلُ بك إلاّ ما هو خيرٌ لك، ﴿هُوَ أَعۡلَمُ بِكُمۡ إِذۡ أَنشَأَكُم مِّنَ ٱلۡأَرۡضِ وَإِذۡ أَنتُمۡ أَجِنَّةٞ فِي بُطُونِ أُمَّهَٰتِكُمۡ﴾ [النجم:٣٢]، فإن جعلَك فقيراً أو غنياً، أو صحيحاً أو مريضاً، فارْضَ به. كما قال سيدُنا عبدُ الله الحدّاد:

فَوِّضْ لهُ أُمُورَكْ وَاحْسِنْ في الظنونْ(٣)

وفي الحديث القدُسيِّ عن اللهِ تعالىٰ: «إنّ مِن عبادي مَن لا يُصلِحُه إلاّ الفقر، ولو أغنيتُه لَكفر»(٤) الحديث، والعبدُ معَ ربِّه كالطِّفْل بينَ أبويه، لا يكونُ له اختيار، وإن رأىٰ أنّ ذلك خلافُ ما تريدُ نفسُه. كالطفل إذا

---

(١) وتمام البيت:

لا تُهملَنَّ لمَا استُكفيتَ، مشتغلاً   بما كُفِيتَ، وحسْنَ الظَّنِّ فانتَهِجِ

(٢) «ديوان لحداد» (٣٧٧).

(٣) «ديوان الحداد» (٤٨٩).

(٤) أخرجه أبو يعلىٰ والبزار والطبراني، ينظر «العلل المتناهية» (١: ٤٤).

أخَذ سكّيناً. فإنَّ أبويه يحْمِيانِه عن ذلك، لمَا فيه من الضَّررِ عليه. والعَبْدُ هكذا يكونُ معَ ربِّه. أو كما قال.

* * *

وقال رضيَ الله عنه: مِن كلامِ الحبيبِ عمرَ بن عبد الرحمن العطاس: التمْرُ والكُرَّاثُ خيرٌ من الهريسة، يعني: إما لخفّةِ حسابِ يومِ القيامة، فإنَّ مَن يُحاسَبُ علىٰ التمْرِ والكُرّاثِ ليس كمَن يُحاسَبُ علىٰ الهريسة. قال تعالىٰ: ﴿ثُمَّ لَتُسْـَٔلُنَّ يَوْمَئِذٍ عَنِ ٱلنَّعِيمِ﴾ [التكاثر:٨]. أو: لخفّةِ المَؤونة، فإنّ من يحتاجُ لخُمْسِيَّةِ قيمةِ الكراث والتمر، ما هو كصاحبِ الهريسة يحتاجُ لنحوِ حَرْف[١]، لماذا وأنت في طريقٍ باتتأنّق؟ أو لصحةِ الجسم؛ فإنَّ أكْلَ الدُّسومات ما هو صحيح!

* * *

وقال رضيَ الله عنه: الكُتُب حِيلةُ الفاقدِ للشيخ، وأينَ مَن يلْحَقُ شيخاً يطْرَح يَدَه في يدِه؛ ممّن شيخُه كتابُه؟ لأن الشيخَ كالسِّراج، وقد قيل:

يظنُّ الفَدْمُ[٢] أنّ الكُتُبَ تُغْني ... أخَا ثقةٍ لإرشادِ العلومِ
ولمْ يَدْرِ الجهولُ بأنّ فيها ... أُموراً حَيَّرَتْ عقْلَ الفَهِيمِ

---

(١) الحرف: عملة كانت متداولة، وهي تعادل ثماني خَمَاسي في ذلك الزمان، مثل الخمسيّة.

(٢) الجاهل المغرور.

وإذا لم يوجَدِ الشيخ فالكُتُب ــ كما قال الغزاليُّ رضيَ الله عنه ــ إن لم تكنْ إبلاً فمِعْزَىٰ، أي: ماعز.

* * *

وقال رضيَ الله عنه: معرفَةُ العارِفِ أشدُّ من معْرفةِ الله تعالىٰ؛ لأن اللهَ سبحانَه وتعالىٰ معروفٌ بعَدَمِ المشابهةِ وبمُبايَنَةِ خلْقِه في أوصافِه وأفعاله، والعارفُ باللهِ يأكُلُ ويشرَبُ ويضْحَكُ وينامُ مثْلَك؛ لأنه بشَر، فمَن نوَّره اللهُ شهِدَ السرَّ الذي فيه، ولا نظَرَ إلىٰ البشريةِ فانتفعَ به.

ولهذا لم تَنتفعْ قريشٌ بالنبيِّ ﷺ، قالوا: يتيمُ أبي طالب؛ لأنهم شَهِدوا البشريةَ فقط ولم يشهَدوا الخصوصية. أو كما قال.

* * *

وقال رضيَ الله عنه: التأنِّي والتثبيتُ في الأمورِ مطلوب، وهكذا يكونُ المؤمن، وعساه يسلَمُ من العجَلة.

□ يروىٰ أن رجلاً اسمُه (مُعافىٰ) حضَرَ في الموقف[١] فسمعَ مُنادياً يقول: يا مُعافىٰ. فقال: ربّما يكونُ غيري، فلم يُجبْه. فقال المنادي: مُعافىٰ بنَ فلان؛ فلم يُجبْه؛ لأنّ الموقفَ يجْمَعُ كثيراً، فقال: ابنَ فلان، فلم يُجبْه، حتىٰ قال: النَّهْروانيّ. فأجاب: قَدْ وَجَدْتَه، فقال المنادي: لعلكَ مِن نَهْروانِ الغَرْبِ وأريدُ نهْرَوانَ الشرق! فانظُرْ مع راضتِه وتثبُّته وموافقةِ أبيه وجدِّه وبلادِه أخطأ!

---

(١) أي: في عرفات.

وقال رضيَ الله عنه: استَعينوا بالتذكير في شأنِ الصلاة؛ لأنها رأسُ الأعمال وسلطانُها، تنهىٰ عنِ الفحشاءِ والمنكر، كما أن السلطانَ العادلَ يأمرُ بالمعروفِ وينهىٰ عن المنكر، فهي كذلك. قيل لرسولِ الله ﷺ: إنّ فلاناً يسرِق، فقال ﷺ: «أيُصلِّي؟»، قالوا: نعم. قال: «ستنْهاه صَلاتُه»[١]. أو كما قال.

* * *

وقال رضيَ الله عنه: مَرَّ سيدُنا عبدُ الله باعلَوي[٢] علىٰ إنسانٍ وهو يقول:

والله يـا متشـغِّبـهْ لتَـخْـلِـيـن وذكِّرش كـل أفعـال ذي تِلَـقِّين

فقال له: أعِدِ البيت. فأبىٰ أن يُعيدَه إلّا بشرطِ أن يضْمَنَ له الجنة[٣].

فقال له: ضمانةٌ بالجنة. فأعاده، فقال الحبيبُ عبدُ الله باعلوي: إذا ماتَ أعلِموني بموتِه. فلمّا مات أعْلَموه به، فحضَرَ دفْنَه، فلمّا دفَنوه تغيَّرَ

---

(١) حديث «ستمنعه صلاته» رواه أحمد، والبزار، وابن حبان، وغيرهم، وسنده صحيح.

وفي سنن سعيد بن منصور من حديث جابر: قيل: يا رسول الله، إن فلاناً يقرأ بالليل كله، فإذا أصبح سرق، فقال ﷺ: «ستنهاه قراءته»، «كنز العمال» (٢٤٤٢).

(٢) الإمام الكبير العارف بالله، عبد الله بن علوي ابن الفقيه المقدم، وفاته بتريم سنة ٧٣١هـ.

(٣) من بابِ حُسن الظن في الله وفي عباد الله، والجنة يدخلها كل موحِّد بإذن الله.

سيدُنا عبدُ الله باعلوي وتلوَّن وجهُه، (وبكىٰ سيدي أحمَدُ عندَ ذلك واعْتَبَر)، ثم قال: ثم أسفَرَ وجهُه وقال: الحمدُ لله الذي نجَّاه[١].

وقد سمِعتُ سيدي يقول: سمعَ سيدُنا عبدُ الله الحداد سَائقاً يقولُ في شُرُوعِه[٢]:

خابَتْ شُيوبَهْ ما تصِلْ يثربْ، وخابَتْ حَيَاهْ[٣]

فحصَلَ لسيدي عبدِ الله الحدادِ وَجْدٌ بذلك! ثم قال لهم: إذا ماتَ أعْلِموني. فلمّا ماتَ أعْلَموه به، فأخْرَج خمسةَ قروشٍ لمَن يحُجُّ عنه ويزور، لِمَا حصَل له منَ المَدَدِ بسببِه. أو كما قال.

❊ ❊ ❊

وقال رضيَ الله عنه: مَن بايطلب العلم يطرَح الكُلْفَة في طلبِ الرِزق، ويقنَع بما حصل، إنْ هو حِجِّف[٤] أو صِيْم[٥] تمر. وأمّا إنْ كانُه بغا إلّا قهوة وتِفِنَّاك ما بايحْصل له العِلم.

---

(١) في هذا الموضع عبارة حذفت عند الطبع.

(٢) أي: في شروعه في سَوْق الدواب.

(٣) هذا معنىٰ جليلٌ ومقصد عظيم أنطق الله به ذلك الراعي الأمي، وفيه من الشوق والحب المكنون للرسول ﷺ ولزيارته الشريفة ما لا تفصح عنه العبارة، ومن تذوقها عرف المعنىٰ، وكم بين أظهرنا اليوم من يزور الرسول عليه الصلاة والسلام أو من يدعي محبته وليس في قلبه شيء من الشوق والتعظيم لجنابه ﷺ.

(٤) الحجف: كسرة الخبز.

(٥) الصيم: قبضة من التمر.

وقال رضيَ الله عنه: كلُّ إنسانٍ سلطانٌ في أهل بيتِه وراعٍ فيهم، وأسْعَدُ الرعاةِ مَن سعِدَتْ به رعيتُه، وأشقاهم مَن شَقيَت به. «وكُلُّكم راعٍ وكلُّكم مسؤولٌ عن رعيتِه»(١).

وأنت يا فلانُ سلطانٌ في المُوْزِعِ وكلمتُك نافذةٌ علىٰ أهلِ الخَلْوات، لو عاونْتَ لكان تَمَّ بك مقصودٌ كبير، ولكنْ عسىٰ التوفيقُ وأنت مسؤولٌ عن جاهِك وغيرُك مِثلُك من الأعيان، ما بايتم المقصود إلاّ بالمعاونة. أنا ما يصْلُح لي داري وأهلي إلاّ إنْ عاونتُم وجَاءوا الناس من جُبّ واحد.

* * *

وقال رضيَ الله عنه: اشكروا الله يا أهلَ الزمان، شفوا الله خصّكم بأشياء ما خَصّ بها أهل الزمان الأول. كان ناسٌ من أعيانِ البلد نِسَاؤهُم ما يصلِّيْن قطّ، من يوم وُلِدَتْ إلىٰ أن ماتَتْ ما صَلَّتْ للهِ ركعة.

وأنا متعجِّبٌ من المَكْرُميِّ يومَ حطَّ علىٰ البلادِ في ذلك الوقتِ ولا دَخَلْ(٢) إليها وقَمَشْها وذبَحْ نساءها؛ لأنهم يستحقونَ القتل. ولكنْ لطَفَ اللهُ بهم، كما قال تعالىٰ: ﴿وَلَوْلَا رِجَالٌ مُّؤْمِنُونَ وَنِسَآءٌ مُّؤْمِنَٰتٌ لَّمْ تَعْلَمُوهُمْ أَن تَطَـُٔوهُمْ فَتُصِيبَكُم مِّنْهُم مَّعَرَّةٌۢ بِغَيْرِ عِلْمٍۖ لِّيُدْخِلَ ٱللَّهُ فِى رَحْمَتِهِۦ مَن يَشَآءُۚ لَوْ تَزَيَّلُوا۟ لَعَذَّبْنَا ٱلَّذِينَ كَفَرُوا۟ مِنْهُمْ عَذَابًا أَلِيمًا﴾ [الفتح: ٢٥]، كمْ مِن صالحٍ وصالحةٍ بهم دفَعَ اللهُ البلاء، وأنتمُ اشكرُوا الله. . . نخاطبُ الآن في سُوَّال وأهلَ

(١) متفق عليه، البخاري (٤٨٩٢)، مسلم (١٨٢٩).
(٢) أي: ولم يدخل إليها ولم يقم بذبح نسائها. . . إلخ.

الخَلْوات، ولكنْ ما منكم معاونة يا إخواني، وإلّا لكان حصَلتْ أمورٌ كثيرة.

اسمَعوا كلامَ عبدِ الله حَدّاد، وأضْرَابَه من الكبار، شفوهم مشْغُولين[١] من أهل وقتِهم، ما أنصَفوهم، كما قال سيدُنا عبدُ الله الحداد: وقَعْتُ في زمان ما شَلُّوا بي رأس أهْلُه.

هيا هُمُّوا بالمعاونة، هذا كلام ما يحْمِل: غُدْوَهْ بَعْدُه. وكلٌّ يتكي علىٰ أهلِه وعيالِه ويفقهُهم، وافعَلوا مدارسَ للنساء حتىٰ تقعَ نفْحَةٌ للكل، ويَزْهَلُوا سَمْح، ويُكرمَكُمُ اللهُ بوالٍ عَدْلٍ إذا صلَحَتْ نيتُكُم فيه. تراه ما حصَلْ يوم نيتكم به إلّا صلاحُ الدنيا؛ لأن «اللهَ يعطي الدنيا علىٰ نيَّةِ الآخرة، ولا يعطي الآخرةَ علىٰ نيةِ الدنيا». كما قال عليه السّلام[٢].

❊ ❊ ❊

وقال رضيَ الله عنه: تبَصَّروا في دعوةِ قاطع الصلاة؛ إذا أردْتَ أن تُعطيَه الحسَنَةَ قُلْ: هذه الحَسَنةُ لك إن باتصلي، وعلِّمْه الفاتحةَ وشروطَ الصّلاة، حتىٰ تخرُجَ مِن عُذْرِه، وإلّا عاوَنْتَه علىٰ معصيتِه إذا سَكَتَّ له، ولا تَدْعُهُ: يا مِسْكين، تَغُرُّه، قُلْ: هاكَ يا شَرِّيْ.

□ كما يُروىٰ عن نبيِّ الله موسىٰ عليه السَّلامُ حينَ أتتْه المرأة التائبةُ وقد زنَتْ وحبِلَت وولَدت وقتلَتِ الولد، قال لها نبيُّ الله موسىٰ: اخْرُجي،

---

(١) أي: متألمين.

(٢) رواه ابن المبارك في «الزهد»، وهو في «كنز العمال» برقم (٦٠٥٦).

لا ينزلْ علينا عذاب. فعاتبَه الحقُّ جلَّ وعلا لِمَ رددْتَ التائبة؟ ألم تَرَ شرّاً منها؟ فقال موسىٰ: مَن هو شرٌّ منها؟ قال: من تَرَكَ الصلاةَ عمْداً. أو كما ورَد.

وأعطِ الحسَنةَ كلباً أو هِرّاً ولا تعطيها قاطعَ الصلاة؛ لأن في البهائمِ صدَقة، كما قال عليه الصّلاةُ والسّلام: «في كلِّ كِبدٍ حَرَّىٰ أجر»[1].

□ وكانتِ امرأةٌ مِن قدماءِ تَريم منَ الصالحاتِ تُخْرِج كلَّ يوم لقمةً تتصدَّقُ بها، فاتفقَ ــ في بعض الأيام ــ أنها لم تجدْ مسكيناً، فوجَدت عُفْوَةً[2] فأعطتْها اللقمة. قال سيدي: لأنها تحْفَظُ الحديثَ المذكور.

فلمّا تُوفيتْ وقُدْها تغسّلها الغاسلة، تبسَّمتِ المُتوفّاة، فقالتِ الغاسلة ــ وكانت منَ الصالحات ــ: باللهِ عليك إلاّ ما أعلمْتني الليلةَ في المنام مِمَّ تتبسَّمين؟ فلمّا نامتْ رأتْها تقولُ لها: تبسُّمي منَ العُفْوَة التي أعطيتُها الحسَنة، كان ثوابُ الحسنةِ إليها أوّلَ مَن يشفَع لي عندَ الله. أو كما قال.

❋ ❋ ❋

وقال رضيَ الله عنه: الداعي إلىٰ الله يُصْلِحُ بينَ الخلْقِ وبينَ ربِّهم، ويتشفعُ لهم عندَ ربِّه.

❋ ❋ ❋

---

(١) أخرجه بهذا اللفظ ابن ماجه (٣٦٨٦)، وورد بلفظ «كبد رطبة»: عند البخاري (٢٢٣٤)، ومسلم (٢٢٤٤).

(٢) الأتان الصغيرة.

وقال رضيَ الله عنه: اليَأْسُ مذهَبُ إبليس، ما حد يَيْأس من كَرَمِ اللهِ وفضلهِ، وإن كان الزمان عَيْف وآخِر زمان، ففضْلُه سبحانَه وتعالىٰ لا يختصُّ بزمنٍ دونَ زمن، ولا تُحْصىٰ مواهبُه، ولا تنفَدُ عجائبُه.

☐ سمعَ سيدُنا أحمدُ بن زينِ الحبشيُّ كلامَ الشعرانيِّ رضيَ الله عنه معناه: أنهم نفَضُوا مَحْمَلةَ الأولياءِ في القرنِ العاشر؛ لأنهم كَثُروا جَمّ.

فقال الحبيبُ أحمد بن زين: ما يُعْجبُنا كلامُ الشيخ هذا. تُعْجبُنا خُطبةُ «الإرشاد»: «الحمدُ للهِ الذي لا تُحصىٰ مواهبُه، ولا تنفَدُ عجائبُه» إلخ. ومَن قال: إن آخرَ الزمان ما عاد يقَع فيه زين؛ نقول له: ألا ترىٰ أن سيدَنا محمدَ بنَ عبدِ الله ﷺ خيرَ خلْقِ الله، وقَعَ خاتمَ الأنبياء؟ وما في القُدرةِ ما هو بعيد؛ ﴿وَهُوَ عَلَىٰ كُلِّ شَيْءٍ قَدِيرٌ﴾ [هود: ٤]، و﴿بِكُلِّ شَيْءٍ عَلِيمٌ﴾ [البقرة: ٢٨٢].

قالوا: ما عامٌّ إلاّ وخُصِّص، إلاّ هذين: ﴿وَهُوَ عَلَىٰ كُلِّ شَيْءٍ قَدِيرٌ﴾ و﴿بِكُلِّ شَيْءٍ عَلِيمٌ﴾ ما خُصِّصَ ولا حُصِر، فقدرتُه تسَعُ كلَّ شيء، وعلمُه كذلك.

ومن ييأَس ويقنُطْ من فضلِ الله وكرمِه فهو عاذل؛ ورأسُ العُذّالِ إبليس، ولمّا يئسَ مِن رحمةِ الله بايُؤَيِّس الناس وبايقنِّطهم؛ وكلُّ مَن يُقَنِّطُ ويؤَيِّسُ فهو إبليس. ما معك غيرُ ربِّك، ولو أنت عيف إنْ أطَعْتَهُ فقل: ربِّ تقبَّلْ مني، لأنه هو أهلُ القبول، وإذا لم يقبَلْ ما ينفع شيء من طاعتك، وإن عصيتَه فقل: ربِّ اغفِرْ لي، ما معَك إلاّ ربُّك. أو كما قال رضيَ الله عنه.

* * *

وقال رضيَ الله عنه: رأيتُ الحبيبَ محمدَ بن عيْدَروس الحبشيَّ(١) كأني أُذاكِرُه في شأنِ الدعوة إلىٰ الله، وهو يُرادُّنا، وأحسِبُ أنه في الحياة، حتىٰ أقولُ له في الرؤيا: تشوَّفوا كتابَ الأمر بالمعروفِ والنهي عن المنكر من «الإحياء» وهو يقول: هذا شيء ما يعنَانا نحن. فلمّا انتبهْتُ عرفْتُ أنه قد مات، والميِّتُ ليس بمخاطَبٍ بهذا الشأن.

ونقول: كلُّ مَن هو حيٌّ يعاونُ في الدعوةِ إلىٰ الله، وإلاّ يقولون: نحنُ أموات! وأعذرْناهم. علِّقوا هِمَمَكم بالدعوةِ إلىٰ الله؛ وقدِّموها علىٰ كلِّ شيء؛ وفيما يُروىٰ عنِ الله تعالىٰ: «لو عبَدْتَني عبادةَ أهلِ السمواتِ والأرض، وحُبٌّ فِيَّ ليس، وبُغْضٌ فِيَّ ليس، لم ينفَعْك ذلك عندي»، أو كما قال.

* * *

وقال رضيَ الله عنه: قال الوالدُ عمرُ لبعضِ السادة، وقد أتاه يحكي له بمشاجرةٍ حصَلتْ بينَه وبينَ بعض أقاربِه، حينَ ابتدأَ يحكي له: يا فلان، فُتِحَ لي في قَضيَّتِك في ثلاثِ آياتٍ من كتاب الله تعالىٰ. أوَّلُهن: ﴿خُذِ ٱلْعَفْوَ وَأْمُرْ بِٱلْعُرْفِ وَأَعْرِضْ عَنِ ٱلْجَٰهِلِينَ﴾ [الأعراف: ١٩٩]، ثم بعدَها ﴿وَإِمَّا يَنزَغَنَّكَ مِنَ ٱلشَّيْطَٰنِ نَزْغٌ فَٱسْتَعِذْ بِٱللَّهِ﴾ [الأعراف: ٢٠٠] والثانية: ﴿ٱدْفَعْ بِٱلَّتِى هِىَ أَحْسَنُ ٱلسَّيِّئَةَ﴾ [المؤمنون: ٩٦] ثم بعدَها: ﴿وَقُل رَّبِّ أَعُوذُ بِكَ مِنْ هَمَزَٰتِ ٱلشَّيَٰطِينِ . وَأَعُوذُ بِكَ رَبِّ أَن يَحْضُرُونِ﴾ [المؤمنون: ٩٧-٩٨]، والثالثة: ﴿وَلَا تَسْتَوِى ٱلْحَسَنَةُ وَلَا ٱلسَّيِّئَةُ ٱدْفَعْ بِٱلَّتِى هِىَ أَحْسَنُ﴾ [فصلت: ٣٤]، وبعدَها: ﴿وَإِمَّا يَنزَغَنَّكَ﴾ [فصلت: ٣٦].

---

(١) المتوفىٰ ببلد (الغرفة) سنة ١٢٤٧ هـ. وهو عم الإمام عيدروس بن عمر الحبشي.

لماذا بعدَ هذه الآياتِ ذكَرَ الاستعاذةَ من الشيطان؟ لأنه مقامٌ عظيم، وهو أعلىٰ مراتِبِ حُسْن الخُلق؛ فتفكَّروا في ذلك وتدبَّروا كتابَ الله.

* * *

وقال رضيَ الله عنه: المداهنةُ صلاحُ الدنيا بذهابِ الدِّين، كما قيلَ شِعراً:

نُرقِّـعُ دُنيانا بتمزيقِ دينِنا فلا دينُنا يبقىٰ، ولا ما نُرقِّعُ

وضدُّها: المُدَاراة، وهي: صلاحُ الدِّين بالدنيا، أو صلاحُ الدنيا بالدنيا.

* * *

وقال رضيَ الله عنه: صنَّفَ سيدنا عبد الله الحدّادُ «رسالة المعاونةِ» سنةَ ١٠٦٩، في سنةِ وُلدَ سيِّدُنا أحمَدُ بنُ زينٍ الحبشي، يصِحُّ لها في سنة ١٢٥١ (هذه السنة): مئتين، بِعَجْز ثماني عَشْرة سنة[١]، وقد الحبيب من ذلك الوقتِ يصيح، علَّموه البُكاء، وعاده صغيرْ يدعُو إلىٰ الله. وصنَّف «الرسالة» للحبيبِ أحمَدَ بنِ هاشم ـ الحبيبُ أحمَدُ الحبشيُّ جدُّهُ (صاحبُ الشعبِ)[٢] ـ تصنيفَ إمامٍ لإمام.

---

(١) أي: يكون لها في ذلك التاريخ (سنة ١٢٥١هـ): مئة واثنتان وثمانون سنة، تساوي مئتين إلا ثماني عشرة سنة.

(٢) أي: إن الإمام الحداد صنف «رسالة المعاونة» للسيد أحمد بن هاشم الحبشي المتوفىٰ سنة ١١١٥هـ، وهو من أصحابه، والسيد أحمد بن هاشم هذا هو حفيد الحبيب أحمد الحبشي صاحب الشعب المتوفىٰ سنة ١٠٣٨هـ.

وإذا سمِعْتَ كلامَ سيدِنا عبدِ الله ما كأنَّكَ سمعْتَه سابقاً، يتجدَّدُ ويجوْهَر، ولكنه مظلومٌ وكتبُه مظلومة، وحقيقٌ أن يُسمىٰ بالمَظْلوم.

علِّموا أولادكُم البكاءَ علىٰ الدِّين والدعوةِ إلىٰ الله وعادْهم صغار، يطلعون دُعاة إلىٰ الله، وإلاّ رَجعُوا يدْعُون إلىٰ الدنيا، ما بايقعون وَسَط؛ إما دُعاةً إلىٰ الله، وإمّا إلىٰ الدنيا. خصوصاً أهلُ البيت همُ المعنيُّون؛ لأنها طريقةُ جدِّهم: ﴿ قُلْ هَٰذِهِۦ سَبِيلِيٓ أَدْعُوٓاْ إِلَى ٱللَّهِۚ ﴾ [يوسف:١٠٨]، أو كما قال سيدُنا عبدُ الله الحداد:

مِنَ الفاطميِّينَ الدُّعاةِ إلىٰ الهُدىٰ   قدِ انتَهَجوا في نهْجِ خيرِ إمامِ[١]

يعني النبيَّ ﷺ كما في الآيةِ السابقة.

معاذْ لنا حاجة بأسفارِهم، ما جاءُوا لنا بشي؛ كيفْ، يجلسون في حضرَموت ويدعُون إلىٰ الله؛ شف يوم تجيهم أرزاقهم إلىٰ عندِهم[٢].

اخدُموا عبدَ الله الحدادَ في نشْرِ كتُبِه؛ لو قال لك عبدُ الله الحداد: اخدُمنا. باتطيعْ أم لا؟

ونـشْـرُ كتُبِه خِدمةٌ له، بل خِدْمـةٌ لسيـد الأوَّلينَ والآخِريـن، ولكنْ

= كما أن هناك نسباً يجمع بين الإمام الحداد والحبيب أحمد بن هاشم؛ إذ هو ابن عم والدة الإمام الحداد، وهي الشريفة سلمىٰ بنت عيدروس بن أحمد صاحب الشعب الحبشي.

(١) «الديوان» (٤٦١).

(٢) أي: لو جلسوا لرأيت كيف تجيء أرزاقهم إلىٰ عندهم.

عسىٰ نعرِف قدْرَ النعمة؛ لأن سيدَنا عبْدَ الله نعمة. كما قال في «كلامِه»: أنا النعمةُ المكفورة. وكما قال سيدُنا الحبيبُ محمدُ بن زينِ بن سُميطٍ نفَع الله بهم:

قد قالَ: إنِّي نعمةٌ مكفورةٌ لم يعْرفوها غالبُ الأَحْياءِ(١)

وأهلُ حضرَموت ما عَرفوا إلا الدنيا وأمْر المعاش، وكلُّ رَجُلٍ شغَلَه معاشُهُ عن معاده. ما عرَفوا قدْرَ عبدِ الله الحداد. كما جوْهرةٌ سِرْتَ بها إلىٰ (الرَّيدة) أعطوك فيها مُصْرا دَوْم(٢)، ما عَرفوا قدْرَها. أو كما قال.

* * *

وقال رضيَ الله عنه: مسجدُ بامْكا(٣) مأثور، عليه نظرٌ من ثلاثة، من الحبيبِ عمرَ بن عبد الرحمن العطّاسِ(٤) يسمِّيه «مسْجدَه»؛ لأن تلميذَه

---

(١) من قصيدته التي امتدح بها شيخه الحداد، ومطلعها:

أبدورُ ليلٍ أسفَرَتْ بدُجَاءِ أم هل شموسٌ أشرقَتْ بضياءِ

إلىٰ آخرها، وهي في «مجمع البحرين» (مخطوط).

(٢) ضرب الحبيب أحمد مثالاً هنا لحال سيدنا الحداد وقدره بجوهرةٍ ثمينة نفيسة خرج بها صاحبها إلىٰ (الريدة)، وهي موضع معروف بحضرموت يسكنه البادية، فأعطي فيها ثمناً لها: مُصْراً (أي: صاعاً) من تمر الدَّوم، وهو ثمر السِّدْر (النبق)! . .

(٣) مسجد معروف بسحيل شبام، بناه أحد الصالحين، من أصحاب الحبيب عمر العطاس.

(٤) المتوفىٰ سنة ١٠٧٢هـ.

بناه، ومن الحبيب حُسينِ بن طه[١]، ومنَ الوالدِ عمر[٢] ، كان يخرُج إلىٰ بير الحصاة. كان فيها باسَوَاد[٣] يقول له الوالد: اعتَنوا بعمارة بامكا، ولا يصلُحُ أنَّ الأذان يتعطَّلُ في السِّحيل، خَلُّوا حَدْ يؤذّن؛ لأن بالأذان يدْفعُ اللهُ البلاء، أو كما قال.

* * *

وقال رضيَ الله عنه: جاء بعضُ السادة إلىٰ عندِ سيدِنا عبدِ الله الحدّادِ وقد ضرَبَ رَجُلاً فقتَلَه بما لا يَـقْـتُل، فحكىٰ لسيدِنا عبدِ الله الحداد. فقال له: جئتَ إلىٰ عندي؛ بغيتنا ضُمَّك حتىٰ أُقِيدَك[٤]؟ أما علمْتَ أن شرَّ البقاعِ المُجاورِة؟ يعني: مَن فعَلَ شيئاً أتىٰ إلىٰ أماكنِ مَن يُحصِّنُه حتىٰ ما أحَدٌ يقدرْ عليه.

ومعنىٰ كلامِ الحبيب عبدِ الله: أنه ما بغاه يجي إليه، ما هو إذا واحدٌ فعَلَ شيئاً جاء إلىٰ عند الكبار بايأذيهم، أمّا أهلُ الطلب، إذا احتَرموا الوليّ فهو زينٌ منهم، ولكنّ الوليَّ ما يرضىٰ بذلك. أو كما قال.

* * *

وقال رضيَ الله عنه: احذروا من الوَسْوَسةِ في النية، وحذِّروا منها

---

(١) هو السيد حسين بن طه باعقيل كان يسكن شبام، وبها توفي.

(٢) هو الحبيب عمر بن زين بن سميط.

(٣) رجل من العامة يعمل في تلك البير.

(٤) من القَوَد، أي: القصاص.

الصغارَ قبل لا يُبتلون بها، يحسَبون أنّ الموَسوسَ علىٰ حِكْمةٍ وهو مخالفٌ للنبيِّ ﷺ، مُحكِّمٌ عَقْلَه، وهي ألّا بلوىٰ قد ابْتُلِيَ بها الشيخُ عبد الرحمن بنُ محمد باكثير[١]، وهو من أهل الفضل، له منظومةٌ رَجَزٌ سمّاها «وسيلة البنين إلىٰ مهمّاتِ الدِّين» بإشارةِ الحبيب علوي باحسن جمَل الليل[٢].

كان السيدُ المذكورُ من أقران سيدِنا الحبيب عبدِ الله الحداد، ترجَمَ له سيدُنا أحمدُ بن زينٍ الحبشيُّ في «شرح العينية»[٣] عندَ قولِه: (وبقيةٌ في العصْرِ منهمْ عُمِّروا).

كان باكثير المذكورُ يكررُ لفظ (أصَلِّي) حتىٰ يخرُج الوقت، حتىٰ أنه رجَعَ يكْتُبُ الفروضَ التي تفوتُه.

وعن سيدِنا الحبيب أحمدَ بن زينٍ الحبشيِّ قال: ابتُلِيْتُ بالوَسْواس أوَّلَ الأمرِ بتكرارِ الفاتحة، حتىٰ أني قلَّدْتُ القائل[٤] بأنَّ فاتحةَ الإمامِ تكفي.

---

(١) كذا في الأصول: (عبد الرحمن) والصواب: عبد الرحيم، وهو: العلامة القاضي الشيخ عبد الرحيم بن محمد بن عبد الله المعلم باكثير، قاضي تريم وشبام، صاحب قضية الهلال الشهيرة سنة ١٠٩٦هـ، وله عدة رسائل فقهية، تنظر ترجمته في «البنان المشير» (٧٦-٨٠).

(٢) وقع في بعض الأصول أو معظمها: حسن بن علوي جمل الليل؛ وهو خطأ والصواب أنه السيد العلامة علوي بن عبد الله باحسن جمل الليل، وهو الذي له ترجمة في «شرح العينية» كان علامةً فقيهاً نبيهاً.

(٣) «شرح العينية» (٢٧٧).

(٤) وهم: المالكية والحنفية.

وقد صَنَّفَ الإمامُ ابنُ خليل[١] «نبذة في ذمِّ الوَسْواس». نقَلَ عنه صاحبُ «بهجة المحافل» يحيىٰ العَامِريّ[٢].

انقُلوا النبذة، وتحذّروا منَ الوَسْواسِ في النية، كما قال صاحبُ «الزُّبَد»:

يكْفِي بأنْ يكُونَ قلْبُ الفاعلِ مُستحضـرَ النيَّـةِ غيـرَ غافِلِ[٣]

وهي[٤] تحصيلُ حاصل، لماذا استقَبلْتَ القِبلة؟ لماذا قمت؟ لأنه فرْض. أو كما قال.

* * *

---

(١) لم أجد له ترجمة.

(٢) «بهجة المحافل» (٢:٣١١)، ونقل فيها عن ابن قدامة في «نبذته في ذم الوسواس» التي ذكرناها آنفاً. ونقل في (٢:٣٠٨).. عن الشيخ الصالح عبد الله بن خليل المقدسي قولاً له، ولم يذكر له «نبذة».

(٣) وتمام كلامه فيها في (باب الصلاة):

... ... وقـارن النـيّـةَ بالتكبيـرِ
في كُلِّه حتْماً ومختارُ الإمامْ والنـوَوي وحجةِ الإسـلامْ
يكفي بأن يكون... إلخ.

وحاصل شرحها: أنّ معتمد المذهب هو: مقارنة النية للتكبير في جميع الصلاة وجوباً حتماً. ومختار إمام الحرمين الجويني وتلميذه حجة الإسلام الغزاليِّ: الاكتفاء بالمقارنة العرفية عند العوام، وهي: أن يكون قلب الفاعل مستحضراً النية في الصلاة غير غافل عنها. اهـ ملخصاً من «غاية البيان» (٨٣).

(٤) أي: مسألة استحضار النية.

وقال عندَ قولِهم[١]: «فإذا نطَقَ بالراءِ من «أكبر» تبيَّنَ أنه داخلٌ في الصّلاةِ من أولِ النية»، أي: لأنّ القاعدة: أن الركْنَ ما كان داخلَ الماهيّة، فأفاد قولُهُم ذلِكَ أنَّ النيةَ داخِلُ الصلاة. أو كما قال.

* * *

وقال رضيَ الله عنه: منبَعُ الغِيبةِ الحسَد، لأنك ما تغتابُ إلّا الذي في قلبِك عليه شيء. وأما الذي قلبُكَ سليمٌ عليه فإنك لا تغتابُه.

ولا يكادُ أحَدُ يسلَمُ منها، وسبَبُها: طولُ المَجالس، حتىٰ مجالسِ الزيان.

قال الشعرانيُّ رضيَ الله عنه: إياكَ وتطويلَ المَجَالس، فإني جرَّبْت: ما طال مجلسٌ إلّا وجرَتْ فيه الغِيبة.

ووقَعَتِ الغيبة أشدَّ من الزنا: لأنَّ مَنْ تابَ من الزنا تابَ اللهُ عليه، والتوبةُ من الغيبةِ لا بدَّ فيها منَ استحلالِ مَنِ اغْـتَـبْـتَه. فالأَوْلىٰ: تقليلُ المجالس، وتخفيفُها إذا وقعَتْ. والمُحالَلَةُ كلما مضَتْ أيامٌ تباحَلُوا الأقارب[٢].

* * *

وقال رضيَ الله عنه: المَدْحُ ذَبْح، وفي الحديث في ذَمّ المدح:

---

(١) أي: الفقهاء.

(٢) أي: كلما مضت أيام قال كلٌّ منهم لقريبه: أنت بحلٍّ مما قُلْتَهُ فيَّ.

«عقَرْتَ الرَّجُل عقَرَكَ الله»(١). فالمدحُ بليَّـةٌ عظيمَة، ومَا أَسْرَعَ فسَادَ الإنسانِ بالمدح، بخلافِ الذمّ، بل ربما يكونُ صَلاحُك بسببِ الذمّ.

تحذَّروا منه، خصوصاً المُكاتبات(٢)، ما له حاجة، مثل: فلانُ الفاضل، أو نحوهِ. والوَصْفُ الحقيقيُّ إلّا: مِنَ الفقيرِ إلىٰ الله فلانٍ إلىٰ الفقير إلىٰ الله فلان. والباقي إلّا هَذْوَة، بلىٰ إنْ كان في صَاحبِ فضيلةٍ دينيـةٍ أو في أحَدٍ لا يغيِّرُه المدْحُ فلا بأس.

كتَبَ سيدُنا عبدُ الله الحدادُ إلىٰ الشيخ البجَليّ(٣) صَاحبِ (الحُدَيدة) وكان إماماً: «تخصُّ الشيخ العالِمَ العامل»، فلمّا وصَل الكتابُ إلىٰ الشيخ المذكورِ قال: اكْتُبوهُ في وصْل(٤)، واجعَلوه في كفَني إذا مُتّ، بغِيتها شهادة لي بما قال. أو كما قال.

وكان سيدُنا عبدُ الله الحدادُ قليْلَ المدح، كان البَجَليُّ من أهل الحديدة أيضاً له تعلُّقٌ بسيدِنا عبد الله، فذُكِرَ عندَه مِراراً ولم يقُلْ فيه شيئاً سيدُنا عبدُ الله بذلك. فلمّا توفِّي أخبروا سيدَنا عبدَ الله بذلك، وكانت له قصائدُ في مدح النبيِّ ﷺ، فقال سيدُنا عبد الله: يكفيه مَدْحاً أنه ثالث

---

(١) الحديث، قال الحافظ العراقي في «تخريج الإحياء» (٣:١٣٩): (لم أجد له أصلًا). اهـ.

(٢) وخصوصاً في الرسائل والمكاتبات.

(٣) لم أقف علىٰ ترجمته.

(٤) أي: قصاصة ورق.

مدّاحٍ للنبي ﷺ. يعني: البرعيَّ عبدَ الرحيم[١]، وعبدَ الله بنَ جَعْفرٍ البرعيّ، والبجَليَّ المذكور، أو كما قال.

* * *

وقال رضيَ الله عنه لرجلٍ صافَحَه وقد جاء منَ الحجّ: يا فلان، شِلّ كتابك واحضر المدارس[٢]، فقد قالوا: علامةُ قبولِ الحجِّ إقبالُ الإنسانِ علىٰ الدارِ الآخرة والتهوينُ في أمرِ الدنيا.

* * *

وقال رضيَ الله عنه: تعاونوا، حتىٰ يتنوَّرَ الوقت وتقعَ الهدايةُ للكل.

* * *

وقال رضيَ الله عنه، عندَ قولِه في الرائية:

وأنتَ البابُ يا خيرَ البَرايا　　　فأيُّ الناسِ يقصِدُهُ يُجَارُ[٣]

البابُ: متابعتُه عليه الصّلاةُ والسلام، واتباعُ شريعتِه وسيرتِه. قال البكريُّ[٤] في أثناء قصيدتِه التي أولُها:

---

(١) الشيخ عبد الرحيم البرعي اليماني، ينسب إلىٰ جبل برع باليمن، شاعر من مادحي الرسول ﷺ، توفي سنة ٨٠٣هـ.

(٢) جمع مَدْرَس.

(٣) «الديوان» (٦٩).

(٤) هو الإمام أبو الحسن البكري، محمد بن محمد بن عبد الرحمن، الصدِّيقي مولده بالقاهرة سنة ٨٩٩هـ. وبها وفاته سنة ٩٥٢هـ. ينظر: «النور السافر».

* ما أرسَلَ الرحمنُ أو يرسِلُ . . . إلخ *[١]

وأنتَ بابُ الله أيُّ امْرِىءٍ　　　أتاهُ مِن غيـرِكَ لا يَدخُـلُ

وهي قصيدةٌ عجيبة، انقُلوها.

أو كما قال.

* * *

وقال عندَ قوله فيها: «كأحمدَ وابْنِ إدريس وبشْر»[٢] إلخ، يعني: أحمدَ بنَ حنبلٍ رضيَ الله عنه، ابتُلِيَ بلاءً عظيماً في أن يقولَ بخلْقِ القرآن فلم يقُلْ. وصبرَ علىٰ الأذىٰ خَشيةَ هلاكِ الأُمة.

□ ورأىٰ سيدُنا الشافعيُّ رضيَ الله عنه النبيَّ ﷺ يقولُ له: بشِّرْ أحمَدَ بنَ حنبلٍ بالجنَّةِ علىٰ مُصيبةٍ تصيبُه. فلمّا انتبه سيدُنا الشافعيُّ أرْسَلَ رسُولاً إلىٰ سيدِنا أحمدَ يُبشّرُه بالرؤيا، فلمّا وَصَل الرسولُ إليه وحكىٰ له بالرؤيا قال: اللهُ المستعان. ونزَعَ له قميصَه وأعطاه إياه.

فرجَعَ الرسولُ إلىٰ سيدِنا الشافعيِّ وأخبرَه بذلك، فقال له: ما با أفجعك، با أقول لك هات لي القميص. ولكن هات با أغْسِله وبا أتغسَّل بعَرَق أحمد بن حنبل. أو كما قال. فما وقَعوا أئمةً إلّا بالصبر:

تلكَ الأئمةُ والدعاةُ إلىٰ الهدىٰ　　　والحـقِّ مِـن أهلِ المقامِ الرابـعِ

---

(١) تمام البيت: * من رحْمةٍ تصْعَدُ أو تنزِلُ *

(٢) تمام البيت:　كأحمدَ وابنِ إدريسٍ وبِشْرٍ　　　وسهْلٍ والجُنيدِ، وكمْ أناروا

وقد سمعتُه سَابقاً يقول عندَما ذَكَر صَبْرَ سيدِنا أحمدَ بنِ حنبلٍ علىٰ الأذىٰ ولم يقُلْ بخَلْق القرآن: لأنّ زلةَ العالِم مضروبٌ عليها الطبْل، وزلةُ الجاهل يُخفيها الجهل. ولقولِه عليه الصّلاةُ والسّلام: «اتقوا زلةَ العِالم»(١) الحديث. ولأنه مُقتدىٰ به ويسري ضررُه إلىٰ الخلْقِ كلِّهم، بل ينبغي جَحْدُها، لأنه إذا زَلَّ حتىٰ مُبغِضُه يقتدي به في الفساد.

والعالِمُ كالثوبِ الشاش، أدنىٰ شي يكدِّره، والجاهلُ كالثوبِ الأسود، إذا وقعَتْ فيه نقطةٌ سوداءُ لا تظهَرُ فيه. أو كما قال.

❊ ❊ ❊

وقال رضيَ الله عنه: إذا جالسْتَ القانعَ دام لك التوفيق، لأن لسانَ حالِه يدعوكَ إلىٰ ذلك، ولا قَنع إلاّ لقوّة يقينِه بضمانِ ربِّه في الآيات ﴿وَفِى ٱلسَّمَآءِ رِزْقُكُمْ وَمَا تُوعَدُونَ﴾ [الذاريات: ٢٢]، ﴿۞وَمَا مِن دَآبَّةٍ فِى ٱلْأَرْضِ إِلَّا عَلَى ٱللَّهِ رِزْقُهَا﴾ [هود: ٦].

وإذا جالسْتَ الحريصَ خَذَلك، والخِذْلانُ ضدُّ التوفيق، ولسانُ حالِه يدعوك إلىٰ الحرص، تجالسُه ولا بك شي، ساعه وقدك مثْله ملهوف، ولا يحرِص علىٰ الدنيا إلاّ ضعيفُ الإيمان، لمّا ضعُفَ إيمانُه في ضمانة الله، حَرَصَ علىٰ الدنيا.

يا ربّ هَبْ ليْ منْك حُسنَ اليقين. وأوقيةٌ مِن أعْمَالِ القانع تَعْدِلُ بهاراً من أعمالِ الحريص. أو كما قال.

---

(١) رواه الطبراني في «الأوسط» (٦٥٧٥)، (٨٧١٥).

وقال رضيَ الله عنه: الإنفاقُ في وجوهِ الخير يدُلُّ علىٰ الثقةِ بالله، وذلك عندَما ذُكِرَ أن بعضَ الملوك أنفقَ مالاً جزيلاً في زواجِ ابنتِه، ذكَرَ ذلك صاحبُ «الرحيميّة»[1]، واستحسَنَ همةَ الملك.

قال سيدي رضيَ الله عنه: كلامٌ مهمٌّ هذا في رفْع الهِمَم، ورفعُ الهمةِ الحقيقيُّ هو فعلُ الدرويشِ الذي خطَبَ ابنةَ بعضِ الملوك، فأجابَه مستهزئاً به: عليك [مِلءُ] القَدَحِ جواهر. فقال الدرويش: ومن أينَ الجواهر؟ قيل له: من البحر. فخرَج إلىٰ سِيْف البحرِ يريدُ أن يَغْرفَه، فأوقعَ اللهُ فِي قلوبِ الصيد الخوفَ من ذلك، فخرَج كلُّ حوتٍ بجَوْهَرةٍ في فيه، فملأْ القَدَحَ الرجل وخَلَّىٰ الباقي... إلخ.

هذا رفُع الهمة؛ لأن السخيَّ الذي يجُودُ بالشي من الشي، وهذا جادَ به كلَّه. والزاهدُ أكرَمُ من كلِّ كريم، لأنه زهِدَ في الدنيا وما فيها.

□ خرَج درويشٌ إلىٰ حضرَموتَ أيامَ سيدنا أحمدَ بن زين، واجتمعَ به، ثم سارَ إلىٰ المَخَا، فاتّفَقَ به بعضُهم فسأله: مَن أكرَمُ مَن رأيت؟ قال: السيد أحمدُ بن زين، لم تُذْكَرْ عندَه الدنيا. قال سيدُنا: لم يَذْكُرْ أهْلَ المناصبِ والمطابخ! أو كما قال.

* * *

وقال رضيَ الله عنه: خَوفُ الخاتمة خلّىٰ عيونَ العارفينَ بالله في

---

(١) يعني به كتاب: «الرحيمية في القيام بوظائف العبودية» تأليف العلامة حسن بن خليل الكاظميِّ الشافعي.

خُوَرْهم[١]، ما يدرون كيف باتقع المُخارَجة، والخاتمةُ علامَةُ السابقة، وأمَا الوَسَطُ فلا عبرةَ به.

كم من شخصٍ طول عمُره يعمل بالخير والطاعة، ولمّا قِدُه عند الموت طحس والعياذُ بالله، مثْل إبليسَ وبَلْعَمْ بن باعورا.

وكم من شخْصٍ يعمل بالمعاصي والمُخالفات، ولمّا كان عندَ الموت أدركَتْه العناية، كسَحَرة فِرْعون، في الحديث «إنَّ أحدَكم لَيعمَلُ بعمَلِ أهلِ الجنة، حتىٰ ما يكونُ بينَه وبينَها إلاَّ ذراع، فيسبِق عليه الكتاب، فيعمَلُ بعملِ أهل النارِ فيدخلها، وإنّ أحدَكم لَيعمَلُ بعملِ أهلِ النارِ حتىٰ ما يكونُ بينَه وبينَها إلاَّ ذراع فيسِبقُ عليه الكتاب، فيعمَلُ بعمَلِ أهلِ الجنةِ فيدخلها»[٢].

والحقيقةُ تُظهِرُ ما في الإنسانِ من خيرٍ أو شرّ، والأمورُ مفروغٌ منها. مثالُ الحقيقة: كالشمْسِ إذا أشرقَتْ علىٰ طينٍ أخضرَ أيبسَتْه، أو علىٰ سُكّرٍ أو تمرٍ رَطَّبتْه، أو علىٰ خَوْر أظهرَتْ رِيحَه الكريهة، أو علىٰ مِسْكٍ نفَحَ ريحُه الطيِّب. عسىٰ حُسن الخاتمة.

* * *

وقال رضيَ الله عنه: حضرَموتُ أشْبَهُ بالمدينة، فُتِحَتْ بلا إلهَ إلاَّ الله، وحضرَموت بغَتْ دعوة، ومعاضَدَة الهمة.

* * *

---

(١) الخُوَر: جمع خَوْرة، وهي مؤخرة الرأس وقفاه.

(٢) متفق عليه، البخاري (٦٢٢١)، مسلم(٢٦٤٢).

وقال رضيَ الله عنه:

سيدُنا أبو مَدْينَ له هذه القصيدة:

* ما لذَّةُ العيشِ إلا صُحبةُ الفُقَرا[١] . . . إلخ *

تخرَّجَ علىٰ يديْه اثنا عشرَ ألفَ مُريد، منهم: سيدُنا الفقيهُ المقدَّم، فهو شيخُه بالمراسَلة، لأن أبا مدْينَ بالغَرْب.

وتُشبهُ قصتُه قصَّةَ سيدِنا يوسُفَ بن عابدٍ[٢] معَ سيدِنا الشيخ أبي بكر ابن سالم، وهي: أنّ سيدَنا يوسُفَ بن عابدٍ من أهلِ الغَرْب نَشَأَ وجاء إلىٰ مشايخِ الغَرْب يريدُ الأخذَ منهم، وكلُّهم يقولونَ له: ليس شيخُك من أهلِ الغرب، فرحَلَ حتىٰ أتىٰ مصْر، وجاء إلىٰ عندِ الشيخ أبي الحسَن البكريِّ[٣] يريدُ الأخذَ عنه، فقال له: إني أرىٰ مكتوباً في جبينِك طابع الحُسَينيين ولسْتُ شيخَك.

فخرَجَ إلىٰ اليمن، فسَمِعَ بذكْرِ سيدِنا الشيخ أبي بكر بن سالم، فخرَجَ إلىٰ حضرَموت، فلمّا دخل علىٰ سيِّدنا الشيخ أبي بكر، قال له: يا يوسُف، طَوَّلْتَ وعَرَّضْت، أمَا علِمْتَ أني حاضرٌ حينَ حمَلَتْ بك أمُّك؟

---

(١) تمام البيت: (همُ الملوكُ همُ الساداتُ والأُمرا)، وهذه القصيدة شهيرة، وعليها عدد من الشروح، منها: «شرح» الإمام شهاب الدين ابن علان المكيِّ المتوفىٰ سنة ١٠٣١هـ، وشرح الإمام الشيخ علي باراس المتوفىٰ سنة ١٠٩٣هـ.

(٢) مولده بالمغرب سنة ٩٦٥هـ، وخرج إلىٰ حضرموت سنة ٩٩٢هـ، وتديّر بلدة (مريمة) وتوفي بها سنة ١٠٤٨هـ، وله ذرية بحضرموت.

(٣) توفي سنة ٩٧٣هـ. «النور السافر».

وأمرَه بالرجوعِ إلىٰ الغَرْب فرجَع. ثم بعدَ مدَّةٍ خرَجَ إلىٰ حضرَموت حتىٰ توفيَ سيدُنا الشيخ وهو علىٰ رِجْلِه أو كما قال.

❊ ❊ ❊

وقال رضيَ الله عنه: وهذا سيدُنا يوُسفُ بن عابدٍ[١] الأخيرُ في زمنِ سيدِنا أحمدَ ابن زينِ الحبشيِّ من ذريتهِ. كان الحبيبُ أحمَدُ يُعظِّمه ويقول: إنه أكبرُ حالاً من الأول. أو كما قال.

❊ ❊ ❊

وقال رضيَ الله عنه: لمّا توفي أحمدُ بن بكار لَعْجَم، قال والدي: توفيَ ولا حَدْ خيرٌ منه في البلد، وكان يجيء المَدْرَس إلىٰ عندِ والدي في مرضِه الذي توفيَ فيه، فجاء يوماً وأرادَ النشيد، فطوَّلَ الونوان[٢] فقال له الوالد:

❊ وَلّىٰ الزمانُ ووَلَّتِ الأيامُ ❊[٣]

كأنه كُشِفَ له قُرْبُ وفاتِه، فأنشدَ بها: فما تحيَّر[٤] بعدَ ذلك.

---

(١) هو السيد الشريف يوسف بن عبد الله الحَسَني، من السادة الأجلاّء العارفين، أخذ عنه العلامة الحبيب سقاف بن محمد السقاف، وله ترجمة مفيدة في «نشر محاسن الأوصف» (١٢٤-١٢٨).

(٢) أي: صوت الحداء.

(٣) أي: كأنه قال له: أنشِدْ بهذه الأبيات وهي للإمام الحداد، ومطلع القصيدة:

ولّىٰ الزمانُ وولَّتِ الأيامُ فعلى المنازلِ والنزيلِ سلامُ

(٤) أي: لم يتأخر بعدها.

وجينا إلى عنده بعد الظُهْر نزوره، فجلسَ وقال: خرجْتُ يوماً إلى عندِ الحبيب حسنِ بن عبد الله[١] بعدَ زواجِ أخي عوض، فقلتُ له بذلك[٢] فقال لي: أخُوك تزوَّج وبايجونَه عيال، وأنت باتتزوَّج وبايجونْ لك عيال. فكان كما قال.

وكان يقولُ له الوالدُ إذا أَنشَد بقصيدةِ سيدي الحبيبِ عبدِ الله الحداد:

* حُوَيْدي المَطايا كَمْ تُقِيمُ معَ الصِّدِّ *[٣]

...إلىٰ متىٰ تنشد بهذه الأبياتِ وأنتَ ما زُرْتَ المدينة؟ لأنه حَجَّ ولم يَـزُرْ، كأنه بَغَاه يموت حَسْران علىٰ الزيارة. أو كما قال.

* * *

وقال رضيَ الله عنه: باقولْ لكم كلمة ربّما تُنكرونَها منّي، إن أنكرتوها عَفا اللهُ عنكم: بغينا مِن كلِّ إنسان جَفْلة[٤] مِن شقِّ القهوة التي تتقَهْوُونها كلّ يوم[٥]، وينوي بها المعاونةَ علىٰ الدعوةِ إلىٰ الله، شفوها إذا سَبْرَتْ[٦] باتُقيم لنا والي، وباتُحيي لنا العِلم، ما بانقولْ لكم: هَاتوا كَمَا مَكارِمِ الأوَّلين، ما هم مَتْـهُومِين بشي.

---

(١) الحبيب حسن بن الإمام عبد الله الحداد، تقدم ذكره.

(٢) أي: بأمر الزواج.

(٣) تمام البيت: * وتسلو عن الأحبابِ بالعَلَمِ الفَرْدِ *

(٤) أي: حبّـة بُنّ، وتسمىٰ جفلة إذا كانت في قشرتها.

(٥) أي: اقتطعوها من قهوتكم اليومية المعتادة.

(٦) أي: استمرت.

أهلُ الزمانِ ما عليهم إلاّ الجفلة، والباقي تُوَفِّيه النيّة الصالحة: «درهمٌ سبَقَ ألفَ درهم»، ربما أنّ الجفلة يتصدقُ بها المُقِلُّ في الدعوة إلىٰ الله تسْبِقُ عشرةَ قروشٍ من آخَر، فيتصدَّقُ بها في فضائل ثانيةٍ كبناءِ مسجد، «لو تصدَّقَ أحدُكم بمثْلِ أُحُدٍ ذهباً ما بلغَ مُدَّ أحدِهم ولا نَصِيفَه»[١]، يعني: الصحابة. أو كما ورَد.

ومَا حصَل منَ الجفلةِ في الشهرِ أو السنةِ يجعَلُ له واحداً يتكفلُ به، لأن حضرَموت اليوم مضطرةٌ إلىٰ الوالي علىٰ ما فيه. ما عادْ معنا إلاّ التبصُّر تبصَّروا في ذلك. طرَحْنا مكالِف وأولاد في حضرَموت، ينقلبون آه إذا مَا شي أبو؟

والجفلة الذي قلنا لكم بها، يدخُل فيها كلّ واحد، فقير أو غني، لأنها عامة كالحَدَث الدائمِ العام، ولا يدخُلها رياءً ولا سُمْعة ولا دَحَس. ربما تصدَّق الإنسانُ بشيء ارتكزَتِ النفس.

ما عاد إلاّ إن بغيتوا مَحَلَّة حضرَموت، تبصَّروا لها، ولا شيء بايعيض[٢] في حضرَموت، وفيها الخيرُ لمَن قَنِع وسار بسيْرِ السلف، ولكنْ ضيَّقوها علينا بهذه العوائد والتكلُّفات، ما عادْ وسعتْهم، تراهم مُضَيَّعين في الغُرَبْ مُهَذْهَذِين، حَدْ في جاوة، وحد في هند في طلبِ المُحَال. رُدُّوا لنَا سيرةَ أهلنا القريبين، أيامَ أحْمدَ بنِ زين.

---

(١) متفق عليه: البخاري (٣٤٧٠)، مسلم(٢٥٤٠).

(٢) أي: لا شيء يكون لنا عوضاً عن حضرموت.

□ أخبرَني محمدُ بن عبود باذيبٍ[١]، قال: كنتُ عندَ الحبيب جعفرِ ابن أحمد، فجاء إلىٰ عندِه الحبيبُ سقاف[٢] ومعه نحوُ خمسةَ عشرَ نفراً، فقرَّبَ إليهم خميراً ورُوْبةْ، أو دُخْن.

□ وكذلك الحبيبُ عبدُ الرحمن بن سُميط خرَجَ إلىٰ عندِه ومعَه ناس، فقرَّبَ إليهم كذلك وقال له: معنا بُـرّ بـ(يِفِل) ما حضرَ بحال الساعة.

فهذه أفعالُ السلف، مع أنّ المذكورَين أعيانُ وقتِهم، بَغَوْا غيرهم يقتدي بهم.

□ وجاء سيدُنا الحبيبُ عمر حامد إلىٰ عندِ الحبيب عبدِ الله بن علوي[٣] صاحبِ (بور) فأكرَمَه بضيافة، لأنه كان صاحبَ كرم كبير، وحينَ حضَر العشا طرَحوا للحبيب عمر بن حامد لَحْم وافِر، شَلّ منه فصل، وقال: ما آكُل زايد علىٰ هذا، وشَلّ فصْل آخر، وقال: هذا با أجبُرك به، والباقي شِلُّه ما لي حاجة به. ما سكَت علىٰ ذلك، لأن مرادَهم نَشْرُ الدعوة.

□ كذلك جاء الحبيب عمر المذكور إلىٰ (مَدُودَة) إلى عند الشيخ عبد الكبير باحميد[٤] ومعَ الحبيبِ ناسٌ كثير، فلمّا جلسوا دخَل عليهمُ

---

(١) المتوفىٰ بشبام سنة ١٢٤٣هـ، وهو الجد الخامس لكاتب التعليقات.

(٢) هو الحبيب: سقاف بن محمد الصافي المتوفىٰ سنة ١١٩٥هـ.

(٣) هو الحبيب عبد الله بن علوي العيْدروس، المتوفىٰ ببور سنة ١١٤٥هـ، كان فاضلاً جليلاً، من أصحاب الإمام الحداد.

(٤) هو متأخر، لم أقف علىٰ ترجمته، أما الشيخ عبد الكبير الأول الذي عاش في القرن العاشر، فهو متقدم علىٰ هذا.

الشيخ وقال لهم: يا حبايب، حد معه طِحِيْن بغا نحنُ نصلِّحُه له؟ ففرح الحبيبُ عمرُ بن حامد بذلك من الشيخِ وعدَمِ مراقبتِه وتكلُّفِه.

لكنهم حلُّوا في حضرَموت ما تغَرَّبوا، أو كما قال.

هيّا مذاكرة مذاكرة إلىٰ متىٰ؟ دخل قَصبْ وانْدَرْ حطَب، آذان صُقُعْ! عسىٰ البركة في المُذاكرة، ومتعجِّبْ منكم يوم تَهْوُون مجلسي، معاذْ شي يعجب!!

* * *

وقال رضيَ الله عنه: اعتنوا في المُذاكرةِ في الطبّ، لأن الناسَ محتاجونَ إليه، بغينا طول العمُر في طاعةِ الله، والنبيُّ عليه السلام قد تطبَّب، وأصْلُ الدواء: الحِمْية، وتقَعُ الحِميةُ في حقِّ بعضٍ فرضاً لئلا يقَعَ سبباً في هلاكِ نفسِه، ﴿وَلَا تُلْقُوا۟ بِأَيْدِيكُمْ إِلَى ٱلتَّهْلُكَةِ﴾ [البقرة: ١٩٥].

قال بعضُهم: زجَرني الطبيب، ولكن لا خيرَ فيمَن لا ينزجز. كلمةٌ عجيبة! وأنت ارتفعْ، اجعَل الطبيبَ هو الله، ولا خَيْر فيمَن خالفَ ربَّه. أو كما قال.

* * *

وقال رضيَ الله عنه: مَضُّوا باقيَ العمُر في هذه الخَصْلتين: اتباعِ الرسول، وترْكِ الفضول.

* * *

وقال رضيَ الله عنه: إذا قصُر الأمل حسُنَ العمل.

وقال رضيَ الله عنه: مَن أراد الله يستُر عيوبه فلْيستر عيوب عباده، ويتخلقْ بهذا الخُلق العظيم، لأن الآدميَّ أصْلُه: ضعْف، وعورَة، وذنب، وخطيئة. كما في الدعاء: «إنْ تكِلْني إلىٰ نفْسي تكِلْني إلىٰ ضعْفٍ وعورة»... إلىٰ آخره. هذا أصلُ الآدمي، وإنْ كان مَن كان، إلاّ مِن بابِ الفضل والمِنَّة، فقد يُجَلْبِبُ بعْضَ عبادِه بسَتْر هذه الأشياء.

* * *

وقال رضيَ الله عنه: كان سيدُنا أحمدُ بن زينٍ الحبشيُّ يُعظِّمُ طالبَ العِلم ويُجلُّه وينعشُه ويفرَحُ به، ويَدْحَسْ[1] له كلُّ صاحب رسْم[2] ولا يحتفلُ به.

* * *

وقال رضيَ الله عنه: لا يُدرِكُ العلْمَ إلاّ مَن شرَحَ الله صدرَه، فإنه يسْهُلُ عليه ويستريحُ به.

قال بعضُهم: إن الذي أنفقْتُه في دُهْن السراج أكثَرُ من الذي شرِبْتُه من الماءِ في عمُري. ولهذا صاروا علماء، ومشروحُ الصدْر تتأتّىٰ منه أمورٌ عظيمة في الخير، وبضدِّه ضيِّقُ الصدر. اطلُبوا من اللهِ شرْحَ الصّدر. أو كما قال.

* * *

---

(١) أي: يضايقه.

(٢) أي: ذو الهيئة والأبّهة.

وقال رضيَ الله عنه عندَ قولِ سيدِنا الحبيب طاهرِ بن حُسينٍ في خُطبتِه: «واسلُكوا واضحاتِ سبُلِها». انظُرْ قولَه: «واضحاتِ سبُلِها»: قال تعالىٰ: ﴿وَأَنَّ هَٰذَا صِرَٰطِي مُسۡتَقِيمٗا فَٱتَّبِعُوهُۖ وَلَا تَتَّبِعُواْ ٱلسُّبُلَ فَتَفَرَّقَ بِكُمۡ عَن سَبِيلِهِۦۚ﴾ [الأنعام:١٥٣].

احذَروا منَ الطرُقاتِ التي أحدَثَها أهْلُ الزمان، احذَروها، وسيروا علىٰ ما سار فيه سَلفُكم، زمانَ سيدِنا أحمدَ بن زين، مثْلَ محمد لعجم وأضرابِه، واسألوا عن مُعاملتِهم، وعامِلوا بها. كيف؟ وقد ورَد: «كنا نترُكُ سبعين باباً من الحَلالِ خَشيةَ الوقوعِ في الحرام». أو كما قال.

* * *

وقال رضيَ الله عنه: أَذيةُ القبائلِ لكم تنبيهٌ لكم علىٰ تعليمِهم، لأنكم لمّا غفَلْتُم عنهم نبَّهوكم، اشكُروا النعمة، جَعَلَكُم مظلومين! وشكْرُ النعمة: الدعاءُ لهم بالهداية، ودعوتُهم إلىٰ اللهِ سبحانَه وتعالىٰ.

يحكىٰ أن سيدَنا الإمامَ عليَّ بن أبي بكرٍ آذاه رجُل من آل بالرَّبَّاع أذيةً كبيرة، فدعا له سيدُنا الحبيبُ عليُّ بن أبي بكر، فقال: اللهمَّ ٱهدِهْ وإلاّ ٱردِهْ. فسبقَتْ له الهداية، فتاب إلىٰ الله، وصار منَ الآخذينَ عن سيدِنا الشيخ علي، واسمُه حسَن بالرَّبَّاع. أو كما قال.

* * *

وقال رضيَ الله عنه: اتقوا الله في أولادِكم وأهليكم، افطُموهم عن هذه العوائدِ المُخرِّبة المُغرِّبة.

* * *

وقال رضيَ الله عنه: الطمعُ بليّةٌ عظيمة، وكلُّ إنسانٍ لا يبرَأُ منه، يقلّ يكثر.

كان بعْضُ الجُنْد يصِفُ لسيدِنا محمَّد بن زين بن سُميط ما معَه من الدنيا، فقال له الحبيبُ محمد: وعاذْك بغيت شيْ فوق ذلك؟ قال له: وعاذْنا بغيت مِثل هذا الجبلْ ذهباً يعني: جبل الخِبّة. فقال سيدُنا الحبيبُ محمد: صدَقَ رسولُ الله ﷺ: «لو كان لابنِ آدمَ وادٍ مِن ذهب»(١).. الحديث إلخ.

* * *

وقال رضيَ الله عنه: التوفيقُ عزيز؛ ولكن اطلُبِ العزيزَ من العزيز سبحانَه وتعالىٰ.

* * *

وقال رضيَ الله عنه: مُذاكرةً عندَ قراءةِ الحبيب عمرَ بنِ محمدٍ(٢) عليه في كتاب «العوارف» عندَ ذكْرِ مكارمِ الأخلاق، (ومنها: العفْوُ، وكَظْمُ الغيظ)، **وقال رضيَ الله عنه:** وقد تصدُرُ هذه الأخلاقُ العظيمة ممن لا يُوبَهُ له، هي ألاّ مواهب عظيمة وخصوصيات من الله سبحانَه وتعالىٰ. والصبْرَ

---

(١) تقدم تخريجه.

(٢) هو: الحبيب عمر بن محمد بن عمر بن زين بن سميط، تربىٰ في حجر عمه الحبيب أحمد بن عمر يتيماً لأن والده توفي في موسم حج عام ١٢١٨هـ فكفله الحبيب أحمد، وزوجه بإحدىٰ بناته، وكان هو القائم بشؤون الدعوة والتذكير في شبام بعد عمه، رضي الله عنهم، وكانت وفاته بها سنة ١٢٨٥هـ.

الصبْر! يوَطِّنُ نفسَه الإنسانُ من حينَ يُصبحُ أنَّه ما بايرىٰ إلّا ما يكْرَهُه، لا يحسِب أنه بايرىٰ ما يُفْرِحُه، حتىٰ إذا نزلَتْ عليه مصيبة معاذِ اشتغل. كما قيل:

يُمَثِّلُ ذو اللُّبِّ في لُبِّهِ مصائبَهُ قبْلَ أن تَنْزِلا
فإنْ نزلتْ بَغْتةً لم تَرُعْهُ لِمَا كَان في لُبِّه مَثَّلا

والأصلُ في الدنيا المكروهَات ما الأصْلُ المحبوبات. قال تعالىٰ: ﴿وَعَسَىٰٓ أَن تَكۡرَهُواْ شَيۡـٔٗا وَهُوَ خَيۡرٞ لَّكُمۡۖ وَعَسَىٰٓ أَن تُحِبُّواْ شَيۡـٔٗا وَهُوَ شَرّٞ لَّكُمۡۚ﴾ [البقرة: ٢١٦]، فإنه قدَّم المكروهَ علىٰ المحبوب.

ومَن له مسَافِرٌ غائِب، إنْ قَدَّر في نفْسِه أنه بايصَل سالماً غانماً فهو سفيه، وإنْ قدَّرَ غيرَ ذلك معَادِ افتجَعْ إذا جاءتِ المصيبة. قال سيدُنا عبدُ الله الحداد:

نعَمْ وعَوِّلْ في جميعِ الأمورْ ما دُمتَ في الدنيا علىٰ الصَّبرِ[1]

. . . إلخ

ثم قال: قال الفقيهُ عمر بامَخرمَة: كتابُ «العوارف» أَبوي، وكتابُ «الرسالة» أُمّي. أو كما قال رحمَه الله.

* * *

---

(١) من قصيدة للإمام مطلعها:

هَوِّنْ عليكَ مصائبَ الدهْرِ يَهُنْ عليك كلُّ ما يجري

«الديوان» (٢٨٤).

وقال رضيَ الله عنه: قليلٌ أنّ الزاهدَ يقع شي معَه من الدنيا، لأن الزهْدَ إذا جاء خَلِيَتِ اليد.

ولمَا جاء الشيخُ عليُّ بن عبد الله باراس إلىٰ (عيناتٍ) عندَ شيخِه سيدِنا الشيخ الحسين بن أبي بكر بن سالم، ورأىٰ ما عندهُ من الخَيْل ومظهَر الدنيا، وقَعَ في نفْسِه ذلك، فكاشفَه سيدُنا الحسينُ بن أبي بكر. قال له: يا شيخُ عليّ، ترىٰ هذا لو فاتَ كلُّه في ساعة لم يتغيَّرْ لي خاطر! أو كما قال.

* * *

وقال رضيَ الله عنه: انظُرِ الأدبَ في قولِه تعالىٰ حكايةً عن الخَضِر في قصتِه مع نبيِّ الله موسىٰ عليه السلام: ﴿فَأَرَدتُّ أَنْ أَعِيبَهَا﴾ [الكهف: ٧٩]، نَسَبَ الفعْلَ إلىٰ نفسِه. وفي قولِه تعالىٰ: ﴿فَأَرَادَ رَبُّكَ أَن يَبْلُغَآ أَشُدَّهُمَا﴾ [الكهف: ٨٢] نسبَه إلىٰ الحقِّ سبحانَه وتعالىٰ تأدباً «والخيرُ والشَّرُّ بمشيئةِ الله».

* * *

وقال رضيَ الله عنه: سُئلَ بعضُهم عنِ العلمِ النافع، فقال: هو الذي إذا جاء ملَكُ الموت وأنت حاملُ الكتابِ لم تطرَحْه. قال بعضُهم: ما أريدُ ملَكَ الموتِ يأتيني وأنا أُطالعُ في علْمِ الآلات.

قال سيدي رضيَ الله عنه: وهو[1] ميزانُ العِلم، وكذلك العملُ والمجالس، انظُرْ في ذلك، كلُّ ما تُحبُّ أن يأتيَكَ الموتُ وأنت فيه فافعَلْه، وإلاّ فاترُكْه. أو كما قال.

---

(١) أي: الموت.

وقال رضيَ الله عنه ونفَع بهُ مذاكرةً عندَ قراءة «نظْمِ الخُطبة» عندَ قولِه[١]:

فصَدَّ عنها وجهَهُ ممتنعا وقال: وَلِّيْ وتنحَّيْ أجمَعا[٢]

قال سيدُنا عبد الله الحدادُ نفعَ الله به: علمْتُ أن بعضهم أهْدَىٰ إلىٰ شيخِه مركَباً فيه مِن كلِّ شيء، فسألتُ اللهَ أن يُغْرِقَه فغرِق.

قال سيدي: يشيرُ إلىٰ ذلك قولُه رضيَ الله عنه:

تنَحَّيْ تنحَّيْ، لا سلاماً ولا رضاً تُرِيدينَ قطْعي عن سبيلِ غَنائي[٣]

أو كما قال.

* * *

وقال رضيَ الله عنه: الخيرُ كلُّه في شرْحِ الصدر، أكثِرُوا من قول: ﴿رَبِّ ٱشۡرَحۡ لِي صَدۡرِي. وَيَسِّرۡ لِيٓ أَمۡرِي﴾ [طه: ٢٥-٢٦].

---

(١) يعني بهذا: «منظومة خطبة الحبيب طاهر بن حسين بن طاهر»، التي نظمها الشيخ العلامة أحمد بن عمر بن سالم باذيب، تلميذ الحبيب أحمد بن عمر بن سميط، وهذه «المنظومة» تقع في حوالي ألف بيت. وفي هذا دليلٌ علىٰ أن هذه المنظومة قد قرئت علىٰ الحبيب أحمد بن عمر؛ لأنها نظمت بإشارة منه رحمه الله.

(٢) وهو ضمن الفصل الأخير المُعَـنْـوَن: «فصْلٌ في الحث علىٰ الاقتصاد وذكر بعض شمائل النبي ﷺ».

(٣) من قصيدته الهمزية التي مطلعها:

أموتُ بدائي والدَّوا في يدَيْكُمُ أحبَّـةَ قـلـبـي أَنْـعِـمـوا بـدوائـي

«ديوان الإمام الحداد» (٥٤).

وقال رضيَ الله عنه: كلُّنا نعرفُ أنّ ما مضىٰ عليه السلفُ مِن سيَرِهمُ الحميدةِ حق، ولكن ما معنا اتّباع.

اللهمَّ أرِني الحقَّ حقاً وارزُقْني اتِّباعَه، طلَبَ معرفةَ الحقِّ والتوفيقَ لاتِّباعِه، فإنّ كثيراً عَرَفَ الحقَّ ولا وُفِّقَ لاتَّباعِه.

قال تعالىٰ، حكايةً عن كفارِ مكة: ﴿يَعْرِفُونَهُۥ كَمَا يَعْرِفُونَ أَبْنَآءَهُمْ﴾ [البقرة:١٤٦]، وكذلك قارونُ ما نفعَه عِلمُه. اللهمَّ انفعْنا بما علَّمتنا، وعلِّمنا ما ينفعُنا: ﴿رَبَّنَا لَا تُزِغْ قُلُوبَنَا بَعْدَ إِذْ هَدَيْتَنَا وَهَبْ لَنَا مِن لَّدُنكَ رَحْمَةً إِنَّكَ أَنتَ ٱلْوَهَّابُ﴾ [آل عمران:٨]، انظُرْ إلىٰ هذه المطالبِ الجَزْلة.

ورسْمُ السِّكَّةِ في الإنسان: الجهْلُ والظلْمُ، ﴿إِنَّهُۥ كَانَ ظَلُومًا جَهُولًا﴾ [الأحزاب:٧٢]، هذا رسْمُ سِكَّة الضريبة، كما سِكَّةُ الدرهم، وإنْ شي توفيق هُوَ إلاّ من الله ما هُو بجهدِك، ﴿ٱلْحَمْدُ لِلَّهِ ٱلَّذِى هَدَىٰنَا لِهَٰذَا وَمَا كُنَّا لِنَهْتَدِىَ لَوْلَآ أَنْ هَدَىٰنَا ٱللَّهُ لَقَدْ جَآءَتْ رُسُلُ رَبِّنَا بِٱلْحَقِّ﴾ [الأعراف:٤٣]، ﴿رَبَّنَا تَقَبَّلْ مِنَّآ إِنَّكَ أَنتَ ٱلسَّمِيعُ ٱلْعَلِيمُ﴾ [البقرة:١٢٧]، ﴿وَتُبْ عَلَيْنَآ إِنَّكَ أَنتَ ٱلتَّوَّابُ ٱلرَّحِيمُ﴾ [البقرة:١٢٨]؛ لأن الأنبياءَ عليهمُ السّلامُ سببُ الهداية. أو كما قال، أو ما هذا معناه.

* * *

وقال رضيَ الله عنه ونفَع به عندَ قولِه تعالىٰ: ﴿لَقَدْ خَلَقْنَا ٱلْإِنسَٰنَ فِىٓ أَحْسَنِ تَقْوِيمٍ . ثُمَّ رَدَدْنَٰهُ أَسْفَلَ سَٰفِلِينَ . إِلَّا ٱلَّذِينَ ءَامَنُوا۟ وَعَمِلُوا۟ ٱلصَّٰلِحَٰتِ فَلَهُمْ أَجْرٌ غَيْرُ مَمْنُونٍ﴾ [التين:٤-٦] فإنّهمُ ارتقَوْا مِنَ . . . .

الحَضيضِ[١] الأسفِلِ إلىٰ اليَفَاعِ[٢] العالي. وهذه صفةُ كلِّ مؤمنٍ لا يزالُ يطلُبُ الكمال:

وكُن طالباً نيْلَ الكَمالاتِ كلِّها ومرتَفِعاً عمّا يَشِيْنُـكَ، تَشْكُرِ

وكما قيل:

❊ كمِّلْ حقيقتَك التي لم تكْمُلِ، إلخ ❊

❊ وأمـا الـجسـم ألاّ طـعـمـة الـدُّود ❊

أو كما قال:

❊ ❊ ❊

وقال رضيَ الله عنه: الأَوْلىٰ، أن يقالَ في ترتيبِ الفاتحة: «إلىٰ روحِ الفقير إلىٰ الله»، أَوْلىٰ مِنْ: «إلىٰ روح سيدِنا»؛ لأن الفقرَ وصْفٌ حقيقيٌّ للعبد. قال تعالىٰ: ﴿أَنتُمُ ٱلْفُقَرَآءُ إِلَى ٱللَّهِ﴾ [فاطر:١٥]، وقال حكايةً عن موسىٰ: ﴿رَبِّ إِنِّى لِمَآ أَنزَلْتَ إِلَىَّ مِنْ خَيْرٍ فَقِيرٌ﴾ [القصص:٢٤]، يقال: إنه قالَها وخُضْرَةُ البَـقْل تُرىٰ من صَفيقِ بطنِه عليه السلام، عسىٰ اللهُ يُحقِّقُنا بالافتقارِ والانكسارِ والاضطرار، كما في دعاءِ سيدنا عبدِ الله الحدّاد.

قِعْ ئقير مكانَكْ، ومن أين بايجيئك العجب والدعوىٰ، وهذا وصفُك؟ وإنْ عندك شيء منَ الكمالِ فهو عاريَّة، إن شَكَرْتَ علىٰ ذلك دامَ لك، وإلاَّ سُلِبَ منك كما سُلبَ من بلعمَ بنِ باعورَا وإبليس، فإنه تَـعَمَّر ثمانينَ ألفَ سنة في العبادة، ولمّا دخَلَه الكبْرُ عنِ السّجُودِ طُرِدَ وسُلب.

---

(١) الحضيض: القرارُ من الأرض عند منقطع الجبل.

(٢) اليفاع: كل ما ارتفع عن الأرض.

ما لك حاجة، ادَّعِ النقصَ ولو أنت كامل، ومن ٱدَّعىٰ الكمال فهو ناقص. والمؤمن لا يزال يشهد النقص في جميع أحواله، ومِن أينَ يجيءُ العُجب والدَّعْوىٰ؟ قد قبضت حُسن الخاتمة؟ يا الله بالسَّلامة.

الله يرحَم جمْعَنا بفضلِه، ولا يُعاملنا بقسْطِ عَدْلِه، عسىٰ يعاملُ بالفضل، أمّا إن كان بايعامل بالعدلِ لا طاقة، عسىٰ ستْرُه. اللهُمَّ استُرْ عوراتِنا وآمِنْ روْعاتِنا، لكنّك إنْ بغيتُه يعاملك بالسَّتر تخلَّقْ بالسَّتر علىٰ عباده، إذا رأيتَ عورةً من أخيك استُرْها عليه، كما أنك إذا رأيتَه نائماً مكشُوفَ العورة، فإنك ترُدُّ الثوبَ علىٰ عورتِه. أو كما قال، وأستغفرُ الله.

❊ ❊ ❊

وقال رضيَ الله عنه: المؤمنُ يكونُ في يومِه أحسَنَ من أمسِه في الطاعات، كما قال سيدُنا عبدُ الرحمن بنُ علي[1]:

وكنْ في اليومِ أحسَنْ في الطاعاتِ من أمْس

قدْ هو مستقيم بالأمْس، ثم زادَ علىٰ ذلك في يومِه.

وقال رضيَ الله عنه ونفَع به: اِلزمُوا الأمْرَ بالمعروف والنهيَ عنِ المنكَر إنْ أردتُمُ النجاةَ في الدارَين، وتشبَّهوا بمَن ذكَرَهمُ الله فىٰ آية ﴿فَلَوْلَا كَانَ مِنَ ٱلْقُرُونِ مِن قَبْلِكُمْ أُولُوا۟ بَقِيَّةٍ﴾ [هود:١١٦]، جاء في التفسير:

---

(١) هو السيد الجليل عبد الرحمن بن الشيخ علي بن أبي بكر السكران، كان من العلماء العاملين، كان يحفظ «الحاوي الصغير» للقزويني، موصوف بالورع والزهد، ولد بتريم سنة ٨٥٠ هـ، وبها توفي سنة ٩٢٣هـ.

يعني أصحابَ فضلٍ ودينٍ ﴿يَنْهَوْنَ عَنِ ٱلْفَسَادِ فِى ٱلْأَرْضِ﴾ [هود:١١٦] الآية، وفي آية ﴿أَلَيْسَ مِنكُمْ رَجُلٌ رَّشِيدٌ﴾ [هود:٧٨]، يعني: يأمرُ بالمعروفِ وينهىٰ عنِ المنكر.

وتغافلوا وتعامَمُوا عن كلامِ أهلِ الزمان، فإنّ الألسُنَ مطلقةٌ بكلامِ الخَنَا بايغيِّرون[١] علينا الصغار، ناس صُوَرْ يتكلَّمون بكلام خَنَا في مجازِ الجامع[٢]، ما شي أدب، ما كأنّهم في بيت الله، كلُّه عندَهم سواء، لكنهم ما دَرَوْا بالدِّين ايش هو، وأنا أحذِّرُكم ــ خصوصاً الصِّغار ــ من الجلوس علىٰ المجازِ مَع ربشَةِ الناس، شوه لاك، بايهوشونك، مَلَصَّهْ، رُحْ توَضَّ في بيتك واخرُج إلىٰ المسجد متوضئاً، وهُوْ قدُه سُنّة كما في الحديث: «طوبىٰ لمَن توَضَّأ في بيتِه وزارَني في بيتي»، أو كما قال عليه السّلام.

وإذا خرَج الإنسانُ إلىٰ المسجدِ يجعل في أذُنيْه عُطُب[٣] حتىٰ ما يسمع شيْ، وكذلك إذا دخَل السوقَ لحاجته، كما كان علي قَطَن الله يرحمه يفعَل ذلك. وإن عادُهْ جعَل غُشَيوَهْ[٤] علىٰ رأسِه كان أحسن، قدْها تسمىٰ عندَهم خلْوة مختصرة[٥] وقد كان الشيخُ معروفُ يفعل ذلك.

---

(١) أي: سيفسدون.

(٢) أي: في أروقة المسجد الجامع، عند مواضع الوضوء.

(٣) أي: قُطْن.

(٤) أي: غَشوة صغيرة، كالطيلَسان.

(٥) أو خلوة صغرىٰ.

وكونوا كما قال أبو مُسلم الخوْلانيُّ رضيَ الله عنه حينَ قيلَ[١] له: أتشهدُ أن محمداً رسولُ الله؟ قال: نعم. قيل له: أتشهدُ أني رسولُ الله؟ قال: ما أسْمَع؛ لأنها فتنٌ في الدِّين. عسىٰ الله يُخرجُنا من الدنيا سالمين غانمين.

❋ ❋ ❋

قال رضيَ الله عنه عندَ قوله عليه السّلام: «منْهومانِ لا يشبَعان: طالبُ العِلم وطالبُ الدنيا»[٢]، وإنما طالبُ العِلم محمود، وطالبُ الدنيا مذموم،لأن طالبَ العِلم حمَلَتْه ثقتُه باللهِ علىٰ الجُوعِ في طلبِ العلم، وطالبُ الدنيا حمَلَه ضعْفُ إيمانِه علىٰ الحرصِ علىٰ الدنيا.

لو أُعطيَ الحريصُ الدنيا كلَّها ما كفَتْه، وما أدري لو دخَلَ الجنة، عادُه بغا شيْ؟ وإنما يُنزَعُ الحرْصُ من قلبه، كما قال تعالىٰ: ﴿وَنَزَعْنَا مَا فِي صُدُورِهِم مِّنْ غِلٍّ﴾ [الأعراف: ٤٣].

والجنةُ المعجَّلةُ إلا معَ القانعين. كما قال إبراهيمُ بنُ أدهم: لو يعلَمُ الملوكُ ما نحن فيه من الراحةِ لَجالَدُونا عليه بالسيف: لأنهم همُ الملوكُ علىٰ الحقيقة. أو كما قال.

❋ ❋ ❋

---

(١) الذي كان يسأله هو مسيلمةُ الكذاب.

(٢) الحديث أخرجه الطبراني في «الكبير» (١١: ٧٦) (١١٠٩٥)، و«الأوسط» (٥٦٧٠)، و«مجمع الزوائد» (١: ١٣٥).

وقال رضيَ الله عنه: قولُ سيدِنا عبدِ الله الحداد:

* وعُمَّ أُصولاً والفروعَ برحمةٍ[١]. . . إلخ *

يدخُلُ في هذا البيتِ مِن آدمَ عليه السّلامُ جميعُ الأصول، ما يَخرُج إلّا المُشْرك بالله. وفي البيت الثاني:

* وسَائرَ أهلِ الدِّينِ من كُلِّ مُسلمِ *[٢]

حتىٰ الجنُّ يدخُلونَ في هذا الدعاء، لأنهم مسلمون، ومَن تحققَ بمعنىٰ هذه الأبيات معاذْ يدْخُلُه الغِلّ علىٰ المسلمين، ولا يرتفع عليهم، لأنه يدعو لهم، لأنه عرَف أصْلَه، كما قيل:

إذا كان أصلي من ترابٍ فخلْقُ اللهِ طُـرّاً أقاربـي

والرفعةُ إلاّ بالتقوىٰ، ﴿إِنَّ أَكْرَمَكُمْ عِندَ ٱللَّهِ أَتْقَىٰكُمْ﴾ [الحجرات: ١٣]، ما هو بالأَنْساب ونَـهَرَ بعضُ الصحابة رضيَ الله عنهم بلالاً وقال له: يا ابْنَ الأمَة. ثم رجع، وقال له: ضَعْ رِجلَك علىٰ خدِّي، إني تَرفّعتُ عليك بنسَبي. أو كما قال عليه السّلام: «إنّ الله أذهَبَ عنكم عَيْبَةَ الجاهلية، الفخْرَ بالأنساب»[٣] أو كما قال.

* * *

---

(١) «ديوان الحداد»: (١١٩).

(٢) «ديوان الإمام الحداد»: (١١٩).

(٣) رواه أبو داود (٥١١٦).

وقال رضيَ الله عنه: اقطَعوا الرِّيق بقولِه: «مَن أصبحَ آمناً في سِرْبِه، مُعافىً في جَسَدِه، عندَه قُوتُ يَوْمِه وليلتِه، فكأنما حِيْزَتْ له الدنيا بحذافيرها»(١)، واشكُروا نعمةَ الله، فاذكُروا آلاءَ الله: ﴿وَمَا بِكُم مِّن نِّعۡمَةٍ فَمِنَ ٱللَّهِ﴾ [النحل: ٥٣].

«اللهمَّ ما أصبحَ بي من نعمةٍ أو بأحدٍ من خلْقِك فمنك وحدَك»(٢)، إلخ، وأكبرُ النِّعَم: نعمَةُ الإسلام:

نحن في رَوْحٍ وراحةْ ... وحبُورٍ واستراحةْ

نعمةُ الإسلامِ أعلىٰ ... نعمةٍ حلَّت بساحَةْ(٣)

ولو أعطاك جميعَ النِّعم وأحرمَك نعْمةَ الإسلام فما ينفَع من شيء، ولا تُسمَّىٰ إلاّ نَعْمةً بفتح النون: ﴿أُوْلِي ٱلنَّعۡمَةِ﴾ [المزمل: ١١]، وهي التي ما لها عاقبةٌ في الأخرىٰ، والشكْرُ عزيزٌ جمّ: ﴿وَقَلِيلٌ مِّنۡ عِبَادِيَ ٱلشَّكُورُ﴾ [سبأ: ١٣]، ﴿قَلِيلًا مَّا تَشۡكُرُونَ﴾ [الأعراف: ١٠]، بخلافِ الصبر، قد يكونُ من ناسٍ جمّ صبر. والمؤمنُ أمرُه كلُّه خيرٌ له، إن أصابتْه سَرّاءُ شكَرَ وإن أصابتْه ضرّاءُ صبرَ(٤). والشكْرُ صَبْرٌ علىٰ النعمة، كما قال سيدُنا الحبيبُ محمد بنُ سُميط:

---

(١) تقدم تخريجه.

(٢) هذا جزء من الدعاء المأثور ــ من أذكار الصباح والمساء ــ رواه أبو داود (٥٠٧٣).

(٣) هذان البيتان للإمام الحدَّاد، «الديوان»: (١٤٦).

(٤) أخذاً من الحديث الذي رواه مسلم (٢٩٩٩) وطرفه: «عجباً لأمر المؤمن».

صبَروا شكراً وشكراً صبَروا جعَلوا كلَّ البلايا نِعَما(١)

أو كما قال رضيَ الله عنه.

* * *

وقال رضيَ الله عنه: الصالحُ: القائمُ بحقوقِ اللهِ وحقوق العباد، والذي لا يصِلُ إليه يَبْلغُه بالنية، وكم باتعمَل؟ ولا تبلغ إلاّ بالنية إذا صلُحَتْ. وشأنُ المؤْمنِ الإحكامُ والإحسانُ في كلِّ شي، ما تنفَع الكثرةُ

---

(١) من قصيدة له طويلة، مطلعها:

يا نديمي، إنّ دمعيْ قد هَمَا في خُدودي، جارياً مُنسجِما

شرح هذا البيت:

قال العلامة المتفنن السيد أحمد بن أبي بكر بن سميط المتوفىٰ بزنجبار سنة ١٣٤٢هـ: (صبروا علىٰ الأعمال ووظائف العبادات وتوزيع الأوقات في الطاعات شكراً، فهو منصوبٌ علىٰ الحالية بتأويله بالمشتق شاكرين، أي: باستفراغ الطاقة منهم بصرف الجوارح إلىٰ ما خلقوا لأجله علىٰ طريق المتابعة، أو علىٰ المفعولية ــ وهو الأقرب ــ علىٰ حد قوله تعالىٰ: ﴿ٱعْمَلُوٓا۟ ءَالَ دَاوُۥدَ شُكْرًا﴾ [سبأ: ١٣].

وأما قوله: صبراً كما شكراً، منصوبٌ علىٰ المفعولية له، أو الحالية، نظير ما تقدم. والمراد بالصبر هنا: هو الصبر علىٰ الآلام دون الأول، فإنه صبر علىٰ العبادات، فهما مختلفان من حيث المتعلَّق.

والمراد هنا: الشكر علىٰ البلاء، لما تقرر أنه يقع علىٰ النعم والبلايا، ومن ثَمَّ قال لسبب الشكر هنا، وهو في قوة التعليل: شهدوا كل البلايا نعماً، فيحصل المعنىٰ أنهم شكروا وصبروا علىٰ ما يصيبهم في الدنيا من البلايا، لأنهم شهدوا كل البلايا نعماً، أي: نعماً باطنة، كما قال تعالىٰ: ﴿وَأَسْبَغَ عَلَيْكُمْ نِعَمَهُۥ ظَٰهِرَةً وَبَاطِنَةً﴾ [لقمان: ٢٠]). اهـ.

مع الجَعْثَـشَـةَ[١]، سواءٌ كان في صلاةٍ أو قراءةٍ أو غيرِ ذلك، واللهُ غنيٌّ عن جَعْثَـشَـتِـك. وورَد: إنَّ للهِ مِن ملائكتِه ملَكاً مِن يومَ خلَقَه الله إلىٰ قيامِ الساعة في سجْدةٍ واحدة. فأين باتصل بعمَلك؟!

❋ ❋ ❋

وقال عفا اللهُ عنه: كَرَمُ اللهِ فائض مكانَه، كما ورَد «ما ليلةٌ أمْطَرُ مِن ليلة»؛ ومناهلُ الحق سبحانَه وتعالىٰ موجودةٌ لمن تأهّلَ لها، ولكن ماشي أوْعية، هي إلاّ خُبَـرْ[٢]، والخُبْرة ما تُمسك شيْ، كما قال سيدُنا عمر بنُ سقافٍ رضيَ الله عنه: أهلُ الزمانِ يقولون: معاذْ شي مناهل، والمناهل موجودة، إلىٰ آخرِ ما قال؛ أو كما قال سيدُنا رضيَ الله عنه.

❋ ❋ ❋

وقال رضي الله عنه في قولِه تعالىٰ: ﴿إِنَّ ٱلشَّيۡطَٰنَ لَكُمۡ عَدُوّٞ فَٱتَّخِذُوهُ عَدُوًّاۚ﴾ [فاطر:٦]: ومن عداوته بغاك تدخُل في الكفر لو بايقع له. فإذا وفَّقَ اللهُ العَبْدَ للإسلام يقولُ له: لا تصلي، فإذا وفَّقَ اللهُ العبدَ[٣] قال له: هي عماد الدين، ولا خيرَ في دينٍ لا ركوعَ فيه، يقول له: صلِّ واستعجل، إما

---

(١) أي: عدم إحسان العمل والإسراع فيه.

(٢) الخبرة: قدمنا معناها وهي تصنع من الخوص، فلذاك لا تمسك شيئاً من السوائل فيها.

(٣) أي: ألهمه الرد علىٰ الوسواس الخبيث.

في الوقتِ أو في الصلاة، فإذا وفَّق اللهُ العبدَ وصلّىٰ صلاة براضَة[١]، جاء له من قِبَل الرياء، يقولُ له: رائي بها الناس.

فإذا خالَفَه، جاء له من طرفِ العُجب، وهو خامسُ عقَبـةٍ، أشدُّهُنّ، فإذا وفَّق اللهُ العبْدَ وثبَّتَه بالقول الثابت شَهدَ المنة للهِ عزَّ وجل، وقال له: ﴿وَلَوْلَا فَضْلُ ٱللَّهِ عَلَيْكُمْ وَرَحْمَتُهُۥ مَا زَكَىٰ مِنكُم مِّنْ أَحَدٍ أَبَدًا﴾ [النور: ٢١].

* * *

وقال رضيَ الله عنه: أهْلُ الزمان معاذْ ميَّزوا شيء، كما قال سيدُنا عبدُ الله الحداد معاذْ ميَّزوا «خ» من «ت» كلّه سواء، تراهُم يسافرون إلىٰ أرضِ الكُفر مثلَ جاوه والهند، وأرضِ البدعةِ مثلَ مسكَتْ وصنعاء، يتْصَبَّحْ كل يوم بوجهِ كذا كذا كافر، أو بِدْعي.

وهي إلا عُقوبة؛ لأن السفرَ عقوبة، وزادَتْ عقوبة خَفيّة: السفرُ إلىٰ أرض الكفرِ والبدعة؛ لأن الطبعَ يُسرَقُ من الطبع.

وما ينفَع الجرباءَ قربُ سليمةٍ   منها، ولكنَّ السليمةَ تَجرَبُ

وسببُ العقوبةِ المذكورة: تضييعُهم حقَّ الوطن، ما قاموا بحق الله في أوطانِهم، عاقبَهمُ الله بالغُرَبْ، وضيّعَهم في الأرضِ البعيدة، وقد كان الأولونَ يسافرونَ ولكن إلىٰ أرْضِ الحَبَشةِ والسواحل[٢]، وأهلُ الزمان معاذْ شي تمييز ولا منقود.

---

(١) أي: باطمئنان.

(٢) لأنها قريبة من أرض اليمن، ولا يتغربون فيها مثل تلك.

□ أخبرَني عبدُ الله حسَن باعَشْرَهْ، قال: حكىٰ لي والدُه أحْمَد باعَشْرَهْ قال: خرجْتُ أنا وسالم محمد قَـنْـبُوع[١]، نريدُ حضورَ زواج عندَ بعض أهل الخلا[٢]، فعارَضْ نحن سالم بن عبود باذيب، فعرف نحن، وقال: إلىٰ أين؟ فأخبرْناه، فقبَضَ علىٰ لحيتِه مُلَوِّماً، قال: فرجعْنا إلىٰ البلادِ وخلَّينا الصغارَ يخْرُجون، ونحن معادْ خرَجْنا.

هذا المنقود، ينقُدُ بعضُهم علىٰ بعض؛ أما اليوم كلّه سَوا؛ وأعيانُ الناس في عالَمْ ثاني ما شكَروا كونَهم أعيان. أو كما قال.

* * *

وقال رضيَ الله عنه: ذكْرُ الصالحينَ مِن ذكْرِ الله.

* * *

وقال أيضاً: قال والدي عمرُ رحمَه الله: أخبرَني علي باذيب قال: تُذبَحُ في البلادْ ثلاثة رُوس غنم، وجميعُ خوارجِ شبام: منَ الغُرْفةِ إلىٰ البلاد، لَحْمُهم من شبام، وعادُه يبُور اللحم[٣]، وذلك مع وصولِ الحبايب آل سُميط من تَريم إلىٰ البلاد[٤].

---

(١) فرع من آل باذيب، وقد قرضت هذه الأسرة ولم يبق منهم أحد، ولهم أوقاف علىٰ بعض أعمال الخير في شبام.

(٢) أي: الساكنين خارج بلد شبام.

(٣) أي: يفسد اللحم في محله لعدم المشترين له.

(٤) وذلك في منتصف القرن الثاني عشر، لأن دخولهم شبام كان في سنة ١١٣٥هـ.

كان أهلُ شبام خاصَّة. أمورُهم علىٰ القناعة زايد علىٰ الناس، اعقِلوا المذاكَرة، واكتُبوا ما نُسْنِدُه لكم من سِيَرهم، عسىٰ أحد من الحاضرين يفهَم المذاكرة!

* * *

وقال رضيَ الله عنه: الخَيْرُ كلُّه ثمَرةُ شرْحِ الصدْر.

* * *

وقال رضيَ الله عنه: مجالَسَةُ الدُّونِ تُعوِّجُ المستقيم.

* * *

وقال رضيَ الله عنه: دليلُ صلاحِ القلب: صلاحُ اللسان، والكلامُ الطيب، والصمْت. ودليلُ خرابِه: ضدُّ ذلك. اعْتَنْ بقلبك، شُفْ مَدار الإنسان، علىٰ القلب واللسان، الأصغَرَين[1]، واللسانُ عنوانُ الجَنانِ كما قيل:

إن اللسانَ لَعنوانُ الجَنانِ، فمَنْ   طابَ جَناناً يَطِبْ قولاً لكلِّ نَجِيْ[2]

* * *

وقال رضيَ الله عنه: إذا اجتمعَ الأخيارُ ينفَعوا غيرهم، وإذا اجتمعَ

---

(١) الأصغران هما: القلب واللسان، كما ورد في الحديث.

(٢) «ديوان بن سميط» (٣٨).

الأشرار ضَرُّوا غيرهم، مثل القَبْسَة والمَرُوْ[١]، ما تظهَرُ نارُ الأشرار إلاّ باجتماعِهم، ولا يظهَرُ نورُ الأخيار إلاّ باجتماعِهم.

واصحَبِ الأخيارَ واعرف ما لهمْ　　　واهجُر الأشـرارَ واتـرُكْ قالَهمْ

وإذا ما حَصَّلت خيِّر تجالِسُه طالعْ في كتابٍ من كتب عبدِ الله حداد، والإمام الغزاليّ، يا خَير جَليس، هذا دليلُ التوفيق، لأن الِكتَابَ نصْفُ الملاقاة، تجالس الأكابر وقدْهُم في قبورِهم.

❊　❊　❊

وقال رضيَ الله عنه: مثَالُ الوالي العادل إذا مَنَّ اللهُ به، مثَالُ السيلِ الكبير، يسقي جميعَ الأرضِ في ساعة، تتمُّ به المقاصدُ بسهالة.

ومثالُ الداعي إلى الله مثالُ السناوة بالغَرْب[٢]، تُمضي نصفَ النهارِ في سقي نخلةٍ واحدة.

اطلُبوا منَ اللهِ والي علىٰ ما فيه، وإن وقَع عادلاً نعمةٌ من الله، وإلاّ قدْ هو خير من الهَمْلة، كما قال سيدُنا عمرُو بن العاص: والي غشوم خيرٌ من فتنةٍ تدوم. وأولُ الكلام ما نجي به، ما به فرح، وأنتم افهَموه، ما نجي به إلا للضرورة.

❊　❊　❊

---

(١) القبْسةُ: ما يشعل فيه الشرارة، والمرو: قطعة قماش أو خيط يُقَرَّب من القبسة لتشتعل فيه النار.

(٢) الغرب: الدلو الكبير.

وقال رضيَ الله عنه: ما أدري، لو عاد الحبيب طاهر بن حسين موجود بايقع هذا القبول «للخُطبة» أم لا؟ لأنّ مشاهدةَ البشريةِ تحتاجُ إلىٰ نورٍ وافر، واليوم قد بعدتْ شمْسُه، معاذْ نُعذَر.

حتىٰ أنّ كتُبَ سيدِنا عبدِ الله الحدادِ حصَل بها انتفاعٌ عظيمٌ بعدَ موتِه رضيَ الله عنهم، والميتُ مَعاذْ فيه تهمة، وأما الحيُّ متهوم بسبب البشرية. ولكنْ ما عليك إلاّ التذكير، والهداية بيـدِ الله. عسىٰ اللهُ يزكي النفوسَ ويُصلحُها.

❊ ❊ ❊

وقال رضيَ الله عنه: قَوُّوا إيمانَ أولادِكم وأهليكم ،وعاْدهم صغار، حتىٰ يُرْبُوا علىٰ قوة الإيمان؛ لأنه لا ينفَعُ في الآخرة إلا الإيمان، ولو ما شي أعمال، كسَحرة فرعون، قالوا: آمنَا بربِّ العالمين، فقتَلَهم فرعون، فدخَلُوا الجنةَ بإيمانِهم.

وإذا ما شي إيمانْ ما تنفَع الأعمال ولو هي صالحة في الصورة كأعمالِ المنافقين. وإذا قَوِيَ الإيمان صار يقيناً، معاد يدخُلُه الشكّ. وإذا عاده إلا إيمان فقط يدخُله الشكوكُ والظنون، والأوهامُ الساترةُ للقلوب عن مطالعةِ الغيوب؛ كما تشاهدُ غالبَ الناس في السعيِ في الرزقِ من شَامْ إلىٰ يمن، إلىٰ جاوْه إلىٰ هند، سبَـبُه: عدَمُ الثقةِ بالله.

□ كان الحاجُ أحمد باعُقْبه من الكِبَار[1]، إذا دخَلَ السوقَ يسمَعُ

---

(١) أي: من كبار الصالحين.

آلاتِ المخازن تُسبِّح، حجابٌ رقيق، وهو ممن أخَذَ عن سيدِنا الحبيب محمدِ ابن زين بن سُميط.

□ رأىٰ أحمد ابنَ بكار بن عوض لعْجَمْ بعدَ موتِه، فسأله: ما الذي ينفَعُ في الآخرة؟ فقال له: إيمان بالله، ثم انصرف وقال: قلْ للعيال لا يغفلون عن عمارة المال[١]، وكان أولاده حينَئذٍ غُرَباءَ عن البلاد، أو كما قال، إذا انكسرَتِ النفْسُ تنوَّرَ القلْب.

* * *

وقال رضيَ الله عنه: هذا الجاري في(تريس) من الهَوْش[٢] من آلِ كثير سببُه: عدَمُ التذكير ودعوةِ القبائل، وربما نحنُ نشاركُهم، يبات الإنسانُ راكعاً وساجداً وهو شريكٌ في قَتْلِ القاتل وهَوْشِه بسَبَب سكوتِه.

وأما في حقِّ المُهْتَاش[٣] فهو: إمّا كفارةُ ذنوب أو رفعُ درجات «عَجِبَ ربُّك من قومٍ يُساقون إلىٰ الجنةِ بالسلاسل»[٤]؛ لأن المصائب ما تخلو: إمّا أن تكونَ كفارة، أو رفْعَ درَجة.

وواجبٌ علىٰ أهلِ كلِّ بلدٍ يخرُجُون إليهم ويذكِّرونَهم ويعرِّفونَهم

---

(١) أي: أراضينا الزراعية.

(٢) أي: السرقات.

(٣) أي: المسلوب المال، المظلوم.

(٤) الحديث بهذا اللفظ أخرجه ابن أبي عاصم في «السنة» (١: ٢٥١)، وأصله في البخاري(٤٢٨١).

أنهم يركضونَ في طريقِ النار، وإلاَّ يكتبونَ لهم خَط، من كافة الناس ويسْخَطُونَ حالتَهم، حتىٰ يدرون أنهم علىٰ ضلال.

وقدِ هتاشَتْ قافلةٌ في زمنِ الحبيب عبدِ الرحمن بنِ عبد الله بلفقِيه في (العجلانية)(١)، فكتبَ لهمُ الحبيبُ عبدُ الرحمن خَطّاً خوَّفَهم فيه وهدَّدَهم، وذكَرَ لهم أن كلَّ مَن له خيطٌ له دعوةٌ مستجابة. خرجَ من العُذْرِ رضيَ الله عنه، ولا عاش جمْ بعدَ الواقعةِ المذكورة، رحمَه الله.

واسألوا منَ اللهِ الكريم أن يمُنَّ بوالٍ علىٰ ما فيه، وإن وقَعَ عادلاً نعمةٌ من الله، وإلا قدُه أهْوَن الشرَّين، ومرادُنا إلاّ خيْر الخيْرَين إذا قدَّرَ الله تعالىٰ، وحالَتُنا مع عدمِ الوالي مُنْيَـةُ إبليس، شُفُوه يضْحَك منا، يُـكِرْكِر. التَجُوا إلىٰ الله في والٍ علىٰ ما فيه قِدُه خَيْر من الهملة.

وقد كان الولاةُ السابقونَ القريبونَ مُؤَمِّنينَ الأرض، قائمينَ بالحدود، يقتلونَ القاتل، ويقطعونَ السارق، وفيهم جَوْرٌ من مُطالبةِ الدنيا، ولكنهم يُسلِّمونَ الدِّين، ووَقعُوا لك حِذاء من النار. أو كما قال رضيَ الله عنه.

* * *

وقال رضيَ الله عنه: قال الحبيبُ عمر حامد لرجُلٍ شاورَه في السفر: لو قنِعْتُم بالذُّرَةِ والتمرِ ما سافرْتم.

ولمّا أرادَ القراءةَ سيدُنا الحبيبُ محمدُ بن زين بن سُميط علىٰ سيدِنا الحبيبِ عبدِ الله الحدادِ قال له: اقرأْ في كتابِ «رسالة المعاونة»، فكان

---

(١) بلدة معروفة بحضرَموت، قريب من القَطْن.

أولَ كتابٍ قرَأ فيه علىٰ سيدِنا عبد الله. فأُخْبِرَ بذلك الحبيبُ حامدُ بن عمر، فقال له: ألاّ رأىٰ فيك شي.

قال سيدي أحمدُ رضيَ الله عنه: لأنّ عادَةَ سيدنا عبدِ الله يخلّي المبتدي يقرَأ في «عقيدةِ الغزالي» ونحْوِها من الكتب المختصَرة. فأكثِرُوا من مطالعتِها بالخصوص، يعني بذلك: سيِّدَنا الحبيبَ أحمدَ بن زينِ بنِ محمد بن سُميط[١] أو كما قال رضيَ الله عنه.

❊ ❊ ❊

وقال رضيَ الله عنه: اطمَعوا في الله سبحانَه وتعالىٰ، فهو الواجدُ الماجد، وخزائنُه ملانة: «لو أنّ أوّلَكم وآخرَكم، وإنسَكم وجنَّكم»[٢]. . . إلخ، واطلُبوا منه المطالبَ الجَزْلة، وإن كنا ما نحن أهلاً.

نطلبُه من بابِ الفضلِ والمنةِ يقيِّض للجهةِ والياً عدْلاً تتمُّ به جميعُ المطالب، لأن غالبَ الناس ما يرُدهم إلاّ السلطان، حَدْ منَّا يقول: يرُدَّنا إيماني[٣]، كلّنا ما يرُدّ نحن إلاّ السلطان. عسىٰ اللهُ يمُنُّ به في عافية.

وعادَكْ تطمَع في ربِّك لآخرتكْ: ﴿وَالَّذِىٓ أَطْمَعُ أَن يَغْفِرَ لِى خَطِيٓـَٔتِى يَوْمَ

---

(١) السيد أحمد بن زين بن سميط هو ابنُ ابنِ عم الحبيب أحمد بن عمر، توفي بشبام سنة ١٢٨٠هـ، كان من أهل الصلاح والعلم، وهو والد الحبيب حسن بن أحمد المتوفىٰ بشبام سنة ١٣٢٣هـ.

(٢) حديث قدسي، رواه مسلم (٢٥٧٧).

(٣) أي: هل منكم من أحدٍ يقول: سَيرْدَعُني إيماني؟

ٱلدِّينِ﴾ [الشعراء: ٨٢]، أمّا الدنيا ففانية، قُعُوا(١)، في الطمَعْ مثل أشْعَبْ(٢)، وعادُهْ قال: أطمَعُ مني امرأتي، ما تَوَهَّمْتُه أنا تحقَّقَتْهُ هي، وأطمَعُ مِنّا شاتُنا، تتطاول للتنْعُمَة(٣)، تحسَبُها خُضرة(٤).

* * *

وقال رضيَ الله عنه: اكتُبوا هذا الكلام، وإنْ فهمتَه يا فلانُ وإلاّ اكتُبْه حتىٰ تخرجَ من الكتْم. أو كما قال.

* * *

وقال رضيَ الله عنه: وادَّعِ الفقرَ والفاقة حتىٰ يعطونك، لا تَدَّعِ الغنىٰ، قال تعالىٰ: ﴿ ۞ إِنَّمَا ٱلصَّدَقَٰتُ لِلْفُقَرَآءِ﴾ [التوبة: ٦٠]، ونحن فقراءُ إلىٰ توفيق الله وفضلِه وحفظِه، وإلىٰ والٍ عَدْلٍ، الذي به صلاحُ الأحوال وكمالُها، فالجهةُ مضطرة إليه، وجميعُ الأشياء مُغَيَّرة(٥)، ولا باتتم إلاّ بالوالي، إذا مَنَّ اللهُ به في عافية، وما ذلك علىٰ اللهِ بعزيز.

---

(١) أي: كونوا.

(٢) شخصية يضرب بها المثل في الطمع، وهو أشعب بن جبير، يقال له: ابن أم حميدة. من أهل المدينة، كان مولًىٰ لعبد الله بن الزبير، وروىٰ الحديث، عاش عمراً طويلاً، أدرك عثمان رضي الله عنه، وقدم بغداد أيام المنصور العباسي، توفي بالمدينة سنة ١٥٤هـ.

(٣) التِّنْعُمَة عند أهل حضرموت: ألوان الطيف التي تظهر بعد المطر مع شروق الشمس، وقد ورد النهي عن تسميتها (قوس قزح).

(٤) أي: تحسب الألوان الخضراء التي في الهواء خضاراً فتتطاول لأكلها.

(٥) أي: معطلة.

وقال رضيَ الله عنه: يا حُسَيْن[١]، تدري مَنِ السعيد؟ هو: الذي يُحسنُ الصلاة، والشقيّ: هو الذي يغيِّرُ الصّلاة، له التعبُ والوِزر، ولو هو يقومُ من آخرِ الليل ويصلِّي في أول صف.

اجتهدوا في التفقُّه، وفقهوا أهلَكم حتىٰ يصلون صلاة صحيحة، يا بخْت من يعلِّم أهْله، والمحَكّ والاختبارُ إلاّ عنده، وعليه المدَارُ والصَّلاحُ؛ لأنهم إذا صلحوا أصلحوا مَن بعدَهم وإلاّ بالعكس. قَعْ «ذاهِنْ»[٢] بالنون، لا تقع «ذاهلْ»[٣]، باللام.

قال سيدُنا الشيخ عليُّ بن أبي بكرٍ رضيَ الله عنه: حَرِّكْ بعابِعَك، وأذِبْ جعاجعك.

* * *

وقال رضيَ الله عنه: خرَج حبيبي عبدُ الرحمن بارقبة من شبامَ إلىٰ الحوطة، وكان من أهل الكشف، فسمعَ طائراً مرَّ عندَ أُذُنِه وهو يقول: يا حَدّادَ القلوب! فسيدُنا عبدُ الله الحدادُ موهبةٌ لأهلِ الزمان التالي.

* * *

وقال رضيَ الله عنه: إذا حَسُنتِ القراءةُ حَسُنتِ الصلاة، وإذا تغيَّرتِ القراءةُ تغيَّرتِ الصلاة، ما الشأنُ وجودُ الصلاة والقراءة؛ الشأنُ كلُّه في الإحْكام.

---

(١) لعله يخاطب سبطه حسين بن عمر بن محمد بن سميط.

(٢) من النباهة وتيقظ الذهن.

(٣) من الذهول أي: الغفلة.

وقال رضيَ الله عنه: تعلُّقُ التقوىٰ بالتروكِ أكثر، والشأنُ كله إلاّ فيه، وكذلك الأفعال، وإنما قد تصدُرُ من المنافقينَ الأفعال، بخلافِ التروك. أو كما قال.

❁ ❁ ❁

وقال رضيَ الله عنه: الكبارُ مِن أهلِ الله يرقِّيهمُ الله، ويقيِّضُ لهُم مَن ينفي الإعجابَ عنهم، وذلك عندَ القراءةِ عليه قولَ أبي يزيدَ البسطامي، قال: ما غلَبَني أحدٌ ما غلبَني شابٌّ من أهل بَلْخ،حين سأله عن الزُّهْد، فأجابَه أبو يزيدَ بقوله: الزهْدُ : إذا فقَدْنا صبرْنا، وإذا وجَدْنا شكَرْنا. فقال له الشابُّ : هكذا عندَنا كلابُ بَلْخ، أو كما قال[١].

❁ ❁ ❁

وقال رضيَ الله عنه: يقال: الكتابُ إذا لم يُقابَلْ، يُلقىٰ على المزابل، ومن كلامِ سيدنا عبد الله بن علَوي الحداد: قابِلوا الكتب، فإنّا لا نُحِبُّ اللحْن. وقولوا: قُويلَ علىٰ فلان. أو كما قال.

❁ ❁ ❁

وقال: الكتابُ كالمُكلَّف لا يكُفُّ القلم عنه.

❁ ❁ ❁

وقال: كان في الزمنِ السابق وعاد الأهواء مستقْوية: مرزْن نساءٌ

---

(١) وتمام جواب ذلك الشاب: بل إذا فقدنا شكرنا، وإذا وجدنا أكثرنا.

تحتَ بيتِ إنسانٍ في أيامِ العيد وهو حينَئذٍ أرْمد. فقالت إحداهُن: لو فلان بخير لكان نسَّم علينا، فسمعَ كلامَها، فخرَج فدَعا لَفْلُوفاً مثلَه وفعلوا ما يعتادونه[١]، وكان الباعثُ لهواه كَلامَها[٢]. أو كما قال.

❊ ❊ ❊

وقال رضيَ الله عنه: كان سيدُنا الحبيبُ طاهرُ بن محمد[٣]، جدُّ سيدِنا طاهر بن حسين، كثيرَ التحرِّي والورَع، قال: تعجبْتُ من مدحِ الشيخ عمرَ بامخرمَة لبَدْر بُو طويرق، فلمّا عرْفتُ قدْرَ الوالي قلْت: في مَحلِّه؛ أو كما قال.

□ ولهذا صبرَ الشيخ معروف باجَمّال علىٰ أذىٰ بَدْرٍ المذكور، وكان قد قدَّمَ ذلك له شيخُه الأخضر، حين كوشف: أنّ السلطانَ عبدَ الله بنَ جعفرٍ[٤] والدَ بدرِ المذكورِ اعترضَ علىٰ الشيخ الأخضرِ في شَل عَرْضَة بينَ بعضِ القبائل، فقال عبدُ الله المذكورُ كلاماً لا يليقُ بحال الشيخ، وهو حينَئذٍ ببَندَر الشحر، والشيخُ الأخضرُ بمكانِه بدوعن، وعندَه الشيخ معروفٌ والشيخ عمرُ بامخرمَة، فمَدَّ إصبعَه الشيخ الأخضرُ وقال:

---

(١) أي: من الغناء ونحو ذلك مما يفعله الصعاليك.

(٢) وفي هذا دلالة كبيرة علىٰ وجوب جلوس المرأة في بيتها، لأن خروجها فتنة وأي فتنة.

(٣) تقدم مثل هذا الكلام سابقاً.

(٤) كانت ولايته علىٰ حضرموت من سنة ٨٩٤ هـ، إلىٰ سنة ٩١٠ هـ، وهي السنة التي توفي فيها.

رحْمَةُ الله علىٰ مَن مَاتَ في وسْطِ سَمْعُون
رحمةً شاملةً، والعفوُ مرْجُوْ ومسْهُون

ثم قال للمذكورَيْن[١]: وقعنا في عبدِ الله بن جعفر، ولكن حَمَّلُوا نحن أولادَه. مَن منكم بايتحمّلهم؟ فقال الشيخُ عمر: ما أقدِرُ علىٰ الحمولة. وقال الشيخُ معروف: العَبْدُ في الطاعة. فقال له الشيخُ الأخضر: شُفْهُم بايأذونك، فكان كما قال مِن أذاهُم له.

فصَبَر علىٰ ذلك لأجْل ما تحمَّله[٢]، وعرَفَ ما يترتبُ علىٰ ذلك، سُحِبَ رضيَ الله عنه في (سـوقِ سَلُّوم)[٣] فكان يضْحَكُ ويدعو لهم، فقيل له: كيفَ تضحك؟ فقال لهم: نلتُ ثواباً ما نلتُهُ بصلاةٍ ولا بصيام، وأدعو لهم لئلا يقَعَ حظِّي منهمُ الثوابَ وحظُّهم مني العقاب. أو كما قال. . . إلخ، وأستغفرُ الله.

* * *

وقال رضيَ الله عنه: الكفَافُ ليسَ من الدنيا، ومأمونُ الغائلة[٤]، وأما الزائدُ عليه خَطَر جمّ.

---

(١) أي: قل الشيخ الأخضر لبامخرمة وباجمّال.

(٢) أي: من العهد مع شيخه.

(٣) وهو سوق شبام المعروف.

(٤) أي: مأمون العاقبة، لأن ثوابه جزيل.

□ **وقال رضيَ الله عنه**: كان الشيبة عليُّ بن محمد لعجم يخرُج إلىٰ (حِذْيهْ)[١]، إلى الشيبة عُمَر باهُرْمز، فإذا ذكَرَ هذين البيتين[٢]:

سألْتُ النـاسَ عن خِلٍّ وفيٍّ   فقـالـوا: ما إلىٰ هـذا سـبيـلُ
تمَسَّـكْ إن ظفِرْتَ بِـودِّ حُرٍّ   فـإنَّ الحُـرَّ فـي الدنيـا قليـلُ

□ يقول باهرمز: تدري مَنِ الحُرُّ اليوم؟ هو محمدُ بن زين بن سُميط.

□ وكان الحبيبُ عمرُ البار رحمَه الله يقول: إذا سار الحبيبُ محمد ابن سُميطٍ إلىٰ تَريم أُحِسُّ قلبي يوجَعْنا لأهل شبام.

□ وكان مشغان[٣] يقول للحبيب محمد بن سُميطٍ إذا أخَذَ شهرين في تَريم: يجوزُ لك تِـبِت[٤] وتخلي الناس؟

قال سيدي: عسىٰ الله يكثر المذكرين، ما الشأنُ إلّا في الدعوةِ إلىٰ الله، وقوموا علىٰ أهل بيوتِكم، فقِّهوهم؛ فإنه أفضلُ القرُبات، وثقيلٌ علىٰ النفس، لأنه خالصٌ ومن الحقِّ الصِّرف، والحقُّ ثقيلٌ إلّا أنه مريء، والباطلُ خفيفٌ إلّا أنه وَبيء، حتىٰ تشكروا أنتم وهم يومَ القيامة، يا بَخْت مَنِ اغتنم هذا الشَّور الصائب.

---

(١) قرية قريبة من شبام.

(٢) وهما للإمام أبي إسحاق الشيرازي.

(٣) هو الشيخ محمد مشغان، الأصقع ، تقدم ذكره.

(٤) تِـبِتْ أي: تذهب.

ونسمع عن الحبيبِ عمرَ العطاسِ يقول: إن أهلَ الزمانِ كالشَّنِّ[١] اليابس، إن ما رشَّشْتُه تقصَّف.

* * *

وسأَلَ مَنْ سيدِنا رضيَ الله عنه بعضُ السادة الدعاءَ بتيسيرِ الأمور، فقال له: حَسِّنْ ظنّك بربك والأمور باتتيسَّر، واجعَل سفرَك تذكيراً.

* * *

وقال رضيَ الله عنه: سمعتُ الحبيبَ حامدَ بن عمر، أو أَحَدٌ أخبَرني عن الحبيب حامد، أنه قال: إن الحبيبَ شيخان بنَ محمدٍ الحبشي[٢]، اجتمعَ فيه سلوكٌ ونسُكٌ ولَوْعةٌ.

قال سيدي: كان الحبيبُ شيخان نفَع الله به مستهْتَراً.

وكان سيدُنا الحبيبُ جعفرُ بن أحمد بن زينٍ يقول: إنْ حَدْ شيخان

---

(١) الشن: هو الجلد الذي يصنع لحفظ الماء، وهو القربة إذا كان به ماء، وشن إذا خلي عن الماء.

(٢) كذا في الأصول: بن محمد؛ ولعل الصواب: بن حسين؛ لأن الحبيب شيخان بن محمد لحبشي المتوفىٰ بسيون سنة ١٣١٣هـ متأخر الزمان بالغرفة. إنما جده الحبيب شيخان بن حسين بن محمد الحبشي هو الذي كان معاصراً للحبيب جعفر ابن أحمد ، توفىٰ الحبيب شيخان هذا بالعَصْلة، ولم تؤرخ وفاته.

والعصلة هذه موضعان: أحدهما جبل قريب من بروم في الساحل، والآخر: بلدة شرقي زنجبار في ساحل أبين في مديرية خنفر.

مَدْرَس[١]، وإلا ما شي مَدْرَس، ونظرُهْ حَلّ علىٰ الحبيب شيخان، ونظَرُ الأكابر إكسير ما يَخِيبُ مَن رآهم.

* * *

وقال رضيَ الله عنه: أشار سيدُنا الحبيبُ عبد الله الحدّادُ علىٰ الحبيبِ محمد بن سُميطٍ بمطالعةِ «الإحياء» وخاصةً منه: كتابُ ترتيبِ الأوراد.

وأنتمُ اغتنِموا إشارة الحداد؛ وذَكَر فيه[٢] أن أكثرَ الناس لا يصْلُحُ لهم إلّا توزيعُ الأوقات بوظائفِ العبادات.

قال سيدي: خرَج أُناسٌ منهم[٣]، وأحْسَب أنَّ في موضعٍ آخرَ من «الإحياء» ذَكَر: «أمّا المستهتَرُ فلا لنا حكمٌ عليه» أو كما ذَكر، والمستهتَر[٤]: ما ذَكَره الحبيبُ عبدُ الله الحدادُ في قوله:

شُغِفوا بهِ واستغرَقوا في حُبِّهِ ... طولَ الزمانِ بكلِّ روُحٍ طائر[٥]

---

(١) أي: إذا كان موجوداً عقدنا المدرس وإلا فلا.

(٢) أي: الإمام الغزالي في هذا الكتاب.

(٣) أي: خرج من عموم هذا الكلام أناس مخصوصون لم يدخلوا فيه.

(٤) المستهتَر بالشيء: المكثر من ذكره، قال في «القاموس»: المستهتَر بالشيء ــ بالفتح ــ: المولع به، لا يبالي بما فُعل فيه وشتم له.

(٥) من قصيدته التي مطلعها:

* الحمدُ للهِ الشهيد الحاضرِ *

في «ديوانه»: ص(٢٢١). وقد شرحها الحبيب أحمد بن زين بكتاب سماه: «الروض الناضر».

□ وسيدُنا الحبيبُ أحمد بن زينٍ من المستْهتَرين بذكْرِ الله، قد يتّفقُ مجْلِسٌ واحدٌ: من الشرْق إلىٰ الصُّفُور[١] في قراءةِ الكتب. وسئلَ الحبيبُ عبدُ الله الحدادُ عن حال الحبيبِ أحمدَ بن زينٍ فقال: هو من أهلِ المقامِ العاشر[٢]؛ وأهلُ المقام العاشر الذين ذكَرَهم في قولِه:

خَصَّ الرجالَ العارفينَ بقُرْبِهِ ... وبأُنسِهِ أهلَ المقامِ العاشرِ
مثلَ الشريفِ السيِّدِ الغوْثِ الذي ... يُسْمىٰ إذا يُدْعىٰ بعبدِ القادرِ
وكذلك القُطبِ المقدَّمِ في الورَىٰ ... شيخِ الشيوخِ المستقيمِ الصابرِ
والحجةِ الغَزَّاليْ أستاذِ المَلا ... مُحيي علُومِ الدِّينِ كَمْ مِن داثِرِ
وابْنِ الرفاعيْ أحمدَ الحبْرِ الذي ... قد كان كالبحرِ الخِضَمِّ الزاخِرِ
هذا وكَمْ كَمْ غيرُهم من سادةٍ ... ممَّن تصوَّفَ في الزمانِ الغابرِ

فإنه ما حصَرَهم، بل قال: (وكَم كَمْ)، وعندَ ذكْرهم تَنْزِلُ الرحمة:

إلهي بحقِّ القومِ مُنَّ بتوْبةٍ ... منَ الذَّنْبِ تَغْسِلُنا بها أبلغَ الغَسْلِ[٣]

* * *

وقال رضيَ الله عنه: بَذْرُ الوالي العادل: أن تُفقِّهوا أهليكم وأولادَكم،

---

(١) أي: إلىٰ الغروب.

(٢) والمقام العاشر: هو مقام الهداية، وهي يقين صافٍ، وكشف وشهود وافٍ وهو أحد مقامات اليقين، وهي: التوبة، فالصبر، فالشكر، ثم الخوف، والرجاء، فالزهد، فالتوكل، فالمحبة، والرضا، فالهداية.

(٣) للإمام الحداد في «ديوانه» (٣٩٩).

لأنكم إذا صلَحْتُم قيّضَ اللهُ لكم مَن يقومُ بأمورِكم، كما بذَرَ الزرْعَ في الأرض.

❋ ❋ ❋

وقال رضيَ الله عنه: يا فلان، تحفَظُ «الخُطبة»؟ قال: لا، قال له سيدي: رُحْتَ تتحفّظُ «المَولد» وخلّيت «الخُطبة»، ما الأَولىٰ بالحِفْظ؟ قال: «الخُطبة». فقال سيدي: ما تقولُ لو دخَلَ النبيُّ ﷺ ولَحِقَ ناساً يقرؤون «الخُطْبة» وناساً يقرؤونَ «مولدَه» عليه السلام، بايجلس معَ من؟ قال: مع أهل «الخُطبة». قال رضيَ الله عنه: هذا (مَولِد) وهذا (مَورِد)، تضَلَّعوا من هذا المَوْرد (ثلاثَ مرّات).

❋ ❋ ❋

وقال رضيَ الله عنه: كان أحمَدُ بنُ بكار لعْجَم يقرأُ لوالدتِه الكُتُب، حتىٰ قالت له: سِرْ بي الحَجّ، وكررَتْ عليه، فشكا إلىٰ الحبيب محمدِ بن سُميط بأنّه ما مَعُه شي للحج، وقال له: ربّما تجي إلىٰ عندِكم، يعني: والدتَه، قولوا لها: اسمَعي كلامَ أحمد، شوفيه ونِعْم[1]، وأنا يا حبيب مَانا ونِعْم، هو إلاّ لأجْل تصدِّقنا فيما قلته! قال سيدي: انظُرِ اعتناهُم بأهلهم، وإلىٰ صفاءِ قلبِه فيما قاله.

□ قال سيدي: زرْتُه في مرضِه، فجلَسَ ووقعَتْ مذاكرة، من

---

(١) أي: ونعم الرجل.

جملتها[١] قال: إنِّي سِرْت إلىٰ تريم إلىٰ عند الحبيب حسن بن عبد الله الحداد، وأخبرتُه بزواج أخي عوض بكار، وقلت: دُعُوا له. فقال: أخوك تزوَّج، وبايجونه عيال، وأنت عادَكْ تتزوَّجْ وبايجونَك عيال. قال: فتزوجْتُ بعْدَ وفاةِ أختي، فكان كما قال، أخي جاءوا له عيال، وأنا كذلك.

قال سيدي: فخرجْنا من عندِه، وفي يومِه ذلك توفِّي؛ فأخبرْتُ والدي بوفاتِه فقال: توفِّي اليوم ولا حَدْ مثلُه في شبام.

قال سيدي: هُوَ منَ الذين يحييهمُ الله في عافيةٍ ويُميتُهم في عافية، «عليهم سلامُ الله إن كان قد مَضَوْا»[٢]. . . إلخ.

* * *

وقال رضيَ الله عنه: واحِدٌ من شيابتكم[٣]، وسمَّاه لي، شكا إلىٰ الحبيب محمدِ بن سُميط نسَاءهُم فقال: عاصياتٌ ناصيات[٤]، يخرُجْنَ بغيرِ رضانا.

---

(١) تقدم مثل هذا في موضع سابق.

(٢) تمام البيت، وهو للإمام الحداد، وقد تقدم مراراً:

عليهم سَلامُ اللهِ إن كان قد مضوْا　　　فذِكْرٌ لهم باقٍ وقد شاعَ، بالنقْلِ

«الديوان» ٣٩٩.

(٣) أي: من شيابة آل لعجم باذيب.

(٤) ناصيات: توكيد لفظي.

قال سيدي: وأنتم احمَدوا الله علىٰ هذه النعمةِ التي خصَّكمُ الله بها من تعليمِ النساء؛ قال: وكُنَّ للمذكورِ بناتٌ منوَّرات[١].

* * *

وقال رضيَ الله عنه: مِن كلامِ سيدي عبدِ الله الحدادِ رضيَ الله عنه: ما يعرفُ قَدْرَ كلامِنا إلاّ الأموات[٢]، وكذلك ما يعرِفُ قدرَ تعليمِ النساء إلاّ الأموات، لأنه نعمَةٌ عظيمةٌ خصَّكمُ الله بها.

* * *

وقَرأتُ علىٰ سيدي «وصيةَ الحبيبِ عبدِ الله الحداد للحبيب عيسىٰ بنِ محمدٍ الحبشيِّ»[٣] في أثناءِ قراءة. قال سيدي: الحبيبُ عيسىٰ، هو جدُّ الحبيبِ محمدِ بن عيْدَروس الحبشي[٤].

قال سيدي: ووقعَتْ من سيدِنا الحبيب عبدِ الله الحدّاد مذاكرةٌ بعدَ زيارتِه لمقبرةِ تَريم، وذلك عندَ قبرِ سيدِنا العيْدَروس، فانجرَّتِ المُذاكرةُ إلىٰ

---

(١) أي: كُنَّ بناتُ ذلك الرجل المشتكي منوَّرات، ومع ذلك شكاهن إلىٰ الحبيب، فكيف لو كانت حالتهن غير ذلك؟!

(٢) أما أموات النفوس، الذين بذلوا قلوبهم وأرواحهم للدين، أو: الأموات علىٰ الحقيقة، لما يرونه من عظيم الثواب والأجر من النفع الحاصل للناس، لأنهم كشفت عنهم الحجب بخلاف الأحياء. والله أعلم.

(٣) هو الحبيب العلامة الصالح عيسىٰ بن محمد بن أحمد صاحب الشعب الحبشي، توفي بخنفر سنة ١١٢٥هـ.

(٤) تقدم ذكره، وهو عم الإمام عيدروس بن عمر الحبشي.

ذكْرِ فرْعون، فقال الحبيبُ عيسىٰ المذكور: فرعونُ قصير، يعني قامتَه، قال له الحبيبُ عبد الله: ما أدراك؟ قال: رأيتُه في النار. قال سيدي: فانظُرْ كشْفَه لذلك؛ ووصيةُ سيدِنا عبد الله له مع كُبْر مقامِه تعرِّفُ هِمَّة الأكابر.

□ والحبيبُ عيسىٰ هو الذي أشار عليه شيخُه الحبيبُ عمر بنُ عبد الرحمن العطاسُ بالجلوسِ في (وادي عَمْد) للتذكيرِ والدعوةِ إلىٰ الله، حتىٰ قال لشيخِه: طرَحْتَنا في مكانٍ ما في أهلِه من الخير ضَرْبَةُ عصا، ولكن بهمَّةِ الحبيبِ عمرَ بن عبد الرحمن تنوَّر الوادي بدَعْوتِه.

□ وكان الشيخ عليّ باراس(١) رضيَ الله عنه يرْعىٰ الغَنَم عندَ سيدنا الحبيبِ عمَرَ العطاس، فقال: علِّموا الراعي لا تخَلُّونه كذا. حتىٰ صَارَ من ورْده ربع من القرآنِ وهو يرعىٰ الغنم، ثم ترقّىٰ إلىٰ أن صار عَيْنَ زمانِه، فأقامَه الحبيبُ عمر داعياً إلىٰ الله، أو كما قال سيدي رضيَ الله عنه.

* * *

وقال رضيَ الله عنه: سيدُنا علي بن أبي بكر السكرانُ أوّلَ أمرِه اعتنىٰ بعِلْم الظاهر، فكتَبَ له أخوه العيْدَروسُ جُزءاً من «الإحياء» بمِدادِ ذهب أو فارِعَهْ، لأجْل يجْذبه إلىٰ علمِ الباطن، فكان كذلك حتىٰ صار شَيْخَ المَهْيع(٢).

---

(١) تقدم ذكره.

(٢) المهيع: الطريق الواضح. يشير إلىٰ قول الإمام الحداد في «العينية».

والعيدروسِ القطبِ سُلطانِ الملا وأخيه نورِ الدين شيخِ المَهْيَعِ

«الديوان»: ص٣٦١، و«شرح العينية»: ص١٩٥.

قال سيدي: وأُوذي سيدنا عبدُ الرحمن بنُ عبدِ الله بلفقيه، حتىٰ قبَضَهُ بعضُ العياف[١] وآذاه، فلما فكَّهُ جاء الناسُ إليه يهنُّونَه، لأنهمُ اشتغلوا[٢] من ذلك جمّ، فجعَلَ الحبيبُ عبد الرحمن يذكرُ لهم ما وقعَ للسابقينَ من الأذىٰ مثلَ سيدِنا موسىٰ الكاظم. فقال له ابنُ اخته: لا تقل كذا، يكفي ما قلْتَه.

قال سيدي: يعني الأوَّلينَ في طلبِ مُلْك، وهذا إلاَّ كذا[٣]. وقصيدتُه التي أولُها: «لكَ الحمدُ يا محْمُودُ». . . إلخ، تدلُّ علىٰ أنه مغلوب.

وشَكَوْا[٤] من قِلِّ الوالي، ولكنه تكميلٌ لمقامهم رضيَ الله عنهم. أو كما قال سيدي رضيَ الله عنه.

* * *

وقال لي سيدي: تحْفَظُ دُعَاءَ الحبيبِ عبدِ الله الحداد: «اللهُمَّ أخْرِجْ من قلبي كلَّ قذْرٍ للدنيا». . . إلخ؟ فقلتُ: نعم. فقال: ادْعُ به في سُجُودِك. وذلك في مجلسٍ خاصٍّ، نفَع الله به ورضيَ عنه، آمين.

* * *

وقال رضيَ الله عنه ونفع به: كان حبيبي زينُ بن علوي بن سُميطٍ

---

(١) أي: أهل السوء.

(٢) أي: تألموا.

(٣) أي: بدون وجه حق، أو سببٍ للحبس.

(٤) أي: السابقون.

رحمَه الله في أوَّلِ أمْرِه له تعلّقٌ بالأسباب، ومع ذلك له نزُوعٌ كثيرٌ إلىٰ التجريد، ثم وقعتْ آفةٌ للمال، وخرَج منه، وتجرَّد في آخرِ عمُرِه، وكان كثيرَ الشفَقةِ علىٰ أولادِه.

□ مرِضَ سيدُنا محمدُ بن زينِ بن سُميطٍ مَرَضاً شديداً والحبيبُ زينٌ حينَئذٍ بتَريم، ولم يُعلِموه بذلك، فرأىٰ في المنامِ كأنّ معه بُسْتانَ نخْلٍ في مسجدِ السقاف، ومنه نخلةٌ عجيبةٌ بقُرْب القبلة وهو مغتبطٌ بها وفرحان، ثم مالتْ من مكانِها ولم يرَها، فحزِنَ عليها علىٰ قَدْرِ فَرَحه بها؛ فانتبه. وأوَّلَها لنَفْسه.

وقال: هاتوا لي جَمَّال إلىٰ شبامَ ولو بقَرْش، وكان قبْلَ ذلك لا يخْطُرُ له الخروجُ من تريم، فخرَج حتىٰ أتىٰ إلىٰ (خَلْع راشد)، عندَ الحبيب أحمدَ بن زين، فعلِمَ بمَرَض الحبيب محمد.

وخرَج من شبامَ عمِّي عليُّ بن زينٍ يعارضُ والده[١]، وبايعجِّله في المطلع، فلمّا وصَلَ إلىٰ عند الحبيب أحمد، قال له: بغينا الوالد يطلع؛ لأن الصُّنوَ محَمّد شديدُ التشوّقِ إليه، قال له: قد نحن بغيناه يَطْلع، فطلعوا.

واتفقَ أنّ بعضَ السادةِ معزومٌ عندَهم للعشاء، فاستأذىٰ الحبيبُ علي ابن زين من الحُمّىٰ، فقال له الحبيبُ محمد: قمْ يا عليّ عازم[٢] السادة، وتكَلَّفِ الجُلوس، شُف الوالد ما يَحْمل اثنين، وثاني ليلة انطرَح الحبيب علي، فدخلَ عليه والدُه زين، فعَرفَ [أنّ] طرْحَتَه طرحةُ فَناء.

---

(١) أي: يستقبله أثناء الطريق.

(٢) أي: خذ بخاطرهم.

وكان الحبيبُ زينٌ يزورُ الترْبة بعدَ صلاة الصبح، فلمّا طلع قالوا له: إن عُمَر البارِح وُرِدْ(١)، وإنه يغور(٢)، فقال الحبيبُ محمد: إني سألتُ الله إن شي بايَجْري علىٰ عمر يقَع فيّ، وعِسّ جنبي قِدِ الحُمَّىٰ فيه.

فأما الحبيبُ عليٌّ فأخذَ نحوَ سبعةِ أيامٍ وتوفي(٣)، رحمَه الله؛ وأما الحبيبُ محمدٌ والحبيبُ عمرُ شفاهما الله. وأمّا الحبيبُ زينٌ بعدَ أشهر توفيَ إلىٰ رحمةِ الله(٤). وسنُّ والدي عمرَ حينَئذٍ عشرين سنة؛ لأن ميلادَه سنة ١١٢٠، رضي الله عنهم ونفَعنا بهم ونظمَنا في سلكِهم ولا حرَمَنا برَكتَهم، آمين.

* * *

وقال رحمَهُ الله: التشبهُ بالسلفِ الصالح يورثُ التنبُّه.

* * *

وقال نفَع الله به: محبةُ المال نَـزْغَـةٌ قارونية، وهو أشبهُ بالبهائم، ومحبـةُ الجـاه نَـزْغَـةٌ فِـرعـونيـة، وهـو الـذي قـال: ﴿أَنَا۠ رَبُّكُمُ ٱلْأَعْلَىٰ﴾ [النازعات: ٢٤]، والعياذُ بالله.

* * *

---

(١) أي: أصابته حمىٰ الورد.

(٢) أي: أن صحته تغور، وتتدهور.

(٣) كانت وفاته في جمادىٰ الآخرة سنة ١١٤٠هـ.

(٤) كانت وفاته في ٤ شعبان سنة ١١٤٠هـ.

وقال رضيَ الله عنه: أَصْلُ الزهد: خروجُ حبِّ الدنيا منَ القلب، ومَظْهَرُهُ: خفّةُ العلائق والأسباب، والتهوينُ في الطلب، ولا هُوَ بالقياس، كم من واحدٍ منكمشٍ في نفسِه ما له أسبابٌ في الظاهر، وقلْبُه ملآنُ من حبِّ الدنيا، وكم من واحدٍ في مَظْهرٍ من الأسبابِ وقلبُه خالي من محبةِ الدنيا.

□ جاء الشيخُ عليُّ بن عبدِ الله باراس يزورُ سيدَنا الحبيب الحسينَ ابن أبي بكر بن سالم، فلمّا وصَلَ ورآىٰ مظهرَه تعجَّبَ من ذلك، وكاشَفَه الحبيبُ وقال له: لو فاتَ جميعُ ما ترىٰ في ساعةٍ لم يتغيَّرْ لي خاطر، أو كما قال.

* * *

وقال رضيَ الله عنه: المعاصي الظاهرةُ مثلُ الزنا والسرقة، للإنسانِ أن يُبَـرِّىءَ نفسَه منها. يقول: ما فعلتُها؛ وأما المعاصي الباطنةُ مثلُ الكِبْر والعُجُب والرياءِ ما أحدٌ يقْدِر أن يبرِّىءَ نفسَه ولو كان ما كان، كيفَ والكريمُ ابنُ الكريم ابنِ الكريم يوسُفُ عَلَيْهِ السَّلَامُ قال: ﴿وَمَآ أُبَرِّئُ نَفْسِيٓ إِنَّ ٱلنَّفْسَ لَأَمَّارَةُۢ بِٱلسُّوٓءِ﴾ [يوسف:٥٣]؟ والأكابرُ يتّهمونَ أنفسَهم. انظُرْ إلىٰ كلامِ سيدنا عبدِ الله الحدّادِ في «ديوانِه» مثل: «يا ويْحَ نفْسي الغَوِيَّة»، وغيرها.

ولكن ما يتحقّقُ ذلك إلاّ مِن نفسِك، وأمّا غيرُك أحسِنِ الظنَّ به، وخَلِّه هو وربُّه؛ ما عليك إلاّ نفْسَك. أو كما قال.

* * *

وأمرَ سيدي نفَع الله به بكتابة مُذَكّرات[١]: أوَّلُهُنَّ: «تتمة: يجبُ علىٰ النساء»... إلخ؛ ثم كلامُ صاحب «التنوير»[٢]: «تنبيه؛ اعلَمْ أنه يجبُ عليه»... إلخ، ونَظْمُهُ للشيخِ عبد الله بن سعد بن سُمَير[٣]؛ ثم من «الخُطبة» ثم: «إن للصلاةِ كثير»... إلخ. وذلك إلىٰ عندِ الحبيب هَادُون[٤] أيامَ زيارة «الغَيْوار»[٥].

ثم قال رضيَ الله عنه: اكتُبوا له، ولو حصَّلتُم مِئينَ من هذه المذكورات، ويبثُّوهن في الزوّار؛ والخيرُ كلُّه في قِصَرِ الأمل وشُهُودِ التقصيرِ في التشمير في الدعوةِ إلىٰ الله، والعمل.

اللهمَّ لا تحرِمْنا خيرَ ما عندَك لشرِّ ما عندَنا فضلاً وإحساناً. وصلىٰ الله علىٰ سيدِنا محمدٍ وآلِه وصحبِه وسلَّم؛ وادعوا لحضرَموتَ بوالٍ عدْل.

* نشكو إلىٰ اللهِ مولانا عظيمِ الشانْ *

والقصيدةُ قِدْها لا بُدَّ عندَكم.

---

(١) أي: أمر بكتابة مجموعةٍ من الرسائل تحتوي علىٰ تذكير ومناصحة.

(٢) يعني به: «التنوير في إسقاط التدبير» لابن عطاء الله السكنْدري.

(٣) العالم المفتي، توفي بالحوطة سنة ١٢٦٤هـ، «تاريخ الشعراء».

(٤) هو الحبيب هادون بن هود بن علي بن حسنٍ العطاس، توفي بالمشهد سنة ١٢٦٠هـ.

(٥) الغيوار: هو الاسم القديم لبلدة المشهد؛ وفيها يقول محوّطها ومؤسسها الحبيب علي بن حسن:

علي بن حسن حوّط(الغيوار) وأمسىٰ مزارْ
وأمسيت يا الجحي جنة بعد ما كنت نارْ

وقال رضيَ الله عنه مُذاكرةً عندَ قولِه عليه السلام: «أنْ تَصِلَ مَن قطَعَك»[١]... إلخ: ظاهِرُ الحديث: أن تَصِلَ القاطع، وأما الواصلُ من بابِ أوْلىٰ. وقال بعضُهم: أن تؤدِّي إليهم ما ترىٰ لهم من حقٍّ عليك، ولا تطالِبْهم بما يَرَوْنَه لك من حقٍّ عليهم، فمَن فعَلَ ذلك فقد أراحَ وٱستراح. أو كما قال.

❊ ❊ ❊

وقال رضيَ الله عنه: الشيخُ محمدُ بن عمر بَحْرَق فحْلٌ من الفحول، ولو حَدْ يتمنّىٰ عيالْ يتمنىٰ أن يكونوا مثلَ هذا الإمام، ويكفيه من المَدْح أن كتابَه «الحديقة» لا يزال يُقرأ علىٰ سيدِنا عبد الله الحدّاد إمامِ الأئمة.

واسْمُهُ بحْرَق، قال بعضُهم: بحْرٌ رَقَّ، يعني: ينتفعُ به جميعُ الناسُ كما يُنْتفَعُ بـِالبَحْر الرقيق. أو بَحْرُ قَ يعني: البحرَ المُحِيط.

وعددُ أبياتِ «العُروةِ الوثيقة» خمسةٌ وأربعونَ بيتاً كما ذكَرَها الشيخ رضيَ الله عنه، وهي بالجُمَّل: (٤٥ = مَهْ) أو (٤٥ = هِمَّ) يعني: مَهْ عن المناهي، وهِمَّ بالخيرات والفضائل.

كلُّكمُ استوصُوا بهذا الكتابِ العظيم، يعني: «الحديقة» فإنه الوصيةُ الجامعةُ التامة[٢]. أو كما قال رضيَ الله عنه.

---

(١) الحديث أخرجه البزار في «مسنده». والطبراني في «الأوسط» (٩٠٩)، (٥٠٦٤)، (٥٥٦٧).

(٢) وقد طبعت «الحديقة الأنيقة» مرات.

وقال رضيَ الله عنه: يا فلان؛ جعَلَك اللهُ في وظيفةٍ شريفةٍ اشكُرِ الله، واستِمدَّ منه المعونةَ بالصبرِ يوم، جعَلَك الله في مقامِ الفضل، وكم من واحدٍ يجعلُه في مقامِ العدل. أو كما قال.

* * *

وقال رضيَ الله عنه ــ آخذاً من قوله ﴿إِنَّ أَكْرَمَكُمْ عِندَ ٱللَّهِ أَتْقَىٰكُمْ﴾ [الحجرات: ١٣] ــ: إن أكرَمَ الناسِ واتقاهم بعْدَ الأنبياءِ عليهمُ السلامُ سيدُنا أبو بكرٍ الصدِّيق رضيَ الله عنه، كما في الآية الثانية ﴿وَسَيُجَنَّبُهَا ٱلْأَتْقَى﴾ [الليل: ١٧]، أو كما قال.

* * *

وقال رضيَ الله عنه: خرَج دَرْويشٌ اسمُه «فدا محمد» في زمَن الحبيب أحْمَدَ بن زينٍ الحبشيِّ رضيَ الله عنه، وكان يقصِدُ المقابر، فقيلَ له: تعال شُفْ معنا قبر يسير، يعني: الحبيبَ أحمدَ بن زينٍ الحبشي.

فجاء إليه، وكانتْ به علةُ ضِيقِ النَّفَس، حتىٰ أنه لا يسيرُ إلّا وهو جاعِلٌ عِيْدَان[1] مشدود بها صدْرُه وجُنُوبُه، فلما قُدِّمَ العَيْشُ في حضرةِ سيدِنا أحمدَ بن زينٍ نوىٰ بالأكْلِ منه الاستشفاءَ من علتِه، فشفاه الله تعالىٰ.

ثم سار إلىٰ(المخا) فاتفقَ بأناسٍ من أهلِ تلك الجهة، فسألوه: مَن أكرَمُ الناس فيمَا رأيتَ من أهلِ حضرَموت؟ وحَسِبوه أنه بايقول: فلان، ممن يعرفونَه من أهل المناصبِ وإكرامِ الضيف. فقال لهم: أكرَمُ الناس:

---

(١) أي: أعواد.

السيدُ أحمدُ بن زينٍ الحبشي، أخذْتُ عندَه ثمانيةَ أيامٍ لم تُذكَر الدُّنْيا في مَجْلِسه. أو كما قال.

* * *

وقال رضيَ الله عنه: الإمامُ الغزاليُّ نفَع الله به، أبو آل باعلَوي[١]، أوَ ما تدري يا مُحَمَّدُ أنه أبوك؟ يا خير أبو سعِدوا به وهو سعِدَ بهم.

□ قال الوالد: حصَل علىٰ الحبيبِ محمد بن سُميطٍ مَرضٌ شديدُ وأنا بتَريم، فخرَّجَ لي مُكَتّب، فوصَلتُ، فلمّا دخلْتُ علىٰ الحبيبِ محمدٍ قال: أمَا علمْتَ أنَّ سنِّي خمْسٌ وخمسونَ سنةً كسنِّ الغزاليِّ والعيْدروس؟! وهؤلاء الاثنين أنا ميِّت عليهم، أنا ميِّت عليهم[٢]. أو كما قال.

* * *

وقال رضيَ الله عنه: كان الحبيبُ أحمدُ بن زينٍ الحبشيُّ رضيَ الله عنه إذا جاء إليه أحَدٌ متشفِّعٌ من جَوْرِ الجُنْد يعتذرُ إليه، ويقول له: ما هوَ مأذونٌ لي في الشفاعة، ويكفي اللبيبَ دُعَاؤنا له.

ويقول: مِن حينَ نسبِّرُ نكتبُ له خط بانقول: كذا وكذا، مدْحٌ لمَن لا يستأهلُه. أو كما قال.

* * *

---

(١) جملة مبتدأة، أي: هو أبو آل باعلوي.

(٢) ولكنه رحمه الله مات سنة ١١٧٢هـ، عن اثنين وسبعين عاماً، وكلامه هذا بيانٌ لشدة محبته لهما.

وقال رضيَ الله عنه: ليس العاقلُ مَن يميِّـزُ الخيرَ من الشرّ، فإنّ غالبَ الناسِ يميِّـزونَه، وإنما العاقل: الذي يميِّزُ بينَ خَيْرِ الخيريْنِ فيفعلُ أخْيَرَهُما، وبينَ شَرِّ الشريْنِ فيرتكبُ أهْوَنَهما.

مثالُه: عدَمُ وجودِ الوالي شرّ، ووجودُ الوالي الجائِرِ شرٌّ لكنه أهونُ الشريْن، قِدُه خير من الهَمْلِهْ. كما قال سيدُنا عمرُو بنُ العاص: والي غَشُوم خيرٌ من فتنةٍ تدوم. وكما ورَد: «جَوْرُ أربعينَ سنةَ ولا رعيَّـةٌ مُهْمَلَـةٌ ساعةً واحدةً»(١). أو كما ورَد. ذكَرَه شارح «دعاء أبي حَرْبة». وإنْ بايقَع لنا خَيْرُ الخيرينِ والي عَدْلُ فذلك فضْلٌ من الله. أو كما قال رحمَه الله.

* * *

وقال رضيَ الله عنه: تشييدُ المباني من الفتنِ العظيمةِ التي عمَّت في حَضْرَموت، قال الإمامُ الغزاليُّ رحمه الله في كتابه عجائب القلب من «الإحياء»: (ومن أبوابِ الشيطان العظيمةِ التي يدخُل بها إلىٰ قلْبِ الإنسان: حُبُّ التـزيُّن للخلْقِ في الأثاثِ والمراكب والدُّور...) إلخ ما قال رضيَ الله عنه.

□ قال والدي عُمَر: جاء بعضُ السادة من آلِ تَريمَ إلىٰ حبيبي عمرَ حامد وهو في مَرضِ موتِه، فقال لهم: كلُّها أمورُكم مليحةٌ يا سادة إلاّ تشييدَ المباني. فانظُرْ كيف نُصْحُ الدعاةِ إلىٰ الله.

---

(١) لم أجده.

كم ذُكِرَ عن سيدِنا أبي الدرداءِ رضيَ الله عنه وقد دَعاهُ بعضُهم ليُريَهُ بيتاً بناه كالغُشْوَة، فقال له أبو الدرداء: بنيْتَ مَشِيْداً، وأمَّلْتَ بعيداً، وتموتُ قريباً.

وكذلك مرَّ بعْضُ العلماءِ ومعه تلامِذتُه علىٰ رجُلٍ يبني داراً وقد زوَّقَها؛ فقال لتلامذتِه: لا تلتفِتوا إليه، فلو عَلِمَ أنكم لم تلتفِتوا إليه ما زوّقَها. أو كما قال. والغالِبُ أنّ مَن زَهْلق داراً لم يسكُنْه ولم يَحِلَّه.

□ كان الوالدُ عمرُ رضيَ الله عنه جالساً في الرَّيم[1] في الشرْقِ في أيّام الشتاءِ وعندَه جماعة، فقال: الغالبُ أنَّ مَن تكلَّفَ في بناءِ دار، معَادْ يحلّه. فلمّا خرَجوا الجماعةُ من الدار سَمِعُوا قَرحةَ بنْدُق، فقيل: فلانٌ من الجُند قُتِلَ في المصْوَغَة! وكان قد تَمَّ بناءُ دارِه ولا حَلَّهُ. فقال أحمَدُ بن بكّار معاشِر[2]: شفتوا كَشْفَ الحبيب عمر! أو كما قال رضيَ الله عنه.

* * *

وقال رحمَه الله: قيل: إن قراءةَ آيةٍ من كتابِ الله، وحديثٍ من أحاديثِ رسولِ الله ﷺ، وبيتِ شعر؛ إذا قَرأَهُنَّ مغمومٌ فرَّجَ الله غمَّه، فالآيةُ قولُه تعالىٰ: ﴿ مَّا يَفْتَحِ ٱللَّهُ لِلنَّاسِ مِن رَّحْمَةٍ فَلَا مُمْسِكَ لَهَا ۖ وَمَا يُمْسِكْ فَلَا مُرْسِلَ لَهُۥ مِنۢ بَعْدِهِۦ ۚ وَهُوَ ٱلْعَزِيزُ ٱلْحَكِيمُ ﴾ [فاطر: ٢]، والحديث: هو قولُه عليه السّلام: «ما

---

(١) أعلىٰ البيت.

(٢) من الصالحين، معاصر للحبيب أحمد بن عمر، ولد سنة ١٢٣٢هـ، وتوفي بعد سنة ١٢٩٠هـ.

قُدِّرَ لك فسيأتيكَ علىٰ ضَعْفِك، وما لم يُقدَّرْ لك فلن تنالَه بقوّتِك»(١). أو كما قال عليه السّلام، وبيتُ الشعرِ هو:

من حَطَّ ثِقْلَ أمورِهِ ... بباب مالكِهِ ٱستراحا
إنَّ السلامةَ كلَّها ... حصَلَتْ لمَن ألقىٰ السِّلاحا

* * *

وقال رضيَ الله عنه: المدارُ كلُّه في المشْهَد، عسىٰ الله يصفِّي المشاهدَ لأجْل يحصل الانتفاع.

وأنتمْ غالبُكُم رأىٰ الحبيبَ طاهرَ بن حسين نفَع الله به، كان بعضُهم راكباً فمَرَّ به رجُلٌ رأىٰ الجُنيدَ رضيَ الله عنه، فخرَج الراكبُ وقال للرجل: اركَبْ، أنت رأيتَ الجُنيدَ وأنا ما رأيتُ الجُنيد(٢) ويكرِّر ذلك.

□ وجاء بعْضُ السادةِ من آل البَار عندَ الوالد، فلمّا خَرَج من عندِه إلىٰ مكانٍ آخرَ قال السيدُ المذكور: أمّا الآنَ إنْ بايجيء الموتُ يجيء، قد رأيتُ عُمَرَ بن سُميط، رضيَ الله عنهم.

---

(١) تقدم تخريجه.

(٢) كما يروىٰ مثل ذلك عن شيخ الإسلام تقي الدين السبكي، انه كان راكباً علىٰ راحلة، وأثناء السير جرىٰ ذكر للإمام النووي، فتحدث السائق وقال: إنه رآه، فما كان من شيخ الإسلام إلا أن نزل عن الراحلة وأمر السائق أن يركب ليسوق هو، تعظيماً لجناب الإمام النووي وإجلالاً له، وهو القائل فيه:

وفي دارِ الحديثِ لطيفُ معنىٰ ... علىٰ بُسُطٍ لها أَصبو وآويْ
عسىٰ أني أَمَسُّ بحُرِّ وجهي ... مكاناً مسَّه قدَمُ النَّواويْ

وسمِعتُه مرةً يقول: عزيمةُ الحُمَّىٰ إذا قدِ الورْد باتبت[1]، تقرَأ هذه الأبيات:

زارتْ مُكفِّرةُ الذنوبِ وودَّعَتْ   تبّـاً لهـا مِـن زائـرٍ ومـودِّعِ
باتَتْ مُضاجِعتي وبتُّ ضَجيعَها   وزفيـرُها ولهيبُها في أضلُعي
قالتْ وقد عزَمَتْ علىٰ تَرحالِها: ماذا تريـدُ؟ فقلتُ: أنْ لا ترجِعي!

ويكرِّر: «أن لا ترجِعي» سبعاً.

* * *

وقال رضيَ الله عنه: نقَلَ الحبيبُ محمد بن سُميط نفعَ الله به عن الحبيبِ أحمدَ بن عمرَ الهندوان أنه قال: كنْتُ أطالعُ «تحْفَةَ ابنِ حجر» وأنا ابْنُ عَشْرِ سنينَ أو أقلّ، وأحفَظُ منها إلىٰ كتابِ الصلاة.

هذه سِيَـرُ الأوّلين، وعِنْوَتُهُم بتربيةِ أولادِهم؛ وأين نحن مِن سيرتِهم؟ شو نحْنُ علىٰ خِلاف ما هم عليه. أو كما قال رحمَه الله.

* * *

وقال رضيَ الله عنه: تلا بعضُهم هذه الآية: ﴿يَٰٓأَيُّهَا ٱلَّذِينَ ءَامَنُواْ عَلَيۡكُمۡ أَنفُسَكُمۡۖ لَا يَضُرُّكُم مَّن ضَلَّ إِذَا ٱهۡتَدَيۡتُمۡۚ﴾ [المائدة: ١٠٥]، **فقال له بعضُهم:** أنتم تقرؤونَ هذه الآيةَ علىٰ غيرِ معناها، فإنها مقيَّدةٌ بهذا الحديثِ عنه عليه السّلام: «إذا رأيتَ شُحّاً مُطاعاً، وهوىً متبعاً، وإعجابَ كلِّ ذي رأيٍ

---

(١) أي: عند زوال حرارة الحمىٰ.

برأيِه، فعليك بخُوَيْصَّةِ نفسِك، ودَعْ عنك العوام»[١]؛ لأنهم في الزمانِ الأول يجدونَ أعْواناً علىٰ الخير، وأما اليوم معاذْ تجد مُعيناً، ففي هذا الحديثِ تفريج وتسلية، كرِّرْهُ مِراراً. وإنما الدعوةُ تبليغ وخروج من العذر. كما قال تعالىٰ: ﴿قَالُواْ مَعْذِرَةً إِلَىٰ رَبِّكُمْ﴾ [الأعراف: ١٦٤].

قال الوالدُ رضيَ الله عنه: قلْتُ للحبيبِ عبد الله بنِ أحمدَ الهندوان[٢]، في شأنِ الزمان: وعليك بخُوَيْصَّةِ نفسِك. فقال: وكلُّ مَن يسمَعُ كلامَك[٣] يسمىٰ منَ الخُوَيْصَّة ويدخُل فيها. أو كما قال.

❋ ❋ ❋

وقال رضيَ الله عنه: وكان يقرَأُ لي سعدُ بن سُمَيرٍ[٤]، في كتاب «الحديقة الأنيقة» ونحن في المركَبِ معَ سفرِنا الشام[٥]، مع سكونِ الريح، ويقول:

ما كلُّ مَن تلقىٰ أخٌ منصِفُ ... ولا الليالي كلُّها تُسْعِفُ
انـتِفْ منَ الدهرِ ولو ريشـةً ... فإنما حَظُّك ما تَـنـتِــفُ

إشارةً إلىٰ الاغتنام.

---

(١) الحديث تقدم تخريجه.

(٢) هو السيد العالم العامل عبد الله بن أحمد بن عمر الهندوان، تقدم ذكر والده وكان من أصحاب الإمام الحداد، توفي يوم الجمعة في ذي الحجة سنة ١١٧٣هـ.

(٣) يسمع كلامك: يأتمر بأمرك.

(٤) لعله والد الشيخ عبد الله بن سعد. لم أقف علىٰ ترجمته.

(٥) أي: جهة الشام، والمراد الحجاز.

وقال رضيَ الله عنه: كان الحبيبُ سقاف إذا جاء عندَ الوالد يقول: نُـوَدِّي كل يوم نجي للالتماس بكم. فيقولُ له الوالد: لا تَغُرُّونا، هو ٱلآ السيل يجي إلىٰ الجِرْبه.

☐ وزار الوالدُ تَريم أيامَ الحبيب حامدِ بن عمر والحبيبِ عمرَ حامد، فذكَرَ تلك الزيارةَ يوماً، ثم أتىٰ بأبياتِ التائيةِ لسيدِنا الحبيبِ عبد الله:

وإخوانُ صِدْقٍ أوْحَشَ القلبَ بُعْدُهمْ   فلِلّهِ مـا لاقَـيْـتُ مِن حَـرِّ فُـرْقَـةِ[١]

. . . إلخ. فاعتبر وبكىٰ رضيَ الله عنهم. وأينَ إخوانُ الصِّدق اليوم؟ أو كما قال.

* * *

وقال: رأىٰ بعضُ الصالحين أنّ اسمَ اللهِ الأعظمَ في سورة القَصَص، ثم عبَّر رؤياه بأنّ اسمَ الله الأعظمَ في هذه الآية: ﴿ تِلْكَ ٱلدَّارُ ٱلْآخِرَةُ نَجْعَلُهَا لِلَّذِينَ لَا يُرِيدُونَ عُلُوًّا فِى ٱلْأَرْضِ وَلَا فَسَادًا وَٱلْعَٰقِبَةُ لِلْمُتَّقِينَ ﴾ [القصص:٨٣]، قال سيدي: التقوىٰ هي اسمُ الله الأعظم؛ أو كما قال.

* * *

وقال رضيَ الله عنه: الإمامُ الغزاليُّ قُطْبُ العلوم، وسيدُنا أبو يزيدَ البُسطامي[٢] قُطْبُ الأحوال، وسيدُنا عبدُ القادر الجيلانيُّ قُطْبُ المقامات،

---

(١) «ديوان الحداد»: ص١٠٥، من تائيته التي مطلعها:

بعثتُ لجيرانِ العَقِيقِ تحيَّـتي   وأودعتُها رِيحَ الصَّبا حِينَ هَبَّتِ

(٢) اسمه: عيسىٰ بن طيفور، من كبار العارفين ولد ببسطام سنة ١٨٨هـ، وبها توفي سنة ٢٦١هـ.

وكلُّهم أهلُ علومٍ وأحوال ومقامات، وإنما هذا الاسْمُ غلَبَ عليهم. أو كما قال.

❋ ❋ ❋

وقال رضيَ الله عنه: أهمُّ ما كان اليوم: التذكيرُ في شأنِ الوالي في كلِّ مَدْرسٍ ومجلس، خصوصاً أهلُ البيت، لأن الناسَ لهم تبعَ، والناس مشـاوفيـنٌ(١) أهل البيت، متىٰ ما قاموا في هذا الشأن تبعِوهمُ الناس.

☐ في قصةِ البدويِّ الذي دخَل والخطيبُ يخطُبُ علىٰ المِنبر، فخشَعَ الناسُ وبكَوْا وهو لم يَبْكِ ولم يخشَعْ. فقال له رجُل: فُلان! شُفْ جميع الناس خشَعوا، وأنت، تَبَاكَ إذا ما بك بُكاء. قال له: ما معك مني كلام دون، إذا شفتُ الخطيب قطَفَتْ(٢) عينُه بالدُّماع كسرتُ النَّحْطَه(٣). والناسُ هكذا، إذا قطفَتْ عين أهلِ البيت شُفْ جميع الناس بايكْسِرُون النحْطَهْ، وإن ما شي ما شي، أو كما قال.

❋ ❋ ❋

وقال نفَع الله به مُذاكرةً علىٰ قراءةِ سيدي عمرَ بن محمدٍ قصيدةَ سيدِنا عبد الله الحداد: «فيمَ الركون»(٤). . . إلخ: قال الحبيبُ عمرُ بن

---

(١) أي: ناظرون إليهم.

(٢) أي: فاضت.

(٣) أي: نُحتُ بالبكاء.

(٤) تمام البيت:

سقافٍ رضيَ الله عنه:

رَكَنوا إلىٰ دارِ الغُرورِ وغرَّهُمْ   فيها الغَرُورُ، وقادَهُمْ بحبائلِ[(١)]

* وقال عندَ قوله: «كالطَّيف» أي: الحُلم. قال بعضُ العارفين: أو كما رأيتَه في منامِك يا عمر.

علِّموا الصغارَ هذه القصيدةَ[(٢)] في العُلْمة قبل القرآن، حتىٰ يعرفوا حقيقةَ الدنيا ومقْصُودَ القرآن، لأنه نحْو ثلثِ القرآن تزهيد في الدنيا وترغيب في الآخرة، وإلا صار القرآن خصْمَه، فَخِّطُوا[(٣)] الصغارَ بهذه القصيدة، فهي فُخْطَة، قبْل لا يسبق(ماءُ عُقران) إلىٰ قلوبهم، يعني: محبةَ الدنيا، (ماء سر) يعني: محبةَ الآخرة، لأن أصلَ التربية تصغيرُ أمرِ الدنيا في قلبِ الصبيِّ وتعظيمُ أمرِ الله، وإلا انعكسَ الحال.

ثم قال للحبيبِ عمر: أعِدِ القصيدة، وقدِّمْ قبلَها أبياتَ النووي: «إنَّ للهِ عباداً فُطُنَا»[(٤)]. . . إلخ.

= فيمَ الركونُ إلىٰ دارِ حقيقتُها   كالطيفِ في سنَةٍ والظِّلِّ من مُزُنِ

«الديوان» (٥٠٥).

(١) من قصيدنه التي مطلعها:

حمداً لمَنْ قد خصَّنا بفضائلِ   وهباتِ علمٍ تلتقي بفواصلِ

«ديوان الحبيب عمر» (١٧٧).

(٢) أي: قصيدة الإمام الحداد.

(٣) من الفخطة: وهو اللقاح للزرع قبل النبات والإثمار.

(٤) وهي: =

* وقال عندَ قولِه: «واتَّخذوا صالحَ الأعمال»: ومِن صالحِ الأعمال: الوالي، إذا مَنَّ اللهُ به.

* وقال عندَ قوله: «دارَ الغرور»... إلخ: الدنيا معدِنُ البلايا والمحَن، وأنت تطلبُ الراحةَ فيها يا سفيه. أيُّ نبيٍّ أخبرَك أنّ الراحةَ فيها؟ قال عليه السّلام: «الدنيا سجنُ المؤمن وجنةُ الكافر»(١)، وعلامةُ الإيمان: الامتحان، ﴿وَلِيُمَحِّصَ ٱللَّهُ ٱلَّذِينَ ءَامَنُوا۟ وَيَمْحَقَ ٱلْكَـٰفِرِينَ﴾ [آل عمران: ١٤١].

* وقال عندَ قوله: «رَقُوا منابِرَها»(٢)... إلخ: ماذا قال أخوك يا سيِّدُ عمَر؟ ــ يعني الحبيبَ عمرَ بن زينِ الحبشي وكان حاضراً ــ فقال: أخْبرَني أخي عبدُ الله بن زينِ الحبشيُّ(٣) قال: كنْتُ في صنعاء، فخرَج

= إن للــه عبــاداً فُطُنــا | طلَّقوا الدنيا وخافوا الفِتَنا
نظَروا فيهـا فلمّـا علمـوا | أنهـا ليسـت لـحيٍّ وطَنا
جعلـوهـا لُجـةً واتَّخـذوا | صالحَ الأعمالِ فيها سُفُنا

(١) الحديث أخرجه مسلم (٢٩٥٦).

(٢) تمامه وما بعدَه:

رَقَوْا منابرَها قادوا عساكرَها | بقـوةٍ، وٱبتَنُـوا الأمصـارَ والمُـدنِ
وعبَّدوا الناس حتىٰ أصبحوا ذُلُلاً | لأمـرِهـمْ بيـنَ مغلـوبٍ ومُمتهَـنِ
وجمَّعوا المالَ وٱستصْفَوْا نفائسَهُ | لمُتعةِ النفْسِ في مستقبلِ الزمنِ
حتىٰ إذا امتلأوا بِشْراً بما ظفِروا | ومُـكِّنوا مِن عُلاها أبلغَ المُكْنِ
ناداهمُ هـادمُ اللـذاتِ فاقـتَحموا | سُبْلَ المماتِ، فأضْحَوْا عِبرةَ الفَطِنِ

إلىٰ آخرها... وفيها مواعظ تهز القلوب.

(٣) كان سيداً فاضلاً شديد الورع، صاحب كرامات، توفي سنة ١٢٤٢هـ.

الإمامُ[١] في جمْعٍ عظيمٍ إلىٰ خارجِ البلد ومعَه حاشيتُه ومعهم خيولٌ كثيرة، وخرجْتُ معهم، فلمّا رأيتُ الجمعَ والعساكرَ جعلتُ أتمثلُ بهذا البيت «رَقُوا منابِرَها قادوا عساكرَها». . . إلخ، فسمِعَني رجلٌ من بيتِ الإمام راكبٌ علىٰ خيل، فسألني: من أينَ أنت؟ وفي أي مكان؟ فأخبرْتُه. فلمّا انتهىٰ الجمْعِ جاء إلىٰ بيتي، وسألَني عن القصيدة، وهي لمَن؟ فناولتُه الديوانَ فنقَلَها. فكانت سببَ إنابتِه إلىٰ اللهِ تعالىٰ، رأيتُه بعْدُ في مكة، وأعطاه هديةً جزْلة، وأخبرَه أنها من الزكاة وأنها تصِحُّ في العلويينَ علىٰ قول، فامتنَعَ الحبيبُ عبدُ الله بن زينٍ من قبولِها، وقال له: اصرِفْها أنت فيما أردْت. أو كما قال.

فقال سيدي أحمد: ما هو كلامُ حدادِ القلوب[٢].

* * *

* **وقال رضيَ الله عنه عندَ قوله:** «بعدَ التشهّي وأكل الطيبات»[٣]

---

(١) أي: حاكم اليمن في ذلك الوقت، وهو: إمَّا المنصور بالله علي بن العباس المتوفىٰ بصنعاء سنة ١٢٢٤هـ.

أو ابنه المتوكل علىٰ الله أحمد بن علي بن عباس، المتوفىٰ سنة ١٢٣١هـ.

أو ابنه المهدي عبد الله بن أحمد بن علي، المتوفىٰ سنة ١٢٤٥هـ.

(٢) أي: أليس هو كلام حداد القلوب!

(٣) تمامه:

بعدَ التشهّي وأكلْ الطيباتِ غدا ... يأكُلْهُمُ الدودُ تحت التُّربِ واللَّبِنِ
تغيرتْ منهمُ الألوانُ وانمحقَتْ ... محاسنُ الوجه والعينينِ والوجنِ

ألخ: ينبغي ذكْرُ هذا البيت إذا حضرَتْ ضيافة؛ أُذكُر كيفَ يصيرُ حالُك بعدَ الموت، تصيرُ دوداً، ثم الدودُ يأكُلُ بعضُه بعضاً، حتىٰ تبقىٰ حواتَان فيتصارعان، ثم يغلِبُ أحدُهما الآخرَ فيأكلُه، ثم يموتُ من الجوع، فيصيرُ تراباً. هذا آخِرُ أمرِكَ يا ابْنَ آدم، ولكنْ أينَ العقول؟ علِّموا الصِّغار هذا الكلام وما زالُهْ ينفَع فيهم، وأما الكبارُ فهُمْ في عالمٍ آخر، وإلاّ فلا يكفيهم كلامُ عبدِ الله حداد، لكنهم يقرونَه أمانيّ؛ كما قال تعالىٰ: ﴿لَا يَعْلَمُونَ ٱلْكِتَـٰبَ إِلَّآ أَمَانِىَّ وَإِنْ هُمْ إِلَّا يَظُنُّونَ﴾ [البقرة: ٧٨].

* * *

* **وقال نفَع الله به** عندَ قولِه: «ولا تجَمَّلْتَ بالأرياشِ»[١] يعني: الثياب، هذه الخِرق.

* وعندَ قوله: «يكفي اللبيبَ كتابُ الله»[٢]. . . إلخ. قال الوالدُ عند قراءةِ هذا البيت: اذكُرْ قولَه تعالىٰ: ﴿يَـٰٓأَيُّهَا ٱلَّذِينَ ءَامَنُوا۟ ٱتَّقُوا۟ ٱللَّهَ وَلْتَنظُرْ نَفْسٌ مَّا قَدَّمَتْ لِغَدٍ وَٱتَّقُوا۟ ٱللَّهَ إِنَّ ٱللَّهَ خَبِيرٌۢ بِمَا تَعْمَلُونَ﴾ [الحشر: ١٨]، هذه الآيةُ تكفي من كتاب الله. أو كما قال.

= خلَتْ مساكنُهمْ عنهمْ وأسلَمَهمْ   مَن كان ينصُرهم في السرِّ والعلَنِ

(١) تمامه مع ما قبله:

فلو مررْتَ بها والبومُ تندُبُها   في ظُلمةِ الليلِ لم تلتذَّ بالوسَنِ
ولا تجمَّلْتَ بالأرياشِ مُفتخِراً   ولا افتَتَنْتَ بحبِّ الأهلِ والسَّكنِ

(٢) تمامه:

يكفي اللبيبَ كتابُ اللهِ موعِظةً   كما أتىٰ في حديثِ السيدِ الحسَنِ

واستعادَ القصيدة (ثلاثاً)، ثم بعدَ المغربِ استعادَها، وأمَرَ أن تُتْلىٰ قبلَها هذه الآية ﴿ تِلْكَ ٱلدَّارُ ٱلْآخِرَةُ نَجْعَلُهَا لِلَّذِينَ لَا يُرِيدُونَ عُلُوًّا فِى ٱلْأَرْضِ ﴾ [القصص:٨٣]، وهذه الآيات ﴿ وَلَوْلَآ أَن يَكُونَ ٱلنَّاسُ أُمَّةً وَٰحِدَةً ﴾ [الزخرف:٣٣].

متىٰ نشوف عيال القبائل وبناتهم يحفَظون هذه القصيدة؟ متىٰ متىٰ؟ أوَ ما يصلُحُ أنهم يهتدون؟ ويقال: استحالتِ الصَّهباءُ، تصَيْر الخمْرُ خَلاًّ، والنجَسُ طاهراً، إذا تمَّتِ المعاونة، ما هو بعيد، ما حَدّ يَحْكُم عليه تعالىٰ؛ وما زال الإنسانُ في الحياةِ اطْمَعْ فيه. أو كما قال.

* * *

وقال رضيَ الله عنه عندَ قول سيدِنا عبدِ الله الحداد: «بإحيا علومِ الدِّينِ تحيا قلوبُنا»(١)... إلخ؛ اكتُبْ يا عُمَر هذا المِصْراع: «بعدلِ ولاةِ الأمرِ تحيا ربوعُنا». لعلّ عبدَ الله بن سعدٍ يُتمُّها قصيدةً تنشِّطُ الناسَ في طلب الوالي، حتىٰ نَصِيرَ في ظلِّ عدْلِه.

□ سمعتُ الحبيبَ جعفرَ بن أحمدَ في مجلسِ الوالدِ رضيَ الله عنهم يقول: خرَج المأمُونُ يوماً ومعه نحوُ ثلاثينَ ألفاً من حاشيتِه، يتطمَّش في الخَلَوات، فجاءوا به إلىٰ زَرَّاع، فقال لهم: يا خليفة، اليومَ نُكْرِمُ جيشَك، فأخرَجَ لهم فراشاً واحداً ممثَّلاً بالذهب، وَسِعَ جميعَ القوم، وأقبلَ غِلمانُه

---

(١) تمامه، وهو مطلع قصيدة:

«بإحيا علومِ الدِّينِ» تحيا قلوبُنا ... ويُكشفُ عَنّا غمُّنا وكُرُوبُنا

«ديوان الحداد»: ص٤٩٧.

وجواريه في الحالِ بطُبقانٍ فيها أنواعُ المائدة، فعجِبَ المأمونُ من ذلك، فقال الزَّرّاع: عندي جوارٍ كثيرة، فأرسلْتُ إلىٰ كلٍّ واحدةٍ فأحضَرتْ ذلك.

ثم سار إلىٰ امرأة في طريقِه ومعه جيشُه، فقالتِ المرأة: يا خليفة، هذا بخشيشُ جيشك، وقدمَتْ إليه طُبْقاناً مملوءةً مشاخِص، فعِجبَ المأمونُ من ذلك؛ فقالتْ له: هذا من بَرَكةِ عدْلِك.

□ ودخَلَ الحبيبُ أحمدُ جنيد[1]، علىٰ سيدي، فأراد أن يقومَ له، فمنَعه منَ المقام، فقال سيدُنا: مجالسُ، واجتماعٌ، وآه[2]، التَجُوا إلىٰ اللهِ بالدعاء والدعوة: ﴿أَمَّن يُجِيبُ ٱلْمُضْطَرَّ إِذَا دَعَاهُ﴾ [النمل:٦٢]، والدعاءُ والدعوة متلازمان. وإلّا كما في الحديث: «لتَـأْمُـرُنَّ بالمعروف»... إلىٰ أن قال: «ثم تَدْعونَه فلا يُستجَابُ لكم». وليس إلّا هذه الخَصلة، صغارُ القبائل بناتٍ وأولاداً، عَوِّلوا علىٰ تفقيهِهم وهم صغار أبناءُ سبْعٍ ثمان، وأمّا الكبارُ كلُّه مقبول منهم، والصغيرُ يجُرُّ الكبيرَ إلىٰ الخير.

* * *

وقال رضيَ الله عنه: ما مُنِـعَ من المالِ عن حقّ، ذهبَ في الباطلِ أضعافُـه، ألا تـرىٰ هذه القهـوة وتسلُّطها علىٰ الأموال وما شاكلَها من زوائدِ العوائد؟ والباطلُ: كلُّ ما ليس له حقيقةٌ في الآخرة، فهو من قِسم الباطل وإن لم يكن حراماً.

---

(١) هو الحبيب أحمد بن علي الجنيد، توفي بتريم سنة ١٢٧٥هـ، كان يأتي إلىٰ شبام لتعليم أهلها التجويد، تقدم ذكره.

(٢) أي: وماذا؟

وقال عفا الله عنه ونفَعَنا به: الداعي إلىٰ الله يُصلحُ ذاتَ البين: يُصلحُ بينَ الله وبينَ خلقِه، ويُصلحُ بينَ الخلْقِ.

❊ ❊ ❊

وقال رضيَ الله عنه: رأىٰ السيدُ عبدُ الله بن زينٍ الحبشيُّ رحمَه الله والدي يقول له: ما تقولون لو وقعَ السيدُ محمد بنُ عقيلٍ[١] صاحبُ ظِفارَ والياً علىٰ حضرَموت؟ فقال له الوالد في الرؤيا: ما يصْلُح. فقال له: وفلان؟ يعني: التميميَّ[٢] صاحبَ قَسَم، قال له: إن كان مَعاد با يتكلم فينا. أو كما قال.

□ ورأىٰ الوالدُ رحمَه الله كأنَّ بعضَ الخلفاءِ السابقين، مثلَ المأمونِ أو الأمين، في البيتِ عندَنا.

□ وأخبرَني المرحومُ طيِّب بن عوضٍ[٣] قال: رأيتُ في المنام الحبيبَ عمرَ بن سُميط بعدَ وفاتِه، كأني جيت من ورائه وقبضت زنُودَه وقلتُ له: وراكم غفِلْتوا عنِ السلطان. قال له الوالد: السلطانُ جعْفَر

---

(١) هو السيد محمد بن عقيل بن عبد الله بن عقيل من آل علوي بن أحمد بن أبي بكر السكران، كان ذا ثروة كبيرة، تولىٰ الحكم في ظفار وأقام فيه سنتين، قتل ظلماً سنة ١٢٣٨هـ.

(٢) هو المقدم عبد الله بن أحمد بن يماني، ينظر للمزيد من خبره كتاب «إدام القوت».

(٣) هو باني مسْجد طَيِّب في سحيل شبام، كانت وفاته بالشحر في ١٨ شوال من سنة ١٢٥٩هـ، وابنه الشيخ محمد طيب من العلماء الأفاضل، توفي بالشحر أيضاً سنة ١٣١٣هـ.

بايخرج. وكان ذلك قبل خروجِ السلطانِ جعفر بن عليٍّ[١] بمُدة. قال سيدي: ثم خرَجَ، وأظنُّ أن نيتَه الصَّلاح، ثم إنهم أشاروا عليه بالمسير إلىٰ حَدْراء، وشَدْهوه. فكان ما أرادَ الله تعالىٰ.

□ وناولَ سيدُنا أحمَدُ رضيَ الله عنه السيدَ أحمدَ جُنيد قصائدَ فيما يتعلّقُ بالوالي، وقال له: أشيعوها وذَكِّروا بها، ويفعَلُ الله ما يشاء، عليك إلا إقامة السبب:

ألَـم تـرَ أنّ اللـهَ قـال لـمريـمٍ ... وهُزِّي إليكِ الجذْعَ تسَّاقَطِ الرُّطَبْ
ولو شاءَ تجني التمرَ مِن غيرِ هَزِّهِ ... جَنَـتْه، ولكنْ كلُّ شـيءٍ لهُ سـبَـبْ

ودعوةُ عيالِ القبائل أوْلىٰ من غيرِهم؛ لأنّ دعوةَ الغير جَلْبُ مصلحةٍ فقط، ودعوتُهم جلْبُ مصلحةٍ ودفْعُ مضَرّة؛ والناسُ الآّ سَواء، كالجَوابي، مختلِطاتٌ بعضُهنَّ ببعض، وكالبُنيانِ يشُدُّ بعضُه بعضاً، كما قال بامخرمة نفَع الله به:

إن هُدِمْ ساسْ مَبْناهُم، هُدِمْ ساسْ مبنايْ
أَوْ تـكَدَّرْ صَفَا ماهُم، تكـدَّرْ صَفَـا مـايْ

* * *

وقال نفَع الله به: بِـرُّ الولد علىٰ الوالدِ واجبٌ: بتعليمِه، وتربيتِه

---

(١) قدمنا ذكره.

والشارعُ[١] عليه السّلامُ لم يُرغِّبْ كثيراً في برِّ الأبناء؛ لأنه اسْتكفىٰ بالوازِعِ الطبيعي، وهو أقوىٰ من الوازِعِ الشرعيّ[٢]؛ بخلافِ بِرِّ الوالدين، علىٰ الأبناء فإنه رغَّب فيه كثيراً، وهُما في الوجوبِ سواء.

□ كان حبيبي زينُ بن علوي بن سُميطٍ كثيرَ الشفقةِ علىٰ أولادِه جدّاً؛ مَرِضَ والدي عمرُ مرضاً شديداً، فخرَج الحبيبُ زينٌ إلىٰ(جرْب هَيْصم) لنزيارة، ثم طلع، فقال للحبيب محمد بن سُميط: كيف بيَّتْ البارح عمر؟ قال له: إنه معَه إقلاع البارح. فقال الحبيبُ زين: عمرُ أقلعَ وأنا الوَرْد في جنبي؛ الْمَسْ جَنْبي، إني سألتُ الله إنْ شي بايَجْري علىٰ عمر يقع فيّ؛ ثم انطرَح الحبيبُ زينٌ وتُوفي من مرضِه رضيَ الله عنه؛ وكان ممّن له اعتناءٌ جمّ في تربيةِ أولادِه، يخدمُهم بنفسِه، رضيَ الله عنِ الجميعِ ونفَع بهم.

* * *

وقال رضيَ الله عنه: مِن علامةِ حسُنِ الظنِّ بالله: الاجتهادُ في الطاعة، وطلبُ العلم، والمعاونةُ في الدعوةِ إلىٰ الله؛ وإلّا ما ينفعُ القولُ باللسان: إن ظنّي بالله حسَن؛ ما أقبحَ دعوىٰ بلا شاهد. وكما قال.

* * *

وقال رضيَ الله عنه: السببُ متعيِّنٌ في آخرِ الزمان، وإنما هو معَ

---

(١) أي: النبي ﷺ.

(٢) والوازع الطبيعي: هو الرحمة والشفقة المودعة في قلوب الآباء.

التهوين، وإذا سافر [إلىٰ] مكانٍ قريبٍ لا يطوِّلِ الغُرْبَه، لأن السفرَ كما قالت سيدتُنا عائشةُ رضي الله عنها: حينَ قيلَ لها: «السفَرُ قطعةٌ من العذاب». قالت: «بلِ العذابُ قطعةٌ منَ السفر». لكنْ بعض الناس يفْرَحُ به ويستعذِبُه، ولا هو داري أنها نقمةٌ وعقوبة، لعدم اعتناه بأهلِ بيتِه، وتقصيرِه في تأديبهم وتعليمِهم، وإلاّ إن كان الله قذَفَ في قلبِه نورَ القناعة، ورأىٰ القليلَ كثيراً، وتكَفَّىٰ به، كما قال سيدُنا عبدُ الله: «تبَلَّغْ بالقليلِ منَ القليل»... إلخ، وقيل شعراً:

وما كَسْبُ المعيشةِ بالتمنِّي ... ولكنْ ألْقِ دَلْوَكَ في الدِّلاءِ
يجيءُ بمِلْئه طَوْراً، وطَوراً ... يجيءُ بحَمْأةٍ وقليلِ ماءِ

أو كما قال رحمَه الله.

* * *

وقال رضيَ الله عنه: كلامُ سيدِنا عبدِ الله الحدادِ في قولِه:

تنافَسُوها وأعطَوْها قوالبَهم ... معَ القلوب، فيا للهِ مِن عَجَبِ[١]

محقَّقٌ في آلِ حضرَموت، أعْطَوُا الدنيا قلوبَهم وأجْسَامَهم، ونحن منهم، أنا ما أُعاتبُ علىٰ شيء إلاّ وأنا أشهَدُه من نفسي؛ ما بانعاتب أهل (المخا) ولا أهلَ (الحديدة)[٢].

(١) «ديوان الحداد» (٨٢).

(٢) لأن (المخا) و(الحديدة) كانتا مزدهرتين بالتجارة آنذاك.

نحن أولىٰ بذلك. عاتبوا أنفُسكم حتىٰ تقرُبوا من ربّكم؛ فإنَّ الإنسانَ إذا سَخِطَ علىٰ نفْسِه رضي عليه ربُّه. أو كما قال.

❊ ❊ ❊

وقال رضيَ الله عنه: الوالي شأْنٌ عظيم يقال: إن بعضَ السلاطينِ سمعَ باكيةً بالليل، فأرسلَ إليها: لِمَ هذا البكاء؟ هل شي ظُلامة؟ قالت: لا، ولكن غيثُ الخريف عَبَر، ولمَ غيثُ الخريفِ عبَرَ ولم نُسْقَ فيه وهو أبُو[1] فلمّا أخبَره الرسولُ قال له: ما شي غيره؟ فدعا الله تعالىٰ، وقال للرامي: كَوْرِمْ، فثارتْ سحابة، فاتسعَتْ وأكرَم الله بالسُّقيا ببركةِ دعاءِ الوالي.

❊ ❊ ❊

وقال رضي الله عنه: جاء الحبيبُ سقافُ بن محمدٍ إلىٰ الوالدِ رحِمهم الله وذلك أيامَ الرصَّاص؛ وغالبُ الناس فرِحوا به، فقال للحبيب عمر: عندَكمُ الطريقُ أنتم وحامدِ بن عمر، جميعُ الناسِ فرحوا بالرصَّاص وأنتم ما أظهرتُمُ الفرح. فقال له الوالد: ما معنا كلام، تكفيه المنابر، إنْ كانه مصلح أو مُفسد. يعني: الدعاء: «اللهمَّ أصلِحْ مَن في صَلاحِه صَلاحٌ للمسلمين» . . . إلخ.

وبعد أيام معاد صار شيء من أمْر الرصّاص، جاء الحبيبُ سقاف إلىٰ الوالدِ واعتذرَ إليه وقال: نستغفرُ الله في حقّكم. قال له الوالد: شُفْتَ الورَم حسِبته شحْم.

---

(١) أي: أبكي لأن موسم المطر مَرَّ ولم نُسْقَ فيه وفينا السلطان الذي هو أبونا.

□ وطلب الرصَّاصُ من الحبيب حامدِ بن عمر أن يزورَ به تَريم، فزارَ به سيدَنا الفقيه وأهْلَ المقبرة؛ ثم كتَبَ إلىٰ الحبيب سقاف: والرجلُ ما هو علىٰ ظاهِره. فكان كما قال.

□ قال الوالد: مَن الذي خرَجَ بالرصَّاص حتىٰ يقع مسمَّح؟ لأن الماءَ علىٰ مُسَقِّيه، ما خرَجوا به إلاّ ناسٌ لهم مقاصد هابطيّة، حتىٰ أن الذي طلَعَ لأجلِه قال له العولقي[١]: أنا باخرُجْ معك إلىٰ حضرَموت. قال له: ما لي حاجة بك، لأنه ما بايجيْ في يدِه، بغا الذي يقَع حِلْقةً في يدِه، مثلَ البدويِّ الذي خرَجْ به. وقد عبَروا الجميع، اللهُ يعفو عنا وعنهم، ربُّنا كريمُ سبحانَه، لا يقعُ حظُّنا الثوابُ وحَظُّهمُ العقاب، وأنتم اطلبوا كريم، وأعْظِموا المسألة، فاللهُ واجدٌ ماجد. أو كما قال.

❋ ❋ ❋

وقال رحمَه الله: الظلمُ مِن شيمةِ الإنسان. قال الحبيبُ شيخ الجفْريّ[٢]، كان تاريخُ زيارتي لدوعن: «قَلَّ كلُّ ظلوم» = سنةَ ١١٥٦.

❋ ❋ ❋

(١) هو الجمعدار الأمير علي بن عبد الله العولقي، كان حاكماً في منطقة (الحزم وصداع) قرب الشحر، مات بالهند سنة ١٢٨٤هـ.

(٢) هو العلامة الجليل صاحب مليبار، مؤلف كتاب «كنز البراهين»، توفي سنة ١٢٢٢هـ.

وقال رضيَ الله عنه: دخَل والدي عمرُ رضيَ الله عنه بعضَ المساجد بتَريم بعدَ عمارتِه، وكان فيه تزويق[1]، فلمّا أرادَ أن يُحرِمَ بالصلاةِ قال: حسَّيْتُ خاطري تكثَّفَ مِن هذا التزويق، فهمَّيْتُ بالخروج منه، فلمّا وصلتُ قريبَ البابِ ذكرْتُ الروضةَ الشريفةَ وما فيها من التزويق، فقلت: هذا شي موعودٌ به في آخرِ الزمان: ﴿هَٰذَا مَا وَعَدَ ٱلرَّحْمَٰنُ وَصَدَقَ ٱلْمُرْسَلُونَ﴾ [يس: ٥٢].

❋ ❋ ❋

وقال رضيَ الله عنه: إذا رأيتُم ما لا يليقُ من هؤلاءِ الضعَفاءِ، مثلَ الشَرْح في المنادر، والأشياء التي تدُلُّ علىٰ البَطَر، وتقَرْقِع[2] للبلاء، ذكِّروهم واجْمَعوهم، وقولوا لهم: هذا شي لا يليق. وإلاّ رجَع في أولادِكم، يرجِعون مثلَهم، يَسْري إليهم، وإذا ذكَّرتُموهم بايسْمَعُون لا محالة.

❋ ❋ ❋

وقال رضيَ الله عنه: المؤمنونَ يتواصَوْنَ بالحقِّ والصبر. قال سيدُنا الشافعيُّ رحمَه الله: الناسُ في غفلةٍ عنِ هذه السورة، يعني: سورةَ العَصر، وكان السلفُ لا يتفارقونَ عن مجلسٍ حتىٰ يقرَأَ بعْضُهم علىٰ بعضٍ سورةَ العصر، اقرؤوها كلُّكم، فقرؤوها.

ثم قال: أوصُونا وأوصيكم، وأولُ الوصية: أنْ تُقبِلوا علىٰ أهليكم

---

(١) أي: زينة وزخرفة.

(٢) أي: تؤْذِن بوقوع البلاء.

وأولادِكم، فقِّهُوهُم وعلِّموهم، فإذا عَلِمتُوا أنهم عرَفوا، ارجِعوا إلىٰ أرحامكم، ثم جيرانِكم، ثم أهلِ محلتِكم، ثم أهل بلدِكم، ثم سوادِ البلد، مثلَ: (جُوْجِهْ) و(جعَيْمهْ)(١). وهذا لازم [علىٰ] كلِّ إنسان، فإذا تمَّ هذا رجَوْنا اللهَ يُكرمُنا بوالٍ عدْلٍ تقرُّ به العين، لكنه ثمرةُ ذلك: ﴿هَلْ جَزَآءُ ٱلْإِحْسَٰنِ إِلَّا ٱلْإِحْسَٰنُ﴾ [الرحمن: ٦٠].

وأولُ ما تعلِّمون أهليكم: القناعةَ والاقتصاد، يقنَعونَ بصِيْم التمرِ الصبح، والحُجَيْفِ في الليل. وتقولونَ لهم: هذا الذي عبَرُوا عليه سلَفُنا حتىٰ أنّهم تفرَّغوا للعِلم والعبادة، ونحن لمّا أضَعنا ذلك، ترىٰ نحن مطرَّدين في هنْد وحيْدَرْ عَبَاد(٢):

مشتَّتونَ بأطرافِ البلادِ علىٰ رغمِ الأنوفِ، كما تهواهُ حُسَّادُ

ورأس الحُسَّادِ إبليس، فرحان بحالتِنا هذه، يقول: ظفِرْتُ بهم، هَذْهَذتُ بهم في الغُرَب، وهذا الكلامُ، ما منه مانع، ولا يحتاجُ إلىٰ جمْعِيَّة، كلُّ إنسانٍ يبطِشُ في بيتِهِ، ما حد بايخرِّجُه من البلادِ إذا رجَع إلىٰ طريقةِ سلفِه، إلاّ إن كان أهل الدار باينكرونَ عليه وبايلقُوْنَ شِقاق. تعاونوا علىٰ هذا الأمرِ وخَلُّوا السيْرة واحِدَة، حتىٰ يتمَّ المقصود.

وأهْلُ شبام أحقُّ بالقناعةِ والاقتصادِ من غيرهم؛ لأن أهليهمُ السابقين كانوا أهلَ ورَعٍ وتقوىٰ حتىٰ ظهرَتِ البركةُ في أموالِهم، ربُّهم مَخَشْ(٣) لهم

---

(١) قرًىٰ قريبةٌ من شبام.

(٢) أي: حيدر أباد.

(٣) أي: كثَّر.

بَرَكة، وكانت لهم مكارم، ولا احتاجوا إلىٰ الحِيَل والمعاملاتِ الفاسدة؛ ولِصَاحِب الحِيلة فَوْشَة(١)، تَغُرّ، وبعد تَخْفِش مَرّة، كما البول، يفوش يفوش ثم يخْفِش. أو كما قال.

* * *

وقال رضيَ الله عنه: مَن عرَف اعترف، ورأسُ العارفينَ سيدُنا محمدٌ ﷺ. قال في سيدِ الاستغفار: «أبوءُ بذنْبي فٱغفِرْ لي، فإنه لا يغفِرُ الذنوبَ إلاّ أنت».

* * *

وقال رحمَه الله: مَن لم يبذُلِ النصيحةَ للخاصِّ والعامِّ ما أفرَحُ به يجي عندي مجلسي، ما هو سهل، ولو وفَّقَ الله أهلَ شبام للمعاونةِ علىٰ الدعوة إن كأنهم كلُّهم تنوَّروا، حتىٰ الخوادم، مع كثرةِ التذكير، ولكن التوفيقَ عزيز، يظفَرُ به العبْدُ ولا يظفَر به سيِّدُه، وتظفَرُ به المرأةُ ولا يظفَرُ به الرجل.

من أرادَ أن يتهنَّأَ محَلّةَ هذه البلادِ المباركة يحافظ علىٰ حُضُور تكبيرةِ الإحرام معَ الإمام، اشكُروا النعمة. اللهمَّ هنِّنا عَطاك ولا تكشِفْ عنا غِطاك.

ومَن دخَل المسجدَ منكم ينبِّه إخوانَه المؤمنينَ للصّلاة، كانَ الحبيبُ حسَنُ بنُ صالح البحر يدْخُلُ بنفسِه وقْتَ الصلاة لأجْل يدخُلون لها، شي

---

(١) أي: مظهر وبهرج كاذب.

قصَر منه أو زاد، تراه زاد، وأنتم أحِبُّوا للمؤمنين ما تحبونَ لأنفسِكم، قال عليه السّلام: «لا يؤمنُ أحدُكم حتىٰ يحبَّ لأخيه ما يحبُّ لنفسِه»[١].

قال سيدُنا محمدُ بن سُميط: هذا الخُلُق ما تحقَّقتُه إلاّ في بكار بن عوض لعجم، يقوم إلَيَّ في المَدْرسِ ويقولُ لي: ذاكِرْ في خَصْلَة كذا وكذا، فإن الناسَ واقعونَ فيها. وفي رَجُلٍ من السادة آل الحبشيِّ آل ثِـبِي[٢]، وهو عبدُ الله بنُ زين، في هؤلاء الرجُلين.

وأنتم سَلِّفوا الخيرَ لأولادِكم حتىٰ ينشأون علىٰ الخير، ويسارعونَ إليه، ما زالْ عاذْهم قابلين، فإنّ الصغيرَ مثالُه مثالُ الغُصن الرَّطْب، إذا أردْتَ تقيمُه استقام بسهولة، وأما الكبيرُ مِثلُ العظمِ الأَعْوج معَاذْ يتسمَّح، إذا أردْت أن تقيمه كسرتَه. كما ورَد: «النساءُ كالضِّلَعِ الأعوج»[٣]. . . إلخ. أو كما قال.

* * *

وقال رضيَ الله عنه: إذا حدَثَ أمرٌ غير لائقٍ بغا إنكار وملافاة[٤] قبل

---

(١) متفق عليه: البخاري (١٣)، مسلم (٤٥).

(٢) قرية بقرب تريم.

(٣) متفق عليه من حديث أبي هريرة بلفظ: «استوصوا بالنساء خيراً، فإن المرأة خُلقت من ضلع، وإن أعوج شيء في الضلع أعلاه. . .» الحديث. «كنز العمال» (٤٤٩٧٧).

(٤) أي: تدارك.

لا يتمكن، مثل السبْيَة من النخل، تُنتَقرُ، في ساعة، وإذا تمكَّنَتْ صارتْ نَخْلة ويَعْسُرُ قلعُها، كمِثْلِ القهوة وما ضاهاها من العوائدِ قد تمكَّنت؛ إذا ٱجتمعَتِ القلوب حصَل المطلوب، إذا قصُرَ الأمل حسُنَ العمل، كما قال سيدُنا عبد الله الحداد: وفي قُصْر الأمل الخيرُ كلُّه.

ومجالسُ الصوفية تفْتِنُ بينَك وبينَ نفسِك، وتسْخَط عليها، وتقومُ وأنت فزعانُ خائفٌ مِن نفسِك.

دخَل الإمامُ الشعراويُّ علىٰ شيخِه عليِّ الخوَّاص، فرأىٰ في جبهةِ الشيخ مكنوباً جميعُ عيوبِه، ففَزِعْ جمٌّ من ذلك. فقال له الشيخ: لا تفـزَعْ يا ولدي، هذا من عنايةِ الله بك. وكان الشيخ الخوَّاصُ المذكورُ أُميّاً يعمَل بالشطفة، والشعراويُّ إمامٌ كبيرٌ جمٌّ وله تصانيفُ عظيمة، وكلامُه كلُّه نورٌ، ودَواءٌ، مَن تنوَّرت بصيرتُه أبصرَ جميعَ عيوبِ نفسِه، ومَن عَمِيَ ما شاف عيوبه.

والكرامةُ الظاهرةُ مثْل طيِّ المسافةِ للكبار من الصالحين، ولكنْ قد تكونُ من الشياطينِ والبراهمة[1]، والمخالفين.

والكرامةُ الباطنة أن يمكّنَك اللهُ من قهرِ الهوىٰ والنفْس، وتتهِمَهما، والورْدُ اللازمُ مخالفةُ النفْس والهوىٰ، كما قال صاحبُ «البردة»:

وخالِفِ النفْسَ والشيطانَ واعصِهما وإنْ هُما محَضاكَ النُّصْحَ فاتَّهِمِ

كان سببُ زُهْدِ سيدِنا داودَ الطائي: أنه مرَّ في بعضِ الطريق، فرأىٰ

(١) البراهمة: طائفة من مجوس الهند.

الناسَ يوسعونَ الطريق، فقال: لمَن توسِّعونَ الطريق؟ قالوا: لحُمَيْد الطُّوسيِّ اليهودي. كان صاحبَ سَعةٍ في المال. فلمّا رآه سيدُنا داودُ قال لنفسِه: أفٍّ لدنيا سبَقَكَ إليها حُمَيْد؛ لأنه كان شتيمَ[1] المنظر، فكان ذلك سببَ زهدِه في الدنيا.

ومَن قصُرَ أملُه لو بايسافر أو بايدخُل في أمْرٍ معاذْ خلَّته نفسُه لِقصَر أمله، قَصِّروا آمالَكم في الدنيا.

□ كان المرحُومُ عقيلُ بن عوض يقول: أَعْطُونا كتاب يُرقِّق قلبي، أَحِس قلبي قاسي.

وكان رحمَه الله صاحبَ قلب وفيه دُعابة. قال لي: وَدِّي سَافِرْ إلىٰ جاوة. قال له سيدي: لماذا؟ قال: شفت الناس إذا حَدّ دخَل في المجلس وهو صَاحبْ نَسَم في الدنيا يقولون لُه: هِنَـيّا هِنَـيّا في المكان، وأنا بَغيت كما هم؛ لكنْ يا حبيب شاقٌّ عليّ ابن مَطّار يجَرجر أذانُه عند المنبر: الصّلاةُ علىٰ الميتِ الغائب عقيلِ بن عوض.

قال سيدُنا: لما قَصُرَ أملُه رأىٰ أجلَه قريب.

□ وقال لي يوماً لناسٍ ماتوا من أهلِ البلد: حبيب، شُفْهُم جاهُمُ الموتْ ولا هم خليِّين له. يومْ أقبلتْ عليهمُ الدنيا شلهم الموت.

وقال سيدُنا: مرادُه الاعتبار، فإنّ الدنيا إذا أقبلَتْ علىٰ أحَدْ شُفْها عينها به. وقال بعضُ السلف: إذا سَمَّنَتِ الدنيا أحداً فإنها تريدُ ذبْحَه!

---

(١) أي: قبيح.

□ وكان عوض عقيل، والدُه، من الزيان، توفيَ وهو يتلو هذه الآية: ﴿كُلُواْ وَٱشْرَبُواْ هَنِيٓـًٔا بِمَآ أَسْلَفْتُمْ فِى ٱلْأَيَّامِ ٱلْخَالِيَةِ﴾ [الحاقة: ٢٤]، يعني: أيامَ الصوم.

وقال سيدي: وقد أدركْناهم كلَّهم.

عليهمْ سلامُ اللهِ إن كانَ قد مضَوْا ... فذكْـرٌ لهم باقٍ وقد شـاعَ بالنـقْلِ

والدنيا يُعطيها اللهُ مَن يحبُّ ومَن لا يحب، لِهَوانِها عليه. وأمّا الآخرةُ فلا يُعطيها اللهُ إلاّ مَن يحبّ؛ وإذا وُجدتْ، زوالُها منكَ خيرٌ من زوالِك منها. وأحسَنُ منه: يوم تشرُد هي منك خيرٌ من أن تشرُد منها، كالعدوِّ إذا أنت خائفٌ منه، هَرَبُهُ منك خيرٌ مِن هَرَبِك منه، لأن هَرَبك فيه تعب. أو كما قال.

* * *

وقال رضيَ الله عنه: إذا ضاعَ الشبابُ ضاع العُمرُ كلُّه، والخيرُ في الصِّغَر، كما قال القائل:

مَن ضيَّعَ العلمَ والآدابَ في الصِّغَرِ ... بكىٰ عليه ولم يُدْرِكه في الكِبَرِ

وقيل:

لـذةُ العيـشِ صِحَّـةٌ وشبـابٌ ... فـإذا وَلَّيـا عـنِ المـرءِ وَلَّـىٰ

وقيل:

شيْئانِ لو بَـكَتِ الدماءَ عليهما ... عينـايَ حتـىٰ يُـؤْذِنـا بـذهـابِ

لم يبلُغِ المِعشارَ مِن حقَّيهما ... فقْدُ الشبابِ، وفرقةُ الأحبْابِ

وإذا حصَل التوجُّهُ حصَل الفتوح، عسىٰ اللهُ يوجِّه القلوب.

وقال رضيَ الله عنه: تعلَّموا الحِلم، ولا يصلُحُ لمجلسي إلاّ حليمٌ رحيم، شُوا بعْض الكلام يحصُل معي كَثَفْ منه بالليل، وانقُلوا ما يُرْوىٰ عن أهل الحِلم حتىٰ تتخلَّقوا بالحِلم.

قال تعالىٰ في وصفِ إسماعيل: ﴿فَبَشَّرْنَاهُ بِغُلَامٍ حَلِيمٍ﴾ [الصافات: ١٠١] وفي وصفِ إسحاق ﴿عَلِيمٍ﴾ وصفه بالعلم. وإذا اجتمعَ العِلمُ والحِلمُ كان أحسَن؛ وقد يكون حليم بعْض الناس وهو لا يُؤبَه له؛ هي إلاّ خصوصيات من الله.

يروى عنِ المأمونِ أنه قرأَ الحديثَ قولَه: «سِدَاد مِن عِوَز» بفتح السينِ أو كسرِها[١]، فردَّ عليه بعضُ الحاضرين. فقال المأمون: أنت تلحِّنُني؟ قال لا، ولكنّ الذي علَّمَك لحَّانةٌ، وأخبرَه بالصواب في ذلك، فأجازَهُ بخمسينَ ألفَ درهمٍ أو دينارٍ علىٰ بعضِ وزرائه، فلمّا جاء إلىٰ الوزيرِ قال له: لِمَ هذه الإجازة؟ فأخبرَه بذلك. فأعطاه من عندِه فوقَ الخمسينَ ثلاثين، فصارت ثمانينَ ألف، علىٰ ردِّ الكسرةِ أو الفتحة.

وقال سيدُنا: انظُروا إلىٰ حِلمِهم وتعظيمِهم للشريعة: «ولو عَظَّموه في الصُّدور تَعظَّما»[٢]. . . إلخ.

---

(١) السِّداد من العِوَز بكسر السين، لما يسد به الخلّة، والسَّداد بالفتح: تقويم الشيء وتصويبه.

(٢) من قصيدة الإمام الجُرجانيِّ التي مطلعها:

يقـولونَ لي: فيك انقباضٌ، وإنما ... رأَوْا رجلاً عن موقف الذلِّ أحجما

وتمام البيت:

وقال له بعضُهم: اللهُ يتَولّاك. قال له سيدي: فُلَان؛ هذه الدعوة بنيَّة، أو عادة كما الناس؟ فإن كانت لها نِـيَّة فهي مطلبٌ كبير. «وكُن لنا متولياً في جميع الأمور»، عسىٰ الله يتولانا بحفظهِ في الدارَين بِما تولّىٰ به عبادَه الصالحين.

كان والدي يقولُ لي: الزَمْ عمّك زين، يعني الحبيبَ زينَ بن محمد ابن سُميط[١]؛ وأنتم يا محمدُ وحسين[٢]: الزموا أبوكم، إذا خرَجْ مكان اخرُجوا معَه يُذاكركم، الحقُّ الصِّرفُ الخالصُ ثقيلٌ علىٰ النفْس، بخلافِ الذي للنفْسِ فيه حظ. والخالصُ مثل: تعليم الأهل ونحوِهم، وغيرُه مثل: تعليمِ باقي الناس، وكل ما ثَـقُلَ علىٰ النفْس ثَـقُل في الميزان.

□ يُحكىٰ عن بعضِهم: أنه حجَّ مِراراً كثيرةً ماشياً، ثم طلبَتْ أمّهُ شرْبةَ ماء، فقامَ إليها ولم يجدِ النشاطَ الذي في مسير الحجّ، بل حصلَ معه تلكُّؤ فاتَّهم نفسَه في حَجَّاتِه وقال: ما هذا إلاّ أنّ النفْسَ لها حظ في ذلك، بخلافِ ما كان لأمِّه. فانظُروا كيف محاسبتُهم لأنفسِهم!

* * *

= ولو أنَّ أهلَ العلمِ صانُوهُ صانَهمْ ولو عظَّموه في النفوسِ تَعظَّما

ويروىٰ: في الصدور.

(١) هو الحبيب زين بن الإمام محمد بن زين بن سميط، كان من السادة الأخيار، توفي بجدة قاصداً الحجَّ سنة ١٢٠٩هـ.

(٢) المخاطَبان هما سِبْطا الحبيب أحمد: محمد وحسين ابنا عمر بن محمد بن عمر ابن زين بن سميط. . .

وقال رضيَ الله عنه: يومَ الأحد ثامنَ عشَرَ رجب، سنةَ ١٢٥٤، مذاكرةً علىٰ قراءةِ «كتاب أسرارِ الحجّ» مِن «الإحياء»: كان سيدُنا أحمدُ بن زينٍ الحبشيُّ رضيَ الله عنه، يذاكرُ في الحجِّ ويحقِّق[١]، وفي المجلس واحدٌ من آل مَشْغَان، فخطَرَ له: كيفَ يحقِّقُ الحبيبُ أحمدُ وهو لم يحُجّ؟ فالتفَتَ إليه الحبيبُ أحمَدُ وقال: للهِ رجالٌ تطوفُ بهمُ الكعبة[٢]. وكان سيدُنا الحبيب محمّدُ بن سُميط جالساً، فقال للمَشْغان: شي خطَر ببالك؟ قال: نعم. فأخبرَه بالخاطر.

* * *

وقال سيدُنا رضي الله عنه: عزَم الشيخُ عبد القادر باشَراحيل[٣] رضيَ الله عنه إلىٰ الحج، فكتبَ إلىٰ سيدِنا عبد اللهِ الحدادِ يُعْلِمُه بذلك، فوصَل إلىٰ سيدِنا عبدِ الله فجوَّبَ عليه: «وذكرْتوا عزْمَكُم إلىٰ الحج، فاعلَموا أن عَزْمَكم ليس إلىٰ الحجّ وإنمّا هو إلىٰ البرْزَخ، فسلِّمْ منَّا علىٰ رسولِ الله ﷺ وعلى والدِك محمدٍ والسلام».

فلمّا وصَلَ الخطُّ طرَحَه في قفَصِه ولم يُعْلِم به أحداً، فانظُرْ إلىٰ حفظِ السر، فسار، وخرَج معه ناسٌ يودِّعونَه إلىٰ مكانِ الحَزْم قبل لا يُبْنىٰ[٤]،

---

(١) أي: يحقق مسائلَه، ويوضحُها بصورة جليّة.

(٢) هذه المقولة يراد بها المبالغةُ في تعظيم أهل العلم، وفي الحديث: «لهدم الكعبة أهون علىٰ الله من قتل...».

(٣) لعله الأشرم، من تلامذة الإمام الحداد، ترجمته في «بهجة الزمان».

(٤) أي: إلىٰ الموضع المعروف اليوم بالحزم، وكانت عمارته علىٰ يد الحبيب عمر بن=

وبات بالغُرَيب(١)، وثارَتْ عليه بطنُه، فتوفِّي في ليلتهِ، فخرَج الذين يودِّعُونَه يعارضُون جنازتَه. ثم إنهم فكُّوا قفَصَه فوجدوا الخطَّ المذكور.

□ وكان سيدُنا عبدُ الله الحدادُ يسمي الشيخَ عبْدَ القادر «ضرْغَامَ الضَّراغم». خرج بعضُ آل باشَراحيل من أهلِ البلاد يزورُ التربةَ بالليل، فلمّا وصَل الجَرْب(٢) إذا بصورة إنسانٍ من نُور يتدَحْرَجُ وراءه، ففَزِع الرجلُ منه، فلمَا سَار إلىٰ تريمَ أخبرَ بذلك سيدَنا الحبيبَ عبدَ الله الحدّاد فقال له: ذاك ابنُ عمِّك عبدُ القادر، فقال الرجل: ابنُ عمِّي يُفزِّعُنا؟ قال له سيدُنا عبد الله: خشِيَ عليك أن يظهَرْ عليك شي يغيِّر قلبك.

* * *

□ وقال سيدُنا أحمدُ رضيَ الله عنه: والشيخُ عبدُ القادر المذكورُ هو الذي بشَّرَ بسيدِنا أحمدَ بن زين الحبشي وعادُه في بطنِ أُمه. وذلك: أنه أرادَ دخولَ (الغُرْفة)، فوجَدَ الحبيب زين(٣) والدَ سيدِنا أحمدَ بنِ زينٍ خارجاً منها، وكان تُوفي عليه ولدٌ اسمُه سالم، واستَوْجَدَ عليه كثيراً، حتىٰ أنه همّ بالخروج باينبشْ عليه القبر، فعرَفَهُ الشيخُ وقال له: بَغَيْت فين؟

= أحمد بن محمد العيدروس، المتوفىٰ سنة ١١٩٩هـ.

(١) الغريب: هو بلاد آل شراحيل، ويسمّىٰ سحيل الفُقَراء، وهو بوادي ابن علي، ينظر لمعرفته «إدام القوت».

(٢) أي: جرب هيصم، مقبرة شبام.

(٣) توفي السيد زين سنة ١١٠٠هـ، له ذكر في «بهجة الفؤاد».

ارجعِ ارجْع، شف في شُوا[١] حُبَابتي واحد لو تَدْري به! فكان سيدَنا أحمدَ ابن زين.

* * *

وقال سيدي: وكان أولُ أمرِ الشيخِ عبد القادر ما معه توجُّه، حتى الزِّي مُغَـيَّر، مِلْقِـيْ حبوس[٢] في يديـه، فاتَّفَق به بعضُ السادة بني علَوي في تَريم، فسأله: مَن أنت؟ فقال الشيخُ عبد القادر: أنا ابنُ محمد باشَراحيل. فنهَره السيدُ وقال له: حَشَا علىٰ محمد باشَراحيل منك. فوقعَ القَولُ في قلبِ الشيخ من تلكَ الساعة، فجاء إلىٰ مسجدِ حارث[٣]، وآلىٰ علىٰ نفسِه أن لا يخرُج من المسجد إلّا وقد ختَم القرآن، وجاء له بمعلِّم؛ فكان مِن أمرِه ما كان. «إلٰهي بحقِّ القوْمِ مُنَّ بتوبةٍ»... إلخ.

* * *

وقال رضيَ الله عنه: الخوفُ من طهارة القلوب، إذا طَهُرَ القلبُ من الذنوب خافَ من مولاه، ﴿إِنَّمَا يَخْشَى ٱللَّهَ مِنْ عِبَادِهِ ٱلْعُلَمَٰٓؤُاْ﴾ [فاطر:٢٨]، والذنوبُ تقَسِّي القلب، اللهمَّ اقْسِمْ لنا مِن خشيتِك ما تحوْلُ به بينَنا وبينَ معاصيك... إلخ، ادعوا بها في السجود.

ثم ختَمَ المجلسَ بهذه الأبيات:

---

(١) الشُّوا: البطن.

(٢) شيء يضعه البادية والعوام في أيديهم كالزينة.

(٣) هو الشيخ حارث باشراحيل، الذي ينسب إليه آل باشراحيل كافة، له مسجد معروف في المكان المسمّىٰ «سحيل الفقراء» بقرب (جِفِلْ).

لبستُ ثوبَ الرجا والناسُ قَدْ رقَدوا وبِتُّ أشكو إلىٰ مولايَ ما أجِدُ
وقلتُ: يا أمَلي في كلِّ نائبةٍ ومَـنْ عليـه لِكشـفِ الضُـرِّ أَعتمـدُ
أشكو إليك أموراً أنت تعلَمُها ما ليْ علىٰ حَمْلِها صبرٌ ولا جلَدُ
وقد مدَدْتُ يَدِيْ بالضعفِ مُفتقراً إليكَ يا خيرَ مَنْ مُدَّتْ إليه يَدُ
فَـلا تَـرُدَنَّهـا يـا ربِّ خـائبَـةً فبَحْرُ جُودِكَ يروي كُلَّ مَن يَرِدُ

* * *

وقال رضيَ الله عنه عندَ قولِه:

وبارِكْ ربَّنا للداعي مِنّا وللمَدْعوِّ إحساناً ومَنّا ووَفِّقنا لحُسْنِ الارتيادِ(١)

وكرَّرَ هذا البيتَ وأغرقَ فيه؛ يُروىٰ عن الربِّ تبارك وتعالىٰ: «إذا أطاعَني عبدي رضِيْتُ، وإذا رضِيتُ بارَكْتُ، وبَركتي ما لها نهاية. وإذا عَصاني غضِبْت، وإذا غَضِبتُ محَقْتُ، وغضَبي يلحَقُ السابعَ من الولد»(٢). أو كما ورَد.

وقال عندَ قوله: «لصنعاء أو لمَسْكَتْ»(٣)... إلخ: السفرُ إلىٰ صنعاءَ

---

(١) البيت للحبيب أحمد بن عمر بن سميط، من تذييله علىٰ منظومة «العروة الوثيقة» للشيخ الإمام محمد بحرق، «ديوان ابن سميط» (٥٩).

(٢) الحديث لم أجده.

(٣) من بيت للحبيب أحمد في تتمته علىٰ «العروة» لبحرق وتمامه مع ما قبله:

ورضِّ الكلَّ منَّا ما قسَمْتَا وقـنِّعْنا الجميعَ بما رزَقْتا
وحقِّـقْ للقناعـةِ باقتـصادِ

ومَسْكَتَ وكلِّ أرضٍ فيها بدعة خطَر، ولا حاجةَ إليها؛ لأن الطبعَ يُسرَقُ من الطبع. يُروىٰ أن بعضَهم هجَر بعضَ أصحابه سَنَةً لأنه جالسَ بِدْعيّاً. الحـذَرْ يرذِّل بكمُ المعاش، تدْخلون إلىٰ أرض البِدَعْ. الحجُّ عرفَة، وباقي المناسِك مقدِّماتٌ ومُتَمِّمات.

* * *

وقال رضيَ الله عنه: بيتُ القصيدِ في: «أقومُ بفرْضِ العامريّةِ والنَّفْلِ» هو قولُه:

وأحملُ نفسي ما استطعْتُ علىٰ ٱقْتِفا سـبيلِهِمُ، حتىٰ أُوسَّـد فـي الرمْـلِ

* * *

وقال رضي الله عنه: المرأةُ للرجل بمنزلةِ الأميرِ للملِك، نِعْمَ الوزيرُ إذا صَلَحَتْ، وبئْسَ الوزيرُ إذا لم تصلُح. وإذا صلحَتِ المرأةُ صَلَحوا أولادُها وبناتُها وإلاّ فسَدوا. وأكثرُ ما يقَعُ الفسادُ إلاّ من الوزراء.

□ كما يُحْكىٰ في آلِ عثمانَ السابقين، نظام المُلك في بيتِ السَّلام بغداد، حصَل فسادٌ كبيرٌ ولم يطَّلعْ عليهِ الملك، لأنّ الوزراءَ لم يُبلِّغوه ذلك لفَسَادِهم، فقيَّضَ اللهُ بعْضَ السُّنود[1]، فطلَعَ المِنبر، فخطَبَ وذكرَ

= لنسْـلَمَ مِن مُعانـاةِ الجـواءِ وطولِ المُكثِ في وطَنِ السّواءِ
ونظفَرَ بالحلالِ بلا اعتيادِ
لصَنْعا أو تَمسْكَتْ أو لهندِ وجـاوةِ التي امـتـازَتْ بـبُـعدِ
وأهـوالِ شـديداتِ النَّـكادِ

(١) أي: من أهل السِّند.

الفسادَ جميعَه، فلمَا خَرَج الملِكُ سأل: هل شيءٌ واقعٌ مما ذكرَه السِّندي؟ قالوا له: كلُّه واقع. فطلب جميعَ الوزراءِ ــ وكانوا أربعين ــ فقتَلَهم.

والمرأةُ للرجلِ بمنزلةِ الوزير، وتعليمُ البناتِ وهُنّ صغارٌ من إحكامِمبادي الأمور، التي إذا صلَحَت صلَحَتِ النهايات؛ لأنها أولُ ما تربِّي بناتِها وأولادَها.

* * *

وقال في وصْف المعلِّم عبدِ الله بن سعدِ بن سمير: عسىٰ الله يمتِّع به وأمثالِه. عاد نَحن نداعي بهم، وعادُه ممن حضَرِ القِسمة. وإذا خرَجتوا لحَضْرة الحبيب أحمد بن زين شِلُّو كتبَكم واقرؤوا ما تيسَّر ولو قَلّ، ولو ثلاثَ مسائل.

□ شكا بعضُ السادة من آلِ الحدّاد إلىٰ الحبيب عليٍّ بن عبدِ الله السقافِ ضِنكَ المَعَاش، فقال له الحبيبُ علي: اجلِسْ في (الحاوي)[1] وشِلّْ كتابَك، واقرأْ على عمِّك حَسَنِ بنِ عبد الله الحدّاد، شُفْ يوم تتسَمَّحْ لك الأحوال. أو كما قال.

* * *

وقال رضيَ الله عنه: اقتدوا بالسلفِ في عدَم التكلُّف للضيفِ حتىٰ يسهُلَ عليكمُ الخير، ولو علىٰ تمر، وإذا لم يتفقْ لحْم يقع بلَخَم (بالخاء المعجمة).

---

(١) محل سكنىٰ السادة آل الحداد، من ضواحي تريم.

□ جاء الحبيبُ علي بن عبدِ الله السقاف إلىٰ (الغرفة) في أيامِ الحبيب أحمدَ بن زينٍ الحبشي، فطلبه ابنُ حُسَين للعشاء، فقال له الحبيبُ أحمدُ ابن زين: بشرْطٍ تفعل له لَخَم، وإلّا ما هو عندَك، فقال ابنُ حسين: نحن أهل جِدَه[١]، وهذا عليُّ بنُ عبد الله، بانُكرمُه. قال له: هذا الكلام؛ فامتثل ما قاله له الحبيبُ أحمد، فقال ابنُ حُسَينٍ لأهلِه: صَلِّحوا العَشاءَ وبالِغُوا في تحسينِه وكَثْرتِه. فلمّا دَخَل به علىٰ الحبيب عليِّ بنِ عبد الله أخْبَرَه بما قال له الحبيبُ أَحمد بنُ زين، وأنه ما يَقْدر يخالفُه. فقال له الحبيبُ علي: قال لك هكذا؟ قال: نعَمْ! فقال له: قُمْ وخَلنا. ثم قَلَد المَنْزِل وأكلَ الجميعَ الذي قدَّموه له، وهو شيءٌ كثيرٌ جَم، شاهَدَ في ذلك شَيء ثاني!! أو كما قال.

❊ ❊ ❊

وقال رضيَ الله عنه: ذكِّروا، واستعمِلوا الرِّفق. قال الله تعالىٰ: ﴿فَقُولَا لَهُۥ قَوْلًا لَّيِّنًا﴾ [طه: ٤٤]، والقبولُ موجود، واليأسُ حرام، حرام، ومِن كبار الذنوب. وقد كانتْ حضرَموتُ مشحونة بالأخيار، كما قال ولد علوي[٢]:

قد كنت يا واديَ الأنوارْ مشحُونْ بالخيرْ والأَخيارْ

□ كانوا السلَف صِفَة ثانية، خُصَّ أهلْ شبام. كان أحمد صَلْعانَ[٣]

---

(١) أي: سعة، وحال طيب.

(٢) أي: الإمام الحداد.

(٣) هو: الشيخ الصالح أحمد بن عوض صَلْعان، من صالحي أهل شبام، أخذ عن =

ـ ممن ترجَمَ له الحبيبُ محمد بن سُميط ـ مَضَّىٰ وقتَه وهو في بَسْطَةٍ بسببٍ خفيف، وعليه دار ودِيْرة، مع راحةٍ بلا حقارةٍ في المَعاش، وكان مُنشداً.

□ كذلك محمد صَلْعان[١]، قال الوالد: كثيراً ما يستشهد «بحِكَم ابنِ عطاءِ الله» يكادُ يحفَظُها، صاحِبُ مذاكرة. كانَتْ معَهُ نخلة، فآذاه بعضُ الناس من طرَفِها، فقال لولدِه سالم: بِعْها بما يقولُ المشتري، ما أحِبُّ شيء يِشْغِلْ قلبي.

ثم قال سيدُنا: قال الشيخُ عمر بامخرمة:

❊ يا سليمان، عادَ الله يردّ العوايد ❊

يروىٰ أن الشيخَ عمر مَرَّ علىٰ يهوديٍّ فكأنَّه لحَظَه فأسْلمَ اليهوديُّ من يومِه؛ فعلِمَ به الشيخ عمرُ فقال:

يا ابنَ الأسباطِ مَرَّ السيلْ في قاعْ غَبْرا
مَرٌّ فيها الضُّحىٰ وامْسَتْ معَ العصر خَضْرا

❊ ❊ ❊

وقال رضيَ الله عنه: سُئلَ بعضُهم عن تفسيرِ قولِه تعالىٰ: ﴿كُلَّ يَوْمٍ هُوَ فِي شَأْنٍ﴾ [الرحمن: ٢٩]، فتحيَّرَ فيها، فظهَرَ له الخضِرُ عليه السَّلام فقال له: شؤونٌ يُبْديها لا يَبْتَدِيها. أي: يُظْهِرُها إلىٰ عالَم الدنيا، وإلاّ فقد خُلِقَتْ

= الإمام الحداد.

(١) أخو أحمد سابق الذكر.

في علمِه تعالىٰ. قال تعالىٰ: ﴿مَآ أَصَابَ مِن مُّصِيبَةٍ فِى ٱلْأَرْضِ وَلَا فِىٓ أَنفُسِكُمْ إِلَّا فِى كِتَٰبٍ مِّن قَبْلِ أَن نَّبْرَأَهَآ﴾ [الحديد: ٢٢]، أي: نُظْهِرَها.

فهو سبحانَه وتعالىٰ، كلَّ يومٍ هُوَ في شأنٍ في خلْقِه: يُحْيي ويُميت، ويُعِزُّ ويُذِل، ويُغني ويُفقر، ويُصِحُّ ويُسقِم، وهذا يفتحُ كلَّ بابِ الرجاء في اللهِ سبحانَه وتعالىٰ، ويُغلِقُ بابَ الأمْنِ من مكْرِه.

* * *

وقال رضيَ الله عنه: سُئلَ سيدُنا عبدُ الله الحدادُ عن حالِ سيدِنا أحمدَ بن زينٍ الحبشي. فقال: هو من أهلِ المقام العاشر[1]، وهم الذين ذكَرَهُمْ في قصيدتِه:

* الحمدُ للهِ الشهيدِ الحاضِرِ *

في قوله: «خَصَّ الرجالَ العارفينَ»[2] . . . إلخ، مثْلَ الغزاليِّ وسيدِنا الفقيهِ وأحمدَ الرفاعيِّ وسَيدنا عبدِ القادر:

* شُغِفُوا به واسْتَغرَقُوا في حُبِّهِ[3] *

حتىٰ كان آخرَ وقتِ سيدِنا أحمدَ بن زينٍ الحبشيِّ إذا دخَلَ في الصَّلاة معاد يدْرَىٰ كم ركعاتٍ صَلّىٰ! وقد يلتفِتُ إلىٰ بعض المأمومينَ مرادُه

---

(١) قدمنا شرح هذا فيما مضىٰ.

(٢) تمامه: خَصَّ الرجالَ العارفينَ بقُربِهِ   وبأُنْسِه أهلَ المقامِ العاشرِ

(٣) الذي في «ديوان الإمام الحداد» (٢٢٢):

شُغِفوا بِهِ واستَغْرَقوا في ذِكْرِهِ   طُولَ الزمانِ بكلِّ رُوحٍ طائرِ

يُشيرونَ إليه بقيامٍ أو قعودٍ من شدةِ استغراقِه بالله، كما كان سيدُنا عمرُ بن الخطاب رضي الله عنه كذلك.

وكان إذا أرادَ الدخولَ في الصّلاة، فخطَرَ له خاطرٌ وقدْهْ بايُحرم بالصّلاة طَرَّبْ[١] علىٰ بعضِ المأمومين وكلَّمهُ بذلك الخاطر، حتىٰ ما تتشوَّش عايه صلاتُه.

□ وسألَه أحمد بكّار لعجم: كيفَ يكونُ حُسْنُ الظّنِّ بجميعِ المسلمين؟ لأنه كانت له عنايةٌ بصَلاحِ قلبِه. فقال له الحبيب: أحمَدْ بكار! طهِّرْ قلبَك، فالقلبُ إذا طَهُرْ ما يرىٰ أَنَّ أحداً يعصي ربَّه. أو كما قال.

❊ ❊ ❊

وقال رضيَ الله عنه لبعضِ السادة حينَ صافحَه، واسمُه جعفرُ بن محمد: واسْمُ سيدِنا جعفرٍ الصادق كذلك: كُن حَسْبَ الظن، لا تُفارِقِ الكتاب، واجتهدْ في طلبِ العلم، ما يعذُرُكَ من ذلك إلاّ الموت، خلِّ الاسْمَ يوافق المسمَّى، وإلاّ تبَصَّرْ في اسمِك إذا ما بتجتهد.

❊ ❊ ❊

وقال رضيَ الله عنه: كان والدي إذا ما أعجبَه شي في أيَّام الصِّغرِ يقول: ذنوبي ذنوبي! وربما يبكي. وأنت يا مُحمَّد، ما مَعك عَشْقَة، أخذَ القراءةَ عليك فلان، مصائبُ قومٍ عند قومٍ فوائدُ!

---

(١) أي: نادىٰ.

وقال رضيَ الله عنه: حُثُّوا أولادَكم وأهليكم علىٰ الحياء، فالخيرُ كلُّه في الحياء، خصوصاً في مضاييق شِبَام، ودِّي الصِّغار يفعَلون غَشْوة علىٰ رؤوسِهم في الشارع(١)، قدْها تسمّىٰ عند الصوفية (خَلْوَة مختصرة).

* * *

وقال عَفَا الله عنه: رويَ عن الحقِّ تعالىٰ أنه قال: «خَفْني كما تخَافُ السبْعَ الضَّاري»(٢)، ولا يخافُ اللهَ إلاّ العالِمُ به: ﴿إِنَّمَا يَخْشَى ٱللَّهَ مِنْ عِبَادِهِ ٱلْعُلَمَٰٓؤُاْ﴾ [فاطر: ٢٨].

* وما عالِمٌ إلاّ منَ اللهِ خائِفُ *

مثَالُ ذلك: كأسدٍ أقبلَ علىٰ كبارٍ وأطفال، فالكبيرُ يخافُ الأسدَ لعِلمِه بأنه ضاري، والطفْل لا يخافُه لعدَم علمِه به.

قال سيدُنا عليُّ بن عبدِ الله السقافُ لمّا راح بَصَرُه: إني فرِحْتُ بذلك. نَظِيرُه قولُ سيدِنا سعيدِ بنِ المُسيِّب: ما شيء أخوفُ عندي منَ النساء. وسنُّه حينَئذٍ أربعٌ وثمانون سنة. فانظُرْ إلىٰ خوفِ الكبارِ في كلامِهم، وإنما يعبِّرون به عن أحوالِهم.

* * *

وقال رضيَ الله عنه في إحياءِ ليلةِ النصفِ مِنْ شعبانَ سنةَ ١٢٥٤ عندَ قولِه: ﴿رَبِّ ٱغْفِرْ لِي وَلِأَخِي وَأَدْخِلْنَا فِي رَحْمَتِكَ﴾ [الأعراف: ١٥١]، حاكياً عن

---

(١) لأنهم بذلك يحترزون من رؤية البطالين ومَنْ لا خلاق لهم.

(٢) لم أجده.

نبيِّ اللهِ موسىٰ عليه السّلام: انظُر قولَه: ﴿وَأَدْخِلْنَا فِى رَحْمَتِكَ﴾، لم يقُلْ: بعِلمي ولا بعمَلي، معَ أنه نبيّ، بل قال: ﴿فِى رَحْمَتِكَ﴾.

وقال: بانقرَأ «يس» بنيةِ صلاحِ الأحوال ظاهرْ وباطن، وأن الله يُصلح نحن ويُصلح جهتَنا صلاحاً، تامّاً، أَدِيروا القراءة، كلُّ واحدٍ يقرَأ ما تيسَّر. فقرؤوها.

* * *

ثم قال: أنت يا فلانُ، أخذْتَ نحواً من شهرَين مربوش جمّ، والآن حصلَت العافية، اسألْ عن شُكرِها، ماذا؟ كان السلفُ يَسألون: ما شُكْرُ نعمةِ كذا؟

يحكىٰ: أنَّ بعضَ الدَّولةِ ختمَ «الإحياء» علىٰ ابن سراج باجمَّال[١] فقال له: ما شُكْرُ ذلك عليّ؟ فقال له: قال الله تعالىٰ: ﴿لَن تَنَالُوا۟ ٱلْبِرَّ حَتَّىٰ تُنفِقُوا۟ مِمَّا تُحِبُّونَ﴾ [آل عمران: ٩٢]، فقال له: أَحَبُّ ما كان عندي، عبدي جَوْهر، هو عتيقٌ وأولادُه لله تعالىٰ. فصدرَتْ من العبد المذكور أفعالٌ خيْريَّة، حتىٰ بنىٰ مسجدَين بسيئون ببركةِ نيَّـةِ سيِّدِه.

وأنتَ اشكُرْ نعمةَ العافية، وشُكْرُها: أن تُقبلَ علىٰ أهلِك وأولادِك بالتعليم، تبذُلُ جهدَك في ذلك، ما شي خِلاَفْ هذا. أنت تتغانَمُهم وهم يتغانَمونَك، لأن المَوتَ أَقْرَبُ كلِّ غائبٍ يُنتظَر.

---

(١) هو العلامة الفقيه محمد بن عبد الرحمن بن سراج الدين باجمال، توفي سنة ١٠١٣هـ.

وقال عندَ قولِه تعالىٰ ﴿وَكُلُوا۟ وَٱشْرَبُوا۟ وَلَا تُسْرِفُوٓا۟﴾ [الأعراف: ٣١]، قال بعضُهم: لو أخذَ الناسُ بهذه الآيةِ ما احْتَاجُوا إلىٰ الطبيب، لأن الشِّبَع منْبَعُ كلِّ علَّة، وتتولّدُ العِلَلُ من التُّخْمَة.

* * *

وقال رضيَ الله عنه: تذاكَرَ سيدُنا عبدُ الله بن علَوي الحدادُ والشيخُ علي بن عبدِ الله باراس في شأنِ الصلاة، وقالوا: أجْمَعَ العلماءُ علىٰ أنّ الإنسانَ لو حصَلَتْ له في عمُرِه صلاةٌ من صلاةِ أهلِ القُرْب لكفتْه إلىٰ الأبد. أو كما قال، ولكنْ صَلِّ واستغفِرْ وتبْ، «سبيلُكَ أن تستغفرَ الله بعدَها». كان بعضُهم يقول: إني أنصرفُ مِنْ صَلاتي حياءً من الله كمَن ينصرفُ منَ الزنا(١).

* * *

وقال رضيَ الله عنه: «حديقةُ الإمام بحرق» هديةٌ من الله تعالىٰ للمسلمين، وأوَدُّ أنها في كلِّ بيت، ويحفَظُها كلُّ قلب، لأنها دعوةٌ إلىٰ الله خالصة، وهي زُبْدَةُ الزبدة، وعمدة. اكتبوا منها نسَخاً واهدوها إلىٰ الحرَمين، واكتبوا:

ومن عجَبٍ إهداءُ تَمْرٍ لخيبرٍ ... وتعليمُ زيدٍ بعْضَ علْمِ الفرائضِ

---

(١) أي: خوفاً من الوقوع في التقصير أو عدم قبول العمل، وهذا الخوف والوجل مطلوب، لأن الفرح بالأعمال قد يحبطها.

ابنُ عثمان يُهدي دراهم، وأنتم يا آلَ حَضْرمَوتَ اهدوا «الحديقة» كُلٌّ علىٰ قَدَرِه، ونعْمَ الهديةُ الباقية، اهدوها إلىٰ مكةَ والمدينة.

□ يقال: إن بعضَ الألِبَّاءِ أهدىٰ إلىٰ بعضِ الخلفاءِ كيسَ ملْح وكيسَ أُشْنان، وكتَبَ له: إني خشِيتُ أن تُطوىٰ صُحُفُ الكرامِ ولم أُذكَرْ فيها فأهدَيتُ إليك أولَ ما يُبدَأُ به لصحَّتِه وبركَتِه، وآخرُ ما يُختَمُ به لِطِيْبِه ونظافتِه. ففرحَ به المَلِكُ أكْثَرَ مما أهداه إليه باقي الناس، وملأ الكيسَينِ له دنانير. وأنتم لعلَّ اللهَ يملي لكمُ القلوبَ هداية. أو كما قال.

* * *

وذكَرَ رضيَ الله عنه بعضَ أهلِ البلاد منَ الأخيارِ ممن كانوا كَثْرة، منهم رجالٌ ونساء، فماتوا إلاّ القليل، فقال رضيَ الله عنه: هذا فعْلُ الدنيا بالأخيار، فكيف بالأشرار؟ شعر:

أينَ الذي الهَرَمانِ مِن بُنيانِهِ ... مـا يومُـهُ ما قوْمُهُ ما المَربَعُ؟
تتخلَّفُ الآثارُ عن أرْبَابِهـا ... حِيناً، فيلْحَقُها الفَنَاءُ فتَتْبَعُ

لعله مِن «ربيع الأبرار» والهَرَمان: بناءٌ بمِصْرَ بناه بعْضُ الملوك السابقين. عسىٰ الله يرُدُّ العوائِد ويُحْيي السُّنن.

كان ساداتُنا آلُ باعلَوي إذا زاروا نبيَّ الله هوداً يأخُذونَ الضَّحايا[1] من عندِ النَّبي، ويعْلِفُونها رمَضان وشوالاً وذا القَعْدة.

---

(١) أي: أغنام الأضاحي.

وقال: «سبحان الله وبحمدِه، سبحانَ الله العظيم»، آخِرُ حديثٍ في «صحيح البخاري»[(١)] وهي آخِرُ كلامٍ تكلَّمَ به سيدُنا عبدُ الله الحدادُ عندَ الموت، رضيَ الله عنه.

❋ ❋ ❋

وقال رضيَ الله عنه: اسْتولَىٰ العجْز، ادعوا لي بالشِّفَاءِ، العافيةِ الحسيَّة والمعنوية، والمذكِّراتُ للإنسانِ تُـعَرِّفُه عجْزَه وضَعْفَه ﴿وَخُلِقَ ٱلْإِنسَـٰنُ ضَعِيفًا﴾ [النساء:٢٨]، وفي الحقيقةِ هي عافية، لأن الإنسانَ لو صِفْيَتْ له الأيامُ لقالَ مثلَ ما قالَ فرعون ﴿أَنَا۠ رَبُّكُمُ ٱلْأَعْلَىٰ﴾ [النازعات:٢٤]، مسكينٌ ابنُ آدم، سخيفٌ ضعيف.

❋ ❋ ❋

وقال رضيَ الله عنه: «حِلْيَةُ الإمام أبي نُعَيم»[(٢)] أملاها من حفظه وسنُّه ثمانين سنة[(٣)]. انظُرْ إلىٰ هذه الكرامةِ الكبيرة، وفي الحقيقةِ إنها معجزةٌ للنبيِّ ﷺ، ويقال: إنها بِيعتْ بألفِ دينار.

---

(١) «صحيح البخاري»: (٧١٢٤).

(٢) «حلية الأولياء» للإمام الحافظ أبي نُعيم الأصفهاني، واسمه: أحمد بن عبد الله، المولود سنة ٣٣٦هـ علىٰ الأصح، والمتوفىٰ سنة ٤٣٠هـ. مطبوع في (١٠) مجلدات.

(٣) لم أقف علىٰ من ذكر هذا. ولكن المشهور: أن الذي أملىٰ كتاباً من حفظه هو الإمام شمس الدين السرخسي الحنفي، صاحب كتاب «المبسوط» في فقه الحنفية، المتوفىٰ سنة ٤٨٣هـ، يقع كتابه هذا في(٣٠) ثلاثين جزءاً، أملاه وهو سجين في جُبٍّ بأوزجندَ ببلاد فرغَانة.

وقال نفعَنا الله به: الصحابةُ رضيَ الله عنهم اشتغلوا بالأهمّ، حتىٰ أنهم إذا سُئلوا عن مسألةٍ قالوا: هل وقعت؟ فإن قيل: لا. قالوا: حتىٰ تقعَ ونبحثَ عنها، لأنهم لم يشتغلوا بالفروعِ النادرة، كمِثْل مَن خُلِقَ له رأسانِ أو يَدان. نعرِف بذلك أنّ الترتيبَ مطلوب في كلِّ شيء، وأن الفُضُولَ ليس في الكلامِ فقط، بل في الكساءِ والقُوت، بل حتىٰ في العِلم إذا اشتغلْتَ بشيءٍ وعادْ أهمّ منه، و «مِن حُسْنِ إسلامِ المرءِ ترْكُهُ ما لا يعنيه» يعني: من كلِّ شي.

* * *

وقال رضيَ الله عنه: سِرُّ الله في خَلقِ اللهِ مستور. ما هي بالألوان، وِشْ دَرَّاك؟ كمْ مِن واحدٍ لا يُؤْبَهُ له وهو الخَضِر!

□ يقولون: إن سُوق شبام كلَّ ليلةٍ يتسوَّقونَ فيه أربعين وليّ. كان السيدُ أحمد باعقيل من المتقدمينَ سمِعَ بهذا، فجلسَ بعدَ العصر في السوق ومعَه السبحة، فكلُّ مَن توَسَّمَ فيه الخيرَ عَدَّه. فأقبلَ رجلٌ في يديه صِبَاغٌ يعامِلُ الجُوبَةْ، وعليه كِساءٌ وهيْئة زينة، فقال السيدُ في نفسِه: ليس هو منَ المعدودين، فكاشَفَه الرجلُ وقال له: حبيب اطْرَح حبّة. فقال السيد: كيف؟ صار ما هي بالألوان. فقام وترَكَ العِداد. قال سيدي: حدْ يتسَتَّرْ بحِرْفَة، وحَدْ كذا، وحَدْ كذا. أو كما قال.

* * *

وقال، رضي الله عنه: مطالَعةُ سير السلفِ ومناقِبهم تنفي منك العُجْب، وتُرِيْك قَدْرَ نفسِك، ومجالَسةُ أهلِ الزمان تثيرُ منك العُجبَ ورؤية النفْس،

وعزيزٌ مَن يعْرِفُ قَدْرَ نفسِه، وكلامُ الكبارِ من أولياءِ الله شرح الكتاب والسُّنة، كرِّروه وانقُلوه واعقِلوه:

إلٰهي بحقِّ القومِ مُنَّ بتوبةٍ　　　منَ الذنْب تغسِلُنا بها أبلغَ الغَسْلِ

وذلك عندَ قراءةِ الحبيبِ عمرَ بن محمدٍ عليه في «لبِّ الألباب مختصر مجمَعِ الأحباب» لسيدِنا الإمامِ محمدِ بن سُميطٍ عَلَوي نفَع الله به في شهرِ رمضانَ سنةَ ١٢٥٤.

وقال رضيَ الله عنه: آلُ حضرَموتَ ضيَّعوا كلَّ شيء، وادَّعَوْا كلَّ شيء، وفاتَهم كلُّ شيء، ما هم جُوَيِّدين، بغوا إلاّ والي جميعُهم[١]، اترُكْهم، ظلموا الشريعة، ذنبُهم كبير، وهو: ترْكُ الأمر بالمعروفِ والنهيِ عن المنكر، حتىٰ عَمَّتهمُ العقوبات، الصالحُ مع الطالح. قال تعالىٰ: ﴿وَاتَّقُوا فِتْنَةً لَّا تُصِيبَنَّ الَّذِينَ ظَلَمُوا مِنكُمْ خَاصَّةً﴾ [الأنفال: ٢٥]، يعني: تَعُمّ، واتقاءُ الفتنة، بالأمر بالمعروفِ والنهيِ عن المنكرِ لا غير.

* * *

وقال رضيَ الله عنه: حقِّقوا قولَكم: «السّلامُ عليكم ورحمةُ الله»؛ ببذْل النصيحة، والمعاونةِ علىٰ البرِّ والتقوىٰ، وإلاّ لا معنىٰ لقولِكم: «السلامُ عليكم» وكذلك: «رضِيتُ بالله ربّاً وبالإسلامِ ديناً» إلخ. ما ينفَع مجرد القول بعذَبةِ اللسان[٢]، والأفعالُ مخالِفة، اجتهدوا فيما يُنعشُ

---

(١) أي: كل واحد منهم يريد أن يكون هو الوالي.
(٢) أي: بطرف اللسان.

الإسلام وينشُرُ الدعوةَ إلىٰ الله، وإلاّ غبَنتوا أولادَكم ومَكالفَكم وأنفسَكم. أو كما قال، عصْرَ الثلوث، ثلاث في شهر شوالٍ سنة ١٢٥٤هـ.

* * *

وقال رضيَ الله عنه: كان حبيبي عبدُ الرحمن بارقبة ممن يَسْمَعُ الهواتف. دخلَ يوماً حمَّام (مسجدِ ابن أحمد) وهو مُغْتَمٌّ، فسمعَ هاتفاً يقول: اطرَحِ القيود، واعبُدِ الودود، واحفَظِ الحدود.

وأثنىٰ عليه سيدُنا الحبيبُ عبد الله الحدادُ فقال: جميعُ «الإحياء» في زاويةٍ من صَدْرِ عبدِ الرحمن بارقبة.

* * *

وقال رضيَ الله عنه: حَجَّينا في سنةِ خمسَ عشْرةَ ومئتينِ وألف، وجينا إلىٰ (بيت الفقيه)[1] نسألُ عن دارِ واحدٍ من الدواعن، فوافَقَنا عبْد فقال: أنتَ السيدُ أحمد بن سُميط؟ فقلت: نعم. فقال: بسمِ الله، هذا البيتُ. . ذكاءٌ في العبد، لو توجَّه إلىٰ العِلمِ ما بايخيب. وأنتم كلُّ مَن معه عبد ينوي فيه أنه يخلّيه لطلبِ العلمِ ويكون داعي إلىٰ الله، سرُّ الله في خلْقِه.

* * *

وقال رضيَ الله عنه: كانت طريقةُ سيدِنا أحمد بن زين في تسميتِه المولود: إن كان معَهمُ اسمين أقرَع بينَهما، وإن كان واحد رتَّبَ الفاتحة عليه مِن غيرِ قُرْعة.

---

(١) مدينة بتهامة اليمن، تنسب إلىٰ الإمام الفقيه أحمد بن موسىٰ بن عجيل.

وكان سيدي رضيَ الله عنه كثيراً ــ في غالبِ الصَّلوات ــ يقنُتُ بهذا الدعاء: «اللهمَّ الطُفْ بنا والمسلمين، وعافِنا والمسلمين، واكفِنا وإياهم أجمعين شرَّ مصائب الدنيا والدِّين، وصلىٰ الله علىٰ سيدِنا محمّدٍ وآلِه وصحبِه وسلَّم».

* * *

وقال رضيَ الله عنه: حُسنُ اليقينِ قمينٌ[1] بغفرانِ الذنوب، كما قيل: من كانت سجيتُه اليقينَ لم تضُرَّه الذنوب. قال تعالىٰ: ﴿إِنَّ ٱلَّذِينَ ٱتَّقَوْاْ إِذَا مَسَّهُمْ طَٰٓئِفٌ مِّنَ ٱلشَّيْطَٰنِ تَذَكَّرُواْ فَإِذَا هُم مُّبْصِرُونَ﴾ [الأعراف: ٢٠١]، ولهذا لم تضُرَّ الصحابة الهنَاتُ التي يقَعونَ فيها، لأن غريزتَهمُ اليقين. أو كما قال.

* * *

وقال رضيَ الله عنه: اتّبِعوا المنقولَ واترُكوا المعقول، واقتدوا بالرسولِ عليه السلام، وبالسلفِ الماضِين، مثلَ محمَّد لعجم، اسأَلوا عن سِيَرِهم. وأُخبرُكم بأنمُوذجٍ من ذلك: أخبَرني والدي، قال: كان محمّد لعجم إذا جاءه مولود يَذْبَحُ رأسَ غنمٍ ويفرِّقُه علىٰ المساكين الذين ما منهم مكافأة فقط، وغيرُه في ذلك الزمانِ أوسَعُ منه في المال، ما حَد يذبَح شيء، وإنما القياسُ ما يخلُّون سُنَّة العقيقة، وإنما هو علىٰ حال ثاني، رِفْقاً بالناس حتىٰ ما ينْصِبُون علىٰ غيرهم، لكنّهم أهْلُ قلوب رحيمة.

---

(١) أي: ضامن.

أَوْلىٰ الناس بالاقتصاد أهلُ شبام، لأن بلادَهم ثقيلةٌ في كلِّ شيء، حتىٰ أفْقاشهم ببُقَش خلافَ باقي البلدان.

□ كان عُبُود بن أحمد جَرْهُوم صاحبُ بيتنا هذا من سابق ـ يعني: بيتَ سيدِنا البحري ـ قال له ناسٌ من آلِ بافضل أهل حَدْراء: بانَحِلّ شبام، قال لهم: حِلُّوا عندي بلا كِراء، عليكم تصَلِّحون لي قُرَيص الصبح، وقُرَيص عَشيّة، وفنجانَ القهوةِ قَبْل ذلك، لأنه ما معَه مرأة ولا حَدّ له، فحَلُّوا عندَه نحو شهرين، ثم رجَعوا إلىٰ حَدْراء، وقالوا: ما تصْلُح لنا شبام، خير لنا مكاننا. احفَظوا المُذاكرة وافهَموا المقصود.

□ قال والدي رضيَ الله عنه: أخبرَني عُبُود بنُ أحمد باذيب والدُ سالم بن عُبُود باذيب، أنه رأىٰ المعلمَ محمدَ بنَ عُقْبَـة سُدَيس كأنه عند الفاضِلَة حقّ الجامع، فسأله: ما فعَل اللهُ بك؟ فقال: أوقفَني بينَ يديه، وقال: اقرَإِ المفصَّل والمقمِّع.

فقال له الوالد: أما المفصَّلُ فهو من «الحُجُراتِ» إلىٰ آخرِ القرآن، وأمّا المقمِّع إنْ كانُه مواعظ القرآن؟

□ قال سيدي: وكان محمدُ بنُ عقبةَ المذكورُ معجون القرآن فيه، وكان منَ الصالحين. أو كما قال.

* * *

وقال رضيَ الله عنه: وصَل خطّ من الصِّنو بو بكر بن عمر[١]، أيامَ

---

(١) يعني: أخاه السيد أبا بكر بن عمر بن زين بن سميط، توفي بعُمان في حياة والده، قبل سنة ١٢٠٧هـ.

وصولِه من جاوة، فقلت للوالد: نجوِّبْ عليه بماذا؟ فقال: اكتُبْ له:

البِدارَ البِدارَ قبلَ الفَواتِ إنما أنْتَ عُرضَةُ الآفاتِ(١)

فكتبتُها ولا أدري أنها وَصَلت إليه. وتوفيَ في (مَسْكَتْ)، رحمَه الله، فلمّا جاء خبرُ وفاته، قال الوالدُ رحمَه الله: قد غسْلتُ خاطري من العيالِ كلِّهم. نظيرُه: قولُ سيدنا الفُضَيلِ بن عياضٍ لمّا توفّي ولدُه علي، قال: قد أخرجْتُه من قلبي حينَ وُلد.

* * *

وقال رضيَ الله عنه: كلُّ مَن معه عينَين يجيءُ بكتابه معَ المُذاكرة، اشكُروا نعمةَ البصر، يكونُ مَن كان. أقيموا الشعارَ حتىٰ يحيا الدينُ ويَعْظُمَ في الصدور: «ولو عَظَّموه في الصُّدورِ تعَظَّما».

* * *

وقال رضيَ الله عنه: في الوقتِ قبولٌ جمّ، ولو نحْنُ نُـعَالقُه في الظاهر، فهو في البِاطن ممدوح، تغانَموا التذكيرَ ونشْرَ الدعوة، لا تخلُّونه يفوتْكم. طولُ الغربة إمَّا قساوةٌ أو غباوة، إن أحْسَنّا الظنَّ قلنا: غباوة. كما قال سيدُنــا عبدُ الله الحدادُ: «فالحَرِيصُ غبي» وإن قلنا: قساوة، فهو خَطَرٌ جَم.

* * *

---

(١) البيت للإمام الحداد، «الديوان»: ٩٥.

وقال رضيَ الله عنه: إذا ترتَّبتِ الأعمالُ ظهرَتِ البركَةُ فيها. مثالُ ذلك: كالوضوء، إذا غسلْتَ اليدين قبلَ الوجهِ لم تُحسَبِ اليدين، وكمِثْلِ مَن يُعلِّمُ الناسَ وعادْ أهل بيته جُهال. وفي مِثالِ آلِ حضرَموت: ما حَدّ يلَقِّيْ سِقَايهْ وأهل بيتُه ظِمَاء(١).

□ كان سيدُنا الإمامُ أحمدُ بن زينٍ الحبشيُّ رضيَ الله عنه يقولُ لأهلِ بيتهِ: إذا زادَ شيء من القوتِ اعرِضوه علىٰ الخادمةِ حِلَيْمُون، إن بغته، وإلاّ أعطوه السائل. أنْظُرْ إلىٰ أفعالِ الكبار وافكُرْ فيها.

وكذلك كان رضيَ الله عنه لا يتكلَّف شيء، لأنهم ما يَرَوْن ولا يُعاملونَ إلا الله. اتَّفَقَ أنّ أولادَ شَيْخِه آلِ الحدادِ جاءوا إلىٰ عندِه ولا شيء موجود إلاّ الخمير، ففعَلُوا لهم جَفْنة. وقال للحبيب محمدِ بن سُميط: إذا بَعْدَ المغرَب سِرْ أنت والحبايب إلىٰ الدار وتَعَشُّوا لأنه رضيَ الله عنه ما يأكُلُ الخمير، فيه مِثلُ الرياح، يشُقُّ عليه ذلك. فسارَ الحبيبُ محمّد والحبايب إلىٰ الدار، فخرجَتْ لهمُ الخادمةُ حِلَيمُون بمَكِيْلٍ إلىٰ الضِّيقة(٢)، وتعشَّوا وسَاروا.

واتفقَ ثاني يوم جاء عندَه الحبيبُ علوي الجفْري(٣)، من آل الحاوي، جاء من السفر، معَ وصولِ رأسِ غنمٍ وبُر للحبيبِ أحمدَ من بعضِ الناس.

---

(١) من بيتٍ من القصيدة البائية، تمامه:

وهْيَ التي صَغُرتْ قدْراً وما وزَنَتْ   عنـدَ الإلهِ جناحاً فالحريـصُ غبـيْ

(٢) أي: فراش من الخوص يجلسون عليه عند مدخل الدار.

(٣) تقدم ذكره وذكر هذه الواقعة في موضع سابق.

فقال لهم: لَقُّوه كلّه للحبيب علَوي، وقال له: إن نحن مجرِّبين إذا جيت عنـدَنا تيسَّر لك الإكرام. فانظُروا إلىٰ عدم تكلُّفِه رضيَ الله عنه، ما قال: با أتكلفْ لأولادِ شيخي، لأنّ الكبارَ يعاملونَ الله بالصدْقِ الصِّرْفِ. رضيَ الله عنه.

❋ ❋ ❋

وقال رضيَ الله عنه: الوَهْمُ حجابُ الفهم، مَن قويَ إيمانُه زادَ امتحانُه، من لا عُزلةَ له لا عِزَّ له.

□ كان في أولِ أمْرِ سيدِنا محمّد بن سُميط من ورْدِه كلَّ يوم جزءٌ من «الإحياء» وقرأ «الإحياءَ» سيدُنا الحسنُ بنُ عبدِ الله الحدّادُ نحوَ سبعينَ مرة، فهذه طريقةُ سَادتِنا آل أبي علوي، اِلزَموها، فهي الطريقةُ المُثْلىٰ.

وقد كان بالوادي، وبالرَّبعِ والحِمَىٰ رجالٌ مصابيـحُ الوجـوهِ نجومُ[1]

إلىٰ آخرِه.

❋ ❋ ❋

وقال رضيَ الله عنه عندَ قولِ رسولِ الله ﷺ فيما رواه أبو الدرداءِ رضيَ الله عنه : «من قال سبعَ مرّات: ﴿فَإِن تَوَلَّوْاْ فَقُلْ حَسْبِيَ ٱللَّهُ لَآ إِلَٰهَ إِلَّا هُوَ عَلَيْهِ تَوَكَّلْتُ وَهُوَ رَبُّ ٱلْعَرْشِ ٱلْعَظِيمِ﴾ [التوبة:١٢٩]، كفاه الله ما أهمّه من أمرِ آخرتِه ودنياه صادقاً بها أو كاذباً»، يعني بقوله: «صَادقاً» أي: أنها حَالٌ له، أو كاذباً بأنْ لَم يكُنْ حالاً له، لأنه ليس أحدٌ مكذِّباً بذلك. أو كما قال.

---

(١) «ديوان الحداد» (٤٧٦).

وقال رضيَ الله عنه: كان رجُلٌ يصلِّي إماماً بسيِّدِنا الحبيب عبدِ الله الحدّادِ وعادَه بالهجِيْرة[١] فتوفِّي، فرآه والدي عمر في المنام وهو خارج من ضَرَكِ الجبّانة بتَريم، فاتَّخذَ له أنه ميِّت، فقبضَه بقّوة، لأن الميتَ إذا حَدّ عَرَفه يهْرُب منه. فقال له: أخْبِرْني بأحوالِ البرزَخ ولا تُفزِّعْنا. فقرأَ قوله تعالىٰ: ﴿إِنَّ ٱلَّذِينَ قَالُوا۟ رَبُّنَا ٱللَّهُ ثُمَّ ٱسْتَقَٰمُوا۟ تَتَنَزَّلُ عَلَيْهِمُ ٱلْمَلَٰٓئِكَةُ أَلَّا تَخَافُوا۟ وَلَا تَحْزَنُوا۟ وَأَبْشِرُوا۟ بِٱلْجَنَّةِ ٱلَّتِى كُنتُمْ تُوعَدُونَ﴾ [فصلت: ٣٠].

فقال له الوالد: أحوالُ الأَحْياءِ مكشوفةٌ للأموات، فما الذي يوصُونَ به الأحياءَ لو أوصَوْهم به؟ فقال: عمارَةُ المال[٢]. فلمّا انتبهَ الوالدُ قال: فكرتُ في قولِه: (عمارةُ المال)، فعرفْتُ أنّ الأسفارَ أخطارٌ والأموالُ اشتبهتْ، ومن معَه مالٌ من أجْدادِه يكونُ حلالاً، فينبغـي أن يعتني بعمارتِه. أو كما قال.

* * *

وقال رضيَ الله عنه: نُوصيكم بأربعةِ كُتُبٍ الزَمُوها:

١ ــ كتاب «الحديقة الأنيقة» للشيخ الإمامِ محمد بَحْرَق.

٢ ــ وكتاب «مَقال الناصحين» للشيخ محمد باجَمَّال[٣]. وهذانِ الكتابانِ لا

---

(١) مسجد بتريم، كان الإمام الحداد لزم العبادة فيه من رمضان سنة ١٠٦١هـ، إلىٰ أن انتقل إلىٰ الحاوي سنة ١٠٩٩هـ، (٣٨) سنة.

(٢) أي: الأموال الزراعية.

(٣) «مقالُ الناصحين بحفظِ شعائر الدين» مطبوع، ومؤلفه الإمام العلامة محمد بن عمر بن عبد الله باجمّال، مولده بشبام، ووفاته بدوعن ببلدة (بضةْ) حيث هاجر شيخه لشيخ معروف، سنة ٩٥٩هـ.

تزالُ تُقرَأ في مجلسِ الحبيب عبدِ الله الحداد، إذا تَمّ شي منها سَبَّر فيه الثاني.

٣ــ وكتابِ «الدرّ الثمين» للحبيب عبدِ القادر بن شيخ(١) الذي وصَفَه الحبيبُ عبد الله الحدادُ في «العينية» [بقوله:] عبدُ القادر المتَضلِّع(٢). والكتابُ المذكورُ مقتضَبٌ من كُتُب الشيخ بَحْرق، وهو عجيب.

٤ــ والرابع «إتحاف النبيل»(٣) لسيدِنا الإمامِ طاهر بن حسينٍ نفَع الله به، ولطاهرٍ مزيَّةٌ علىٰ جدِّهِ طاهر بنِ محمدِ بْن هاشمٍ بتصنيفِ «إتحاف النبيل».

* * *

وقال رضيَ الله عنه: الطِّيْبُ يزيدُ في العقل، والعَقْلُ آلةُ الدِّين. ومفهومُه: أن عدمَ التطَيُّبِ يُضعفُ العَقْل، فإذا ضعُفَ ضعُفَ الدِّين، ولا عاد يُدْرِك فهمَ العلم. ويكفيك أنَ وَبيصَ المسْكِ(٤) [كان] يُرىٰ في مَفْرقِ

---

(١) «الدرُّ الثمين في المهمِّ من علومِ الدين»، تأليف السيد الجليل عبد القادر بن شيخ العيْدروس المتوفىٰ بالهند سنة ١٠٣٨هـ، صاحب «النور السافر».

(٢) وتمام البيت:

وسليلِـه ذاك العفيفِ وصِنْوِهِ ألحبرِ عبد القــادر المتضلـعِ

والعفيف المذكور في البيت الأول هو أخوه عبد الله بن شيخ (الأوسط) المتوفىٰ بتريم سنة ١٠١٩هـ.

(٣) هو كتاب «إتحاف النبيل ببعض معاني حديث جبريل» مطبوع بسنغافورة.

(٤) أي: بريقه ولمَعانُه عندما يضعه ﷺ في مفرق رأسه.

رسولِ الله ﷺ معَ طِيْبِ جَسَدِهِ الشريفِ، تشريعاً لأُمتِه ورحمةً بهم. التزموا الطِّيْبَ أنتم يا الكبار، وأمّا الصِّغَارُ: طيْبُهُم الغُسْلُ وتغسيلُ الثيابِ من الروائحِ الكريهة، لأن الطيب عَادُهْ ما هو لهم[١].

* * *

وقال رضيَ الله عنه مذاكرةً عندَ قولِ الإمامِ الغزاليِّ في «أسرار الحج»[٢]: «ينبغي أن يَذكُرَ بكلِّ عملٍ من أعمالِ الحجِّ عملاً من أعمالِ الآخرة». أو كما ذكَر.

قال سيدي: وكذلك إذا خرَج الإنسانُ من بيتِه يريدُ المسجدَ أو غيره، يذكُرُ ما يتأتّىٰ له من هذه الأحوال، فإذا استودَع أهلَه رُبّما يذكُرُ ربما أنه لا يعودُ إليهم. كما أن والدتَكَ يا فلان خرجَتْ إلىٰ مكانٍ فما رجعَتْ إلّا قاضيةً ماضية. وقَدِّرْ أن المجلسَ الذي تروحُ إليه بايجيْءُ الموتُ وأنْتَ فيه. فإنْ كانَك تفرَح بذلك فهو خير، وهكذا في كلِّ شي، اجعَلْ ذكْرَ الموتِ ميزاناً له.

* * *

وقال رضيَ الله عنه: إذا قُرِئَ علىٰ والدي رضيَ الله عنه قولُ رسولِ الله ﷺ: «رِعاء الشاءِ يتطاولونَ في البُنيان»[٣] يقول: يافع وآل كثير كانوا رِعْيان غنَم في أماكِنهم، تراهم يُشيدونَ المباني.

---

(١) بل هو قبيح فيهم؛ لأنهم ينشأون علىٰ التنعم والترفه، وهو خصلة قبيحة مذمومة.

(٢) أي: «الإحياء» (١: ٢٣٩) وما بعدها.

(٣) من حديث جبريل الشهير في «صحيح مسلم» برقم (٨).

وقال رضيَ الله عنه عندَ قولِه عليه السّلام: «الدنيا حُلْوةٌ خَضِرة»(١) يعني: عندَ القاصرين، وإلاّ فهي جيفةٌ قذِرةٌ عند العارفين.

قال سيدُنا عبدُ الله الحدّادُ في «حِكَمِه»: مَن نظَرَ إلىٰ الدنيا بعَيْنَيْ رأسِه رأىٰ غروراً وزُوراً، ومَن نظرَ إليها بعَيْني قلبه، رأىٰ هباءً منثوراً.

إن للــهِ عـبــاداً فُـطَنــا　　طلَّقُوا الدنيا وخافوا الفِتَنا
نظَروا فيهـا فلمّـا علِموا　　أنـهـا ليست لـحـيٍّ وطَنا
جعلـوهـا لُجَّـةً واتخذوا　　صالحَ الأعمالِ فيها سُفُنا

اللهمَّ أرِني الدنيا كما أرَيْتَها عبادَك الصالحين.

والمنغِّصاتُ هذه يا سيد عمرَ ـ يعني الحبيبَ عمرَ بن زينٍ الحبشي ـ التي عندَكم. من باب قولِ صاحب «الحِكم»: ذوقُك مِن ذواقِها ما يهّونُ عليك وجودَ فراقِها، لأن معَ الناس إقبال كبير علىٰ الدنيا، جاءتْهمُ المنغِّصاتُ رحمةً بهم، ما أدري لو تسَمَّحَتْ لهم:

* كم نِعَمْ طيَّ المصائِب(٢) *

* * *

هوِّن الدنيا لِـتَـهْنأَ العيش فيها:

---

(١) متفق عليه، واللفظ لمسلم (٢٧٤٢)، وفي البخاري بلفظ: «وإن هذا المال حلوة خضرة» (١٣٩٦).

(٢) من قصيدة للإمام الحداد.

هوِّن عليك نوائبَ الدَّهْرِ　　　يَهُنْ عليك كلُّ ما يجري[١]

إلىٰ آخر هذه القصيدة.

* قال الوالدُ رضيَ الله عنه: أوصىٰ سيدُنا عبدُ الله الحدادُ بها الحبيبَ زَينَ العابدين[٢]، وكان يُعظِّمُه الحبيبُ عبدُ الله الحداد، ويقولُ له: قراءتُك أنت والسيدِ أحمدَ بن زينٍ إلاّ تبـرُّك، وإلاّ الماشية إذا درَّتْ [ما] لها إلاّ الحَلْب. أو كما قال.

* * *

وقال رضيَ الله عنه عندَ قولِه عليه السّلام: «واحشُرْني في زُمرةِ المساكين»[٣]: يكفيهم فخراً لو قال: (واحشُرْهم في زُمرتي). انظُرْ إلىٰ أدبِه العظيم عليه السلام. وأنت لَوْ حَدّ قال لك: يا مسكين! ارتكزَت النفس، الزَمُوا المسكنة والخمول.

* من كلامِ سيدِنا عمرَ العطاس: الدفْنَ الدفْن، الخمولَ الخمول! ما عادْ شيء خالصْ لله. وكان حاله الخمول، ويحُثُّ سيدَنا عبدَ الله الحدادَ

---

(١) للإمام الحداد، «الديوان» (٢٨٤).

(٢) هو السيد العالم الفاضل زين العابدين بن محمد المصطفىٰ بن زين العيدروس، كان مثرياً بالهند، توفي بتريم سنة ١١٣٦هـ.

وسبب نظم الإمام الحداد هذه القصيدة له: أنه خرج فاراً من تريم بسبب تـكَدُّره مما حصل فيها من حوادث وأمور لم يطق الصبر عليها، فرحل إلىٰ دوعن، فأرسل له الإمام الحداد هذه الأبيات ضمن مكاتبة، فعاد حالاً.

(٣) رواه الترمذي (٢٣٥٢).

علىٰ الخمول. وضدُّه الحبيبُ محمدُ بن علَوي[١] نـزيلُ مكةَ شيـخُ سيـدِنا عبدِ الله الحداد، حالُه الظهور، ويحث سيدَنا عبدَ الله علىٰ الخمول لأنه تَعِبَ منَ الظهور.

وسُئلَ سيدُنا عبدُ الله الحدادُ عن قولِه في «التائية»: (ومنهم، ومنهم): مَن المنعوتُ والمشارُ إليه، من هم؟ فقال:

ومنهــمْ رجـالٌ ظـاهرونَ بأمْرِهِ   لإرشادِ هذا الخلْقِ نهْجَ الطريقةِ

لأن الدنيا دارُ صبر، وأمّا الآخرةُ دارُ شكر، صفةٌ أخرىٰ.

* قيلَ لمسكينةَ الدارميةِ في رؤيا: يا مسكينةُ، قالت: ذهبَتِ المسكنةُ وجاء العزُّ الأكبر.

* وكذلك الذي سُئل: ما هذه المِشْية؟ قال: هذه مِشْيةُ الخُدّامِ في دارِ السلام.

* * *

وقال رضيَ الله عنه: قيل لسيدِنا الحبيب أحمدَ بن زينٍ الحبشي: قد فعلْت المساجدَ والمدارسَ والتصانيف، وعادَكْ تِدَاحِنْ[٢] في السَّبيل؟

---

(١) هو السيد الجليل محمد بن علوي بن محمد بن أبي بكر بن علوي بن أحمد بن أبي بكرٍ السكران، الشهير بصاحب مكة، ولد بالشحر سنة ١٠٠٢هـ، وتوفي بمكة سنة ١٠٧١هـ، ترجمته في «الجواهر والدرر» للشلي.

(٢) أي: تزاحم.

يعني: سبيلَ الماء في شبام. فقال: يا ولَد أُمك، تاجِرُ الآخرة كما تاجر الدنيا، لو بايْحصِّلْ فايدة في حبال أَخَذَهنّ، وتاجرُ الآخرةِ مثلُ ذلك.

□ يقال: إن باصَبَاح سببُ تجارتِه في مِلح، أخذه رخيص، وبعدُ وقَعَ زمن، وغلي الملحُ حتىٰ كان يبيعُه بوزنِه سمْن.

قال سيدي: لأن المقصودَ القبول، والإخلاص يتأتّىٰ في الشيء الحقير ما لا يتأتىٰ في غيرِه من الكثير، أو ما هذا معناه. وأنتم لا تستحقرونَ شي في المعاونةِ علىٰ الدعوة، ولو بجَفْلة، لا تْخَلُّون الكُعْدِة تأخُذه كلَّه.

* * *

وقال رضيَ الله عنه: كان الحبيبُ عمرُ البار منَ الآخذينَ عن سيدِنا عبدِ الله الحداد، كان يقولُ له: يا بار؛ شيخَ دوعن. وبعد وفاةِ سيدِنا عبدِ الله أخَذَ نحوَ عشرينَ سنةً في دوعن، ثم جاء للزيارةِ إلىٰ عندِ الحبيب جعفرِ بن أحمد، فخرَج الحبيبُ محمدُ بن سُميط إليه بغاه يطلَع البلاد[1] ولم يقْدِرْ يقول له بحضْرة الحبيب جعفر، فعصَبَ كُمَّه بكُمِّه، فلمّا قام رأىٰ ذلك الحبيبُ جعفرُ فقال له: اطلَعوا للعَشاءِ عندَ السيد محمد.

فبقيَ الحبيبُ عمَرُ البار يتخبَّرُ الحبيبَ محمّد عن ماءِ البلاد: حُلْو أو قار؟ فقال له: قار! فقال الحبيبُ عمر: ما حُلْو في البلاد إلّا أنت، حصَل المطلوب.

ثم طلَع وتَعشَّوا، وخرَجوا للزيارة إلىٰ الجَرْب. فعَلِمُوا الناس،

---

(١) أي: شبام.

فخرَجُوا للزيارةِ معَهم، فلمّا رأىٰ كثرةَ الناس الحبيبُ عُمَرُ ضاقَ منهم، لأنه وحْشيٌّ وحالُهُ الخمول، قال للحبيبِ محمد بن سُميط: يا سيد محمّد، نقرأُ الفاتحةَ من هنا للأموات، هم أرواحٌ أخَفُّ منّا وجعَلَ يقول: الخلْقُ ما ركِبوا ظهراً إلّا ادبَروه، ولا جَواداً إلّا عقَروه، ولا قلباً إلّا خرَّبوه، يكرِّرُ هذا ثلاثاً، فقرأوا الفاتحةَ عندَ سِقَايةِ التربة، ومعادْ دخَلَ (الجرْبْ)، وانصرفوا.

وكان يؤثر الخمول، يخرُج للزيارةِ مع الشيخ عمرَ بنِ عبد القادر العمودي[١] رضيَ الله عن الجميع، ونفَع بهم، آمين.

* * *

وقال رضيَ الله عنه: الكبارُ مثلُ الحبيبِ عمرَ حامد وأضرابِه في زمنِ الحبيب عبدِ الله ما يزورونَ هُوْد، مُتغانِمين الحبيبَ عبدَ الله الحداد[٢].

وهم يتعارفون؛ كان الحبيبُ عليُّ بن عبد الله العيْدَروس[٣]، صاحب (سُورَتْ) يتكلَّم عندَ أصحابِه بسُورَتْ، ثم قال: السيدُ عبدُ الله الحدادُ يسمَعُ كلامي، ويتبسَّمُ منه، ورأىٰ سيدُنا عبدُ الله الحداد في المنامِ أنّ القطبَ انتقل، فلمّا انتبهَ سمعَ أنّ بعضَ السادةِ من أهل تريمَ توفِّي، فقالَ لمن عندَه بالرؤيا: ولكنـي ما أُراهُ هذا السيـد، وإنمـا هو السيـدُ عليُّ بنُ عبد الله

---

(١) من كبار فقهاء دوعن، وأحد تلامذة الإمام الحداد، توفي بقيدون سنة ١١٤٧هـ.

(٢) هذه فائدة نفيسة.

(٣) المتوفىٰ بسورت بالهند سنة ١١٣١هـ.

صاحبُ (سُورَت) واكتُمْ. فكان كما رأىٰ، حتىٰ في بعضِ مُكاتباتِه، فلمّا فَشا خبرُه بتَريم ــ يعني: خبَـرَ السيدِ عليّ ــ أشْعَر بذلك. أو كما قال.

* * *

وقال رضيَ الله عنه: ينبغي الردُّ علىٰ قارىءِ القرآن أولاً بما يُفْهِمُ أنه غَلِط، مِن غير لفظ كما عادة أهلِ شبام.

كان الحبيبُ أحمدُ بن زينٍ الحبشيُّ يقولُ لأهلِ (مسجدِ باعلَوي) بتَريم: رَدُّكم هذا علىٰ القارىءِ حَرام، لأنهم يخْجِفُونه[١].

□ كان بعضُ السادة ركيكَ[٢] الحفظ، يقرَأ في (باعلَوي) إذا حضَرَ الحبيبُ علَوي حامد أخو الحبيبِ عمرَ حامد يفْرَح، لأنه يَـقْدُمُ له في القراءة، فاتفقَ أنّ الحبيبَ علَوي قام والسيدُ يقرأ في (المُرْسلات)، فحينَ قامَ ردَّ عليه الحاضرونَ علىٰ عادتِهم، فما صَدَّق أنه يُتِمُّ المُقرَأ، ثم قام إلىٰ تحتِ المسْجِد، فلحِقَ الحبيبَ عمر حامد وقال له: أخوكَ قامْ وسَيَّبنا في ويْل ويْل[٣]، فقال: هُوَ الاَّ حَدّ طَرَّب عليه. فقال: لا، هو الاّ سيِّد خبيث خبيث.

□ وكان علوي المذكورُ قَوِيَّ الحفْظِ للقرآن، توفِّي في مكة، فحينَ حضَرتْ جنازَتُه عندَ الكعبة، قال رجلٌ من أهل الكشْف: هذا الفقيهُ المقدَّمُ دخَل بايصلِّي علىٰ السيد، رضيَ الله عنهم.

---

(١) أي: يربكونه.

(٢) أي: ضعيف.

(٣) أي: في آيات ﴿وَيْلٌ يَوْمَئِذٍ لِّلْمُكَذِّبِينَ﴾ في سورة المرسلات.

وقال رضيَ الله عنه: كان السيدُ مشيَّخ من آل مولىٰ الدّويلة، يجي عند سيدِنا محمد بن سُميط، يأخذ أيام في البيتِ عندَه، إذا خَرَجُوا له بغَدَاه قرص خَمِير، يرد نصفَه، ويقول: هذا أعطوه مسكين، والنصفُ يأكلُه.

* * *

وقال رضيَ الله عنه: هذه المذاكرةُ بعدَ كلِّ صلاةٍ في كلِّ مسجدٍ في العلِم الواجب، إن دامَتْ يظهَرُ لها أثرٌ كبير، ولو هو مجلسْ ساعة، لكن الدوام يؤثّر.

ولو كان من زمانِ القضاة العلمَاءِ، مثلِ القاضي أحمدْ باعشَرة، لكان الناسُ اليومَ فقهاء، وأنتَ يا فلان، قُل للحبايب أهلِ (سيوُن) يفعَلون مثلَ ذلك في كلِّ مسجد، بَلِّغوا الدعوة، ولا أرىٰ أحداً مُعوِّل علىٰ ما نُذاكِرْ فيه إلّا السيد محسن بن علَوي[1]، معُوِّل علىٰ الوالي وعلىٰ سيرةِ السلف، انظروا منظومَتَه[2] تدل علىٰ ذلك.

* * *

---

(١) الحبيب العلامة محسن بن علوي السقاف، توفي بسيون سنة ١٢٩١هـ.

(٢) وهي التي مطلعها:

نبا والي ــ علىٰ ما فيهِ ــ يظهَرْ   بهـذا الصقْـعِ والـوادي المـنَّـورْ

ينظر: «ديوانه» (١٨٥).

وقال رضيَ الله عنه: سيدُنا محمد ابن الحنَفية[١] بن علي بن أبي طالبٍ رضيَ الله عنهم أُمُّه غيرُ سيدتنا فاطمة.

ومِن كلامِه[٢] رضيَ الله عنه: ليس بحكيمٍ مَن لم يُعاشِرْ بالمعروفِ مَن لَم يَجِدْ مِن مُعاشرتِه بُدّاً، حتىٰ يجعَلَ اللهُ له فرَجاً ومخْرَجاً.

وقيل له: إنَّ أباكَ يَضَنُّ بالحسَنِ والحُسين، ويقدِّمُك للجهاد. فقال: الحسَنُ والحسينُ بمثابةِ عينيه، وأنا بمثابةِ يديه، فهو يتقي عينَيه بيديه! فانظُرْ إلىٰ عُظْمِ عَقْلِه رضيَ الله عنه ونفعَنا به.

* * *

وقال رضيَ الله عنه عندَ قولِه عليه السّلام: «ما مِن يوم يُصْبحُ العبادُ فيه إلّا وملَكانِ يُناديان» إلىٰ قولِه: «وأعْطِ مُمْسكاً تلَفاً»؛ قال بعْضُ العلماء: إنّ الملائكةَ لا تدْعو بِشَرّ، وإنما معناه: وَفِّقْهُ لإتلافِه في وجوهِ الخير. أو ما هذا معناه.

وعندَ قولِه عليه السلام: «ابنَ آدم، إنك إنْ تبذُلِ الفضْلَ خيرٌ لك» إلخ، الفضلُ الزائد، كما في قولِه تعالىٰ: ﴿وَيَسْـَٔلُونَكَ مَاذَا يُنفِقُونَ قُلِ ٱلْعَفْوَ﴾ [البقرة: ٢١٩]، يعني: الزائدَ علىٰ الكِفاية.

* * *

---

(١) هو محمد الأكبر، أمه: خولة بنت إياس بن جعفر الحنفية، نسبة لبني حنيفة، وقيل: بل هي من سبي الحنفية أهل اليمامة. توفي رضي الله عنه سنة ٨١هـ.

(٢) القائل هو: ابن الحنفية رضي الله عنه.

وقال رضيَ الله عنه: عظِّموا الإمامَ الغزالي، لأنه أبو آلِ باعلَوي. تدْرونَ مَن أبو آلِ با علَوي؟ هو: الإمامُ الغزالي، يُنسَبونَ إليه.

قيلَ للعيْدَروس: لِمَ لا تُصنِّفُ في الغزالي؟ قال: «كلامي» في الغزاليِّ تصنيف. وضمِنَ لمَن كتب «الإحياءَ» في أربعينَ مجلداً بالجنّة. فكتبَها تلميذُه باكثير[١] وزادَ علىٰ ما قالَه لكلِّ جزءٍ عِلاقةً كالخريطة، فقال: إنِّي زيَّدت، فأراه الجنةَ عِيَاناً. وقال له: سافرْ، معاذْ تسَعك حضرَموت. فسار إلىٰ مكة. أو كما قال.

ويقال: إنّ سِرَّ «الإحياء» في خُطَبِه[٢]، فمَن عجَزَ عن تحصيلِه كلِّه يحصِّلُ الخُطَب.

❊ ❊ ❊

وقال رضيَ الله عنه: استشارَ سيدَنا عبدَ الله الحدّادَ تلميذُه باغريب، في بناءِ مسجد. فقال له: إذا بنيتَه، لوِ انتسَبَ بناؤُه إلىٰ غيرِك خاطرك طيِّب؟ شف نفسَك. فقال: لا خاطري ما بايْطيب. قال له: اترُك عمارتَه. أو كما قال.

قال سيدي: بايعلِّمُه صحَّة النية.

❊ ❊ ❊

---

(١) هو الشيخ العارف عبد الله بن أحمد بن محمد بن عمر باكثير، المولود سنة ٨٤٦هـ، والمتوفىٰ بمكة سنة ٩٢٥هـ، ترجم له الحافظ السخاوي في «الضوء اللامع».

(٢) أي: افتتاحات.

وقال رضيَ الله عنه: إذا دامَ التذكيرُ في سَتْر العورة بالسراويل والخُفِّ يحصُل ـ إن شاء الله ـ ما بينَ بطاءٍ وسُرْعة، كما القحيف مَعَاذْ لَهُ ذِكْر قط، ﴿وَمَثَلُ كَلِمَةٍ خَبِيثَةٍ كَشَجَرَةٍ خَبِيثَةٍ ٱجْتُثَّتْ مِن فَوْقِ ٱلْأَرْضِ مَا لَهَا مِن قَرَارٍ﴾ [إبراهيم: ٢٦]، وكلُّها هكذا أمورُ الباطل، إذا جاء الحقُّ ذهبَتْ في سُرْعة، والثباتُ إلاّ للحق.

* * *

وقال رضيَ الله عنه: إذا قُرِئَت «فصولُ الختْم»[١] ـ المنسوبةُ لسيدنا عليِّ بن الحسين ـ عندَ الوالد رحِمَهمُ الله يقول: ما فيها شكٌّ أنها لسيدنا عليِّ بن الحسين، ويعجِبُه كثيراً فصل: «أتُراك تغُلُّ إلىٰ الأعناقِ أكُفّاً تضرَّعتْ إليك[٢]. . .» إلخ.

* * *

وقال رضيَ الله عنه: يقال: إنّ غنيمةَ الصادق غفلة الناسِ عنه.

□ كان الوالدُ رضيَ الله عنه إذا جاء السيلُ يفْرح، لأن غالبَ الناسِ يخْرُجُون يشوفون وهو مشتغل بربِّه والذي عليه، في فرْضِ الحقيقة والشرع المَصُون.

يُقال: مَن صَفا صُفِّيَ له. والفهمُ من أعظمِ المواهب، وإذا جاء الفهْمُ جاءَتِ العَشْقة والإرادة.

---

(١) أي: دعاء ختم القرآن الكريم المعروف بـ (الفصول).

(٢) وهو الفصل قبل الأخير.

وقال رضيَ الله عنه: كان سيدُنا الحبيب محمد بن سُميط يجيه ضارب[١] شديد جمّ جمّ، يأخذ به نصفَ شهر. فدخَلَ يوماً علىٰ سيدنا عبدِ الله الحدّادِ فسألهُ عنِ الضارب. فقال: بي بي الآن! فقال: فيمَ تطالعونَ بالليلِ منَ الكتب؟ فقال له: في كتابِ «سبيل الرشاد» لبازَرْعة «شرح الإرشاد»، فقال له سيدُنا عبد الله: السهَرُ باردٌ يابس، والفقهُ باردٌ يابس، طالعْ في «فتح الجواد»، واقصِدوا الله بالعلم لئلا تكونوا حطَبَ النار. وطالعْ في «الإحياء»، لأن التصوّف باردٌ رطْب، وخُصَّ كتابَ «ترتيب الأوراد» منَ «الإحياء» . أو كما قال.

❊ ❊ ❊

وقال رضيَ الله عنه: مِن كلام سيدِنا محمد بن زين بن سُميَط: أكثرُ ما يعجبُني من مناقبِ سيدنا عبدِ الله الحداد (البابُ السادس)[٢]. وأمّا الكراماتُ فنحفَظُ له شيئاً كثيراً، وقد قال له الحبيبُ أحمدُ بن زينٍ الحبشي: لعل تجْمَعُون ما تكلَّمَ به سيدُنا عبدُ الله خاصة، فجمَعَ ذلك. أو كما قال.

❊ ❊ ❊

(١) أي: صُدَاع.

(٢) أي: من أبواب كتاب: «غاية القصد والمراد». وهو الباب المحتوي علىٰ أوراد الإمام وترتيبه لها، وذكر عباداته وما إلىٰ ذلك، وقد أفرد في عدة مجاميع، منها: «ذخيرة العباد إلىٰ زاد المعاد» وهو مطبوع، و«الطريقة السهلة»، وغير ذلك. وللعلامة الحبيب طه بن عمر بن علوي الحداد: «إرشاد المجالس إلىٰ المقصود بالباب السادس» مخطوط بالأحقاف بتريم.

وقال رضيَ الله عنه، عندَ قراءةِ الحبيبِ عمرَ بن محمدٍ في كتاب ترتيب الأوراد من «الإحياء»: الإمامُ الغزاليُّ رشيدٌ في الأوقات، ارضُوا به رشيداً، ومثْلُه سيدُنا عبدُ الله الحداد، والعارفين بالله استرشِدوهم.

□ قال بعضُهم لسيدِنا الحبيب محمد بن سُميط: إذا باتطرح الدُّخون في المدْخَنة بُلَّهُ لأنه يمْدي، فجوَّبَ عليه بعضُ أهل البلاد: أنت غزاليُّ الدنيا، يعني: أن الغزاليَّ رشيدُ الآخرة.

وأنت يا عُمَرُ اعتَنِ بالعيال. علِّقْ هِمَّتَك بهم، فإنه إذا حُفِظَ الصِّغَرُ حُفِظَ الكِبَر، ووزِّعْ لهمُ الوقت، ولا يكون لهم لعبٌ إلّا بإذنِك؛ كما قال صاحبُ «رياضة الصبيان»:

وراحةُ الصِّبيانِ بعدَ المكتَبِ　　　أنْ يأذَنَ الوليْ لهم باللَّعِبِ[1]

ولا يصلُحْ يجالسونْ كلَّ الناس. قلْ لهم: جالِسُوا مثْلَ فلانٍ وفلان، لأن الطَّبْعَ يَسرِقُ منَ الطبع، وإن أبىٰ الطبع. كما قال عليه الصّلاةُ والسلام: «المرءُ علىٰ دينِ خليـلِه».

□ قال سيدُنا أحمدُ بن زين: أنا لِعيالي كالسُّلَحْفَاة، أُربِّيهم بحُسنِ النظَر، لأنها تعيشُ في البحرِ وأولادُها في البر، تحضنْهم بالنظر، لأن سيِّدَنا أحمدَ بنَ زين بخَلْع راشد وأولادُهُ بالغُرْفة.

□ وانظروا أولادَ الحبيبِ سقافِ بن محمد، كلُّهم أئمة: عبدُ الرحمن

---

(١) البيت رقم (٤٠) من «الرياضة».

ابنُ سقاف[١]، توفِّيَ صغير، حتىٰ أنا ما أتْـقَـنُهْ، كان علاَّمة، والحبيبُ عمرُ ابن سقاف، حَدّ يتْـقَـنُهْ منكم أو كلُّكم صغار؟ توفِّي سنةَ ١٢١٦. والحبيبُ علَويُّ بن سقاف[٢]، ومحمدُ بن سقاف[٣]، والحبيبُ حسنُ بن سقاف[٤]، وأولادُهمُ الآنَ متفقِّهين، والسبَبُ: حِفْظُ الصِّغَر.

وأنت يا عمر: إذا اعتنيتَ بالعيالِ أصبحوا ناس، واحْسِبهم جوهر حتىٰ تتحفَّظَ عليهم، لا تحسِبْهم خرَزْ فيضِيعون، أو كما قال وأستغفرُ الله.

* * *

---

(١) توفي سنة ١١٧١هـ، بسيون، في حياة والده.

(٢) توفي سنة ١٢٣٥هـ، تولىٰ القضاء.

(٣) توفي سنة ١٢٢٢هـ، تولىٰ القضاء.

(٤) توفي سنة ١٢١٠هـ.

وقال رضيَ الله عنه بعدَ صلاةِ العصر يوم الربوع خمس وعشرين شهرَ الحجةِ سنةَ ١٢٥٤هـ: اللهمَّ سَدِّدْ لساني واسلُلْ سَخيمةَ[١] قلبي، (مرتين).

القلبُ إذا تنوَّرَ اهتدىٰ بنورِ البصِيرة إلىٰ ما يُصلحُه مِن أمورِ دينِه ودُنياه، واللهُ سبحانَه وتعالىٰ خَصَّ الإنسانَ بالعقل المهتدي.

وهذ الفقيرُ المتوفَّىٰ ـ يعني: محمدَ بن سالم بن عوض بلفَقْيه اليتيْمَ[٢] غبرُ مكلَّف، ما بايُخاطَبُ بشيءٍ مما نحن مخاطبونَ به، اشكُروا نعمةَ العقلِ واعرِفوا شُكرَ العقل. ما جعَلَك اللهُ جماد ولا بهيمة، شرَّفَك بالعقل وكرَّمك، عاونوا علىٰ ما يُنعِشُ الدعوةَ إن كان فيكم عقل، واللهُ جلَّ وعلا خاطَبَ أولي الألباب. قال تعالىٰ: ﴿وَلَكُمْ فِي ٱلْقِصَاصِ حَيَوٰةٌ يَٰٓأُو۟لِي ٱلْأَلْبَٰبِ﴾ [البقرة: ١٧٩]، وإلاّ صِرْنا في حيِّزِ البهائم إذا ما تعاونّا علىٰ نصرِ الشريعة، كما قيل:

أراك وقد أضاءَ لك النهارُ ... عن النَهْجِ القويمِ لك ازْوِرارُ

وما لكَ لا تُفيقُ ولا جنونٌ ... فيعـذِرُكُ النصـيحُ ولا حِمَارُ

واتركوا التصيقاع والتسيباه، ما لكم حاجة به، دوِّروا لكم والي تَصلُح به أمور الدين والدنيا، ما تُعذَرون منه، ونحن ما بانيأس ولو أنتم تتصيقعون، نرجو من اللهِ يفتحَ بصائرَنا وأبصارَنا، آمين.

* * *

---

(١) السخيمة: ما يقع في القلب من حقد ونحوه.

(٢) آل اليتيم بَلْفَقْيه، كانوا بشبام، وقرض نسلهم.

وقال رضيَ الله عنه: نزِّهوا مضاربَ الجوابي، واغسِلوهُنَّ بأُشْنَانٍ أو نحوه مما يقطَعُ الرائحةَ الكريهة، فإنه من تعظيمِ حُرُماتِ الله. وطيِّبوا المسْجِدَ بالدُّخونِ الجاوي، حتىٰ يَعظُمَ في صَدْرِ الجاهل والعامِّي والصغير، يستأهلُ ذلك، أمَا هو بيتُ الله؟

* * *

وقال رضيَ الله عنه في مدْرَس الجمُعة بعدَ قراءة «وِرْد سيدِنا عبدِ الله الحداد» اللطيف، بعْدَ أعوذُ بكلماتِ اللهِ التامَّة، مِن كلِّ شيطانٍ وهامَّة، إلىٰ قولِه: «بلا حوْلَ ولا قوة إلاّ باللهِ العليِّ العظيم»، جمعاً جهْراً.

وبعدَ قراءةِ: الكَهْف إدارةً، ومن: ﴿إِنَّآ أَعْطَيْنَٰكَ ٱلْكَوْثَرَ﴾ إلىٰ آخر القرآن.

و«أستغفرُ الله العظيمَ الذي لا إلٰهَ إلا هوَ الحَيَّ القَيُّومَ غفّارَ الذنوبِ وأتوبُ إليه، توبة عبدٍ ظالمٍ لا يملِكُ لنفْسِه ضُرّاً ولا نفْعاً ولا موْتاً ولا حياةً ولا نُشوراً» (مرة) بيدِ الجمْع.

وكذلك: «أستغفرُ اللهَ لي ولوالديَّ وللمؤمنينَ والمؤمنات» إلىٰ آخرِ «الورْدِ الكبير» (مرة)، وفي بعضِ الأحيان (ثلاثاً أو سبعاً).

ثم: سبحانَ الله والحمدُ للهِ ولا إلهَ إلاّ الله والله أكبرُ ولا حولَ ولا قوةَ إلاّ باللهِ العليِّ العظيم، سبحانَ الله وبحمْدِه عدَدَ خلْقِه ورضا نفسِه وزِنةَ عرْشِه ومِدادَ كلماتِه، سبحانَك اللهُمَّ وبحمْدِك، أشهدُ أنْ لا إلٰهَ إلاّ أنت، أستغفرُك وأتوبُ إليك، وأسألُك أن تُصلِّيَ وتسلِّمَ علىٰ عبدِك ورسولِك ونبيك، سيدِنا محمدٍ وعلىٰ آلِه وصحبِه، أفضَلَ وأتمَّ وأدوَمَ ما صلَّيتَ علىٰ

أحدٍ من ملائكتِك المقرَّبينَ وأنبيائكَ المرسَلين وعبادِك الصالحين، وعلينا معَهم وفيهم، برحمَتِك يا أرحمَ الراحمين» (مرة).

«الحمدُ لله الذي هدانا لهذا وما كنّا لنهتديَ لولا أنْ هَدانا الله ﴿لَقَدْ جَآءَتْ رُسُلُ رَبِّنَا بِٱلْحَقِّ﴾ [الأعراف: ٤٣]، ﴿رَبَّنَا تَقَبَّلْ مِنَّآ إِنَّكَ أَنتَ ٱلسَّمِيعُ ٱلْعَلِيمُ﴾ [البقرة: ١٢٧]، ﴿وَتُبْ عَلَيْنَآ إِنَّكَ أَنتَ ٱلتَّوَّابُ ٱلرَّحِيمُ﴾ [البقرة: ١٢٨]، ربَّنا زِدْنا علْماً، وإيماناً ويقيناً وعَوناً، و﴿لَا تُزِغْ قُلُوبَنَا بَعْدَ إِذْ هَدَيْتَنَا وَهَبْ لَنَا مِن لَّدُنكَ رَحْمَةً إِنَّكَ أَنتَ ٱلْوَهَّابُ﴾ [آل عمران: ٨]، اللهمَّ إنّا نسألُك رضاك والجنة، ونعوذُ بك مِن سخَطِك والنار» (مرة).

ثم يُلقِّنُ بعضَ الحاضرين: «لا إلٰهَ إلاّ الله الملِكُ الحقُّ المُبين، محمدٌ رسولُ الله الصادقُ الأمين» (ثلاثاً)، ويرُدُّون عليه، ثم: «سبحانَ الله وبحمْدِه، سبحانَ اللهِ العظيم، لا إلٰهَ إلاّ الله» (ثلاثا). ويرُدُّون كذلك.

ثم يدعو سيدُنا بالدعاءِ بعد ذلك: «اللهمَّ ثبِّتْ عِلمَها في قلبي، واغفِرْ لي ذنبي، واغفِرْ للمؤمنينَ والمؤمنات، و﴿قُلِ ٱلْحَمْدُ لِلَّهِ وَسَلَٰمٌ عَلَىٰ عِبَادِهِ ٱلَّذِينَ ٱصْطَفَىٰٓ﴾ [النمل: ٥٩]، اللهمَّ كنْ بنا رؤوفاً، وعلينا عَطوفاً، وخُذْ بأيدينا إليك، أخْذَ الكرامِ عليك. قوِّمْنا إذا اعوَجَجْنا، وأعِنّا إذا استقَمْنا، وخُذْ بأيدينا إذا عثَرنا. اللهمَّ أصلِحْ لي ديني الذي هو عِصمةُ أمري، وأصْلِحْ لي دنياي التي فيها مَعاشي، وأصلحْ لي آخرتي التي إليها مَعادي، واجعَلِ الحياةَ زيادةً لي في كلِّ خير، واجعَلِ الموتَ راحةً لي من كلِّ شرّ. اللهمَّ اجعَلْ مُجتمَعَنا مُجتمَعاً مرحوماً، وتفرُّقَنا مِن بعدِه تفرُّقاً معصوماً، ولا تجعَلِ اللهُمَّ فينا ولا مِنّا ولا معَنا شقيّاً ولا محروماً. اللهمَّ لا تحرِمْنا خيرَ ما عندَك لشرِّ ما عندَنا، اللهمَّ ارفَعِ القحْطَ والغلاء، والجُورَ والفتنَ

والوباء، وجميعَ أنواعِ البلاء، مِن بلادِنا وجَهتِنا خاصَّة، وسائرِ بلدانِ المسلمينَ وجهاتِهم عَامّة، وصلّىٰ اللهُ على سيدِنا محمّدٍ وآلِه وصحبِه وسلَّم».

هذا ترتيبُـهُ في مَدْرس الجمعْةِ غالباً. وقد كان يقرأُ (المنجيات) ويدعو كثيراً، وبعْدُ اقتصَرَ علىٰ ما ذُكرَ إلى الآن، نفعَ الله به، ثم يقرَأُ القارىءُ في الكتاب.

* * *

فذاكَرَ رضيَ الله عنه علىٰ قراءةِ قولِه في «الحديقة»: «وصِلْ واسْمَح»[١] . . . إلخ.

فقال رضي الله عنه: وقعَتِ المذاكَرةُ في مجلسِ الوالدِ رحمَه الله فيما يتعلقُ بصلةِ الرحِم وقطْعِها، وفي المجلسِ المرحومُ عبدُ الله بنُ أحمد باذيب[٢] وفي ذلكَ الوقتِ كانوا من أهلِ البلاد ناس متقاطعين، فسارَ إليهم، وأصلَحَ بينَهم، ولا وقَع صلاةُ الجمُعة إلاّ وقد سَدَّ بينَهم وأصْلَح.

وأنتم كونوا كذلك، احزُرُوا ما قلْتُ لكم، إنْ حَد بينَه وبينَ قريبِه أو جارِه مقاطعة اعْذِلُوه، وأصلِحوا بينَهم، وإن أبىٰ قولوا له: لا أنت لنا ولا

---

(١) وهو (باب الثلاثة):

وصِلْ واسمَحْ لمَنْ أولاكَ قطْعا　　تفُـزْ بمكـارمِ الأخـلاقِ جمْـعا

وثالثُها اعفُ عن ظُلمِ المُبادي

(٢) هو الشيخ الفاضل عبد الله بن أحمد بن محمد باذيب الشبامي، توفي حدودَ سنة ١٢٠٠هـ.

نحنُ لك. كما قال عليه السَّلامُ في المُتَـهاجِرَيْن: «دَعُوهما حتىٰ يصطلِحا»[١]، تعاونوا علىٰ ذلك. خلُّوا هذه البلادَ تصلُح وتكون منوَّرةً مبارَكةً، لأن الهوىٰ يغطِّي صَاحبَه، وأنتم نبِّهوه وذكِّروه: ﴿فَإِنَّ ٱلذِّكْرَىٰ تَنفَعُ ٱلْمُؤْمِنِينَ﴾ [الذاريات: ٥٥]، ﴿فَذَكِّرْ بِٱلْقُرْءَانِ مَن يَخَافُ وَعِيدِ﴾ [ق: ٤٥].

فقال الحبيبُ حسَنُ بنُ صالحٍ لسيدنا: خاطِرْكم[٢]، بانجْمَعِ القبائل آل كثير، بانذكِّرهم، لأنه حصَل منهم تعدِّي وقتل للمساكين، مَعَ أنه رخاء، ما شي يأزِيْهُم علىٰ ذلك.

فقال له سيِّدُنا: بهمَّتِكم تصلُحُ جميعُ الأمور، ولعل يقَع تذكيرٌ في تعليم أولادِهم، الأولادِ والبنات، لأنهم قابلين، كما في الحديث: «كلُّ مولودٍ يولَدُ علىٰ الفِطرة»[٣] إلخ، ويرجعُ الصغيرُ يرُدُّ الكبير.

* ثم أمرَ سيدُنا بقراءة: «إذا شئْتَ تَحيا سعيداً مُعَان»[٤]... إلخ، لعل حَدّ بشْرَح مِن قولِه: «إذا شئت» إلىٰ آخرِ الفَصْل مِن أهلِ الفَضْل الموجودين.

* * *

---

(١) لم أجده.

(٢) كلمة تقال للاستئذان.

(٣) متفق عليه، البخاري (١٢٩٢)، مسلم (٢٦٥٨).

(٤) هي النونية الكبرىٰ المسمّاة: «عِقْدَ الدُّرر والجمان» تقع في (٥٧) صفحة في «ديوان الحبيب أحمد» (١٤٠-١٩٧)، نظمها هو وجملةٌ من معاصريه.

[التحذيرُ مِن شُربِ الدّخَان]

وسمِعتُه رضيَ الله عنه سابقاً يقول: التُّنباك مُنافي للسِّواك. ولا نقول: يَحْرُم، بل نقول: يُحْرِم مجالسَ الخير.

❋ ❋ ❋

ووجدتُ بخطِّه رضيَ الله عنه:

بِسْمِ ٱللَّهِ ٱلرَّحْمَٰنِ ٱلرَّحِيمِ

الحمد لله، وبهِ الاستعانةُ وعليه التُّكْلان؛

هذه فائدةٌ جليلةٌ منقولةٌ من «مجالس الحبيبِ عبدِ الله الحدادِ» علوي، الذي جمَعه الشيخُ أحمدُ بن عبدِ الكريم الشجّارُ الأَحْسائي، أحَدُ خواصِّ سيدِنا عبدِ الله الحداد، من كلامِ سيِّدِنا عبدِ الله الذي تكلَّم به في مجالسِه، وهي ما حكَاهُ الشيخُ أحمَدُ المذكورُ في «مجموعِه» المذكور، فقال:

(ذكر سيدنا عبد الله الحداد التُّنباكَ يوماً، فقال: إنّ عفْو الله عن العبد إلىٰ حدّ محدود، فإذ بلَغَه يقول له: رُحْ، ما عادْ أغفرْ لك ولا أعفو عنك، فيقطَعُه اللهُ من عفوِه ورحمتِه، لأنّ من الذنوبِ ما لا يغفرُه الله.

ثم قال: إنّه إذا تعوَّدهُ الإنسانُ صَارتْ طبيعتُه عليه، فيتغيرُ طبعُه وعقلُه. والأصَحُّ: أنّه يَحْرُم، لأنه يزيلُ العقل، وذكَرَ شيئاً من حكاياتِ مَن خفَّ عقلُه بسببه.

ثم قال: ومَن لم يُحَرِّمْه يقول: إنه إذا لم يَرِدْ فيه نصٌّ بالتحريم، فإنَّه حادث.

ومثله (الأفيون)؛ فمن تسبَّبَ في إتلافِ عقلِه مختاراً فإنه تجري عليه أحكامُ التكليف ومخاطَبٌ بها ولا يُعذَرُ فيها، سواءٌ أزالَهُ بخَمْرٍ أو غيره، ومنِ ادَّعىٰ ــ ممّن يستعْملُ التنباكَ ــ أنه لا يزيلُ العقْل، وطلبَ الجوازَ لذلك، فنقول: إنه مِن شأنِه أنه يُزِيْلُه. وما ثبتَ معَ تَـنَاوُلِـهِ له إلاّ بعدَ أن أزالَه مِراراً فلا يُعذَرُ فيه. أو كما قال. انتهىٰ كلامُ سيدِنا عبد الله.

* * *

قال الشيخُ أحمدُ المذكورُ بعدَ أن نقَلَ كلامَ سيدِنا عبدِ الله هذا: (أقولُ: رأيتُ نَقْلاً يقولُ ناقلُه: منقولٌ من «تفسير المقنع»[١] قال: كان هذا الدخانُ في زَمَنِ رسول الله ﷺ، حتىٰ انقطعَتِ المياهُ ويبِسَتِ الزروعُ والأشجار، وماتَ الناسُ من الجوعِ والعطش، وصَلَّوْا صلاةَ الاستسقاءِ معَ النبيِّ ﷺ، ولم يقبَلِ اللهُ صلاتَهم ودُعاءهم، وسألَ النبيُّ ﷺ ربَّه: «لِمَ لم تَقبَلْ صلاتَنا ودعاءنا»؟ فقال اللهُ تعالىٰ: «لا أُمطرُ المطر، ولا أُنبتُ الزرْعَ حتىٰ تقطَعوا هذا الدخان»، وطلَب الناسُ كلُّهم نبْتَ الزروع والأشجار، ونبعَ الماءِ والأنهار، أي: ترَكوه لطلبِ ذلك فانقطع، حتىٰ لم يكن يُعرَفُ بعدَ ذلك، فقال النبيُّ ﷺ: «يا أبا هريرة، يأتي أقوام، في آخرِ الزمانِ يداومونَ هذا الدخانَ وهم يقولون: نحن مِن أمةِ محمد، وليسوا من أُمتي، ولا أقول لهم: أُمَّة، لكنهم من الشوم».

(١) لم نقف عليه.

قال أبو هريرة: وسألتُ رسولَ اللهِ ﷺ: كيف نبتَ يا رسولَ الله؟ قال: «إنّ اللهَ خلقَ آدمَ وأمرَ الملائكةَ أن يسجُدوا لآدم، فسجَدَ الملائكةُ كلُّهم ﴿إِلَّآ إِبۡلِيسَ أَبَىٰ وَٱسۡتَكۡبَرَ وَكَانَ مِنَ ٱلۡكَٰفِرِينَ﴾ [البقرة: ٣٤] إلّا إبليسَ أبىٰ واستكبَرَ وكان من الكافرين، قال الله تعالىٰ: ﴿يَٰٓإِبۡلِيسُ مَا مَنَعَكَ أَن تَسۡجُدَ لِمَا خَلَقۡتُ بِيَدَيَّۖ أَسۡتَكۡبَرۡتَ أَمۡ كُنتَ مِنَ ٱلۡعَالِينَ . قَالَ أَنَا۠ خَيۡرٞ مِّنۡهُ خَلَقۡتَنِي مِن نَّارٖ وَخَلَقۡتَهُۥ مِن طِينٖ . قَالَ فَٱخۡرُجۡ مِنۡهَا فَإِنَّكَ رَجِيمٞ . وَإِنَّ عَلَيۡكَ لَعۡنَتِيٓ إِلَىٰ يَوۡمِ ٱلدِّينِ﴾ [ص: ٧٥-٧٨]، فعندَ ذلك خافَ إبليسُ فبالَ من الخوف، فنبتَ هذا الدخانُ مِن بَولِ إبليس»، فهلْ يستوي الإيمانُ في قلبِه مَن شَرِبَ بَولَ الشيطان، ولعَنَ مَن غرَسَها وفعَلَها وباعَها. قال عليه السّلام: «يُدخِلُهمُ النارَ»، وإنها شجرةٌ خبيثة[1]. انتهىٰ ما نقلْتُه من ذلك النقلِ المذكورِ استشهاداً بما فيه من الوعيدِ الشديد والتهديد، علىٰ قولِ سيدنا: الأصحُّ أنه يَحْرُم.

❊ ❊ ❊

وسمعتُه يقول: إن تاريخ حدوثِه (بغيٌ) يعني: سنة ١٠١٢هـ، يعني:

---

(١) هذا الحديث لا يصح البتة، بل هو موضوع. والتفسير الذي نقل عنه الشيخ الأحسائيُّ بالواسطة غير معروف، والله أعلم.

ولم يذكر أحد من العلماء المحققين أنّ الدخان كان يوجد علىٰ عهد رسول الله ﷺ مطلقاً، بل الكل أجمعوا علىٰ أن حدوثـه كان سنة ١٠١٢هـ، كما نُقل ذلك عن الإمـام الحـداد وغيـره. وأمـا كـونهـا شجـرةً خبيثـة. فهـذا ممـا لا شـك فيـه. وقـد صنـف العلماء في حكم الدخان وشربه كتباً كثيرة، من أجمعها: كتاب «إعلان الحجة وإقامة البرهان علىٰ منع ما عمَّ وفشا من استعمال عشبة الدخان» تأليف الإمام محمد بن جعفر الكتان الحسني المغربي، المتوفىٰ سنة ١٣٤٥هـ، وقد طبع محققاً.

تاريخَ ظهورِهِ بعدَ ما اندرسَ علىٰ ما تقدَّم مِن ذلك النقل، ورأيتُ ما صورتُه: سُؤالٌ في التَّتن، سئِل عنه الشِّهابُ القلْيُوبيّ[١]:

مــاذا يقـولُ الإمـامُ العالِمُ العَلَمُ ... في شُرْبِ قومٍ دُخَاناً هل هُمُ أثِمُوا
بِهِ، وهل هُوْ حرامٌ، أم يُباحُ لهمْ ... مـا الحُكْمُ فيهِ، أَفِـيدونا فترتَحِموا

الجواب:

بالحمدِ أَبْدأُ، بالتسليمِ استلِمُ ... أرضىٰ لطالبهِ الإفضالُ والنِّعَمُ
اسمَعْ جوابَكَ يا مَن جاء يسألُنا ... عن شُرْبِ نارٍ، غداً في النارِ يقتَحِمُ
فيَحْـرُمُ الشـربُ للـدخَّـانِ أجْمَعِـهِ ... أيضـاً، وفيـه خِصـالٌ كلُّهـا نِقَـمُ
فيشَغَلُ القلبَ عن تسبيحِ خالقِنا ... يسَوِّدُ الدمْعَ، والأمْوالُ تنصرمُ
يَنوحُ شاربُه يومَ الحسابِ إذا ... جـاءَتْ صحـائِفُهُ مسوَدَّةً عـدَمُ
ما قـال: هـذا حلالٌ، عَالِـمٌ أبداً ... قطُّ منَ الإنسِ، لا عُرْبٌ ولا عَجَمُ
من قال: هذا حلالٌ، جاهِلٌ أبداً ... أو قال: هذا مُباحٌ لم يصِرْ حَكَمُ
مَن رَدَّ قوليَ هذا ضَلَّ عن طرُقٍ ... أيضاً، عنِ الحقِّ في آذانِه صَمَمُ
فنسألُ اللهَ ربَّ العرْشِ موُجِدَنا ... بالخيرِ يُبْدي وبالإيمانِ يختتِمُ

تم ذلك؛ وإنما أطلْنا الكلامَ في ذلك: لكونِه انتشرَ منَ الخلقِ وطارَ

---

(١) هو العلامة الفقيه أحمد بن أحمد بن سلامة القليوبيُّ المصريُّ الشافعي، توفي سنة ١٠٦٩هـ.

كلَّ مَطار، لعل إنساناً إذا سِمعَ قولَ سيِّدِنا وما في ذلك النقْل، وما أفتىٰ به الحَبْرُ الشهابُ القلْيوبيُّ[١] أن يرْعويَ قلبُه عنه ويترُكَه.

* وممّن أفْتىٰ بحُرْمتِه أيضاً: سيدُنا الحبيبُ أحمَدُ بنُ عمرَ الهندوان وكانُ يشنِّعُ علىٰ شاربِه، ويكفيه هؤلاءِ الشهودُ العدولُ عن تسويلِ الشيطانِ له بشُربه.

انتهىٰ ما نقله الشيخُ أحمدُ المذكورُ عن الحبيب عبدِ الله الحداد، عن المنقولِ الذي يقولُ ناقلُه: إنه منقولٌ من تفسيرِ «المُقنِـع» الكبير، وفتوىٰ شهابِ الدين القلْيوبي. انتهىٰ.

* * *

قال الشيخُ أحمد المذكور «في مجموعِه» المذكور: وأوصىٰ سيدُنا عبدُ الله الحدادُ رضيَ الله عنه بعضَ المسافرين، فقال: (اللهَ اللهَ في الطاعةِ والهمّة، وطلبِ الدِّينِ والآخرة، فإنّ مَن سعَىٰ في طلبِ الدينِ والآخرةِ يسَّرَ الله له دُنياه وآخرتَه، ومَن سعَىٰ في طلبِ الدنيا وترَكَ دينَه وآخرتَه فاتتْه الدنيا والآخرة.

وقدِ انقلبَتْ همَمُ الناسِ إلىٰ ما لا يُهتمُّ له، واستغرَقوا فيما لا يُستغرَقُ فيه، لأن كلَّ واحدٍ إنما يستغرِقُ فيما يَهُمُّه خاصَّة، وكلٌّ يهُمُّه ما لا يهمُّ غيرَه، علىٰ مقتضىٰ غرَضِه، قَلَّ ذلك أو كثُر. وقد جعَلوا الآنَ همَّهم همّاً واحداً، وهو طلبُ الدنيا، حتىٰ استغرَقوا في ذلك عن أمرِ

---

(١) وينظر «حاشية القليوبي: علىٰ شرح المحلي علىٰ منهاج الطالبين» باب النجاسة.

دينِهم وآخرتهم، ولولا أنْ مَنَّ علىٰ الناس بالحِزْبِ[١] لذَهَب بهمْ استغراقُهم حتىٰ لا يعرِفوا يومَ الجمُعة)، انتهىٰ.

* * *

وقال الحبيبُ عمرُ بنُ زين بن سُميط: معنىٰ حبِّ الدنيا المذموم: حُبُّ طُولِ البقاء فيها. ويدُلُّ عليه قولُه عليه السَّلامُ في الدعاء: «اللهُمَّ لا تجعَل الدنيا أكبرَ همّي». انظُرْ قولَه عليه السلام: «أكبرَ همّي» ولم يقُل: لا تهمُّني، لأنه قد يهتمُّ بها لإصلاحِ دينِه، فإذا اهتمَّ بها لذلك يسيراً صارتْ كالخَدَّامةِ للدِّين، فيقنَعُ بالكفاية، فإذا حصَّلها تفرّغ للآخرة، وهي التي طلبَها عليه السّلامُ لأهلِ بيتِه في قولِه عليه السّلام: «اللهُمَّ ارزُقْ آلَ محمّدٍ قُوتاً [كفافاً]»[٢] يعني به الكِفاية، والكفايةُ ما هيَ من الدنيا، لأنها تُعِينُ علىٰ الآخرة.

* * *

وذكَرَ سيدُنا قصةً، وهي: أنْ بعضَ الناس كان لا يترُكُ حضورَ مجلس سيدِنا الحبيب أحمدَ بن زينٍ الحبشي، فلمّا كان بعْضُ السنينَ انقطَعَ منَ المجيْء إليه، فقال له لمّا عاد إليه بعْدَ عام: لماذا انقطَعْتَ من المجي إلينا؟ فقال له: ما سبَبُ انقطاعي عنك إلاّ أنني كلَّ سنةٍ تحصُلُ معي كفايةٌ من التمر. فلمّا كان العامُ الماضي ما حصَّلتُ شيء، فتشَتَّتُّ لذلك، فلمّا

---

(١) لعله يعني: حزب القرآن الذي يعقد في مساجد حضرموت فيما بين العشاءين.
(٢) رواه مسلم (١٠٥٥).

كان هذه السنةُ رزَمْتُ زيراً منَ التمر، علىٰ قامتي طُولُه، فإذا أردْتُ أن أجيءَ المجلسَ عندَكم ضربْتُ عليه بيدي، وقلتُ له: يا عِمَاد الدِّين، فأُعجِبَ بذلك سيدُنا أحمد. انتهىٰ.

* * *

وقال سيدُنا عبدُ الله الحدّادُ نفَع الله به: الجُهَّال صِغَارُ العقول، لا تخالِطْهُم، فإنهم كالنَّار، ولا تجي طريقتَهم، وتنحَّ منهم مثلَ ما تنحَّىٰ النبيُّ ﷺ من أبي جهلٍ وأمثالِه، إلاّ أنّ أولئك كفار، والجاهل ما يرجع من شيء.

* * *

وقال رضيَ الله عنه: ينبغي أن يُـترَكَ السوءُ وأعمالُ السوءِ من أول مرة، لئلا يتحكمَ فيعْسر إذ ذاك ترْكُها. وقد جعَلَ الله لك علىٰ نفسِك بصيرة، وجعَلَ لغيرِك من أُولي البصائرِ عليك بصيرة، حتىٰ ينتهيَ ذلك إلىٰ العلماء، ثم إلىٰ الأنبياء، ثم إلىٰ الملائكة، ثم إلىٰ اللهِ تعالىٰ.

ثم تكلَّمَ بعدَ ذلك في التُّنباك، فقال: الأَصَحُّ أنه يحْرُم.

* * *

وقال رضيَ الله عنه: اِلزَقْ بالأرضِ تواضعاً، فإن الله ما خلَقَ الخلْقَ إلاّ ليتواضعوا لعظمتِه، وإلاّ فخزائنُه مملوءة عملاً، ولا اعتراضَ علىٰ المُتَواضِع، وما يجِدُ المعترض[١].

---

(١) كذا في الأصول.

وقال: الترفعُ علىٰ لسانِ الحالِ ولسانِ المَقَال مذمومٌ جدّاً، ولا بدَّ لمَن ترفَّعَ من الضِّعَة، ولا بدَّ للمتواضعِ من الرِّفعة، كما قيل:

تواضَعْ تكنْ كالنجمِ في أفُقِ العُلا ... يَـرَىٰ طبقاتِ الأرْضِ وهْوَ رفيعُ

ولا تَـكُ كـالدخّـانِ يرفَـعُ نفسَـهُ ... إلىٰ طبَـقـاتِ الجَـوِّ وهْوَ وضيعُ

انتهتِ الفوائدُ التي طُلبْتَ منّي أن أنقُلَها، وأنت خلٌ حَدّ ينقُلها بخطّ مَليـح، وأضِفْهـا إلىٰ الكتاب المجمـوع الذي معَـك، «الحِليـة» و«البداية» و«أبي شجاع».

❊ ❊ ❊

وقال سيدُنا عبدُ الله الحداد: المسافرُ مُعان، سواءٌ كان سفرُه في بَـرٍّ أو بحر، إلاّ أنّ عليه أن يحرِّرَ النية، لئلا يضيعَ سَعْيُه، فإنّ المسافرَ سفراً مُباحاً سعيُه ضائع، وكذا المسافرُ لزيارةٍ أو حجّ، إذا لم تصحَّ النيةُ سَعْيُه ضائع، ومعلوم أن مَن حَجَّ أو جاهَدَ مُرائياً أنّ سعْيَه ضائع،والرياءُ هو: الفعلُ بالقصْد، إذِ الخواطِرُ التي تخطُرُ من غيرِ اختيار، فإنّ قلوبَ الضعفاءِ تكثُـرُ فيها الخواطِرُ من هذا الجنس، حتىٰ ينجلِي القلبُ وقليلٌ خطُورُها في قلوبِ المتقين، فإذا خَطَر فيها خاطرٌ نادرٌ بادِرْ إلىٰ الرجوع. وهو معنىٰ قولِه تعالىٰ: ﴿ إِنَّ ٱلَّذِينَ ٱتَّقَوْاْ إِذَا مَسَّهُمْ طَٰٓئِفٌ مِّنَ ٱلشَّيْطَٰنِ تَذَكَّرُواْ فَإِذَا هُم مُّبْصِرُونَ ﴾ [الأعراف: ٢٠١]، وذلك لحَتَّىٰ يتخلىٰ القلْبُ وينخلعُ عن كلِّ ما سوىٰ الله، وذلك هو الكبريتُ الأحمرُ الذي يَعِزُّ وجودُه ويُتحدَّثُ به ولا يوجَد.

انتهىٰ كلامُ سيدِنا عبدِ الله الحداد.

❊ ❊ ❊

قال سيدُنا محمدُ بن سُميطٍ في معنىٰ قولِه تعالىٰ: ﴿إِنَّ ٱلَّذِينَ ٱتَّقَوْا۟ إِذَا مَسَّهُمْ طَٰٓئِفٌ مِّنَ ٱلشَّيْطَٰنِ تَذَكَّرُوا۟﴾، أي: تذكَّروا العقوبة، وإلاّ المثوبة، وهو ذكْرُ القلب. مثاله: إذا أرادَ أن يغِشّ أحداً تذكَّرَ العقوبةَ من الله، فمنَعَه ذلك منَ الظلمِ أو الغِش، فهذا داخلٌ في الذكْر، انتهىٰ ما وجدْتُه بخطِّ سيدي(١)، رضيَ الله عنه ونفَع به.

* * *

---

(١) القائل: هو الشيخ دحمان لعجم باذيب، رحمه الله.

وقال رضيَ الله عنه: لمّـا أردْتُ قراءةَ «نظم مقدمةِ الدَّعْوة التامة»[١] للشيخ عبدِ الله بن سعدِ بن سُميـر ــ وكان ذلك النظمُ بإشارتِـه رضيَ الله عنه ــ قـال: بانقرأ الفاتحـة أولاً أنّ الله يمتِّـعُ بالمعلِّم عبدِ الله، هو من المعاونينَ علىٰ الدعـوة، ويسمىٰ قُرَّةَ عين. هيّا إن كان فيكم همّة، فضْلُ الله مبذول، وكرَمُه واسعٌ لمن طلَب، ما هو مخصوصٌ بحَدّ.

الفاتحةُ أنّ الله يُعافيه ويسلِّمه، وينفَعُنا بالزيان؛ وبعدَ قراءةِ الفاتحة دعا بهذا الدعاء: «اللَّهـمَّ متِّعْنا بخِيارِنا، وأعنَّا علىٰ شرارِنا، واجعَلْنا خِياراً كلَّنا».

* * *

(١) من هذه المنظومة عدة نسخ في شبام، ومنها نسخة بتريم بمكتبة الأحقاف رقمها (٢٩٤٧).

وقال رضيَ الله عنه: أخشىٰ ــ مِن دخولِ القهوةِ المسجدَ ــ سوءَ الأدب، لأنها تَظْهَرُ النفوسُ عندَ ذلك، والتلويثُ للمسجد.

❋ ❋ ❋

وقال رضيَ الله عنه: مِن أقربِ أسبابِ الفرَج: أن يُفْعَلَ مَدْرَسٌ بعدَ كلِّ صلاةٍ في كلِّ مسجدٍ في كُلِّ بلدٍ في العِلْم الواجب، ولو ما طال. أقربُ أسبابِ الفرج ودَفْعِ تسلُّطِ الظلَمةِ هذا، لأنْ ما سبَب كل مخالفة إلاّ الجَهْل، وإذا وقَعَ التذكيرُ كلٌّ تذكَّرَ وذَكَّر. وأنشَدَ:

إذا كان دائي أصلُه البعدُ عنكُمُ فـإنَّ دوائـي قـرُبُـكـمْ، وشِـفائي

الجَهْلُ أصْلُ كلِّ فساد، وبالعلمِ تتنوَّرُ البصائر، عسىٰ التوبةُ والرجوع. وإذا عِلِمتُم مقاطعةً بينَ قرابةٍ وجيران، أصلحوا بينَهم بكلِّ ممكن، ولا تُخلُّونْ لحَدّ كلام، وإذا ما طاعوا اترُكوهم كلَّهم حتىٰ يْسدُّون.

□ وكان الأولون كلام آخر، جاء بعضُهم إلىٰ الوالدِ رضيَ الله عنه وقال له: إنّ فلاناً بينَه وبينَ قرابتِه وحْشَة، لعل وتُرسل له وتردُّه. فقال الوالد: إنّ ما بيني وبينَه مُخالطة. فاتفقَ مدْرَسٌ وحضرَ الرجلُ المذكور، ووقعَتِ المذاكرةُ في ذكْرِ صلةِ الرَّحِم، فلمّا خرَج الرجلُ المذكورُ قال لولدِه: شِلّ دَيْر والحَقْنا إلىٰ عند آل فلان، يعني المتقاطع هو وإياهم. تأثَّر بالتذكير بحالِ الساعةِ ببركةِ نيةِ المذكِّر.

والآنَ أهلُ الزمان بينَهم تقاطعٌ وتنافر، وقسَتِ القلوبُ وانتُزِعَتِ الرحمة. زمانُ شرٍّ ونميمة، لأجْلِ هذا، ما قام لهم والي يُصلحُ أمورَ دينِهم

ودنياهم، لأنّ: «الراحمونَ يرحَمُهمُ الرحمن، ارحَموا مَن في الأرضِ يرحَمْكم مَن في السماء».

والأصلُ ضياعُ التربية، وأنت يا معلِّمُ محمد[١]، عَلِّم الصغارَ الأحاديثَ التي تتعلقُ بالصِّلة، وإذا جاءتْ آيةٌ مثلَ قوله تعالىٰ: ﴿خُذِ ٱلۡعَفۡوَ وَأۡمُرۡ بِٱلۡعُرۡفِ وَأَعۡرِضۡ عَنِ ٱلۡجَٰهِلِينَ﴾ [الأعراف: ١٩٩]، فسِّرْها لهم، هذه الآدابُ القرآنيةُ والأخلاقُ التي فازَ بها الرجالُ الكُمَّل، والصغيرُ عادةْ قابلْ خلاف الكبير قد، بَاجْ، معادْ شي ينفَع فيه، أحْكِمُوا مبادي الأمور، كما قال أحمدُ باذيب[٢]:

ومَن رامَ إصلاحاً لعاقِبِ أمرِهِ فلا بدَّ مِن أنْ يُصْلِحَنَّ المَبادِيا[٣]

هذا البيتُ عليه مَدارٌ كبيرٌ في كلِّ شيء، خلُّوا الصغار ينشأون متأدِّبين متَواصلين، يسبِقُ إلىٰ قلوبِهم (ماء سَرْ) قبلَ (ماء عُقران) كما قيل:

أتاني هواها قبلَ أن أعرِفَ الهوىٰ فصادَفَ قلباً خالياً فتمكَّنا

وانظُروا كتابَ «أسنىٰ المطالب في صلةِ الأرحام والأقارب»[٤] للشيخ

---

(١) يعني به الشيخ محمد أحمد عبدون شراحيل.

(٢) هو تلميذ الحبيب أحمد. . قدمنا ذكره عند ذكر «نظم الخطبة» في موضع سابق.

(٣) من القصيدة اليائية التي مطلعها:

أَلا ما لسُبْلِ الحقِّ أضْحَتْ عوافيا وما لمَشيدِ الدِّينِ قد صارَ واهيا

وهي طويلة، تقع في (٩٦) بيتاً.

(٤) وهو مطبوع.

الإمامِ أحمدَ بن حجر، صَنَّفه في واقعة، وهي: أنّ بعضَ المنْظُورين(١) في (مكة) وقعَتْ بينَهم شحناءُ واتسعَ الخَرقُ، فقام الشيخُ في ذلك وأصلحَ بينَهم، وبعدَ ذلك صنَّفَ الكتاب المذكور.

وودَّيت أنّ المعلمَ عبدَ الله يختصرُه في نحوِ كُرّاسَين أو زايد، لأنه كتابٌ كبيرٌ وسَّعَ فيه الشيخ، وإذا اختُصِرَ حَصَل به التذكيرُ في الجموع(٢).

❋ ❋ ❋

وقال رضيَ الله عنه: اعرِضوا كلامَنا الذي نذاكر به علىٰ «الإحياء»، إن خالَفَه قولوا لي كما قال القائل: أَبَـيْتَ أن تسمَعَهُ إلاّ من الجُنَيد، شوكم خالفْتـوا «الإحياء»، بل خالفتوا النبـيَّ عليه السّـلام في كلامِـه، والقرآنَ العظيمَ تتلونَه، والناسُ في رقَاب الأعيان، حَسْبُهُمُ الله يوم باينكرون الشمس بأفعالِهم، ولو قالوا حق بأقوالهم، لكنّ أفعالَهم مخالفةٌ لأقوالهم، وذلك في شَأنِ سَتْر أرجُلِ الخوادم والحرَّافينَ بالخُف(٣).

---

(١) أي: الأعيان الذين عليهم النظر.

(٢) وقد قام الشيخ عبد الله بن سعد باختصاره حسب إشارة الحبيب أحمد، وسماه: «كافي الطالب في اختصار أسنىٰ المطالب». منه نسختان بمكتبة الأحقاف بتريم، إحداهما برقم (٢٦٠٢)، والأخرى برقم (٢٧٨٦).

(٣) وقد كان الإمام أحمد بن عمر رحمه الله يأمر معلم المسجد الجامع أن يأتي بهذه الأبيات إذا نادىٰ للصلاة في الثلث الأخير من الليل، وهي قوله:

كـل مـن يتـقـي مولاه ظـاهـر وخـافـيْ   يعمل أخفاف لاهلـه والخـوادم ضـوافي
أو خِرَق طُبِّقَت من تحت سرموج ضافي   حكم ذا عام بين أهـل الطـرر والكوافي

وأنتم يا أهلَ شبام إذا عمِلتوا بذلك عمِلوا به باقي آلِ حضرَموت، لا تقَعون كما الحصاة في فمِ الوادي، لا هي شرِبَتِ الماء، ولا تركَتْه يخرُج يَسْقي الناس، كما قالَه الحبيبُ عبدُ الله الحدادُ في «الدعوة».

وكلامي هذا حَدّ يستمحِلُه، وحَدّ يستملِحُه: يرىٰ أنه مليح. ومَن لا له رغبةٌ في المعاونة وفيما نُذاكرُ به، ويرىٰ أنه ثقيلٌ عليه لا يُكْثِرِ الاختلاف علَيَّ، يكذب علَيَّ وأكذِب عليه، إن شيء معاونة حيًّا به، ولو ما جاءْ أرسلْتُ له، وبانلْقِيه علىٰ الرأس، وإنْ هِي إلاّ صُحبَة كَذِب، وصحْبَة حَمَّارة، خلُّوا لكلٍّ حالَه، ما لكم حاجةٌ بمجلسي، كلامي ثقيلٌ ثقيل، عسىٰ اللهُ يشرَحُ الصدور، آمين.

وتعلَّموا البكاء، كما قال عليه السّلام: «إنْ لم تبكُوا فتَباكَوْا»[١]، «أمْـلُكْ عليك لسانَـك، ولْيَسَعْـكَ بيتُـك، وابْـكِ علىٰ خطيئـتِك»[٢]. أمَـرَك بالبكاءِ عليه السلام، ابْكِ خيراً لك،ولا تفرَحْ بالدنيا ﴿إِنَّ ٱللَّهَ لَا يُحِبُّ ٱلْفَرِحِينَ﴾ [القصص: ٧٦].

* * *

= والحِرَفْ والسواد والبوادي الجلافِ

ينظر: «تقريب الشاسع في ترتيب وظيفة الجامع» للشيخ المعلم محمد بن عوض عقبه سديس، المطبوع بذيل هذا المجموع.

(١) رواه ابن ماجه (١٣٣٧).

(٢) رواه الطبراني في «الكبير»: (٩: ١٠٢) (٨٥٣٦).

وقال رضيَ الله عنه: إذا شرِبَ الإنسانُ القهوةَ وغيرَها من الأمورِ العادية، ينوي هذه النِّيَّاتِ التي ذكَرَها سيدُنا عبدُ الله الحداد، في قوله:

واجعَـلْ إلـهيَ هذا عَوْناً علىٰ كلِّ خيرِ(١)

إلىٰ آخر الأبيات: لعل نورَ هذه النيَّةِ تُطْفِىءُ ظُلْمَةَ الشهْوةِ من هذه القهوة وغيرها.

* * *

وقال رضي الله عنه: إذا اجتمَعَ جهْلٌ وَجاه، نعوذُ بالله، يبذلُ مالَه في تمامِ كَلِمته، ما بغاها تقْصُر، عادْ حُبِّ الجاه أعظم من حبِّ الدنيا، يَهْلِك ويُهْلِك، ويُذهِب دينَه ودنياه، وحبُّ الدنيا يُذهِبُ دينَه فقط.

كما قال سيدُنا عبدُ الله الحدادُ في «الحِكَم»: (حبُّ الدنيا يُذهِبُ الدِّين، وحبُّ الجَاهِ يُذهِبُ الدِّينَ والدنيا)، وقال عليه السلام: «ما ذئْبانِ جائعانِ أُرسِلا في زَريبة غنمٍ بأفسَدَ لها من حُبِّ الشرفِ والمالِ في دين المسلم(٢)»، أو كما قال عليه السّلام، اطلُبوا منَ الله الحِفْظ.

* * *

وقال رضيَ الله عنه: الوادي الميمون، يعني: المبارَك، كما قال سيدُنا عبدُ الله إلىٰ أن أتىٰ الواديَ المبارَكَ(٣)... إلخ، وبعضُ الناسِ

---

(١) «ديوان الحداد» (٢٨٩).

(٢) الحديث عند الطبراني في «الكبير»: (١٠: ٣١٩) (١٠٧٧٨)، و«الأوسط» (٧٧٢).

(٣) تمامه: =

الأغبياءِ يقلبُ اسمَ (حضرَموت) بكلمةٍ زِعْلة، يقول: (ضَرْطَطُوط)! نعوذُ بالله، لكن مَن يقولُ كذا يمَوتُ في الغربة، جاوة أو غيرها، ما تسَعُه حضرَموت، تَنْفيه؛ عَلِّموا أولادَكمُ الآداب.

* * *

وقال رضيَ الله عنه: قال الوالدُ رحمَه الله: أخبرَني سالمُ بنُ محمَّدِ ابنِ عوض لعْجَم قال: سرْتُ أنا ووالدي محمّد لَعْجم لزيارة هودٍ معَ الحبيب علي[1] (صاحبِ عينات)، بعدَ كتابٍ وصَلَ لنا منه، فجينا إلىٰ تَريم إلىٰ عندِ سيدِنا عبدِ الله الحداد، فأنكرَ مجيءَ الوالدِ محمد في ذلك الوقت، لأنه ما هُو حلٌّ مَجيئه. فقال له: لِمَ جئتُم؟ فأخبرَه أنه كَتبَ له السيدُ عليٌّ لزيارةِ هود. وجعَلَ يحكي له، والحبيبُ يردُّ عليه بصوتٍ لم يُفهَمْ. حكَاه لنا سيدي.

= إلىٰ أن أتىٰ الوادي المبارك فارتضىٰ ومَـدَّ بـه أطـنـابـه لـخـيـامِ

«الديوان» (٤٦١).

وادي ابن راشد منىٰ قلبي وراحـة الـروح والخـاطـرْ
لا زال مظلـول بـالسحـبِ مطلول من صيِّب الماطرْ
مخْضَـرّ بـالـزرْعِ والعُشـبِ يـروق للنفـس والنـاظـرْ
معمـور بـالعلـم والآداب والعـدل والبـر والشكْـرِ

(١) هو الحبيب المنصب الجليل علي بن أحمد بن علي بن سالم المهاجر بن الشيخ أبي بكر بن سالم، كان سيداً جليلاً عظيم المقدار، أخذ عن الإمام الحداد، توفي بعينات سنة ١١٤٢هـ.

فلمّا تَمّ كلامُه، قال له الحبيبُ عبدُ الله: الزيارةُ هنا، وإلاّ وقع لك لا أنتَ من حُورَة ولا الزَّعانين، فجلسَ والدي وامتَثل، حتىٰ رَجَعُوا من زيارةِ هود. وكانوا مَعَ رجُوعِهم يفعَلون مدْخَل في زَفٍّ إلىٰ عِينات. قال له: اخْرُجْ واحضُرْ مدْخَلَهم. فخرَج وحضَر. والحبيب علي المذكور تجيه حالة خوف، فجاءتْه ولم يشعُرْ بمن جاء للزيارةِ ومن لم يجىءْ.

قال سيدي أحمَد: انظُر اندراجه في الحبيبِ عبد الله، امتثَلَ أمْرَه، ولم يُبالِ بعتابٍ ولا غيره.

ثم قال: وكيفَ قولُهم: (لا أنت من حورَهْ ولا الزعانين)؛ قيل: إن كلباً تحيَّرَ عليه وقْتُ الغداءِ في حورة، فذهبَ إلىٰ الزَّعانين ليحضُر غداهم، فلمّا جاءَ وجَدَهم قد تغدَّوا، فرجَع إلىٰ حورة، فوجَدهم تغدَّوا، فاتَهُ ذَا وذَا. فصار مثلاً يُضرَبُ.

* * *

قال سيدي: وكان محمَّد لْعجم المذكورُ أودَعَه سيدُنا عبدُ الله الحدادُ «كتابَ البخاري» مع سَفَرِه إلىٰ شيءٍ من الأماكنِ ليُجلِّدَه، وكان محمدٌ المذكورُ معَ سفره يعبُـرُ تَريم، ومعَ رجوعِه كذلك، فلمّا رجَعَ وجاء بـ«البخاريِّ» مجلَّداً، قال له سيدُنا عبدُ الله: يا محمّد، لو جئْتَ لي بمركبٍ شاحِن من كلِّ غالي،ما فرحْتُ به كمثْلِ «البخاري»، أو كما قال.

فانظُرْ تعظيمَهُ لحديث رسولِ الله ﷺ، ولا بعدَ كلامِ الله إلاّ كلامُ رسولِه، فأكْثِروا من كُتُبِ الحديث.

* * *

وقال رضيَ الله عنه: ذو النفْسِ الكريمةِ أوّلَ ما يعاتِبُ نفسَه قبلَ غيرِه.

قال الشاعر:

ما عاتَبَ المرءُ الكريمُ كنفْسِه   والمرءُ يُصلحُه القرينُ الصالحُ

فالمَدارُ كلُّه علىٰ القرينِ الصالح. قال عليه السّلام: «المرءُ مِن جليسِه»، و«المرءُ علىٰ دِينِ خليلِه، فلينظُرْ أحدُكمْ مَن يُخالِل»، والأمرُ للوجوب.

اذهنْ بولدِك من مجالسةِ الدُّون، واختَرْ له الأمَّ الصالحةَ من منبتٍ حَسَن. قال عليه السّلام: «إياكم وخضراءَ الدِّمَن، المرأةُ الحسناءُ في المنبِتِ السُّوء»(١).

طلَبَ رجلٌ سيدَنا عليَّ بنَ الحسين أَنْ يأتي له بماءٍ يتوضأُ به، وهو لم يعرفْه، ظنَّه عبْداً لأنه أسَودُ اللون. فجاء به، فقيلَ له: إنّ هذا عليُّ بنُ الحسين. فاستحْيَا الرجلُ واعتَذَر إليه. فقال له: لا بأْسَ عليك، إنما هو علىٰ مَن وضَعَ ماءَهُ في امْرأةٍ سوداء(٢) ـ أو كما قال ـ ولم يضُرَّه

---

(١) رواه الدارقطني في الأفراد والرامُهُرْمُزيُّ والعسكريُّ في «الأمثال» وابن عَدِيٍّ في «الكامل» والقضاعي في «المسند»، «كشف الخفاء» (١: ٣١٩).

(٢) كانت أم زين العابدين عليه السلام من بنات كسرىٰ يزدجرد، من سبي الروم، واسمها (غزالة) أو (شهربانو).

وهي إحدىٰ ثلاث أَخَوات سباهن المسلمون أيام خلافة عمر بن الخطاب رضي الله عنه، قوِّمْنَ في سوق المدينة، فاشتراهن الإمام علي كرم الله وجهه، فأعطىٰ واحدة لعبد الله بن عمر بن الخطاب فولدت له سالماً، والأخرىٰ لابنه الحسين فأولدها زين العابدين هذا، وهو الأصغر، والثالثة لمحمد بن أبي بكرٍ =

السوادُ شيئاً، ما ضَرَّهم ما أصابَهم في الدنيا، جبَرَ اللهُ لهم كلَّ مصيبةٍ بالجنة.

* * *

وقال رضيَ الله عنه: إذا ماتَ عالمٌ ظهَرَ بدلَه ظالمٌ نِصْفَةً للعالِم، وإذا خرِبَ مسجدٌ من المسَاجدِ بُنِيَ حِصْنٌ للمَجْبَىٰ والظلمُ للمَجْبَىٰ.

وبعْضُ الناس يدخُلُ في الصلاةِ وهو خائِف من ظالم، وبعضُهم خائفٌ منَ الفقر، هذه المصيبةُ الكبيرة، خوفُ الفقرِ سكَنَ غالبَ قلوبِ الخلْق، صدَّقوا الشيطانَ ولا صدَّقوا الرحمن. قال تعالىٰ: ﴿ٱلشَّيْطَٰنُ يَعِدُكُمُ ٱلْفَقْرَ وَيَأْمُرُكُم بِٱلْفَحْشَآءِ ۖ وَٱللَّهُ يَعِدُكُم مَّغْفِرَةً مِّنْهُ وَفَضْلًا ۗ﴾ [البقرة: ٢٦٨]، يعني رزقاً. ينبغي للإنسانِ إذا قرأ ﴿لِإِيلَٰفِ قُرَيْشٍ﴾ يستحضرُ عندَ قولِه: ﴿وَءَامَنَهُم مِّنْ خَوْفٍۭ﴾: خوف الفقر.

قال الشيخُ أحمدُ الحَساويُّ تلميذُ سيدِنا عبدِ الله الحداد: كنْتُ جالساً في مدْرَسِ الحبيبِ أحمدَ بن عمرَ الهندوان، فقال: يا حسَاوي، ما الفقْرُ الذي استعاذَ منه رسولُ الله ﷺ يعني في قولِه: «اللهمَّ إني أعوذُ بكَ من الكُفرِ والفقر»؟ فأجبتُه بما سمعتُه من مُذاكرةِ سيِّدي عبدِ الله أنه: الذي يكونُ معَه الهلَعُ والجزَعُ والشكوىٰ. فقال: لا، ما هُو كذا. اسْألْ عنه حبيبَك، يعني: الحبيبَ عبدَ الله.

= الصديق فأولدها القاسم بن محمد، فهؤلاء الثلاثة أبناء خالة: وأنهم بهم، وأكرم بأصولهم، عليهم رضوانُ الله. «المشرع الروي» (١: ٨٨).

فلمّا خرجتُ مِن عندِه جئْتُ إلىٰ سيدي عبدِ الله، فلمّا دخلتُ عليه قال ليَ ابتداءً كشْفاً منه: ما بدا سألَكَ الحبيبُ أحمدُ الهندوان عن شيءٍ؟ فقلتُ له: نعم، هذا اليومَ سَألني: ما الفقْرُ الذي استعاذَ منه النبيُّ صلىٰ الله عليه وسلم؟ فأجبتُه بما أسمَعُه من مُذاكرتِكم. فقال له: إذا سألَكْ لا تْجيبه، قِل: اللهُ أعلم، أفيدُونا. ولم يقُلْ لي شيئاً. فلمّا كان المدْرَسُ الثاني سِرْتُ إلىٰ عندِ الحبيب أحمدَ الهندوان، فأعادَ علَيَّ السؤالَ المذكور. فقلت: الله أعلم. فقال: هو خَوفُ الفقر، أو كما قال. وأستغفرُ الله.

* * *

وقال رضيَ الله عنه: إذا قرأتُم هذه الآية: ﴿ وَلَنَبْلُوَنَّكُم بِشَيْءٍ مِّنَ ٱلْخَوْفِ وَٱلْجُوعِ وَنَقْصٍ مِّنَ ٱلْأَمْوَٰلِ وَٱلْأَنفُسِ وَٱلثَّمَرَٰتِ ۗ وَبَشِّرِ ٱلصَّٰبِرِينَ . ٱلَّذِينَ إِذَآ أَصَٰبَتْهُم مُّصِيبَةٌ قَالُوٓا۟ إِنَّا لِلَّهِ وَإِنَّآ إِلَيْهِ رَٰجِعُونَ . أُو۟لَٰٓئِكَ عَلَيْهِمْ صَلَوَٰتٌ مِّن رَّبِّهِمْ وَرَحْمَةٌ ۖ وَأُو۟لَٰٓئِكَ هُمُ ٱلْمُهْتَدُونَ ﴾ [البقرة: ١٥٥-١٥٧]، كرِّروها ثلاثاً، لأنّ علامةَ الإيمان: الامتحان، وهذا حقُّ كلِّ مؤمنٍ في الأصل. «يا دُنيا تكدَّري وتمرَّري علىٰ أوليائي»[١]... إلخ، وإذا شيء قَصَرَ عليك من أمورِ الدنيا فافْرَحْ. وإذا رأيتَ الغِنَىٰ مُقبلاً فقل: ذنبٌ عُجِّلَتْ عقوبَتُه، وإذا رأيتَ الفقْرَ مُقبلاً فقل: مرحَباً بشعارِ الصالحين. ما تصْفىٰ الدنيا إلاّ للعياف:

عتَبْتُ علىٰ الدنيا بتقديمِ جاهلٍ ... وتأخيرِ ذي لُبٍّ، فأبْدَتْ ليَ العُذْرا
بنو الجهلِ أبْنائي، وأمَّا ذَوُو النُّهَىٰ ... فإنهُمُ أبناءُ ضَرَّتيَ الأُخرىٰ

---

(١) القضاعي في «مسند الشهاب» (١٤٥٣)، ومثله عند الطبراني في «الكبير» (١١:١٩).

وقال رضيَ الله عنه: أُمورُ الشريعةِ كلُّها سُنن بالمعنىٰ الأعمِّ، وفيها مندوبٌ ومفروض. ومن السُّنَنِ المفروضة: الوالي، واطلُبوا منَ الجوادِ الكريمِ أن يكون فقيهاً عالماً عادلاً يتولىٰ رقابَنا، ما بَغينا غيرَه، كبِّروا الهمةَ وأعظِموا المسألة، تطلبون كريم، لا تقَعُ الهمَّةُ دنيَّة، كالذي طلبَ ثليلةً منَ الغنم.

كما قال بعضُهم: كُنْ مثْلَ عجوزِ موسىٰ حينَ طلبَ منها أن تدُلَّه علىٰ عظامِ يوسُف[1] قالت له: بشَرْطِ أن لا تنزلَ منْزِلاً في الجنَّةِ إلّا وأنا معك، أو كما قال.

ولـو كُـنَّ النسـاءُ كَمِثْـلِ هـذي ... لفُضِّلـتِ النسـاءُ علـىٰ الـرجـالِ

تطلُبون واجداً ماجداً خزائِنُه ملآنة.

والحذَرْ تَدْعُون علىٰ الظالم، فإنّك إذا دعَوْتَ عليه يقولُ لك الحقُّ تعالىٰ: وأنتَ فيك ظُلْم، استجبْتُ لك واستجبْتُ فيك. فإذا كان الأمرُ كذلكَ فلا حاجةَ للدعاءِ عليهم، بلِ ادعُوا لهم واعفُوا عنهم. وقد نُدِبَ العفْوُ عن قاتلِ ابنِك أو أخيك، فإن لم يكن عفوٌ فعلىٰ الدِّية، وقدِّرْ أنَّكَ الظالم، بماذا تريدُ أن يعاملوكم؟

واحْمَدِ الله تعالىٰ علىٰ عدم القدرة[2]، إذ جعَلَ يَدَكَ أقْصَرَ من أذُنِك؛

---

(١) كذا بالأصل، ولعل المراد موضع قبره، لأن الله حرّم علىٰ الأرض أن تأكل أجساد الأنبياء.

(٢) أي: قدرة السلطة والتسلط علىٰ الناس.

اذْهَنْ يا ثور، لو قدَرْتَ كما هُم[١] لَفعلْتَ أكثَرَ منْهُم، ولقَّيتَ الفِرَا، كلُّنا أولادُ آدمَ وحواء. ما أنْتَ ملَكٌ معصومٌ ولا نبيٌّ معصوم، بل أنت آدميٌّ معجونٌ بذا وذا. عَسىٰ الحفْظ، وكلُّه فضْلٌ منَ الله وعدْل، وإلاّ العُودُ قُطِبَ من عِلْبٍ واحد، فجُعِلَ هذا منبَر، وهذا منفَر. أو كما قال.

* * *

وقال رضيَ الله عنه ونفَع به: لوِ اجتمعَ أهلُ (تريمَ) و(وسيونَ) و(شبام) وتشاوروا كيفَ صلاحُ الجهة، وكتبوا خطّاً منهم جميعاً، ما هو مِن واحدٍ مخصوص، إلىٰ ابنِ عثمان[٢] ويكونُ أوَّلاً إلىٰ علماءِ مكة يُـنَـفِّذونَه إلىٰ ابن عثمان، ويشكُونَ إليه غيارَ الجِهة[٣]، وأنها ديمٌ خابل[٤]، ويطلبونَ منه مدَد فيما يقيمُ والي عدْلٍ عالم، سيِّدُ أو غيرُه، يكونُ من الجهةِ بنفسِها وفيها، يقيمُ مدارِسَ في المساجد، فإن وَفَّقه اللهُ ما بايرجَعْ لهم مِن شَفّ يبذُلونَ الذي عليهم، ويرفَعون حاجتَهم إلىٰ الله، وهذا إلاّ سبب:

---

(١) أي: كالولاة والسلاطين.

(٢) يعني: الدولة العثمانية. وكان الخليفة أيام الحبيب أحمد بن عمر هو: السلطان الغازي محمود خان بن السلطان عبد الحميد خان الأول، ولد سنة ١١٩٩هـ، وتولىٰ الخلافة سنة ١٢٢٣هـ، ومات سنة ١٢٥٥هـ، وهو السلطان الثاني والثلاثون من سلاطين آل عثمان.

(٣) أي: تعطل الجهة الحضرمية لعدم وجود الوالي.

(٤) الديم: الجلد.

حاجةً في النفسِ يا ربِّ فـاقْضِهـا يـا خيـرَ قـاضـي

. . . إلخ.

فـإن قـد ظـفـرْنا بمطلـوبِـنـا ففضـلٌ مـنَ اللـهِ ربِّ العـبـادْ

وإنْ قد فقَدْنا، فحالُ الزمـانِ زمـانِ البـلايـا كثيـرُ النَّكـادْ

. . . إلخ، ولكن يَعْناهم ذلك، ولو قدَّرنا أنّ أحداً بايبني مسجد فإنْ شيء شَوْر، المساجد كثيرةٌ في حضرَموت، ينفِقُه علىٰ مَدْرسٍ يُحيي به العلمَ الذي هو الأصل، رُحْنا قفا الظَّرْف وخَلَّينا المظروفَ، أُعْمُرْ به عُمَّارَ المساجد. أو كما قال.

وقـال: الرِّبا نِـيَّة؛ بدليـلِ قـولـه تعـالىٰ: ﴿لِّيَرْبُوَاْ فِيٓ أَمْوَٰلِ ٱلنَّاسِ﴾ [الروم: ٣٩] والورَعُ كذلك.

وأولُ مَن عامَلَ بالكَيْل بعضُ السادةِ أهلُ تريمَ منَ المنتفعين، في زمانِ الحبيبِ أحمدَ باجَحْدب[١] وهو في ذلك الوقت نقيبُ آل باعلوي، وتولّىٰ القطبية ولم يتزوّج قطّ. لم يزَلْ معتكفاً في مسجدِ (باعلَوي) بتَريم. وطلبَ السيدُ المذكورُ الحبيبَ أحمَدَ باجَحْدَب في وليمةٍ عندَه، فامتنعَ من المجيءِ وقال له: أنت تعامِلُ بالكيل. فأخبَرهُ أنه لم يفعلْه إلّا لأجلِ أنّهم يردُّون ما أخذُوهُ منه بالقِرْضة، لأنهم يَـعِزُّ الوفاءُ عليهم.

وأخبرَه أنه لم يأخذْه منهم. فقال: أنتَ معَك هذه النيّة، وغيرُك معادْ

---

(١) أي: في القرن العاشر الهجري، وقد تقدم مثل هذا الكلام سابقاً، وتقدمت ترجمة السيد باجحدب النقيب.

يفعَل مثْلَك. فكان كما قال، اتّخذوها حيلةً، ﴿ وَمَكَرُواْ وَمَكَرَ ٱللَّهُ ﴾ [آل عمران:٥٤] ونصحُوهم العلماء، مثلَ الحبيبِ حامدِ بن عمر، فلم يقبَلوا، ومِن بعدِهم جاءَتِ العقُوباتُ لمُخالفتِهم.

وكذلك أهلُ شبام، هذه اللُّجْمَةُ عندَكم، ويعْلَمُ اللهُ أيُّهما أكبَرُ: الكَيلُ أو اللجْمَة، وأصْلُها: كانوا ينْكَسِرُونَ جَمّ من أهلِ البلاد في جُمْلة ديون[١]، وبعضُ المتَصِبينَ للقضاءِ عندَه شيء من أموالِ الأيتام، إذا أعطىٰ أحداً شيئاً من مالِ اليتيمِ فعَلَ اللُّجْمةَ في بيتِه[٢] لأجْلِ حفْظ مالِ اليتيم، ولا عاذْ مَوَّر فيها. جاء مَن بعْدَهُ وقالوا: كلُّنا أيتام وتحيَّلوا علىٰ الله. حتىٰ أنّ الحبيبَ محمَّد بن سُميطٍ لم يَرْضَ بها، ومشغُولٌ منها، تَرَاها وقَعَتْ لَهُم مَسْخة، بَـتَّلَتْـهُم إلىٰ الغُرَب: جاوة، وهِنْد.

اذهَنوا بأولادِكم من الكَذِب، والسببُ كلُّه: ضياعُ الاقتصادِ والقناعةِ، آزاهم ذلك علىٰ الشُّبَهِ والحِيَلِ والحرام.

وإذا اشتبهَ عليك المال، هل هو حرامٌ أو حلال! فانظُرْ في مَخْرَجِه، فإنْ خرَجَ في حرامٍ فهو حرام، أو في شُبْهةٍ فهو كذلك، أو في حلالٍ فهو حلال، لأن المالَ قالوا: كالحيَّة، لها خُلُصْ[٣] واحَدْ ، تَخرُجُ من حيثُ تَدْخُل، والمالُ كذلك. والمُنَافقُ كالجُرَذ، له خُلْصَين يدخُل من أحدِهما

---

(١) أي: يحصل إفلاس لبعض التجار بسبب الديون.

(٢) وكأنَّ اللُّجْمة ــ من هذا الكلام ــ عَمَلٌ يقوم به أولياءُ أمور الأيتام، فيخلطون من أموال اليتامىٰ في أموالهم، والله أعلم بحقيقتها.

(٣) الخُلُصر : الجحر.

ويخرُجُ من الآخر. ويعلَمُ الله أيُّهما أعظمُ عندَ الله، الذي يُرْبي رباً صريحاً، أو الذي يحْتَالُ بهذه الحيل؟ هذا عصىٰ اللهَ وهُوَ معترفٌ بأنه عاصٍ، وهذا يعصي الله وهو يدَّعي أنه متقي. أو كما قال.

ثم ذاكَرَ رضيَ الله عنه فيما حدَثَ من العوائِد، كزَخْرفةِ المساجد، والتأنُّقِ في البناء، وشَلِّ الدُيُور، والتكلفِ في الولائمِ والضيافات، ثم قال رحمَه الله: مِثْلُ الفقيرِ (يعني نفْسَه) لا هُوْ عَالِمْ ولا فقيه، ولا يقول: حلالْ ولا حرامْ في مِثْل هذه الأشياء. وإنما نقول: ما بها فَرَح. لأنّا إن قلنا: إنها حرامٌ فهو خَطَر، وإن قلنا: حَلال فهو خطر، نقول: ما بها فرَح، أو كما قال.

* * *

وقال رضيَ الله عنه: إذا استفدتَ فائدةً فأفِدْها غيرَك، وقُلْ له يفيد غيرَه، حتىٰ يزيدَك الله، وقيل شعراً:

أفيدوا جَهُولاً ما علِمتُوهُ دونَهُ　　　أفادَكُـمُ الرحمـنُ مـا تجهَلونَـهُ

* * *

وقال رضيَ الله عنه: اكتُبْ هذه الرؤيا المُبشِّرة، واحْكُوا بها لأهلِ البيوت، وهي: رأتْ بعْضُ النساءِ المرحومَ محمدَ بنَ دحْمانَ بنِ عبدون بلفَـقْيَـه، فسألتْـه عن حالِه فقال: ما نتحَسَّرُ إلاّ علىٰ اجتماعِنا في الدنيا نحن وأهلونا ولم نعلِّمْهم «حِليةَ البناتِ والبنين»[١]، أو كما رأَتْ. أو ما هذا معناه.

---

(١) اسم كتاب للشيخ محمد عمر بحرق.

قال سيدي: وحِليةُ البناتِ والبنين: العِلْم. فانظُرِ اعتناءَ الأمْواتِ بأيِّ شي.

❊ ❊ ❊

وقال رضيَ الله عنه: إذا جاء في المُذاكرةِ شيء من سِير السلفِ اكتُبوه، لا تسْتَسْهِلونه، إذا ما انتفعتُم به أنتم انتفَعَ به غيرُكم، لا تقَعون رثوث[١]، وقد وصَفوكم بالرثاثةِ سَلفُكم، في عدَمِ نَقلِكم سِيَر سلفِكم، بِخِلاف أهلِ اليمنِ وغيرِهم، تراهم دَوَّنوا سيَر سلفهم. وقد قيل:

تموتُ الخَبايا في الزوايا، وما لها ... منَ الناسِ بينَ الناس في الناسِ ذاكرُ
تفوتُ كراماتُ الرجالِ شَوارداً ... إذا لم تُقيِّدْها علينا الدفاترُ

❊ ❊ ❊

وقال رضيَ الله عنه: ما عافيةٌ إلاّ وقد تقدَّمها عفو، إذا عفَا سبحانَه وتعالىٰ عَافىٰ: ﴿فَبِمَا كَسَبَتۡ أَيۡدِيكُمۡ وَيَعۡفُواْ عَن كَثِيرٖ﴾ [الشورىٰ: ٣٠]، اطلُبِ العفْوَ حتىٰ تتبعَه العافية، عسىٰ العَفْو.

❊ ❊ ❊

وقال رضيَ الله عنه: كان المرحومُ محمدُ بن أحمدَ بايوسُف[٢]، جَدّ

---

(١) أي: أهل كسل وتهاون، من الرثاثة.

(٢) هو الشيخ الصالح الفاضل محمد بن أحمد بن عبد الله بن أحمد بايوسف، الشبامي، توفي أول القرن الثالثَ عشر، وتوفي ابنه الشيخ عمر سنة ١٢٤٤هـ، وظهر من ذريته عدد من العلماء الأفاضل.

آل بايُوسف، من الصالحين، يصلِّي في المسجدِ جماعة، ثم يصلِّي بأهل بيتِه جماعة. وكان قانعاً، سبَبُه: الحَظْوة، ويكتفي بها.

وكذلك والدُه أحمدُ من الصالحين، شُوا الأوَّلين غير.. غير، سِيرهُم مَنَاقب.

❊ عليهم سلامُ الله إنْ كان قد مَضَوْا... إلخ ❊

❊ ❊ ❊

وقال رضيَ الله عنه يومَ السبت: ١٥ شهرِ عاشور (محرمٍ) سنةَ ١٢٥٠هـ ونحن بخُباية: كان في وقتِ جدِّكم محمَّد لعْجَم بعضُ الناس فعَلَ سِقايةً للماء، فجاء بعضُ الناس إلىٰ محمّد لعْجَم وقال له: أنتم فعلتُمُ السِّقاية؟ فقال: لا، نحن نروحُ لسقايا البيوت، أراملَ وأيتام، ونخلِّي السقايا للبُخلاء.

قال سيدي: انظُروا التربيةَ المُسَمَّحة[١]، ولو هو كلُّه خير. ولو كان محمَّد لْعجَم موجود لاتَّخذْناه منَ المشايخ، ولكنهم:

راحوا إلىٰ الله، نِعْمَ الرَّبُّ، نِعْمَ الوكيلْ

وليسَ في الناسِ بعدَ القومِ منهمْ بَديلْ[٢]

إلىٰ آخرِ الأبياتِ.

* * *

وقال رضي الله عنه ونفَعنا به: الدُّعابةُ من خِفّة الرُّوح.

* * *

وقال رضيَ الله عنه: مِن كلام سيدِنا عبدِ الله الحداد: لأهلِ حضرَموتَ ضَراوةٌ[٣] في نشْرِ مثالبِ أهل المناصب[٤]، ولأهلِ شبامَ شَهْوةٌ في كثرةِ القيلِ والقال، وكثرةُ كلامِهم من ضِيقِ صدورِهم، وضيْقِ صدورِهم مِن ضِيقْ مَعَايِشِهم. أو كما قال.

---

(١) أي: السَّوية.

(٢) «ديوان الحداد» (٤٤٩).

(٣) أي: نهمة وهمة وسعي.

(٤) أرباب المقامات المعروفة.

ومِن كلامِ سيدِنا الحبيبِ محمّد بن سُميط رضيَ الله عنه: جميعُ أعمالي الظاهرةُ للخلْق ما أُحِسُّ لها وَقْع. أو ما هذا معناه.

ومن كلامِه عندَ وفاتِه: الذنوبُ كثيرة، وحسْنُ ظنّي بربي كبير. أو كما قال. قال والدي عمرُ رضيَ الله عنه: فرِحْت له بذلك، وبهذا الكلام في هذا الموطِن.

* * *

وقال رضيَ الله عنه: هذه مبشِّرة، وهي: أنّ مَن له سَلَفْ صالحين يقَع له فُتوح سمْح[1]، وأنت يا (فلان) لكَ سلفٌ صالح، الحَقْ به في المعاونةِ علىٰ نشرِ الدعوة.

يقال: مثالُ مَن له سلفٌ صالحٌ كمَنْ يبْحَثْ بئر في مِسْيال، فإنه يظهَر له الماءُ سَمْح، وكمَن يبحَثْ ببئر قدْها مبحوثة، وإنما وقَع فيها طين وحصَىٰ منَعَ الماء، فإنه يظهَرُ له الماءُ سَمْح. وأمّا مَن لا لهُ سلَفٌ كمَن يبْحَثْ بئر في أرض خِرْمة، بالبختِ والنصيب، إمّا ظهَرَ الماءُ وإمّا عَرَضَتْ له حَصاة. أو كما قال، أو ما هذا معناه. وأنت قَعْ سلَفْ لأولادك من بعدك، والخير كله في الصبا، وفي قولِه تعالىٰ: ﴿وَءَاتَيْنَٰهُ ٱلْحُكْمَ صَبِيًّا﴾ [مريم: ١٢]، إشارةٌ وبشارة؛ لأنه ذكَرَه في مَعْرِض الامتنان علىٰ نبيِّ الله يحيىٰ عليه السلام. وجميعُ ما نحْنُ فيه من عدَم اتباعِ الحق سَببُه: ضياعُ الصغَر اجتهدوا من اليوم، كلُّ ما معَكم من مهمّاتِ الدِّين علِّموهم ذلك

---

(١) أي: مبكر.

في العُلمة، وهذه الأمورُ الرَّثَّة، والحِيل، والتَّـفْتَـفَة التي يتعاطاها بعضُ الناس، عرِّفوهم بها في الصغَر حتىٰ يَعْرفون الحقَّ منَ الباطل.

□ قال والدي رضيَ الله عنه: كان ناس مساكين جيرانَنا في أيامٍ كُنّا بنويدرة تَريم يُعامِلون بالربا في بيعِ بقر، ولم يُـنَـبَّهوا عن ذلك، فجاءتِ الفتَنُ عمَّتِ الصالحَ معَ الطالح، من ذلك اليوم إلىٰ الآن يتنكَّسونَ في الفتن. وغايتُه: إنْ وقَع تذْكير في كلِّ مَدْرس، ما شي تبليغْ كما ينبغي.

□ قال والدي أيضاً: كان عندَنا خَدَّامٌ من آلِ تميم في تلك الأيام بِتَريم، كانت له خَيْرِيَّة جَم، وإنما هو مقصِّرٌ في الصلاة، وكلما أمَروه ما طاع لهم. فاتّفقَ أنه جاءه رَمَد، فجلَس في الدار بسببِ ذلك، فطلَعوا عليه العَسْكر إلىٰ الدار فقَتلُوه، يعلَمُ الله ذَبْح أو غيره.

قال الوالد: جاءنا لهُ رجاء، قلت: لعله لمّا كان مقصِّراً في الصلاة وحدُّهُ القَتْلُ وَقَع له ذلك، لأنه يقال: إذا خمَدَ سلطانُ الشريعةِ ظهَرَ سلطانُ الحقيقة. أو كما قال.

❊ ❊ ❊

وقال رضيَ الله عنه: لو وقعَتِ القراءةُ في «مهمّاتِ الدِّين» بدَلَ قراءة «تفسير البغَوي» وغيرِه، تشاوَروا في ذلك، لا تأخذون بكلامي حتىٰ ترفَعوا سؤالاً إلىٰ أهلِ العلم، إمّا دوعن أو حدراء[1] لأن غالبَ مَن يحْضُرُ قراءة

---

(١) كان الحبيب أحمد رحمه الله ورضيَ عنه متثبتاً في جميع أموره، فكان إذا أراد أن يقيم سُنّة أو ينهىٰ عن عادة يأمر تلامذته أو يطلب من أهل البلاد أن يكتبوا سؤالاً =

«التفسير» عوامٌ يحتاجون للمهمّات، وغايتُه: يحْفَظ قصةً من قَصَص التفسير، ولا يصلُح «البغويُّ» للكلّ، بل قالوا: مَن بايطالِعُه يحتاج إلىٰ سبعةِ علوم من علوم الآلة. لو كُل مَن جاء نَجَرْ، ما بقي في الوادي شجَر.

والذي ندعو إليه مثلَهُ كمثَلِ ساترِ العورة، ومثَلُ القُوت: تمرٍ وطعام، ما جينا حول التأنُّق، لا عِمامة ولا رداء، والمهماتُ كذلك. الواجبَ الواجبَ قدِّموه.

* * *

وفي مكاتبةِ سيدِنا عبد الله الحدادِ لسِّيدِنا أحمدَ بنِ زينِ الحبشيِّ ما يشيرُ إلىٰ تقديم الأهَمّ، وذلك: أنّ سيدَنا أحمد بن زينِ الحبشيَّ تكلَّمَ علىٰ الفاتحةِ بكلامٍ عجيب[١]، وأرسله إلىٰ سيدِنا عبد الله الحدّادِ فاستحسَنه، وجوَّبَ عليه بالمكاتبةِ المذكورة. وقال فيها: (لو كان كلامُكم فيما هو أهمُّ من ذلك لكان أوْلىٰ، سَلْ مَن تَسْتَـنْجِبُه عن مواضعِ تشديداتِ الفاتحةِ علىٰ البديهة)، أو كما ذكَر.

ويكفي نحن قراءةُ سيدِنا عبد الله في مجالِسِهِ دواماً «للحديقة الأنيقة» وكتابِ «مقال الناصحين»، لا تزالُ القراءةُ في ذلك، قدِّموا الأهمّ.

وكذلك: كان بعضُ أهل الفَضْل يتكلَّمُ مع العامةِ بكلامٍ دقيقٍ في

= إلىٰ علماء تريم أو دوعن في واقعة الحال. فإذا جاء الرد عملوا به، ورحمة الله علىٰ أهل الإنصاف.

(١) في كتابه الموسوم «المقاصد الصالحة في شرح شيء من علوم الفاتحة».

كتُبِ القومِ، فقال له الحبيبُ عمرُ البار: تتكلَّمون بهذا الكلامِ الزين؟ ولِمَ كان السلف لا يتكلمون في ذلك؟ فقال: لما فيه من المضرة للعامة، فقال الحبيبُ عمر: الله أكبر! لقد أنصَفْت، معك إلّا حَمِير بَغت قَضْب وقَصَب، طرَحْتَ لها جَواهرَ دحَّقَتْها. فلم يتكلَّمِ المذكورُ بعدَ ذلك في الكلامِ الدقيق، أخذَه الحبيبُ بنيَّه. وأنتمُ افهَموا المقصودَ والإشارة.

* * *

وقال رضيَ الله عنه: إن بغيتوا الفرَج: اسقُطوا على كُتُبِ الحبيب عبد الله الحدادِ بالقِشرِ والعسَل، وانشُروها حتىٰ تنْحَلَّ العُقَد، ويهتدون هؤلاءِ القبائلُ الذين يأْذونكم، واجَعلوا «مقدمةَ الدعوة»[١] من أورادِكم، كلٌّ يكتبُ نسخةً منها يجعَلُها عند «الدلائل» والأوراد، يذَكِّرْ بها، ويطالب نفسَه بها ذكره فيها.

* وكان الحبيبْ بو بكر الهندوان[٢] يقولُ للحبايبِ إذا اجتمَعوا عندَه: بيني وبينكم ما ذكرَه الحبيبُ في مقدِّمة «الدعوة».

وأنتم لا تُخَلُّون كل مَدْرس من قراءتِها، ولو صافِحَة[٣] منها يكونُ كالوِرْد.

---

(١) أي: مقدمة كتاب «الدعوة التامة» للإمام الحداد، وتقدم معنا أن جماعة من أهل الفضل والعلم نظموها بإشارة الحبيب أحمد.

(٢) توفي بتريم سنة ١٢٤٨هـ، وهو حفيد العلامة أحمد بن عمر الهندوان المتقدم الذكر.

(٣) أي: صنحة.

وقال رضيَ الله عنه: كان الوالدُ رحمَه الله يستشهدُ عندَ قراءةِ هذا البيتِ لسيدِنا عبد الله الحدادِ من أثناء: «فيمَ الركون»:

وهو قولُه:

يكفي اللبيبَ كتابُ اللهِ موعظةً　　كما أتىٰ في حديثِ السيِّدِ الحسَنِ

بهذه الآية: ﴿ يَٰٓأَيُّهَا ٱلَّذِينَ ءَامَنُواْ ٱتَّقُواْ ٱللَّهَ وَلۡتَنظُرۡ نَفۡسٞ مَّا قَدَّمَتۡ لِغَدٖ ﴾ [الحشر: ١٨].

* * *

وقال رضيَ الله عنه: اطلُبوا العلمَ لأنفُسِكم وتقرَّبوا إلىٰ الله بعَدواةِ النفْس، فإنها أعدىٰ الأعداءِ كما في الحديث. واعترِققفْ بالشرِّ من جهتِها، وأفضَلُ المجالس: مَجْلِسٌ تُوبِّخُ نفْسَكَ فيه، واجعَلْ لك وِرْداً من توبيخ النفْس.

□ كان سيدُنا أحمدُ بن زين الحبشي نفَع الله به جالساً للتدريس، وعندَه بعضُ الطلبة، فجاء بعضُ الناس وآذاه حتىٰ أنه ضرَبَ الدَّرَسة، فلمّا ذَهب، قال بعضُهم لسيدِنا أحْمَد لمّا رآه اشتَغل: أتريدُ أن أُبـلِـغَ واليَ الأمْر بفعْل هذا الرجل؟ قال له: لا يا فلان، أنا ما اشتغلْتُ منه، إنما اشتغلْتُ مِن نفْسي، لو صَلَحَتْ نيتي ما سُلِّطَ علَيَّ هذا!

فانظُرْ إلىٰ الأكابر! ما يرجعون باللَّومِ إلاّ علىٰ أنفُسِهم، كما قال سيدُنا عيسىٰ ابنُ مريمَ في دُعَائه: «ولا تسلِّط عليَّ بذنبي مَن لا يرحمُني»؛ ارجع علىٰ نفسِك من سَمح.

وقال رضيَ الله عنه: تقرَّبوا إلىٰ اللهِ بتخريب هذه العوائد التي أظهَرُها هذه القهوة وما ضَاهاها مِن كلِّ ما يُفضي إلىٰ غُربةٍ أقلُّها سنةٌ أو سنتان، ونرجو ــ إن تهدّمتِ العوائدِ تصبح بيوتُ الجَهْل بيوتَ علْم، وإنِ استمرّت بالعَكْس، تصيرُ بيوتُ العلْم بيوتَ جهل. فهمتوا ما قلْتُ لكم! أو كما قال.

* * *

وقال رضيَ الله عنه: اكتُبْ هذه المسألةَ وأسألوا فيها أهلَ العلم، وهي: ما قولُكُم في رجلٍ أرادَ السفرَ إلىٰ حجِّ بيتِ الله الحرام، وله أهلٌ لم يعرفِوا العلمَ الواجبَ عليهم، هل له أن يجلِسَ لتعليمِهمُ العلمَ الواجبَ لأنه مُضيَّقٌ عليه، ويترُكَ الحج، لأنه علىٰ التراخي، أم لا؟ ومَنِ استشارهُ ماذا يقولُ له؟ اجْلِسْ لتعليـمِهم أمْ سَافـرْ؟ وما الأهمُّ تقديمُـه؟ وكذلك، كلُّ مسألةٍ تجيءُ فيها مُذاكرة، اكتُبوا صورة المسألة، واسْألوا فيها حتىٰ يتضحَ الحقُّ ويعْظُمَ في صدور الجُهّال، وتدرون بالأحكام، لا تكتمون الحق، لأن ثمرةَ الكتمان اللعنة. كما قال تعالىٰ: ﴿ إِنَّ ٱلَّذِينَ يَكۡتُمُونَ مَآ أَنزَلۡنَا مِنَ ٱلۡبَيِّنَٰتِ وَٱلۡهُدَىٰ مِنۢ بَعۡدِ مَا بَيَّنَّٰهُ لِلنَّاسِ فِي ٱلۡكِتَٰبِ أُوْلَٰٓئِكَ يَلۡعَنُهُمُ ٱللَّهُ وَيَلۡعَنُهُمُ ٱللَّٰعِنُونَ﴾ [البقرة: ١٥٩].

* * *

وقال رضيَ الله عنه: علِّموا أولادَكمُ الوَطَا وكسْرَ النفْس حتىٰ يركَبَهمُ السَّيل، لأنَّ الماءَ ما يطلَع الرَّفوع(١) ما يجي إلاّ المَواطى(٢)، والوَطا عَطا.

---

(١) أي: المَكان العالي.

(٢) أي: المَكان المنخفض.

□ كان صِنوْي أبو بكر رحمَه الله له مدْخَلٌ في كل شيء، حتىٰ أنه في السفر يعرِّبُ العَصيدَ لأهل عِبْرتِه. وأنتم، كونوا كذلك، عاوِنوا أهلَكم في مهنةِ البيت، إنْ بغيتوا حِلال حضرَموت. ويكفي قدوةً المصطفىٰ عليه السّلام، وكان يخدمُ أهلَه، إلىٰ آخر ما ذُكِرَ عنه. اترُكوا الركْزة، ما تحتها خَيْر ولا خَبَر.

□ وكان ساداتُنا آلُ أبي علَوي كذلك، كانوا يَسْنُونَ مثْلَ الحبيب محمدِ بن سهل يسْنِي وهو إمامٌ فاضل، قال وَلدُه عمر: كان أبي يكتبُ لي لَوْحي منَ «الإرشادِ» في الشَّريم، وكانوا علىٰ قناعة. وإذا طالَ المجلسُ عندَه يشيرُ علىٰ ولدِه عمر، يقول له: عمر، لاه تقَعْ كذا؟ معك إلّا عُطَيفَين تمر، اطلَعْ كُلْهِنْ وانْدُر.

وكان إذا رزَمَ جَحْلَتينِ تمر يتكفَّون بها السنة. قال. نجعل عندَها جَحْلتين قناعة. وهو إمامٌ فاضلٌ، بل قد شاعَ الخبَـرُ بأنه تولىٰ القضاء، ونُقلت بذلك خطوط، فبلغ الحبيبَ محمدَ بن سميط الخبرُ بأنه تولىٰ القضاء فقال: لمْ يصحَّ عندي ذلك، لأنه لم يشرَبِ القهوة في دارِه، فكان كما قال رضيَ الله عنه، منَعَ نفسَه منَ القضاء، نظيرَ قصَّةِ سيدِنا محمدِ بنِ واسع، الذي قال فيه سيدُنا عبدُ الله الحداد:

ومحمدٍ أعني ابنَ واسعَ، قارىءَ الـــــــرَّحمنِ، لُذْ بالزاهدِ المتقَـنِّعِ[1]

---

(١) ومعنىٰ قول الإمام الحداد: قارئ الرحمن، إشارةً إلىٰ قول الإمام مالك بن دينار: القُرّاء ثلاثة: قارئ للرحمن، وقارئ للدنيا، وقارئ للملوك، ومحمد بن واسع من قراء الرحمن. أفاده في «شرح العينية» (٣١).

لأنه طُلِبَ للقضاءِ فامتنَع، فقالت له امرأتُه: لو توليتَ إنْ كان عيشُنا في سَعَة، لأنهم كانوا في ضِيقٍ من العيش. فقال لها: يا هذه، ما زِلْتِ ترَيْنَنا أقنَع بالخلِّ والبقل، فلا تطمَعي في ذلك منّي. أو كما قال.

* * *

وقال رضيَ الله عنه: العافية الحقيقيةُ إذا قدْ أهلك يطالبونَك بتعليمِهم، ويخنقون عليك، ويشكونَك إلىٰ الغير في عدم التعليم، هذه هي العافيةُ الصِّدقيَّة، وما زال عادَكْ إلاّ أنت تقولْ لهم: باأعلِّمُكم، وتَكُدُّهم، ما أبعَدْ شيء عافية. أو كما قال.

* * *

وقال رضيَ الله عنه: كان بعضُ الصالحينَ ممّن سلِمَ له حالُه، إذا جاء أحدٌ إليه خرجَ إلىٰ الضَّيْقةِ وينظُرُ مِن شِقِّ الباب، فإن رأىٰ معه شيئاً لهُ كلَّمه، ومَن لا شيءَ معه له ردَّه، فقيل له في ذلك، فقال: نعَمْ، الناسُ أعَزُّ ما كان عليهم دُنْياهم، فمَن بذَلَ لنا شيئاً من عَزِيزِه، بذلْتُ له من عزيزي، وأنا أعَزُّ ما كان عليَّ وقْتي، أو كما قال.

والمجالس مَعادْ لها حاجَة يضيع بها الوقْت لاشْ. أو كما قال. مَنِ اعتنىٰ: اغْتَنىٰ واقتنىٰ.

* * *

وقال رضيَ الله عنه: لا تراقبونَ الناس ولا تُناظرونَهم بعدمِ التذكير، كلُّ واحِد بغا الآخَرْ يتكلم، لأن الناس بايُحْرِمُونكمُ الجنَّة والسعادة بسكوتِهم علىٰ التذكير.

مثالُ ذلك: إذا جاء سيلٌ كبيرٌ وأنت في بطنِ المسيال، عادكْ تتوقفْ إلىٰ أن يجُون الناس أو ترفع بنفسِك؟ هيَّا: ترفَّعْ بنفسِك وإلاّ شلَّك السيل، لكن عليك تقول: اشْتَل يا مُطرِّف، وارفعْ به صوتَك. والمذَكِّرُ كذلك يفعَل، ويتكلَّمُ بما معَه، مثْلَ ما يقول: اشتل يا مُطَرِّف.

□ كان في (تريمَ) رجلٌ مجذوب، خرَج يوماً إلىٰ بعضِ الخلْواتِ في أيام الخريف، فجاء إلىٰ بعضِ السادة وهو يقْطَعُون، فأعطَوْه وِجْبَ تمر[1]، فطلَع به، فمَرَّ علىٰ بعضٍ من عبيدِ يماني وهم جلوسٌ علىٰ قهوةٍ في مكان. فلمّا رأَوْه قالوا له: فلان! قدِّم للقهوة ولا أعذروه، فجلس عندهم وأكرموه، فلمّا أراد أن يقوم وعرَف أنّ مقصودَهمُ التمْرُ أعطاهُم الوجْب، وقال لهم: تبارَكوا به.

فلمّا كان اليومُ الثاني خرَجَ ولَفّ وِجْب من بَعَرِ الرِّكاب، وحَمَلهُ ومَرّ بهم في المكانِ المذكور. فدَعَوْهُ للقهوة وهم يَرْمُقُون الوجْب، فلمّا أكرموه وأرادَ القيام، قال لهم: هاكُمُ الوِجْبَ تبارَكوا، فلمّا ذهب وأرادُوا قسْمتَه لِحقوه بعَر!

□ وكان مع السَّادة مطلعٌ في بعضِ الشِّعاب، فخرَج إلىٰ عندهم، فأعطأوه كَأوْر وكَرْفَلِّة[2] فخرَج قبلَهم، وجاء إلىٰ بعض المساجد قريبَ الشِّعْب، وجعَل الكَور والكَرْفَلّة في ثوب، وطرَحهُنَّ في القِبلة. فلمّا أقبلَ

---

(١) أي: شوالاً من تمر.

(٢) الكرفلّة: الأحشاء.

السَّادةُ جعَل يقولُ لهم: طُفَيلٌ في القبلةِ آجَرَكمُ الله، فدخَل السادةُ وصَلَّوا عليه، فلمّا خرَجوا منَ الصلاةِ قال لهم: صلَّيتُم علىٰ كَوْر وكَرْفَلَّة.

❋ ❋ ❋

وقال رضيَ الله عنه يومَ مولدِ الحبيبِ محمد بن سُميطٍ في التربة[١]: تعاونوا يا آلَ حضرَموتَ علىٰ والي عدْل، وابذُلوا الغاليَ في طلبِه، وإلاّ غبَنْتوا أولادَكم ومكالفَكم، شُوْ ذا الكلام يَعْنَاكم، وواجب عليكم، دَوِّروا له وابْكُوا إذا ما حصَّلتُموه، ونصِّبُوا من بينِكم داعي إلىٰ الله، يدْعو أهلَ الخلْوات، سَوادَ البلاد، مثلَ: (جُوجه) و (جعيمة) والوادي، وكذلك كلُّ أهل بلدٍ يلزَمُهم ذلك، وتعليمُ ما أوجَبَ اللهُ عليهم، وتعليمُ أولادِهم: البناتِ والأولاد، ثم بعدَ ذلك يرْحَلُ إلىٰ البوادي، هذا الكلامُ يلزَمُكم. وهذه الديورُ عطِّلوها، النساءُ والرجال، وشَيِّدوا بها مبانيَ الدِّين، تِبتّْ الأموال في حفنة، في شي ما له حقيقة، شو الحُجَّة ثابته علينا. أو كما قال.

❋ ❋ ❋

وقال رضيَ الله عنه: إذا مَنَّ اللهُ بالوالي يرجِعونَ الأشرار أخيار، وبالعكْس، نسألُ اللهَ العافية، يرجِعونَ الأخيار أشرار.

❋ ❋ ❋

وقال رضيَ الله عنه: كان الحبيبُ عمرُ بن سقافٍ رضيَ الله عنه إذا قامَ أو قعَد يقول: الله، لا شريكَ معَ الله، لأن الأكابرَ يعْبدُونَ الله بخالصِ

---

(١) يعقد هذا المولد يوم ١٥ من شهر ربيعٍ الأول كل عام.

التوحيد: ﴿فَمَن كَانَ يَرْجُوا۟ لِقَآءَ رَبِّهِۦ فَلْيَعْمَلْ عَمَلًا صَٰلِحًا وَلَا يُشْرِكْ بِعِبَادَةِ رَبِّهِۦٓ أَحَدًۢا﴾ [الكهف: ١١٠]، قال ذلك رضيَ الله عنه عندَ قراءةِ هذه الآية.

احذَروا من هذه اللسان، فأكثَرُ الآفات منها، وقد عدَّ الغزاليُّ عشرينَ آفةً للسان، وعقدَ كتاباً من «الإحياء» في آفاتِ اللسان(١) قال الوالدُ رحمَه اللهُ يقول لبعْضِ الناس: إنْ كلَّها في بلادِكم.

* * *

وقال رضيَ الله عنه: من النساءِ خطايا، ومنهنَّ عطايا وخبايا، وإذا أرادَ الإنسان أن يتزوج: يترجَّلُ ويتشرَّطُ قبلَ الزواج، ما كانَ أولُه شرْط كان آخِرُه سلامة. والشرطُ هو أن يقول: بشرْطِ أن تكونَ مُعِينةً لي علىٰ ديني، ومربِّيةً لأولادي، لأنّ المرأةَ للرجلِ نِعْمَ الوزيرُ إذا كانت صالحة.

ألا ترىٰ إلىٰ خديجةَ الكُبْرىٰ! نعْمَ الوزيرُ للنبيِّ عليه السلام، أو فاطمةَ الزهراءِ لسيِّدنا علي! ولو استشارك أحدٌ في الزواجِ تقولُ له: أنت أعرَفُ بنفسِك لأن هذه الأزمانَ...(٢).

* * *

---

(١) «الإحياء»: (٣: ٩٢).

(٢) كذا! بياض في الأصول.

وقال رضيَ الله عنه بعدَ العصر يومَ الأحد ربيعٍ الأول سنةَ ١٢٥٥هـ بعدَما صلّىٰ علىٰ الفقير أحمدَ بنِ سالم بنِ امْبارك رحمه الله: لسانُ حَالِ المَرْحومِ هذا تقولُ لكم: تغانَموا مجالسَ المُذاكرة، وما زالْ عادْكم في الحياة، لأن الميِّتَ خرَجَ الأمْرُ عن اختيارِه، لو بايقَع له يحْضُر مجلس علْم وإلّا يسبِّح الله تسبيحةً معاذْ وقع له، ولا يعرِفُون قدْرَ هذا الكلام إلّا الأموات، أمّا الأحياءُ فهم في وادي، تغانَموا العُمْرَ الفاني، واذكروا أنكم صَائرونَ مثْلَهم.

* * *

وقال رضيَ الله عنه: قَطْرةٌ منَ الهوىٰ تُـكدِّرُ بَحْراً منَ العلم. قال عليه السّلامُ لعائشةَ رضيَ الله عنها حينَ قالت: حسْبُكَ مِن صفية، تعني أنها قصيرة: «قُلْتِ كلمة لو مُزِجَتْ بماء البحرِ لمَزَجَتْه»(١).

يعني: لو قَدَّرْنا أنّ هذه الكلمة جسمٌ والبحْرُ عذب، ثم طُرحَتْ فيه، لغيَّرتْ طعمَه ولونَه وريحَه من خُبثِها. وفيه إشارة إلىٰ أن سيدتَنا عائشةَ رضيَ الله عنها بحْرٌ مِن العلم. وفي الجيمية:

وكَمْ مَقَالةِ قَالٍ لو مَزَجْتَ بها   بحْراً من الماءِ عَذْباً صارَ ذا خَمَجِ(٢)

وهذا من بابِ تجسُّمِ المعاني.

* * *

---

(١) رواه الترمذي (٢٥٠٢)، وأبو داود (٤٨٧٥).

(٢) «ديوان بن سميط» (٣٧).

وقال رضيَ الله عنه: مَن أبْغَضَ الدنيا شاف عيوبها، ومَن أحبَّها تغطَّتْ عنه عيوبُها ولم يدْرِ أن أُمومتَـها يُـتْم.

* * *

وقال نفَع الله به: اعتَقِدوا أنّ جميعَ ما ترَوْنَه مِن تسلُّطِ الظلَمة وتغيُّرِ الأحوالِ سببُه: التقصيرُ في المعاونة علىٰ الدعوة، «ولا تُسلِّطْ عليَّ بذنْبيْ من لا يرحَمُني». قدْهُ خيرٌ لك تلومُ نفْسَك، ومَن لا يلومُ نفْسَه فهو مُعجَب.

والداعي إلىٰ الله يوطِّنُ نفْسَه علىٰ عَدَم قَبولِ كلامِه، وأنهم بايقولون له: نَخزيك نَخْزيك نَخْزيك، حتىٰ إذا صدَرَ منهم دونَ ذلك فَرِحَ منْهم. وإن قدَّرَ أنهم بايقولون له: مرحباً، ثم صدَرَ منهم خِلافُ ذلك الكلام كبُرَ عليه الكلام، وضاقَ صدرُه، وإنما لسَانُ حالِه تقولُ لهم: ﴿لَا نُرِيدُ مِنكُمۡ جَزَآءً وَلَا شُكُورًا﴾ [الإنسان:٩]، بل يطلبُ الجزاءَ من الله، أمّا إنْ كانُه بايطلُبْ منهمُ الجزاء، ما معه حُجَّة. ويُصْلحُ نيتَه فيما بينَه وبينَ الله، عسىٰ الله يُصلحُ النياتِ والمقاصد، ولا تخيِّبْ يا كريمُ قاصدْ؛ قال سيدُنا العدَني:

إذا صفَتِ العبوديَّهْ وصَحَّ القصدُ والنيَّهْ
وفَنْيَتْ كلُّ بَشَرِيَّـهْ فحينَـئـذٍ فهَـنُّوني

ويستحضرُ الداعي إلىٰ اللهِ هذا البيت:

رُبَّ رامٍ ليْ بأحجارِ الأذىٰ لم أجِدْ بُدّاً منَ العطفِ عليهِ

وإذا صحَّت نيتُه يُثيبُه اللهُ تعالىٰ، كصَاحِبِ الكثيبِ في بني إسرئيل، لمّا علمَ الله صدْقَ نيَّتِه قبِل منه، وذاك في قُوتِ الأجسام، وهذا في قوتِ

الأوراح. ولو لم يستجبْ له في الزمنِ الطويل، إلاّ العدَدُ القليل، قال تعالىٰ في وصفِ نوحٍ عليه السّلام: ﴿وَمَآ ءَامَنَ مَعَهُۥٓ إِلَّا قَلِيلٌ﴾ [هود: ٤٠]، كانوا نحوَ ثمانينَ نفراً، وإنما هم كثيرٌ في المعنىٰ. ولبِثَ فيهم ألفَ سنةٍ إلاّ خمسينَ عاماً.

❊ ❊ ❊

وقال رضيَ الله عنه: لا يكمُلُ الانتفاعُ بالعلمِ حتىٰ يصيرَ إيماناً ويقيناً.

❊ ❊ ❊

وقال رضيَ الله عنه: هذين البيتين للجُنيديِّ نقَلَهنَّ الوالدُ عمرُ من تاريخ ابن خَلِّكان، توَصَّوا بهن:

لقاءُ الناسِ ليس يفيدُ شيئاً ... سوىٰ الهَذَيانِ من قيلٍ وقالِ
فأقْلِلْ من لقاءِ الناسِ إلاّ ... لأخْذِ العلمِ أو لصَلاحِ حالِ

وقد زاد سيدي قبلَهما بيتاً، وهو:

أقولُ للنساءِ وللرجالِ ... أصِيخوا السمعَ واصْغوا للمقالِ

❊ ❊ ❊

وقال: كان حالُ الوالد العُزلةَ والانقباضَ عن الناس، بخلافِ الحبيبِ محمدِ بن سُميط، حالٌ ثاني، حتىٰ أن الحبيبَ محمَّد إذا أرادَ الروحةَ في مكان يقولُ للوالد، فيقولُ له: أُقْدُمُوا، إنْ ساقَتْنا هِمَّةٌ لحِقْتُكم، فيرمي له بالسبحة.

وكان الوالدُ رحمَه اللهَ يقول: ما أفرَحُ بأحدٍ يجيءُ عندي، إلاّ مَن جاء إلىٰ بيتِه معاذْ منه عُذر.

❐ ❐ ❐

وقال رضيَ الله عنه يومَ الاثنينِ شهرَ جمادٍ الأولِ سنةَ ١٢٥٥، معَ خروجِه إلىٰ(خُبابة) وهو راكبٌ علىٰ دابـتِه: يا محمّد، هل خرجْتُم بقَصَبٍ للدابة؟ فقيل: نعمْ، فقال: تستاهِلْ، هي خيرٌ منّنا، ما هي مخاطبةٌ لا بحسابٍ ولا عقاب، وأنت يا ابنَ آدمَ خُلِقْتَ لتُبتلىٰ، ولهذا قال بعضُ السلف: ليتَني مثْلَك يا طائر.

وكان سيدُنا عمرُ رضيَ الله عنه يقول: ليتَني كنتُ كبْشَ أهلي، سَمَّنوني فذَبحوني وأخرَجوني عَذرة ولم أُلاقِ الحساب.

وقال الصدِّيق الأكبرُ أبو بكرٍ رضيَ الله عنه: ليتَني شجرةٌ تُعضَد.

علِّموا أولادَكم هذا، حتىٰ ينْشَون مهمُومين بآخرتِهم، ما ينشَوْنْ مبهوتينْ بالدنيا، وحذِّروهمْ منَ الاختلاطِ بالناس، فإنهم ما ركِبوا ظهراً إلّا أدبروه، ولا جَواداً إلاَ عقَروه، ولا قلباً إلّا خرَّبوه. وعلِّموهمُ الأبياتَ هذه:

أخَصُّ الناسِ بالإيمانِ عبدٌ — خفيفُ الحاذِ مسكنُهُ القِفارُ
لـه بالليـلِ وِرْدٌ مِن صـلاةٍ — ومِن صـومٍ إذا طلَعَ النهـارُ
وفيـه عفَّـةٌ وبـهِ خـمــولٌ — إليـه بالأصـابـعِ لا يُشـارُ

الأخيارُ يقولون: هيّا نصومُ قبلَ أن نموت، والأشرارُ يقولون: هيا نأكلُ قبلَ أن نموت، لا تُنافِسون إلّا في المعاونةِ علىٰ البرِّ والتقوىٰ، وأمّا التعاون علىٰ المَنْدَر والفُسْحة كلّ يِشْوَرْ لُهْ، خَلُّوها صُحْبةً لله، وإن أردتُم صُحْبةَ الفقيرِ كلٌّ يبذُلُ جهدَه في الدعوة إلىٰ الله، ويرىٰ أنه مُقصِّر، كما قيل: ليس الشأنُ شهودَ التقصير في التقصير، وإنما الشأنُ شهودُ التقصيرِ

في التشمير، وإلاّ شُفُوها صُحْبَةْ كَذِب، خَلُّوا الوادي يتنوَّرْ وقبائلُه يهتَدون إذا عاونتُم. وقصِّروا أملَكم في الدنيا حتىٰ تسهُلَ عليكمُ المعاونة.

□ كان رجلٌ شَيْبَة من آلِ شاووش خادم آل علي الحَاج، في أيَّامِ والدي عمرَ رضيَ الله عنه، إذا جاء الوالدُ من تَريمَ واتَّفقَ به قال له: يا سيد عمر، جيْت من تَريم مِن عندِ أخيك محمد؟ يعني الحبيبَ محمّدَ بن سُميط. فقال له الوالد: نعم. قال: كَثِّرِ الاجتماعَ أنت وأخوك، فإنّ الدارَ دارُ فِراق، يقولُ له في كل مجي من تَريم. وكان الوالدُ في تلك الأيامِ يأخُذ في تريمَ نحوَ ستةِ أشهر. قال الوالد: يَعِظُني كلَّ وقتٍ بكلامه.

قال سيدي: وأنتَ خُذِ الموعظةَ لنفسِك ممّن كان، ولو كان كافراً.

* * *

وقال رضيَ الله عنه: حسْنُ الظنِّ في كلِّ مسلمٍ متعيِّن، ولو هو مخلِّط، لأن الخاتمة ما حَدّ يعلَم بها، يعلَمُ الله ماذا تكونُ الخاتمةُ عندَ الموت.

□ رأيتُ الوالدَ عمرَ رحمَه الله كأنّه في مجلسٍ ويذْكُرُ رجلاً ممّن قد ماتَ منَ المُخلِّطين، ما باأقول لكم به، لأنّ حالتَه زِعْلِه، فقال الوالد في الرؤيا: ختَمَ اللهُ له بالإحسان، أو كما قال سيدي. حتىٰ أنكم تُحْسِنُون الظنَّ بكلِّ المسلمين في الباطن.

ومن بابِ الأمرِ والنهي: أَعْطِ الظاهِرَ حُكْمه، قال سيدُنا عبدُ الله الحداد:

وأحسِنِ الظنَّ بالمسلم ولو كانْ ناقي　　　واحذَر الفاسقين أهل الرِّيَبْ والنفاقِ[1]

---

(١) «الديوان» (٣٨٣).

وقال رضيَ الله عنه: تأهَّبوا لمَواهبِ الله حتىٰ تقَعَ لكم، فمَواهبُ اللهِ سبحانَه عزيزة، وحكمتُه تقضي أن لا توضَعَ الموهبةُ في مَن يدنِّسُها بالبَوْلِ والغائط، بوضْعِها في غير مَحَلِّها وأهلِها، وإنْ كان كرَمُه تعالىٰ يُعطي مَن يستأهلُ ومَن لا يستأهل.

كما أنَّ مَن معَه خلْعة فاخرة، فإنّ حكمتَه تقضي أن لا يُعطيَها طفلاً صغيراً يدنِّسُها بالبَوْلِ والغائط، بل يعطيها مَن يتحفَّظُ عليها.

وكذلك الوالي العادل، نرجو منَ الله أنكم إذا أقبَلْتم علىٰ أهليكم وعلَّمتوهمُ العلم الواجب واستقمتُم، أن يُكرِم نحن الله بوالٍ عادل، لكن إذا تأهَّلنا للموهبةِ، لأنه من مواهبِ اللهِ تعالىٰ.

❒ ❒ ❒

وقال رضيَ الله عنه يومَ الأحد ٢٢، اثنينِ وعشرينَ جُماد الأولِ سنةَ ١٢٥٦: الحلالُ كثيرٌ بالنسبة للقانع، وقليلٌ بالنسبةِ للمتوسِّع، يضيْقُ عليه الحلال، الزَمُوا القناعةَ والاقتصادَ حتىٰ تطِيبَ لكمُ المعيشة.

وسأل بعضَ السادة الواصلينَ من (تَريم) عن الحبايبِ أهلِ الفضل: الحبيبِ عبدِ الله بنِ حسين[١]، والحبيبِ عمرَ بنِ زين الحبشيّ[٢]، والحبيبِ عبدِ الله بنِ عمر بن يحيىٰ[٣]، والحبيبِ عبدِ الله بنِ علي بن شهاب[٤]، فأخبرَه أنَّهم بعافية إلاّ السيدَ فلان معَه رِياح، قال: اللهُ يقوِّي ما ضعُفَ مِنّا ومنهم (ثلاثَ مرات)، واللهُ يباركُ لنا فيهم.

* * *

وقال رضيَ الله عنه مذاكرةً علىٰ قراءةِ الحبيبِ عمرَ بن محمد في «الإحياء» في كتابِ الصُّحبة من «الإحياء» هذا البيت:

إنّ الكرامَ إذا ما أيْسَرُوا ذَكَروا　　　مَن كان يألَفُهُمْ في المنزلِ الخَشِنِ[٥]

وقد أبدَلَ قافيةَ هذا البيت سيدُنا رضيَ الله عنه في الجيميّة بقولِه: (في المنزلِ الحَرَجِ)[٦]، كان الحبيبُ محمدُ بن سُميطٍ إذا كتَب للحبيبِ

---

(١) هو الحبيب الإمام عبد الله بن حسين بن طاهر، المتوفىٰ بالمسيلة سنة ١٢٧٢هـ.
(٢) تقدم ذكره مرات.
(٣) مفتي حضرموت والعلامة الفقيه، توفي بالمسيلة سنة ١٢٦٤هـ.
(٤) علامة فقيه جليل، توفىٰ بتريم سنة ١٢٦٥هـ.
(٥) من قصيدة لشاعر آل البيت: دعبل الخزاعي.
(٦) «الديوان» (٤٥).

عمرَ حامد كتابَ مكاتبةٍ يكتبُ هذا البيت، والإمامُ الغزاليُّ أبو آل باعلوي وينتسبونَ إليه، انظروا كلامَ العيْدَروسِ في مدحِه ومدح كتُبه. أو كما قال.

* * *

وقال رضيَ الله عنه: من أهمِّ إصلاحِ ذات البيْن: إقامةُ الوالي العادل، والسعْيُ فيه، ولا نحْنُ شيء ولا علىٰ شيء إلا إذا قُمنا فيه، ما تنقضي حاجةُ ساكت. أو كما قال.

* * *

صلَّيتُ الصبحَ خلفَ سيدي يومَ الأحدِ سِلْخَ جُمَادىٰ الأولىٰ فقرأَ في الأولىٰ: ﴿وَٱلضُّحَىٰ﴾، والثانية: ﴿أَلَمْ نَشْرَحْ﴾، وقنَتَ في الثانية، وجهَرَ بالثناءِ والصلاةِ علىٰ النبيِّ ﷺ.

* * *

وقال رضيَ الله عنه في مدْرَس الجُمُعةِ فاتحةَ جمادىٰ الآخرة سنةَ ١٢٥٦هـ، مذاكرةً علىٰ قراءةِ الحبيبِ عمرَ بن محمّدٍ في «الحديقة» مقالةَ سيدِنا عليٍّ بنِ أبي طالبٍ كرَّم اللهُ وجهَه: (مَن أكلَ الحلال. . .) إلىٰ آخرِ المقالة: هذه المقالةُ عظيمة، احفَظوها وكرِّرُوها، واطلُبوا منَ الله التوفيقَ لذلك، ولا يقدِرُ علىٰ الحلالِ من بايتأنق في المعيشة، يضِيقُ عليه، ومَن قَنَعَ بالدُّونِ في العيش، وبالدُّونِ في الكساء، قَدَرَ عليه، وعَبَرَ الدنيا في راحة، أو كما قال.

* * *

وسألتُه رضيَ الله عنه عن قولِه عليه السَّلامُ في الدعاءِ الواردِ في الخروجِ إلىٰ المسجد: «فإني لم أخرُجْ أشَراً ولا بطَراً ولا رياءً ولا سُمعة، بل خرجْتُ اتقاءَ سخَطِك وابتغاءَ مرْضاتِك»[1]. . .إلخ، ينوي به الإنسانُ الدُّعاء، لأن فيه شائبةَ التحدُّث؟ فقال: ينوي متابعةَ الرسولِ عليه السَّلام، وحقيقتُه إلّا شُكْرُ نعمةِ الإسلام، وأتىٰ بقصَّةِ الشيخِ الذي مَرَّ معَ خرُوجهِ إلىٰ المسْجدِ هو وتلامذتُه علىٰ نصرانيٍّ معَ جماعتِه يريدونَ الكنيسة، وقد مَرَّتْ في هذا «المجموع».

* * *

قال رضيَ الله عنه ليلةَ الربوعِ آخرَ رجبٍ سنةَ ١٢٥٦هـ مُذاكرةً عندَ قولِ الإمامِ الغزاليِّ في «البداية»: (ولا تَظُنَّنَّ أنها تسلَمُ لك نيةٌ صالحةٌ في طلبِ العلم وفي قلبِك شيء من الحَسَدِ والرياءِ والعُجب. . .) إلخ.

---

(١) رواه ابن السني (٨٤) في «عمل اليوم والليلة».

قال رضيَ الله عنه: استنصِحُوا هذا الإمام، واحفَظوا هذه الكلمة، فإنها خَبَـرُ داحقٍ؛ لأنه رضيَ الله عنه قد شاهدَ جميعَ ذلك في أول أمره، حتىٰ أنه صنَّفَ كتاباً سماه «المنقذ منَ الضلال»[١] تحدَّثَ فيه بالنعمة، يقول فيه: (قـ وقَعْنا في كذا، وقد وقعْنا في كذا)، فتدارَكه الله، وتدارَكَ به الأُمةَ المحمدية حتىٰ صار حُجَّةَ الإسلامِ رضيَ الله عنه ونفَع به، آمين.

* * *

وفي روْحةِ ليلةِ الثلاثاءِ آخرَ شهرِ الحجةِ من آخرِ سنةِ ١٢٥٦هـ، كان رضيَ الله عنه جالساً في مسجدِ الجامع بينَ الساريتين نجديَّ المِنبر، فقرأَ آخرَ أبياتِ «العروةِ الوثيقة» حتىٰ وصَلَ إلىٰ قولِه: «وصَلِّ علىٰ الرسولِ بغير لَبْس»[٢]. . . إلخ.

---

(١) كتاب شهير، مطبوع.

(٢) وهي:

فيا مَن مَنَّ بالصفْحِ الجميلِ ... أدِمْ كـرَمـاً وسـامِـحْ بالقَبـولِ
لأعمالٍ روائحَ أو غَواديْ

إلهـي، اغفـرِ الذنبَ العظيما ... بفضْلِكَ، واهدِنا السَّنَنَ القَويما
ولاَ تُشمِتْ بنا يومَ التَّناديْ

وأصلِـحْ ذاتَ بيْـنِ المسلمينـا ... وصيِّـرْ قُطْـرَنـا بلـداً أمينـا
وعُمَّ الأمنَ في كلِّ البلادِ

وصَلِّ علىٰ الرسولِ بغيرِ لَبْسِ ... إلـىٰ الثقليْـنِ مـن جـنٍّ وإنْـسِ
صلاةً لا تؤولُ إلىٰ نَفادِ

أجـلِّ الـرسْـلِ منزلـةً وقـدْرا ... ورحمـةِ رَبِّنـا دنيـا وأُخـرىٰ

فقال: رأيتُ النبيَّ ﷺ جالساً في مكاني هذا، فشكوْتُ إليه عدَمَ شَوْفِ عيوني، فقال عليه الصَّلاةُ والسَّلام: بالكلّيةِ بالكلّية؟ فقلت: بالكليةِ بالكلية. وأخَذَ سيدي رضيَ الله عنه ليالِيَ يجلس للرَّوحةِ في ذلك المكان، والله أعلم.

* * *

وقد انتهىٰ ما يسَّرَ الله جمعَه من كلامِ سيدِنا، واللهُ أعلمُ وأحكم، وصلىٰ اللهُ علىٰ سيدِنا محمَّدٍ وآلِه وصحبِه وسلَّم، والحمدُ للهِ ربِّ العالمين[1].

= لكلِّ العالمينَ بلا عِنادِ

وكـلَّ الآلِ والصحـبِ الكـرامِ فشـرِّفْ بـالتحيَّـةِ والسّـلامِ

وكل مُهتدٍ منهُمْ وهادِ

(١) جاء في نسخة (شبام):

«وكان الفراغ من كتابته ضَحْوةَ الثلوث وعشرٍ خلت من ربيعِ الأول، سنة ١٣١٢ خلت من الهجرة، علىٰ صاحبها أفضل الصلاة والتسليم». اهـ.

وجاء في نسخة (تريم):

«وكان الفراغ من كتابته ليلةَ الربوع في شهر القعدة سنة ١٣٥٢هـ، بقلم الفقير إلىٰ ربه المتين: محمد بن علوي بن عبد الله بن عيدروس بن شهاب الدين، تَمّ بتريم». اهـ.

* * *

يقول العبد الضعيف، المفتقر إلىٰ رحمة مولاه الخبير اللطيف، محمد بن أبي بكر بن عبد الله بن سالم باذيب، الشباميُّ الحضرمي، المتشرف بجوار السيد الإمام أحمد بن عمر صاحبِ هذا الكلام، في المدينة المحروسة شبام، والراجي=

ملحق

ومن كلامِه(١) **رضـيَ الله عنه**، من خَـطِّ مَن نقَلَـه: سيـدُنـا الحبيـب مصطفىٰ بنُ عبد الرحمن بن محمدٍ بن سُميط(٢) رضيَ الله عنهم:

قال رضيَ الله عنه ونفعَنا به: إني سمِعتُ رجلاً يقرَأ «ورد الحبيبِ عبد الله الحدّادِ الكبير» ورثيْتُ له، لو أنه يقرَأ «الورْدَ اللطيف» ويتدبرُه أحسَن له، ومثْلُ هذا من يُهَذْرِمُ الأذكار، كما القطعةُ التي يدخُلُها الماءُ ويخرُج.

❊ ❊ ❊

وقال رضيَ الله عنه: الدِّيور خَلَّتِ الناس طيور.

❊ ❊ ❊

وقال رضيَ الله عنه: العلمُ سُنْبوق(٣)، والقرآن مركَبٌ، ولا يصِلُ [إلىٰ] المرِكَب إلاّ بالسُّنبوق.

= من كرم مولاه أن يحشره في معيتهم تحت لواء سيد المرسلين ﷺ في يوم الدين: إني قد فرغت من وضع هذه التعليقات ضحْوةَ الثلاثاء، ٢٩ من محرّم الحرام من شهور عام ١٤٢٤هـ، جعلها الله سنة نصر وظفر للإسلام والمسلمين، آمين.

جعل الله ذلك خالصاً لوجهه الكريم، ومقرباً إلىٰ جنات النعيم. والحمد لله رب العالمين.

(١) هذه الزيادة في نسخة تريم.

(٢) توفي -تدود ١٢٦٠هـ، ولم يُعْقِب.

(٣) السنبوق ــ كعصفور ــ: زورق صغير.

وقال رضيَ الله عنه: إذا سَلِمَ العُود، الخيرُ يعُود، والعُود: الدِّين.

* * *

وقال رضيَ الله عنه: القهوة بَهْوَة، آفةٌ علىٰ الفقراءِ والمساكين، وعلىٰ أهلِ الدين، لأنهم اتّخَذُوها في اللهوِ والغفلة، والسلفُ [ما] يمدحونَها إلاّ لمعونتِها علىٰ الطاعة، لأن للوسائل حُكْمَ المقاصد.

* * *

وقال رضيَ الله عنه: يوم حضرَموت أرض مباركة حسدَهُم إبليس، راحوا تغرَّبوا.

* * *

وقال رضيَ الله عنه: الدنيا بحْر، ما ينجو منها إلاّ القانع.

* * *

وقال رضيَ الله عنه: ما سببُ خرابِ الدِّينِ إلاّ السكوتُ عنِ النصيحة، ولو تناصَحوا كانْ صَلحوا الناس.

* * *

وقال رضيَ الله عنه عشرَ ظفرِ سنةِ ١٢٤٢ ونحن طالعين من(خُبَاية) من مسجدِ والدِه وهو يذكُرُ المعاونةَ علىٰ الخيرِ من الذينَ لا يُؤبَهُ إليهم، وإلاّ المنظورينَ ما مِنْهُم معاونة.

* * *

وقال رضيَ الله عنه: مَن لا يساعِد علىٰ تعليمِ الصغارِ أمْرَ دينهم قبلَ قراءةِ القرآن لا يمْدَح العلماءَ ولا يذُمَّ العاصي، ولا هوَ شيء ولا بعضُ شيء، وطريقةُ أهلِه أقْدَمُ علىٰ طريقةِ ربِّه.

* * *

وقال رضيَ الله عنه: أهلُ حضرَموتَ حاجتُهم إلىٰ العلمِ وافرة، لأنهم أهلُ سفَر، يحتاجونَ إلىٰ التيمُّمِ والقَصْرِ وغيرِ ذلك.

* * *

وقال رضيَ الله عنه: الأولينَ مدَحوا الصَّلاةَ بأفعالِهم، وبنوا مساجد، وتصدَّقوا عليها بأموالِهم، وقالوا: لا نَغبطُ الحيَّ إنما نغبِطُ الميت، وعظِّمِ الناسَ علىٰ قَدْرِ تعظيمِهم لربِّهم.

* * *

وقال: شيءٌ منَ الخير فيه وَجْهانِ: وجهٌ للدنيا ووجه للآخرة، هذا الذي يُساعدونَه عليه الناس، مثالُه: منكَرٌ في بيتِك تشاهدُه: تَهاونٌ بالصلاة، وإذا شُفْت في الغيرِ شي من المنكَرات أنكَرْتَ عليه.

* * *

وقال رضيَ الله عنه: الأولينَ حقُّهم لهم، تصدَّقوا به وبَنوا به مساجد، قدَّموه لأنفُسِهم، وحقُّنا ما هو لنا، هو إلاّ للوارث، إمّا يَسْعَد به، أو يَشقىٰ به.

* * *

وقال رضيَ الله عنه: مِن حقوقِ القرآن: تعلُّم النحو.

❊ ❊ ❊

وقال رضيَ الله عنه: ينبغي للرجالِ أن يذاكرون النساءَ بالحج، ويعظِّمونَه، لأجْلِ يَمُتْنَ وهُنَّ حَسارىٰ على الحج.

❊ ❊ ❊

وقال رضيَ الله عنه: الجاهليةُ دفنوا بناتِهم حَيَّاتٍ، ونحن دفنَّا أولادَنا بالجهل.

❊ ❊ ❊

وقال رضيَ الله عنه: السباقَ السباقَ إلىٰ نَعْشةِ الدِّين، اخدُموا العلم، ما مَنْ يعلِّمُ عيالَه إلاّ يربَح، وعَلِّموهُم القناعةَ حتى يصَلُّوا صلاة مسَمَّحة، القانعُ صلاتُه راجحة.

❊ ❊ ❊

وقال رضيَ الله عنه: إذا شفتَ طالب العلم اخدُمْه لأجْلِ يَعْظُمُ الدِّينْ عندَ أهلِك، السباق السباق، اللِّحاقَ اللِّحاق!

❊ ❊ ❊

وقال رضيَ الله عنه: تبَصَّروا لدينِكم إن بغيتوه يُنْعَش.

❊ ❊ ❊

وقال رضيَ الله عنه: إذا احتفلتوا بكلامِ الحبيب عبدِ الله الحداد احتفلَ بكمُ الزمان.

* * *

وقال رضيَ الله عنه: الزِّيَان يقولون: هيا نُصلِّي قبلْ نموت، والعِياف يقولون: هيا نأكُلْ قبلْ نموت، وإذا عَرَضَتْ فائدةٌ انقُلوها واعقلوها، وكان يُنشِدُ كثيراً هذين البيتين:

فخَـفْ أبناءَ جِـنْسِكَ واخْشَ منهمْ   كما تخْشَىٰ الضراغِمَ والسِّبنتا[1]
وجـالِـسْـهُـم وزايِـلْـهُـم حِـذاراً   وكُـن كـالسـامـريِّ إذا لُمِـسْـتَـا

* * *

وقال رضيَ الله عنه: إذا ما عرَفْتَ مجلسْ هل يُفيدُك حضورُه أم لا؟ قَدِّرِ المُوت بايجيك وأنت فيه، فإن كنتَ ترضىٰ فسِرْ إليه، ومثْله: العلوم، والكتُب، والحاصل: اعرِضوا جميعَ أفعالِكم علىٰ الصَّيرفيِّ وهو الموت، لأنه ميزان، زِنُوا جميعَ أفعالِكم وأقوالِكم عليه.

* * *

وقال رضيَ الله عنه: لو أدركَ بحرقٌ الحبيبَ عبدَ الله لكان يستشهدُ بكلامِ الحبيبِ عبدِ الله.

* * *

---

(١) السبنت: كل ذي ناب.

وقال: ما جهتنا إلاّ زينة، طعامها خيرُ الطعام وتَمْرُها كذلك، عسىٰ الشكر.

❋ ❋ ❋

وقال: الحسرةُ علىٰ الخيرِ أعظمُ مِن فعلِ الخير.

❋ ❋ ❋

وقال: لا حَدّ يَـيْأَسْ مِن كرمِ الله، والله يعطي التالينَ ما أعطاه الأوّلين، ما حَدّ يَحْكُم عليه.

❋ ❋ ❋

وقال: مَن لا تأدَّبَ في الصغَر ما تأدبَ في الكِبَر.

❋ ❋ ❋

وقال: من العمل بالعلم: تعليمُ أهل دارك، ومِن قِلِّ العمَلِ بالعلم: قِلُّ تعليمِك لأهلِ بيتِك، فعلِّموا أهلَكم.

❋ ❋ ❋

وقال: لسانُ حَالِ النساء ومَن ضاهاهنَّ يقولونَ لصاحبِ البيت، إذا أرادَ أن يخرُج إلىٰ زيارة وليٍّ أو مجلسِ علمٍ غير واجب، فضلاً عن مجالسِ قالٍ وقيل: هل يسوغُ لك أن تخرُجَ ونحنُ جاهلونَ شرائعَ الإسلام ولا تجلس تعلِّمُنا ذلك؟ وما يُدريك؟ لعل الموتَ ينزلُ فجأةً بنا أو بك، فنموتَ أو تموتَ ونحن جُهَّال نتعلقُ بك يومَ القيامة نختصمُ إلىٰ الله، ونقول: يا ربَّنا، خُذْ لنا حقَّنا منه، فإنه ظَلَمَنا، ما علَّمنا شرائعَ الإسلام؟

وقال: المطلوبُ من كلِّ إنسانٍ أن يُقبِل بمكتبهْ علىٰ تعليمِ أهلِه العلمَ الواجبَ مدىٰ شهرِ زمان، يتعلَّمونَه ويُذاكرونَ غيرَهم في ذلك.

* * *

وقال: أهلُ الشحرِ يُغْبَطونَ بسببِ ابن بُرَيك[١]، لأنْ قدُه رأسٌ يعاوِن، الله يزيدُهم، عليهم إلاّ يشكرون.

انتهىٰ. من «سفينة» من نقَلَها من مجْلِسه سَماعاً.

* * *

سمِعتُه يوماً في الجامعِ يقول: حَصِّلوا شيء مِن لا شيءْ، يعني: الدنيا لا شي، إنها فوْت وموْت، كلُّها مصائب، واليوم بَتَّوْا لطلبِ الدنيا مَقارِبَ الصين، والمطلوب إلاّ الدِّين ولو إلىٰ الصين، عكَسُوا فعُكِّسُوا.

وزمـانٍ عُـكِّسَـتْ أحـوالُـهُ　　　صارَ فيه الوجْهُ في حَدِّ القَفَا

مَن يسافرْ ينوي التعلُّمَ والتعليم، ولو إلىٰ الحج، لأنه ما يصحّ إلاّ بالعلم، قدِّموا الشرطَ قبلَ المشروط، كلُّ مَن معُهْ عينين يتغانَم: يقرَأ، وإلاّ يستمع، ولا يطْرَحُ الكتاب إلاّ إذا جاءه عزرائيل.

* * *

وسمِعتُه يقول: إنَّ حبيبي زين رأىٰ أحداً ــ بعدَ موتِه في طريقِ

---

(١) يعني به السلطان ناجي بن علي بن بريك المتوفىٰ سنة ١٢٤٢هـ.

هودٍ ــ كأنه راكب، وقال له: أَغبِطُكَ علىٰ موت الغُربة، يعني: بشبام، ويوم ولدَك محمَّد!

❋ ❋ ❋

قال رضيَ الله عنه: الفخْرُ إلاّ هكذا بالأولاد، عَلِّموا أولادكم واعتَـنُوا بهم يكونوا قرةَ عينٍ لكم، أو كما قال.

اعتَنوا بحفْظِ الإسلامِ واشكُروا علىٰ نعمةِ الإسلام، أعطاك إياها يا هَبِـيْله سهلة، وأحْرَمَها أبو نبيْ وعمّ نبيْ وولد نبيْ، يعني: إبراهيم، وعمَّ النبيِّ ﷺ، وولدَ نبيِّ الله نوح.

إنما مِثالُنا: مثْلُ صبيٍّ لَبَّسُوه خلعةً فاخرةً عظيمة، راح يبول فيها، ما يعرفُ قدْرَها، وأين مَن يعْرف قدْرَ نعمةِ الإسلام؟ قال اللهُ تعالىٰ: ﴿وَقَلِيلٌ مِّنْ عِبَادِىَ ٱلشَّكُورُ﴾ [سبأ: ١٣].

❋ ❋ ❋

وقال عندَ ذكْرِ القناعة: مصيبتان علىٰ الحريص، يعني عندَ الموت، إنهم يأخذونَه عليه كلِّه، ويحاسبونَه عليه كله، يعني المال.

❋ ❋ ❋

وسمِعتُه يقول: هِمُّوا في طلبِ العلمِ بالهمَمِ العالية، لا بالرمَمِ البالية.

❋ ❋ ❋

إذا قويَ الإيمانُ كثُرَ الامتحان.

❋ ❋ ❋

لطِّفُوا المعاش، واقنَعوا بتمرٍ الصبحَ وخُبزٍ الليل. . وجم ممن يطلُبُ الحلال.

* * *

مثالُ الحلال إلا: كمَن بايشرَب ــ اليوم ــ من ماءٍ كدِرٍ جمّ، يفعَلْ علىٰ الإناء خرقةً ويمصُّ الماءَ مصّاً، حتىٰ يشربَ الصافي.

هذا الزمانُ الذي عمَّ الحرامُ بهِ والظُّلمُ مِن غيرِ ما شكٍّ ولا جدَلِ(١)

* * *

وقال: افَعلوا طاسةْ وبيرقْ وبُـندق، يُضرَبُ لوقتِ الصلاة كنهارِ الجمُعة. إعلام، لأجْلِ يحضرون تكبيرةَ الإحرام والمذاكرة، لأن العلمَ شرطُ الصلاة(٢).

* * *

كونوا قدوةً لأهلِ الجهة: غُرفة وسيون وغيرِهما، وأسِّسوا الخيرَ لعيالِكم من بعدِكم، وهِمُّوا بهذا الأمرِ(٣)، يكرِمْكمُ اللهُ بَوالٍ عدْل، إذا علِمَ صدقَـكم.

---

(١) البيت للإمام الحداد. «الديوان» (٤١٥-٤١٧).

(٢) أي: كالذي يُفعَل أيامَ الزيارات المعروفة في حضرموت، وأيامَ الأحوال، والجمعة وغيرها مما يستخدم كوسيلة للإعلام وتنبيه الناس علىٰ ذلك، فهو يرىٰ أن فعل ذلك للصلاة لكي يتنبه الناس ويأتوا مبكرين؛ لأن الناس صاروا يتأخرون عن التبكير، وهذا فعل عم في غالب بلاد الإسلام، في الجمعة وغيرها.

(٣) أي: أمر الدعوة إلىٰ الله تعالىٰ.

كفاكمُ الوالي عنِ المطلوبِ الجميعَ وقام به، أو كما قال.

يقولون: الفرنجي أخذ عدَن؛ من قِلِّ التذكير[١].

انتهىٰ، من «سفينة» المنوَّر عبد الله بن أحمد باذيب[٢].

* * *

[خاتمة الملحق]:

هذا ما اتفَق من نقْلِ كلامِ سيدِنا وشيخِنا وعُمدتِنا وغوْثِنا وناصحِنا في اللهِ ورسوله وداعينا إلىٰ ما فيه صلاحُنا، البركةِ الشاملةِ للكون، والرحمةِ العامةِ للجميع، الحبيبِ الشهابِ أحمدَ بنِ سيدِنا شجاع الدِّين عمرَ بنِ الحبيبِ زينِ بنِ علَوي بن سُميط، نفَعَ الله به، آمين.

* * *

وكان الفراغُ من كتابةِ هذه النسخة، يومَ الجمُعة، أربعَ عشرةَ خلَتْ من شهرِ صفرٍ سنةَ ١٣٥٤، بقلمِ الفقيرِ إلىٰ الملِكِ الوهّابِ عبدِ الرحمن بنِ

---

(١) أي: ما سبب دخول الاستعمار واحتلاله بلادَ المسلمين إلا بسبب الغفلة عن ذكر الله وعن التذكير بالواجبات، مصداقاً لقوله تعالىٰ: ﴿وَمَآ أَصَٰبَكُم مِّن مُّصِيبَةٖ فَبِمَا كَسَبَتۡ أَيۡدِيكُمۡ وَيَعۡفُواْ عَن كَثِيرٖ﴾. ويقصد بالفرنجي: الإنجليز عندما احتلوا عدنَ بعد توقيع معاهدة الصداقة بين سلطان لحج وشركة الهند الشرقية، في ١٨ حزيران١٨٩٦م، وتفصيل ذلك يطول.

(٢) لعله الشيخ عبد الله بن أحمد باذيب لعْجم، كان من العلماء الصالحين، توفي أوائل القرن الرابع عشر، تنظر ترجمته في كتابي «بغية الأريب».

عيْـدَروسِ بنِ أحمدَ بنِ شـهابِ الدين، عفا اللهُ عنه وعن والدَيـه، وعن جميعِ المسلمين، آمينَ اللهُمَّ آمين، والحمدُ لله ربِّ العالمين، في بندرِ باكلنقانَ جاوة[١].

❑ ❑ ❑

---

(١) وكان الفراغ من وضع التعليقات علىٰ هذا الكلام المبارك النافع، ضحوة الثلاثاء تاسع عشري محرم الحرام من عام ١٤٢٤هـ، أربعة وعشرين وأربعمئة وألف، ثم كانت مراجعته والنظر فيه في شهر جمادىٰ الآخرة من عام ١٤٢٥هـ وتمت ليلة الاثنين ٦ من شهر رجب الحرام من نفس العام، وقد شاركني في تصحيحه وقراءته أستاذنا الفاضل أحمد بن محمد بن عمر بركات الشبامي جزاه الله خيراً، والحمد لله الذي بنعمته تتم الصالحات، كتبه العاجز الضعيف محمد بن أبي بكر ابن عبد الله بن سالم باذيب عفا الله عنه وعن والديه وشيوخه أجمعين، آمين، وصلىٰ الله وسلم علىٰ سيدنا محمد وعلىٰ آله وصحبه أجمعين.

تقريب الشاسع

بسم الله الرحمن الرحيم

تقريب الشاسع
في ترتيب وظيفة الجامع

رسالة تبين

ترتيب وظائف الصلوات والأذكار في جامع شبام حضرموت

الذي رتبه الإمام أحمد بن عمر بن سميط رضي الله عنه

جمعها

المُعَلِّم الفقيه الشيخ عوض بن محمد سديس عقبة الشبامي

المتوفى بشبام سنة ١٢٩٩هـ رحمه الله تعالى

اعتنى بها

محمد بن أبي بكر بن عبد الله باذيب

دار الفتح للدراسات والنشر

بِسۡمِ ٱللَّهِ ٱلرَّحۡمَٰنِ ٱلرَّحِيمِ

تصدير

الحمدُ للّه علىٰ ما وفَّقَ وألهم، وسدَّد وهدىٰ وأرشدَ وقوَّم، وصلّىٰ اللّه علىٰ خِيرتِه من خِلْقه، سيدِنا محمّد، وعلىٰ آله وصحبه وسلَّم.

فيسعدُني أن أقدِّمَ للإخوةِ القُراء الكرامِ هذه الرسالةَ الموجَزة المفيدة، من مؤلَّفات علماء شبامَ الأفاضل، طريفةً في موضوعها، مفيدةً في بابها، وهيَ من نوادرِ المؤلَّفات، ومنَ الطُّرَفِ والتحَفِ المستجادات.

دبجَتْهـا يَراعةُ عالِـم فقيه صالح، تولّىٰ إمامةَ المسجد الجامع في مدينةِ شبامَ بحضرَمَوتَ مدةً تقرُب من الخمسينَ عاماً أو تزيد، عاش حياته كلَّها في أجواءِ القرن الثالثَ عشرَ الهجري.

وتكمُـن أهميتُهـا في: أنها لم يؤلِّـفْ مثلَهـا في بابهـا أحدٌ مـن علمـاء حضـرموتَ فيما أعلم، وفي أنها تصوِّر لنا الحياةَ والبيئة العلميةَ في شِبامَ في منتصـف القرن الثالثَ عشرَ الهجـري، وتوضِّـح منهَجاً وأسلوبـاً في ترتيـبِ الوظائف المقامةِ في مسجدٍ جامعٍ شهيرٍ في حضرموت، وهُو: جامعُ شِبام، أحدُ أشهرِ وأقدمِ مساجد ذلك الوادي المبارك.

***

وتُفيـدُنا هذه الرسَالةُ في بيـان اهتمامِ أهـل ذلك الـوقتِ بشعائر الدِّين الإسلاميِّ الحنيف، وحرص الدُّعاة إلىٰ اللّهَ ــ من أكابرِ العلماء ــ علىٰ دعوة

العامة، وتقريبِ مسائل الدين إلىٰ أفهامِهم، واتخاذِ أسلوبٍ هو في الحقيقة من أنفعِ الأساليب لتلقين مسائل الدين، وحفظها، وهو أسلوب التلقين الجماعي.

وقد نجحتْ تجربةُ الدعاة إلىٰ اللّه في العمل بهذا الأسلوب، وأثمَرَت جهودُهم تمسُّكَ العامة بالدين، وحفْظَهم للمسائل الضروريةِ والفروضِ العينيةِ التي يتحتَّمُ عليهم معرفتُها، وهذا أمرٌ مشاهَدٌ للعِيان، رآه مَن قبلَنا، ولا زلنا نلمسُ أثرَه إلىٰ اليوم.

ولكنّ المصيبةَ الكبرىٰ هي في التنكُّبِ عن أعمال السلفِ الصّالح، والوقوفِ أمامَها موقفَ الاعتراضِ والإنكار، وتلقيها بنوع من الجفاءِ والتعالي.

وكأن أولئك السلفَ ابتدعوا شيئاً جديداً في الدين! والحقيقة إنهم نظروا ـ بسديدِ فِكْرِهم ـ إلىٰ المقاصد، وسهَّلوا السبُلَ والوسائلَ لسلوكها، فسلَكَها من سلك، وتخلّف عنها من تخلّف.

ينبغي لنا ـ معاشرَ الإخوة ـ أن ننظر بعين الاعتبار إلىٰ سلَفِنا، وألا نحكِّم آراءنا العَجْلىٰ برمْيِهم بما يَشِين، ما لم يكن مُنكراً حقاً، أو فعلاً يخالفه الشرعُ بالتأكيد.

* * *

وختاماً، أُهدي هذه الرسالةَ وما قمتُ به من جُهدٍ متواضع في تحقيقِها والتعليق عليها، ووضع بعضِ المقدِّمات المُفيدةِ والنافعة بين يدَيْها، إلىٰ كلِّ محبٍّ للعلمِ والمعرفة، وراغبٍ في التعرف علىٰ ما كتَبَه الأوائل.

وإلىٰ كلِّ الإخوة الباحثين، وإخوانِنا الشِّباميين، وكل مَن أحبَّ هذه الدِّمنةَ الصفراء العالية، شبامَ حضرموت:

بلادٌ بها نيطتْ عليَّ تمائمي وأولُ أرضٍ مسَّ جلدي ترابُها

وأسأل اللّهَ أن يوفِّقني للاستمرار في إحياءِ تراث هذه البلدة العتيقة، وبعْثِ ما دوَّنَهُ علماؤها الأجلاء، وفقهاؤها الأتقياء، وكلُّ ما يمُتُّ إليها بصلةِ العلم والدين، دعْكَ من التغني بها وبتراثها وعراقتها، فإن البلاد لا تحيا إلا بإحياء مَآثرها العلمية، ومآثر أهلها الصالحين، أما المباني فإنها أعراضٌ زائلة، وهي عُرْضة للزوال اليومَ أو غداً، علىٰ أن الحفاظَ عليها واجبٌ لا محيصَ عنه.

وإذا نظرتَ إلىٰ البلادِ رأيتَها تشقىٰ كما يشْقىٰ الرِّجالُ وتَسعَدُ

إننا نعني شبامَ العلم، شبامَ الدعوة إلىٰ اللّه، شبامَ التقوىٰ والصلاح. هذه هي شبام التي نعرفها، ويعرفها أهلها الذين صنعوا مجدَها وتاريخها، و﴿ يَٰلَيۡتَ قَوۡمِي يَعۡلَمُونَ ﴾.

والله وليُّ التوفيقِ والسداد

وكتب حامداً ومصَلياً

جدّة **محمَّدُ بنُ أبي بكرٍ بْنِ عبد اللّه بْنِ سالم باذيب**

في ١٣ محرمٍ الحرام ١٤٢٤هـ الشباميُّ الحضرمي، عفا اللّهُ عنه

جامعُ شِبام(١)

قـال العلاّمـةُ الجليل الإمامُ المحدِّثُ الفقيه عبـدُ الرحمٰن بْـنُ أبي بكرٍ باشَرَاحيل(٢) الشِّبامي، المتوفّىٰ سنةَ ٨٨٨هـ، في كتابِه «مِفتاح السُّنة»(٣): (وفي سنةِ ٢١٥هـ بُنِيَ جامعُ شِبام، وهُو كالقُطب الذي تدورُ عليه غالبُ شعائر الدِّينِ بشِبام). نتهى(٤).

---

(١) كتبـت عن المسجـد الجامع مقالة نشرت في مجلة شهرية تصدر في (تريم) تسمّى (المنبر) في العدد الرابع من السنة الأولىٰ، في ربيع الأول ١٤١٩هـ/ يوليو ١٩٩٨.
كما كتب أخي عمـر مقالاً واسعـاً ــ في صحيفـة (٢٦ سبتمبر) اليمنية ــ عن شبام، وتطرق إلىٰ ذكر الجامع.

(٢) ترجمته في كتـاب «قلادة النحـر» للإمـام المـؤرخ الطيب بامَخرمـة (المتوفىٰ بعدنَ سنـة ٩٧٢هـ)، وسمـاه العلامـة عبد الرحمٰـن بن عُبيـد اللّه السقـاف: محمـد بن عبد الرحمن، والصوابُ ما ذكرناه هنا.
يقال: إنه أدرك الشيخ محمدَ بنَ أبي بكر باعباد الشباميَّ المتوفىٰ سنة ٨٠١هـ، فيكون مولـده في أواخر القرن الثامـن، لكنـه ــ يقينـاً ــ أخذ عن الإمـام يحيـىٰ العامري الحرَضي مؤلف «بهجة المحافل» وقرأ عليه علم الحديث، ثم أقام ببلـدة (الحمراء) بلَحْج عند السيد الشريف عمرَ بن عبد الرحمن باعلوي، وبها كانت وفاته في التاريخ المذكـور، وصلىٰ عليه إماماً الإمامُ العلامةُ المفتي عبد اللّه بن أحمد بامخرمةَ الذي توفي بعدن سنة ٩٠٣هـ.

(٣) ينظـر كلام السيد عبد اللّه الحبشـي عن هـذا الكتـاب في مقدمـة «تاريـخ شنبل»: (ص ٧).

(٤) هذا لنقل اعتمدته من كتاب «إدام القوت» لابن عبيد اللّه السقاف.

وله أوقافٌ تُنسَبُ إلىٰ الخليفةِ هارونَ الرشيدِ الذي توفي سنةَ ١٩٣هـ، وهذا شاهدٌ علىٰ أنّ بناءه كان متقدِّماً علىٰ هذا التاريخ الذي ذكَرَه باشَرَاحيل.

ولا شكَّ أنّ أصلَ الجامعِ قديم، وإنما توالتْ عليه العِمَاراتُ والتجديداتُ في عهودٍ وأزمنةٍ مختلفةٍ ومتباعدة.

وقد أجمَعَ المؤرِّخونَ أنّ الصحابيَّ زيادَ بْنَ لَبِيد البَياضِيّ الأنصاري، عاملَ رسُول اللّه ﷺ علىٰ الزكاةِ بحضرَموت، كان يُقيمُ متردِّداً بينَ شِبامَ وتريم، أشهرِ بلدتَيْنِ في وادي حضرموت.

ومن البعيد عقلاً وشرعاً أن لا يوجَدَ مسجدٌ يجمع المسلمينَ في بلدةٍ شهيرة كمدينة شِبام، ومعَ وجود أحد صحابةِ رسُول اللّه ﷺ بين أظهُرِهم، هذا أمرٌ بعيد.

ومما لا شكَّ فيه، أنّ أصل المسجد الجامع كان موجوداً من عهد النبوة، وكان الصحابيُّ زيادٌ المذكورُ رضي اللّه عنه يجمع أهل شِبامَ فيه، إذ لا يُتصوَّر أن يتقدم أحد عليه، فكان ذلك هو أصلَ جامع شبام، المشهورِ بالبركة والروحانية وانشراح الصدر فيه.

جامعُ هارونَ الرشيد:

اشتُهر المسجد بين المتقدمينَ والمتأخرين بنسبتِه لهارونَ الرشيد الخليفة العباسي الشهير، وما ذلك إلا لأنّ الخليفةَ هارونَ رحمه اللّهُ كان قد أمَرَ واليَه علىٰ حضرموتَ بتجديد عِمَارة هذا المسجد المأثور، وبعيدٌ أن يأمر الخليفة بذلك إلا وللمسجد ذكْرٌ وشهرة في أيامه، مما يزيدنا ثقةً وتأكيداً بوجوده منذ عهد النبوة، مثلُه في ذلك مثَلُ مسجد أبي موسىٰ الأشعريِّ رضي اللّه عنه (المعروف بمسجد الأشاعر) بزَبيد، ومسجدِ معاذِ بن جبلٍ رضي اللّه عنه ببلدة (الْجَنَدِ) قربَ تعز، رضي اللّه عنهم أجمعين.

وإنما لم يُشتَهَر جامعُ شِبام باسم الصحابيِّ زيادِ بْنِ لبيدٍ رضي اللّه عنه كما اشتُهِرت غيرُه من المساجد بأسماء الصحابة ـ كمن ذكرنا ـ لأنّ الاحتمالَ قائم أنه لم يقُم هو ببنائه؛ لأنه من المعلوم أنّ أهل حضرموتَ إنما أسلَموا طوَاعيَة، ودخلوا في دين اللّه أفواجاً، وكان قد وفَدَ ملِكُهم وائلُ بنُ حُجْرٍ الحضرميُّ رضي اللّه عنه علىٰ رسُول اللّه ﷺ في قصته المعروفة.

فكان قدومُ الصحابيِّ زيادِ بْنِ لبيدٍ رضي اللّه عنه إلىٰ شِبامَ بعدَ أن أقام الأهالي لهم مسجداً يصَلُّون فيه الصلَواتِ الخمس، ويقيمونَ شعائرَ الدِّين من جمُعةٍ وجماعة. فلذلك لم يُنسَبِ المسجد إليه.

عِمَاراتُ المسجد:

عُمِرَ المسجدُ مراتٍ متعدِّدة، منها: سنةَ **٢١٥**هـ كما قدَّمنا النقلَ عن العلاّمةِ باشَرَاحيل، وذلك في ظلِّ الدولة العباسية.

ثم عُمِرَ أخرىٰ سنةَ **٥٣٢**هـ، في أيام حُكم الدولةِ الرسُوليةِ علىٰ بلاد اليمنِ وحضرموت، وهيَ المرةُ الثانيةُ في تاريخ حضرموتَ التي تُحكَمُ هيَ واليمنُ عموماً تحت ظلِّ حاكمٍ واحد؛ وهُوَ الملكُ المنصورُ عمرُ بْنُ عليٍّ الرسُولي.

وكان الذي عُمِرَ منَ الجامعِ هو قبلتُه (مقَدَّمُه)، قام بِها والي شبام: جميلُ بنُ نصَّارٍ السّعدي، بأمرٍ منَ السلطانِ عبد الرحمنِ بْنِ راشد، سلطانِ تريمَ وشبامَ لذلك العهد. فبان أن تلك العِمَارةَ لم تشمَلِ الجامعَ كلَّه.

وفي أواسطِ القرنِ الثالثَ عشر:

قام بعضُ أهل الخيرِ منَ الأهالي بعِمَاراتٍ متعدِّدة، وجدَّدوا الساسَ مرات، ولم نجدْ تواريخَ وإثباتاتٍ نذكُرُها هنا لتلك العِمَارات، سوىٰ ما قام

الإمـامُ الجليل الحبيبُ أحمدُ بنُ عمـرَ بنِ سُميـط به مِن زيـاداتٍ في الجامع، يشتملُ علىٰ البِركةِ النَّجْديةِ والشرقية، وهيَ المعروفةُ بالمغمس.

فقد وجَدتُ بخطٍّ بعض أفاضِل أهل شِبَام ما نصُّه: (تاريخُ عِمَارة البِرْكةِ القِبْليةِ بجامع شبـامَ في سنـة ١٢٤٣، بإشـارةٍ منَ الحبيـبِ أحمدَ بنِ عمرَ بن سُميط، وذلك في أولِ ولايةِ عمرَ بن جعفر. وعِمارةُ البِركةِ الشرقيةِ بالمسجدِ المذكور سنةَ ١٢٤٥). انتهىٰ.

عمَارةُ الساس عامَ ١٣٤١هـ:

ووجدتُ بخطوطِ بعض أفاضلِ آل باذيب ما نصُّه: (عمَرُوا العُصبِي حق الجامع القبلي في ربيع ثاني سنة ١٣٤١، وبَحَثُوا في القاع قدرَ قامة، ووجدوا في بعض الحصىٰ حقّ الساس (تاريخ ٢٢٤)[١]، وفي بعض الحصىٰ كتاب مثل العبراني)[٢]. انتهىٰ.

ومِن عِماراتِه الأخيرةِ: عمارةُ سنةِ ١٣٦٠هـ:

وتمَّـت علىٰ نفقةِ جماعةٍ من أهل شِبـام، ويقـالُ: إنهـم لمّا حفَروا في أصل المنارةِ وجَدوا (عضاداً) مِن ذهب، أي: شيئاً يُشبهُ الأسورة، فقوَّموه، فوجَدوه يفـي بتكلِفـةِ بناء المنارةِ من جديد، فباعوهُ وبنَوْها بقيمتِه، أخبَرَني

---

(١) وهذا دليل علىٰ قدم ساس الجامع، ويعضُدُ ما قدمناه من نُقُول عن ثقات المؤرخين.

(٢) لعلـه يقصد الكتابة المسمارية (خط المسنَـد)، وهـي كتابة كانت منتشرة في جنوب جزيرة العرب إلىٰ عصر صدر الإسلام، وهي لغةُ قوم سبأ وحِمْيَر، ولها رموز خاصة بها، وتنتشر في حضرموت عموماً، وفي شبام ونـواحيها ــ كجوجة وجعيمة ــ مثلُ هذه الكتابـات. وقـد كان في صحـن المسجد الجامـع في الضاحي وعند السواري أحجـار عليها كتابة كهذه، ثم اختفـت بعد عمـارة سنة ١٣٦٠هـ كما يقول عدد من أهالي شبام ممن حضروا تلك العمارة، ومنهم: سيدي الوالد حفظه اللّه تعالىٰ.

بذلك سيدي الوالد.

ولمّا كَمُلَتْ عِمارةُ المنارةِ سنةَ ١٣٦١هـ أرَّخَها الشيخُ الأديبُ أحمدُ بنُ عمر شَمّاخ الذي توفِّي في تلك السنةِ بقولِه رحِمَه اللّهُ تعالىٰ:

عمَادُ التقَى العمَلُ الخالدُ　　بِفَـوزِ مُقَـارِنِـه عـائـدُ
كعِمْـرانِ آثَـارِ بيتِ الإلٰـهِ　　لِيَرتاحَ فيهِ الفتَىٰ السَّاجدُ
وهـذِي مَنَـارةُ جـامِعِنـا　　لها في البِنَا الْمَثَلُ الواحِدُ
كنَجـمٍ تَـلألأَ فـي بُـرجِـهِ　　فمَنظَـرُهـا مُفـرَدٌ سـائـدُ
تسَنّـىٰ لِتَشْييـدِهـا نُخْبَـةٌ　　زكا منهُمُ الفَرْعُ والوالدُ
فتاريخُها نادَ: (يا مأثَراً　　بفَـنِّ مُـؤسِّسِـهِ شـاهِـدُ)
سنة ١٣٦١ = ١١ ٧٤٢　　١٣٢ ١٦٦ ٣١٠

وكـان المُشـرفُ علىٰ تـلك العِمَـارةِ الشيخُ المكـرَّم محمَّدُ بنُ عبدِ اللّه دحْمان بِلْفَقْيَه، رحِمَه اللّه تعالىٰ.

ووجدتُ بخطِّ المرحومِ الشيخِ عبد الرحمٰن قطَن المتوفىٰ سنةَ ١٣٩٧هـ رحِمه اللّه تعالىٰ ما نصُّه: (وكانت عِمارةُ الضاحي والرُّواق في جمادىٰ الآخرة من سنةِ ١٣٦٥، وهُو حصىً مربوع [مربّع] الشكل ملحَّم بالنُّوْرة.

وعُمرت الجوابِي القِبْليات وعددُها (٨) ثمان جوابي في شهر شعبان سنة ١٣٦٩. ثم صَبُّوا إسمنت علىٰ الحصىٰ المربوع المذكور أعلاه علىٰ جميع القاع حق المسجد، من القِبلة عندَ المِنبر إلىٰ عندِ الأبواب الشرقية صبة واحدة، في شهر رمضان سنة ١٣٨٨). انتهىٰ. من خط المذكور.

العِمَارةُ الجديدة:

تمَّتْ هذه العِمَارةُ في سنةِ ١٤١٧هـ علىٰ أنقاضِ المَبْنىٰ القديم، فتمَّت إزالـةُ كلِّ معالمِ المسجدِ القديمة التي بناها وسَعىٰ فيها الحبيبُ أحمدُ بنُ عمرَ

ابنِ سُميط في القـرن الثالثَ عشر، فأُزيـلَ المغمس والجوابِي، وطُمِرَت البئرُ التي كانت تَسقي المسجد، وأُزيلت سِقَاية الماء المسبَّلِ للشرب التي كانت إلىٰ جوار الجامع منَ الجهةِ النجْدية.

ولم يبقَ منَ المسجدِ الجامع القديم سوىٰ جُدرانِه وأساسَاتِه، كما أزيلتِ السواري القديمةُ وأُبدِلتْ بأخرىٰ جديدة. حتى المِنبرُ غُيِّرَ، وأُبدلَ بآخَرَ جديد، وسنعرضُ للمِنبر في السطورِ الآتية. . .

منبرُ جامع شِبامَ القديم:

بعـدَ تمام تلك العِمَارة الرسُوليـة في القـرن السـادس الهجـري، أهدىٰ الملكُ المنصورُ عمرُ بْنُ عليٍّ لجامع شِبامَ مِنبراً فاخراً مصنوعاً مِن خشبٍ قوي، وقيل: إنه جدَّده فقط.

وهذا المِنبـرُ لم يزَلْ يُخطَبُ عليه في جامـع شِبـامَ عقوداً، بل قروناً منَ الزمان، إلىٰ أن جُدِّد في سنةِ **١٢٢٩** هـ كما رأيتُه محفوراً بأعلاه.

وبقـيَ في موضعِـه حتىٰ أُزيل في العِمَارةِ الأخيـرةِ سنةَ **١٤١٧** هـ وأُبدلَ بآخرَ جديد!! ووُضع القديمُ في رُكن المسجدِ الخلفي، تَحتَ المنارة؛ بعدَ أن أدّىٰ دوْرَه ووظيفتَه ما يقرُبُ مِن تسعِمئة سنةٍ هجريةٍ أو يزيد، وليتَ المسؤولينَ يحتفظونَ به كأثرٍ إسلامي.

هذه لمحةٌ تاريخيـةٌ سريعةٌ عن المسجدِ الجامـع، أرجو أن تكونَ وافيةً بالمقصـود، وقد بذَلتُ في تحصيلِ التواريخ التي ذكَرْتُها جهداً كبيراً، نقلاً مِن عدّةِ مصـادرَ نادرة، ومن عددٍ من الأوراقِ القديمـة التـي وقعتْ تحتَ يدي، أسألُ اللّه أن ينفعَ بها.

❋ ❋ ❋

آلُ بن عُقْبَـة الشِّباميون(١)

أسـرةٌ عريقةٌ مِن أُسـرِ العلم والفضـلِ في شِبام، ظهَرَ فيهم علىٰ امتدادِ التاريخ أعلامٌ أجِلّاء، كان لهم ظهورٌ علىٰ الساحةِ العلمية، بداخل حضرموتَ وخارجَها.

بل كـان بعضُ أفرادِهم ممّنِ اشتُهرَ اشتهاراً عظيماً، ونال سُمعةً ومكانةً عندَ أهلِ عصـرِه فمَن بعدَهم، قَلَّ أن يحتلَّهـا مِن أمثالِه إلا القليلُ النادر، وهو الإمـامُ العـارفُ باللّه الشيـخ أحمدُ بنُ عبد القادر بْنِ عقبة الشِّباميُّ الحضرَمي الشاذليُّ المكيُّ ثمَّ المصريُّ، المتوفىٰ بمصرَ سنةَ ٨٩٩هـ، والمدفونُ بالقَرَافةِ الشهيرةِ بالقاهرة.

هذا الرجـلُ هُو أحدُ أعمدةِ السادةِ الشاذِلية في سنَدِ الطريق، وهُو شيخ محتسِبِ الصُّوفيـةِ الإمامِ الكبيـر الشيخ أحمدَ زَرُّوق البُرْنُسيِّ الفاسي، العالمِ المالكي، الشاذِليِّ الذائع الصِّيت، المتوفىٰ بفاس بالمغربِ سنةَ ٨٩٥هـ.

---

(١) احترزت بقولي: (الشباميون) عن غيرهـم، فهنـاك آل عقبـة في الهَجْرَين وهم من خَـوْلان، أما هؤلاء فالأرجح أنهم من كِنْدة، ومن مشاهيـر أهل الهَجْرَين: الشاعرُ الكبير علي بن عقبة الخولاني، صاحب القصيدة الرائية الشهيرة:

أصبرتِ نفْسَ السَّوْءِ أم لم تصبري ... بيـني ومـن تَهـوِيـنَ يـومُ المحشـرِ

إلىٰ آخرها، ولي تعليق وشرح عليها في غير هذا الموضع.

ولن أُطيلَ في ترجمةِ الشيخ أحمدَ بْنِ عُقْبة، فهذا له موضعٌ آخر، إنما أحببتُ أن أُشيدَ بفضلِ هذا البيتِ الشِّباميِّ لا غير.

* * *

ترجمةُ المؤلِّف
الشيخِ عوضِ بنِ محمّد بنِ عُقْبَـة (سُدَيْس)

نسَبُه ونشأتُه :

هُو الشيخُ العالِم، الفاضلُ الصّالح، القائمُ بشؤون المسجدِ الجامع في مدينةِ شِبامَ بحضرموت، عوضُ بنُ الشيخ الصّالح محمّدِ بنِ الحاجِّ أحمدَ بنِ محمَّدِ بنِ عُقْبة.

وُلـد بشِبامَ أوائلَ القرن الثالـثَ عشر، حوالي سنةِ ١٢١٠هـ أو قبلَها، أخْـذاً من سنةِ التحاقِه بإمامةِ الجامـع سنةَ ١٢٤١هـ، فيكونُ قد بلَغَ سناً تؤهِّلُه لـذلك، وكانت وفاتُه سنةَ ١٢٩٩هـ، بعدَ أن بلَـغَ منَ العمُـر عِتياً، رحِمَه اللّهُ تعالىٰ.

والدُه الشيخُ محمّدُ بنُ أحمد عُقْبَـة :

ونشَـأَ في حِجرِ أبيه الشيخ الصّالـح، محـبِّ الصّالحين والمتردِّد علىٰ حضَراتِهم، والعاكفِ في جنَباتِهم، الشيخ محمّدِ بنِ أحمدَ بنِ محمّد بنِ عُقْبة.

كانَ منَ الآخِذينَ عنِ السيدِ الأجَلِّ الحبيب العلاّمةِ شهابِ الدِّين أحمدَ ابنِ حسَن بنِ الإمامِ قطبِ الإرشاد الحبيبِ عبدِ اللّه بنِ عَلَوي الحَدّاد، المتوفّىٰ بتريمَ سنةَ ١٢٠٤هـ.

وللشيخ محمّدٍ ــ والدِ المؤلف ــ وصيةٌ مِن شيخِه الحبيبِ أحمدَ بنِ حسَن، ضمنَ قصيدةٍ حُمينيةٍ أنشأها الحبيبُ المذكور لمّا طلَبَ منه مُحِبُّه وتلميذُه الشيخ محمدٌ الوصية، ولعلّ ذلك في أواخِرِ القرن الحاديَ عشر، أي: في حدودِ ١١٩٠هـ أو بعدَها بقليل؛ لأنّ الحبيبَ أحمدَ بنَ حسنٍ إنما تصَدَّر بعدَ وفاةِ والدِه الحسَنِ سنةَ ١١٨٨هـ، فقال[١]:

يا محمد بن أحْمَد يا بن عقبة تعلَّمْ	للعلوم التي إن رُمْت تصحبك إلى ثَمْ
واعمَل الخير تظفر في معادِك وتغنمْ	واحتفظ بالفرائض في الجماعات والزمْ
واتبع سنة الهادي الرسول المعظمْ	واتّـقِ اللّـه سبحـانـه تفـوز وتُـكْـرَمْ
بِرّ والدَك، وأمَّك بِرَّها بِرَّها جَمْ	واحذَر احذَر عقوقَ الوالدين المحرّمْ
فـإنّ مـرضـاة ربِّـك فـي رضـاهـم ملـزّمْ	والسَّخَط في سخَطهم فاحذر إن شئت تسلمْ
واللّه اللّه في أرحامك الكلِّ تُرحمْ	خالقِ الناس بالخُلق الحسَن تتَّقِ الذّمْ
وانتصف منك لا لك منّهم، فافهَم افهَمْ	صاحب أهل الديانة والمروّات والزمْ
جانب أهلِ النذَالة والسّفَالة ومن نَمْ	لا تعادِ الزّمن تسلَم منَ الهم والغَمْ
واللسانَ احتفِظ به، فهوَ كالسَّبع الادْهمْ	واذكرِ اللّه به دائم فهُوْ خير مغنمْ
والصلاة على الهادي الشفيع المكرّمْ	خاتَمِ المرسلين وآله وصحبه وسلَّمْ

وقد أثنىٰ الحبيبُ أحمدُ بنُ عمرَ بن سُميطٍ علىٰ الشيخِ محمّدِ بْنِ عُقبة المذكورِ ثناءً عظيماً، ووصَفَه بأن القرآن الكريم معجونٌ فيه، وأنه من الصالحين.

وكان مِن أقرانِ الحبيبِ عمرَ بنِ زينِ بن سُميط، وذكَرَ الحبيبُ أحمدُ بنُ

---

(١) «نزهة القلوب وفسحة المكروب» ــ وهو ديوان الحبيب أحمد بن حسن الحداد، جمعه ابنه العلامة علوي بن أحمد ــ ملحق بكتاب «المواهب والمنن» (٢: ٣٦٧) (مخطوط).

عمرَ أنّ المترجَمَ كان يتدارَسُ القرآنَ معَ والدِه المذكور.

روىٰ الشيخُ دحمانُ بنُ عبدِ اللّه لَعْجَم عن شيخِه الحبيبِ أحمدَ بنِ عمرَ ابنِ سُميط، عن والدِه الحبيبِ عمرَ بنِ زيْنٍ قال: (أخبرَني عبود بنُ أحمد باذيب، والدُ سالم بن عبود باذيب، أنه رأىٰ المعلِّمَ محمَّدَ بنَ عُقبة سُدَيس كأنه عندَ الفاضلة حق الجامع، فسأله: ما فعَلَ اللّه بك؟ فقال: أوقَفَني بينَ يديه، وقال: اقرإِ المفصَّلَ والمُقمِّع. قال الحبيبُ عمرُ بنُ زين: أمّا المفصَّلُ فهو: منَ الحجُراتِ إلىٰ آخرِ القرآن، وأمّا المقَمِّعُ فلعله: مواعظُ القرآن). انتهىٰ.

وكانت وفاةُ الشيخ محمّدِ بنِ أحمدَ بنِ عُقبة بشِبام، ولم أقفْ علىٰ تاريخِه، ولكنْ مِن فَحوىٰ القصةِ المتقدِّمة نستدلُّ أنه توفيَ قبلَ سنةِ ١٢٠٧هـ، وهيَ سنةُ وفاةِ الحبيبِ عمرَ بنِ سُميط؛ لأنه قَصَّ الرؤيا بعدَ وفاتِه بالتأكيد.

جدُّه الحاجُّ أحمدُ بنُ عُقْبَة:

وأما جَدُّه، فهو: الشيخُ الفاضلُ الحاجُّ أحمدُ بنُ محمدِ بنِ عُقبة، كان منَ الصّالحين، أخَذَ وتتلمَذَ علىٰ الحبيبِ الإمامِ العلّامةِ الجليل محمّدِ بنِ زينِ ابنِ عَلَوي بنِ سُميط، المتوفّىٰ بشِبامَ سنةَ ١١٧٢هـ، وكان مِن أجلِّ تلامذتِه.

قال في حقِّه الحبيبُ أحمدُ بنُ عمرَ بنِ سُميط: (كان الحاجُّ أحمدُ عُقبة منَ الكبار، إذا دخَلَ السُّوقَ يسمَعُ آلاتِ المخازنِ تُسبِّح، حجابٌ رقيق، وهُوَ ممّن أخَذَ عن سيِّدِنا الحبيبِ محمّدِ بنِ زينِ بنِ سُميط). انتهىٰ.

وكان صَاحبَ قلبٍ منوَّر، مُحِبّاً للإمامِ الحدادِ ولطريقتِه، قال الحبيبُ أحمدُ في حقِّه أيضاً: (رأىٰ الحاجُّ أحمدُ بنُ عقبة بعضَ السادةِ بعدَ موتِه، فقال له: بماذا نَفَعَك اللّه؟ قال: بهذا المجلد! فلمّا انتبَهَ الحاجُّ جاء إلىٰ أولادِ السيدِ المذكور، فقال لهم: أَرُونا كتُبَكم الجميع، فأَرَوْه إياها، فنظَرَ في المجلدِ المذكور، فإذا هُوَ مجموعٌ مِن كتُبِ سيدِنا عبدِ اللّه الحداد، و«سبيلُ الادِّكار»

مِن جملةِ ذلك، فقال: هذا الذي نفَعَ اللّٰهُ به والدَكم، أو كما قال). انتهىٰ.

والكتـابُ المذكورُ هو: «سبيلُ الادِّكار بما يمُرُّ للإنسان وينقضي له منَ الأعمار»، تأليف الإمامِ الحداد، وهُو كتابٌ لطيف، مطبوع.

عودةٌ لترجمةِ المؤلف:

بعـدَ أن علِمنا ما تقدَّم مِن شمائِـل أبيهِ وجَـدِّه، وهمـا مِن أهل الصَّلاح والفضل، فلا غَرْوَ أن ينشَأَ مترجَمُنا نشأةً صَالحةً مستقيمة، علىٰ هدْيِ الكتابِ والسُّنة، وتحتَ إرشادِ أبيه وجَدِّه وشيوخِه.

شيوخُه:

وكان أخذُه وتخرُّجُه علىٰ يدِ شيخ أهلِ عصره، إمامِ الدعوةِ الإصلاحيةِ في شِبام خاصةً وحضرموتَ عامة، الحبيبِ أحمدَ بنِ عمرَ بن سُميط، المتوفىٰ سنةَ ١٢٥٧هـ.

وهُو الذي سَعىٰ في إدخالِ تلميذِه المترجَم في وظيفةِ الإمامةِ والأذانِ في جامـع شِبام منذُ سنةِ ١٢٤١هـ إلىٰ وفاتِه، ثم لم يزَلْ أبناؤه وأحفادُه يتداولونَ ذلك المنصِبَ الرفيعَ إلىٰ وقتٍ قريب.

وقـد تفَقَّهَ وطلَبَ العِلم، وقرأَ في الكُتبِ عندَ عددٍ منَ الشيوخِ لم نظفَرْ بهم، وما هـذه الرسالةُ الجميلةُ ذاتُ الترتيب الحسَن المنمَّق، إلاّ شاهدٌ علىٰ جُودةِ تصنيفِه، وذكائه الشِّبامي، وحُسنِ تدبيرِه للأمور.

وظائفُه:

كان كما ذكَرْنا متولِّياً لوظيفةِ الأذانِ والإمامةِ في المسجد الجامع، الذي قَلَّ أن يتصَدَّرَ فيه لذلك المقام إلا ذو أهليةٍ كاملة، وكان مِن أهل العِلم والفقه، وكذلك كان المؤلفُ بشهادةِ شيخِه المذكور.

كما كان يتولّىٰ قسمةَ التركات، وعقودَ النِّكاح في شِبام، وهيَ وظيفةٌ مُستلزِمةٌ لوظيفةِ الإمامة في الغالب. وقد وقَفْتُ علىٰ بعضِ الفتاوىٰ بخطٍّ يدِه رحمه اللّٰهُ.

ومِن وصفِ الحبيبِ أحمدَ بنِ عمرَ لوالدِه بالمعلِّم، قد نلحَظُ ــ من طرفٍ خفيّ ــ أنّ والدَه كان قائماً بهذه الوظيفةِ قبلَه.

لقبُ (سُدَيس):

وأيضاً، منَ الشواهدِ علىٰ ذلك: تلقيبُ والدِه بلقبِ (سُدَيس)، وهُو لقبٌ غلَبَ علىٰ ذرِّيتهِ إلىٰ اليوم، وصاروا لا يُعرَفونَ إلاّ به.

وسببُ هذا اللقبِ كما سمعتُ مِن عددٍ، من والدي وغيره مِن أهلِ شِبام: أنّ جدَّ آلِ سُدَيس، وهُو الشيخُ محمَّدُ بنُ عقبة المذكور، كان يتولىٰ قسمةَ التركاتِ في شِبام، وكان إذا وجَدَ في القسمةِ (سُدْساً) يقول: وهذا السُّدَيس نصيبُ فلانٍ أو فلانة، فصار يُعرَف بذلك، وغلَبَ اللقبُ علىٰ الكُنْية؛ واللّٰهُ أعلم.

وفاتُه وذكرُ أعلامِ ذريتِه:

كانت وفاةُ الشيخ عوضٍ بمدينةِ شبام ــ حرَسَها اللّٰه ــ في سنةِ **١٢٩٩**هـ، كما وجَدتُه بخطِّ ابنِه الشيخ أحمد.

ولم يُعقِّب حسَبَ علمي سوىٰ ولداً واحداً، هُو: العالِمُ الفاضلُ الفقيه الشيخُ أحمدُ بنُ عوض، الذي توفيَ بشِبامَ سنةَ **١٣٢٧**هـ، وكان قائماً في وظيفةِ والدِه بجامع شِبام؛ وهُوَ أعقَبَ ثلاثةً منَ الولد، كلُّهم أهلُ فضلٍ وعلم وحِشمة، وهم: الشيخُ محمدُ بنُ أحمد، توفيَ سنةَ **١٣٤٥**هـ، كان أنجَبَ أبناءِ أبيه، ومشاراً إليه بالعِلمِ والصَّلاح، وكان قائماً في وظيفةِ المسجدِ الجامع

كآبائه، أعقبَ ولدَيْن وبنتاً، أمّا البنتُ ــ وهيَ الحُرّةُ العفيفةُ (مريَم) ــ فتزوَّجَها خالُ جَدِّي المرحومُ الشيخُ أحمدُ بنُ العلاّمةِ الشيخ محمّدِ بنِ أبي بكرٍ باذيب المتوفىٰ سنةَ ١٣٦٤هـ، وهيَ أُمُّ أولادِه: محمّدٍ ومحفوظ وأختِهما فاطمة رحمهم اللّه تعالىٰ.

أمّا الولدانِ فهما: يَسلَم، وكان يؤذِّنُ في المسجدِ الجامعِ ويؤُمُّ المصلِّينَ في بعضِ الصلَواتِ عندَ غيابِ الإمامِ الراتب.

والثاني: الشيخُ الصالح المعمَّر محفوظُ بنُ محمد، والمتوفىٰ بمدينةِ الحُدَيدةِ سنةَ ١٤١٩هـ، عن عمُرٍ ناهز المئةَ سنة، رحِمَه اللّهُ تعالىٰ.

إمامةُ الجامع وخَطَابتُه:

أمّا إمامةُ المسجدِ الجامع وخَطَابتُه فقد توَلاّها من بعدِ الشيخ محمّدِ بنِ أحمدَ سُدَيس: الشيخُ العَلاّمة الصّالح الورِع أحمدُ بنُ عمرَ لَعْجَم باذيب المتوفىٰ سنةَ ١٣٦١هـ.

ثمّ خلَفَه عليها السيِّدُ الورِعُ الزاهدُ المشهودُ له بالصّلاحِ والاستقامة، الحبيبُ محمّدُ بنُ حسَن بنِ أحمدَ بنِ سُمَيط، المتوفىٰ بِشبامَ سنةَ ١٣٧٨هـ تقريباً.

ثم خلَفَه السيدُ الأجَلُّ الفاضل، الأديبُ المربِّي، الحبيبُ عبدُ اللّه بنُ مصطفىٰ بنِ سُمَيط، حتىٰ وفاتِه سنةَ ١٣٩١هـ.

ومِن بعدِه تسلَّمَه السيدُ الفاضلُ هاشم باعبود، مِن أهل تريم، ومكَثَ مدةً ثم عاد إلىٰ تريم، فتسلَّمَها مِن بعدِه الشيخُ الفقيهُ الصّالح مُبارك باحَمالة، مِن أهل تريمَ أيضاً، إلىٰ أن توفيَ سنةَ ١٤٠٣هـ تقريباً.

ولمّا ضعُفَ الشيخُ مبارك باحمالة عنِ القيامِ بوظيفةِ الجامع، سلَّمَ مفاتيحَ

المسجد ورجَعَ إلىٰ تريم، وبها توفي.

فقامَ بالخَطَابةِ بعدَه الأستاذُ الفاضل الشيخُ أحمدُ بنُ محمّدِ بنِ عمرَ بركات، إلىٰ سنةِ ١٤١٠هـ، إذْ سافَرَ من البلاد، وتسلَّم المسجدَ بعدَه السيدُ عليُّ بنُ سالم بنِ عمرَ الحداد، مِن سكانِ (حاوي الحوطة)، وظلَّ خطيباً إلىٰ سنةِ ١٤١٧هـ، حيث نزَلَ عن شؤون المسجد ووظيفتِه للأخِ صَالح بنِ عبد الله باجرش الشِّبامي، الذي لم يطُلْ جلوسُه في شبامَ حيث استقال عنِ الوظيفة في مطلع العام ١٤١٩هـ، واستقرَّ في سيون منذ ذلك التاريخ وإلىٰ اليوم.

وفي شهرِ صفرٍ من عام ١٤١٩هـ عُيِّنَ كاتبُ هذه السطور ــ بأمرٍ من شيخِه العلاّمةِ المُفتي السيدِ عليٍّ المشهورِ بنِ محمّدِ بنِ سالمِ بنِ حفيظ، وبأمرٍ مِن إدارةِ الأوقافِ في سيون ــ خطيباً وإماماً للمسجدِ الجامع، ولمّا أني لم أكنْ مستقرّاً في البلاد، وأضطرُّ للسفر، فقد سلَّمتُ مفاتيحَ المسجدِ للأوقافِ بعدَ شهرَيْنِ فقط من تسلُّمي الوظيفة، وشرحْتُ لهم ظروفَ سفَري، واعتذرْتُ لهم عنِ الاستمرار.

ثم سافرتُ منَ البلاد، وعُيِّن في تلك الأثناء الأستاذُ السيد سالمُ بنُ (عبدِ الله) بنِ سُميطٍ إماماً وخطيباً، وظلَّ في تلك الوظيفةِ إلىٰ مطلعِ العام ١٤٢٣هـ. حيث عيَّنَ الأخُ الفاضل الشيخ عمرُ بنُ سالمِ بنِ أحمدَ باعُبيد، وهُوَ قد تفرَّغَ لطلبِ العلم في بلادِ الشام أكثرَ من ستِّ سنوات، وأخَذَ عن علمائها الأجِلاّءِ المحققين، نفَعَ اللّهُ بِه المسلمين، وهُوَ الآنَ الإمامُ والخطيبُ في المسجدِ الجامع، وفّقَه اللّه تعالىٰ، وأخَذَ بيدِه لما فيه صَلاحُ البلاد وأهلِها.

وقد أورَدْتُ هذه التفاصيلَ باختصارٍ وإيجاز شديدَيْن، لكوْنِ الكثيرينَ يجهَلونها، ولأنها مما ينبغي معرفتُه لأهلِ شِبامَ بالأخصّ، إذْ هم أوْلىٰ الناس بمعرفةِ هذه الشؤون، ولا يخفىٰ ما في تدوينِها منَ الفائدةِ والنفعِ العامِّ للكافة.

هذه الرسَالة

رسالةٌ لطيفةٌ في محتواها، فريدةٌ في مَبْناها، كَتَبها الشيخُ عوضُ سُدَيس بعد وفاةِ شيخِه الحبيبِ أحمدَ بنِ عمرَ بنِ سُمَيطٍ سنةَ ١٢٥٧هـ، ولعله سُئل عن أصلِ التراتيبِ التي يقومُ بها في المسجدِ الجامع حينَذاك.

وقـد بيَّن الشيخُ عوضٌ رحمه اللّه بالبيـانِ الشافـي مستَنَـد كلِّ ما أمَرَه به شيخُه ابْنُ سُميطٍ المذكور، واستَشهَدَ علىٰ ذلك بأقوالِ الأئمةِ العلماء الأقدَمينَ من كبارِ فقهاء الشافعية، ورجَعَ إلىٰ كُتبِهِمُ المعتمَدة.

وأورَدَ نصَّ (التذكيرِ) الذي كان ينادي به آخرَ الليل مِن علىٰ مَنارةِ جامعِ شِبامَ حسبَما أملاهُ عليه شيخُه الإمامُ رحمه اللّه.

وكان يوجَدُ في زمنِ الحبيبِ أحمدَ بنِ عمرَ بعضُ المعترِضينَ علىٰ هذه التراتيـبِ التي أحَدَثها، كما هي عادةُ الناسِ فـي كلِّ زمانٍ ومكان، يعترضون علىٰ كلِّ جديد لم يعهَدوه، لكنّ أولئك كانَ اعتراضُهم عن علمٍ ومعرفةٍ ودرايةٍ بأحكام المذهب، وعن فقهٍ في الدِّين، فلم يعنِّفْهم رحمه اللّه، ولم يعتبْ علىٰ أحدٍ منهم، بل كل ما فعَلَه: أنْ أمَرَ تلميذَه مؤلِّفَ هذه الرسالة، أن يبعَثَ بسؤالٍ إلىٰ علمـاءِ (تريمَ) وإلىٰ مُفتيها في ذلك الوقت، يسألُه عن حُكم هذه التراتيبِ التي عمِلَها الحبيبُ أحمدُ وأمَرَ بها، فرفَعَ ذلك في سؤالٍ محرَّر مرتَّب يُدلُّ علىٰ فقهٍ ودرايـة كما سيرىٰ القارىء، وجاءه الردُّ محـرَّراً شافياً كافياً، وكل ذلك

موجودٌ في هذه الرسالة.

والملاحَظُ في دعوةِ الحبيبِ أحمدَ بنِ عمرَ رضي اللّٰه عنه: أنه كان يأخُذُ أمورَ دعوتِه بالحِكمة والمسايرةِ للناس، وعدمِ الاستبدادِ بالرأي، فكان إذا أراد أن يُرسِّخَ عادةً حسَنة، أو ينهىٰ عن عادةٍ الأَوْلىٰ العدولُ عنها، كان يأمُرُ تلامذتَه أو أهلَ البلاد أن يرفَعوا سؤالاً فيها إلىٰ علماءِ تريمَ أو دَوْعن، ليأتيَهم الردُّ الشافي والجوابُ الكافي، فيكون في ذلك تأييدٌ لكلامِه وترسيخٌ لما أمَرَ به.

ومن الشواهدِ علىٰ ذلك ما ورَدَ في «مجموعِ كلامِه» عندَما أراد أن يُلغيَ القراءةَ في «تفسيرِ البغوي» لعدم فهمِ العامّةِ له، وحرصِه علىٰ تعليمِهم أمورَ الدِّين الضرورية، قال رضي اللّٰه عنه: لو وقعَتِ القراءةُ في «مُهمّاتِ الدِّين» بدلاً من قراءةِ «تفسيرِ البغويِّ» وغيرِه. **تشاوروا في ذلك، لا تأخذون بكلامي حتىٰ ترفعوا سؤالاً إلىٰ أهل العلم، إما دوعن أو حدرىٰ**، لأن غالبَ من يحضُرُ قراءة «تفسير البغوي» عوام، يحتاجون للمهمات. وغايته: يحفظُ قصةً من قَصَص التفسير. ولا يصلحُ «البغويُّ» للكل، بل قالوا: من با يطالعه يحتاج إلىٰ سبعة علوم من علوم الآلة. انتهىٰ كلامه. وفي هذا منَ الحكمةِ في الدعوة ما لا مزيدَ للتعليقِ عليه.

وبالجُملة،

فالرسالةُ فيها توضيحٌ وبيانٌ شافٍ كافٍ لمن أراد معرفةَ تلك التراتيبِ التي وضَعَها وأقرَّها الإمامُ أحمدُ بنُ عمر، ومشَىٰ عليها الناسُ مِن زمنِه إلىٰ وقتٍ قريب، إبّان مُداهمةِ الحزبِ الشيوعيِّ البغيض للديارِ الحضرمية، وكان العمَلُ بها لا يزالُ إلىٰ سنةِ **١٤٠٩**هـ تحديداً، ثم تخلّىٰ الأهالي عنه لعدمِ وجود المشيرِ والمؤازِر علىٰ الخير، ولهجرةِ الأهالي وطبقةِ التجار والعقلاءِ أهلِ الحلِّ والعَقْد منَ البلاد.

عملي في هذه الرسالة

١ ـ قمتُ بنسخ الرسالة من الأصل المحفوظ بشبام، المكتوب بخطٍّ نسخي جميل، وقابلتُ ما نسختُه علىٰ الأصل، وتم ذلك مساءَ الأحد ٨ جمادىٰ الأولىٰ من عام ١٤١٧هـ، بمبنىٰ كلية الشريعة بتريم.

٢ ـ خرَّجتُ الأحاديث النبوية الواردة.

٣ ـ ترجمتُ لمن ذُكر في الرسالة من الأعلام.

٤ ـ عزَوْتُ أقوال الفقهاء إلىٰ مواضعها من كتبهم، بالرجوع إلىٰ أصول المؤلف.

٥ ـ وضعت ترجمة مختصرة مفيدة للمؤلف وأعلام أسرته.

وهنا أدَعُ قلمي يستريح، وأترك المجال للقارىء الكريم أن يُكحّلَ عينيْه ويمتِّع ناظريْهِ بما خُطَّ ورُقِمَ في هذه الرسالةِ المفيدةِ النافعة.

وآخرُ دعوانا أنِ الحمدُ للّه ربِّ العالمين، وصَلَّىٰ اللّه علىٰ سيّدِنا ونبينا محمدٍ وعلىٰ آلِه وصحبِه وسلَّم.

❊ ❊ ❊

تقريب الشاسع

في ترتيب وظيفة الجامع

رسالة تبيّن

ترتيب وظائف الصلوات والأذكار في جامع شبام حضرموت

الذي رتبه الإمام أحمد بن عمر بن سميط رضي الله عنه

جمعها

المعلّم الفقيه الشيخ عوض بن محمد سديس عقبة الشبامي

المتوفى بشبام سنة ١٢٩٩هـ رحمه الله تعالى

اعتنى بها

محمد بن أبي بكر بن عبد الله باذيب

دار الفتح للدراسات والنشر

بِسْمِ ٱللَّهِ ٱلرَّحْمَٰنِ ٱلرَّحِيمِ

الحمْدُ للّه الّذي لا تُحْصىٰ هبَاتُه بتِبْيانِ البَيَان، ولا تختَصُّ بحدٍّ ولا أَحَدٍ ولا زَمَـانٍ ولا مكَان، وصَلّىٰ اللّهُ علىٰ سيِّدِنـا محمّدٍ عيْـنِ الأعْيان، وعلَىٰ آلِه وصَحْبِه في كُلِّ وقْتٍ وأَوَان.

وبعْدُ:

فيقولُ العبْدُ الفقيرُ إلىٰ اللّهِ تَعالىٰ؛ المعَلِّمُ[١] عَوَضُ بنُ محمَّدِ بنِ أحْمَدَ ابْنِ عُقْبَـةَ سُدَيس، غَفَر اللّهُ لهُ ولِوَالِدَيْهِ ولمشَايِخِهِ ولَجميعِ المسلمينَ، آمين:

فهَذَا ترتيبُ القيامِ بوظيفةِ مسجدِ الجامعِ[٢] بشِبَامَ المَحْرُوسة، المسمَّىٰ:

تقْريبَ الشَّاسِع
في تَرْتيبِ وَظيْفةِ مسجدِ الجامع

علىٰ إشارةِ سَيِّدِنا ومَولانا الإمامِ الجامع، والرحْمةِ المُهْدَاةِ لأهْلِ زَمَانِه،

---

(١) المعلـم: يطلق في العـادة علىٰ معلم القرآن، ثم أطلق علىٰ من يشغَل وظيفةَ الإمامة والأذان في المساجد، وذلك في عرف أهل حضرموت، وربما استعمله أهل الحجاز أيضاً.

(٢) كذا في الأصل؛ والصواب أن يقال: المسجد الجامع؛ لأن الجامع صفة للمسجد، ولا يصح كونها إضافة، ويُعتذر هنا بأن المؤلف كتب ما هو دارج ومتعارف عليه.

والنعْمةِ السَّابغةِ لأهْلِ وقْتِه وأَوَانِه، سيِّدِنا الحبيبِ أحْمَدَ بْنِ عمرَ بْنِ سُمَيط[١].

وذلك حالَ دخُولي للأذانِ والإمَامةِ في المسْجِد المذكور، في سنةِ (١٢٤١) إحدىٰ وأربعينَ ومئتينِ وألف، فقام[٢] بذلك إلىٰ أن تُوفِّي سيدُنا الحبيبُ أحمَدُ بنُ عمرَ المذكور، في آخرِ سنةِ (١٢٥٧) سبعٍ وخمسينَ ومئتينِ وألف.

[تفصيلُ ترتيبِ الأذانِ والأذكارِ والقراءة، الذي أمرَ به الحبيبُ أحمدُ بنُ عمرَ بنِ سُمَيط]

ومعَ دُخُولِ[٣] المعلِّم عَوضٍ المذكور، أمَرَه سيدُنا الحبيبُ أحمدُ بترْتيبِ الأذانِ في المنارَة، كما هو سُنَّة، وهيَ سنَّةٌ مهجورةٌ في جهةِ حضرَموت[٤].

أولُه: الفجْرُ؛ بعدَ وضُوح الفَجْر، قال العُلماء: ويندَبُ للصُّبْح أذَانَانِ: أذانٌ بعدَ نصفِ الليل تنْبيهاً للاستعدادِ للصَّلاة، وأذانٌ ثانٍ بعدَ الفجْرِ إعْلاماً بدُخُولِ الوقت. والأذانُ الثاني أفضَلُ من الأوّل، لأنه للإعلامِ بدخُولِ الوقت.

ويُندَبُ للصُّبْح مؤذِّنان، ليتميَّزَ الأولُ عن الثاني.

وكان سيدُنا أحمَدُ يأمرُ المعلمَ عوضاً المذكورَ بعدَ أن يرْكَعَ ركْعَتيَ

---

(١) الإمام الجليل، مولده بشبام سنة ١١٧٧هـ، وبها وفاته سنة ١٢٥٧هـ، عن ثمانين سنة. كان علماً بارزاً في حضرموت، وقام بنهضة تعليمية في شبام، آتت ثمارها وأكلها في حضرموت عامة، تُنظر ترجمتنا له في مقدمة «مجموع كلامه».

(٢) أي: المعلم عوض المذكور ــ يقصد نفسه ــ؛ وهو هنا استعمل ضمير الغائب، كما سيستعمله أيضاً فيما يأتي.

(٣) أي: إلىٰ المسجد الجامع.

(٤) يؤخذ من هذا: أن الناس في ذلك الوقت تركوا الأذان علىٰ المنارة!

الفَجْر، ويَأْتيَ بدعائها المشهورِ الواردِ بعدَها[١] بقراءةِ سُورةِ (يسٓ)، وينادي بذلك علىٰ الحاضرينَ ليقرَأوهُ سِرّاً، بقَدَرِ اجتماعِ الناسِ للصَّلاةِ، علىٰ نيَّـةِ: صَـلاحِ الأُمُـورِ، ودفْـعِ كـلِّ محْذُورِ، والحفْـظِ والسلامـةِ من جميعِ الآفاتِ والشـرُورِ، وبعدَ تَمامِها يأتـي بدعائها المشهور[٢]، ثمَّ يرتِّبُ الفاتحة، ويأتي بالتذكِرةِ الآتي ذكْرُها قريباً، **وذلك كلُّه قبْلَ صَلاةِ الصبح**.

قال الإمامُ الغزاليُّ رَحِمه اللّهُ تعالىٰ في «الإحياء»[٣]: (والمؤذِّنُ يؤخِّرُ

---

(١) والدعاء الوارد بعد ركعتي الفجر هو ما رواه ابن السني في «عمل اليوم والليلة» برقم (٢٠٣)، عن أبي المليح ــ واسمه عامر بن أسامة ــ عن أبيه رضي اللّه عنه، أنه صلىٰ الفجر، وأن رسول اللّه ﷺ صلىٰ قريباً منه ركعتين خفيفتين، ثم سمعه يقول وهو جالس: «**اللهم ربَّ جبريلَ وإسرافيلَ وميكائيل ومحمدٍ النبي ﷺ، أعوذ بك من النار**» (ثلاث مرات). قال الحافظ ابن حجر: حديث حسن.

(٢) وهو المروي عن الإمام الحداد، وهو: «اللهم إنا نستحفظك ونستودعك أدياننا وأنفسنا وأهلنا، وأبداننا وأموالنا، وكل شيء أعطيتنا. اللهم اجعلنا في كنفك وأمانك وعياذك من كل شيطان مريد، وجبار عنيد، وذي عين وذي بغي، ومن شرِّ كل ذي شرّ، إنك علىٰ كل شيء قدير. اللهم جَمِّلنا بالعافية وبالتقوىٰ، وبالاستقامة حقِّقنا، وعذنا من موجبات الندامة، إنك سميع الدعاء. اللهم اغفر لنا ولوالدينا، وأولادنا ومشايخنا، وإخواننا في الدين وأصحابنا، ولمن أحبنا فيك، ولمن أحسن إلينا، والمؤمنين والمؤمنات، والمسلمينَ والمسلمات، يا ربَّ العالمين، وصلِّ اللهم علىٰ عبدك ورسولك سيدنا محمد وعلىٰ آله وصحبه وسلم، وارزقْنا كمال المتابعة له ظاهراً وباطناً، في عافيةٍ وسلامة، برحمتك يا أرحم الراحمين). انتهىٰ، نقلاً من «غاية القصد والمراد» (٢: ٢٣٠). والمتداول علىٰ الألسنة: اللهم جمِّلْنا بالعافية والسلامة، وحقِّقنا بالتقوىٰ والاستقامة.. إلخ.

(٣) «الإحياء» (١: ١٥٧ ط. عالم الكتب)، ونص عبارته: (والمؤذن يؤخر الإقامة عن الأذان بقدر استعداد الناس في الصلاة، ففي الخبر: «ليتمهل المؤذن بين الأذان والإقامة بقدر ما يفرغ الآكل من طعامه، والمعتصر من اعتصاره..) إلخ. والحديث أخرجه الترمذي (١٩٥): عن جابر بن عبد اللّه، أن رسول اللّه ﷺ قال لبلال: =

الإقامةَ بعدَ الأَذانِ بقدْرِ ما يَفرُغُ الآكِلُ مِن أكْلِه، والمُعتصِرُ منَ اعْتِصَارِه)؛ إعانةً لمنْ سمعَ الأذانَ وهُوَ في بيْتِه علىٰ حُضُورِ تكبيرةِ الإحْرام معَ الإمام.

قال في «فتح المُعين»[1]: (وإدراكُ تكْبيرةِ الإحرام فضيلةٌ مستقِلَّة، لكوْنِها صفْوةَ الصَّلاة، ولأنَّ مُلازِمَه أرْبعينَ يوماً تُكتَبُ لهُ براءةٌ منَ النَّار، وبراءةٌ منَ النِّفاق)[2].

* * *

وهذه «التذْكِرةُ» التي أمَرَ بها سيِّدُنا أحمدُ المعلِّمَ عوضاً المذكور، قبلَ صَلاةِ الصُّبحِ المارِّ ذكْرُها، وهيَ:

قالَ تعالىٰ: ﴿لَّا خَيْرَ فِى كَثِيرٍ مِّن نَّجْوَىٰهُمْ إِلَّا مَنْ أَمَرَ بِصَدَقَةٍ أَوْ مَعْرُوفٍ أَوْ إِصْلَـٰحٍۭ بَيْنَ ٱلنَّاسِ ۚ وَمَن يَفْعَلْ ذَٰلِكَ ٱبْتِغَآءَ مَرْضَاتِ ٱللَّهِ فَسَوْفَ نُؤْتِيهِ أَجْرًا عَظِيمًا﴾ [النساء: ١١٤].

وقال رَسُولُ اللّه ﷺ: «**كُلُّ كلامِ ابْنِ آدمَ عليهِ لا لهُ، إلَّا أمْراً بمعْرُوفٍ أو نَهْياً عنْ مُنكَر، أو ذِكْراً للّهِ تعالىٰ**»[3]. وقالَ رسُولُ اللّهِ ﷺ: «**رحِمَ اللّهُ امْرأً قال**

= «**يا بلال؛ إذا أذنت فترسَّلْ في أذانك، وإذا أقمت فاحدر، واجعل بين أذانك وإقامتك قدر ما يخلو الآكل من أكله، والشارب من شربه، والمعتصر إذا دخل لقضاء حاجته، ولا تقوموا حتىٰ تروني**»، ومثله عند الحاكم (١: ٣٢٠) (٧٣٢) بدون زيادة: «ولا تقوموا».

(١) في باب صلاة الجماعة، (٢: ١٦)، ط. دار الفكر، ١٤١٤هـ.

(٢) لما ورد في «سنن الترمذي» (٢٤١)، عن أنس بن مالك قال: قال رسول اللّه ﷺ: «**من صلىٰ للّه أربعينَ يوماً في جماعة يُدركُ التكبيرةَ الأولىٰ؛ كُتبتْ له براءتان: براءةٌ منَ النار، وبراءة منَ النفاق**».

(٣) رواه الترمذي (٢٤١٤)، وابن ماجه (٣٩٧٤)، قال الترمذي: هذا حديث حسن غريب.

خيراً فَغَنِم، أو سكَتَ عن شَرٍّ فسَلِم»(١). وقال رسُولُ اللّهِ ﷺ: **«مِن حُسْنِ إسلامِ المَرْءِ ترْكُه ما لا يَعْنِيه»**(٢).

تتمّة(٣)

(يجبُ علىٰ النساءِ أن يتعلَّمْنَ ما يحتَجْنَ لهُ مِن بابِ (الحَيْضِ) كغيرِه، فإنْ كان زوجُها عالماً لزِمَهُ تعليمُها، وإلاّ فلها الخروجُ لِتَعَلُّم ما لزِمَها تعلُّمُهُ عَيناً، بل يجبُ! ويَحْرُمُ منعُها إلا أنْ يَسأَلَ ويُخبِرَها وهُو ثِقةٌ. وليسَ لها الخروجُ إلىٰ مجلسِ ذكْر، وتعَلُّمِ غيرِ واجبٍ عينِيٍّ إلا بِرِضاه(٤).

ويَحْرُمُ نظَرُ الرَّجُلِ إلىٰ المرأةِ الأجنبية، ونظَرُها إليه، إلا لنَحْوِ الحِجَامةِ عنْدَ فَقْدِ الجنْسِ(٥) بشَرْطِه(٦).

فيتعَيَّنُ الاهْتمامُ بالتَّنْبيهِ علىٰ ذلك، والتعويلُ عليه، وتعريفُ أهْلِ السَّوادِ

---

(١) رواه ابن المبارك مرسلاً، والديلَميُّ، عن أنسٍ رفعه، والعسكري أيضاً عنه، بألفاظ مختلفة. «كشف الخفاء» (١ : ٥١٤).

(٢) رواه الترمذي (٢٣١٨)، وابن ماجه (٣٩٧٦)، والإمام مالك في «الموطأ»، وأبو يعلىٰ وأحمد في مسنديهما.

(٣) هذه التتمة مأخوذة من متن «فتح الرحمن» إلىٰ قوله: (بعضهم)، ومن أراد الوقوف علىٰ شرحها فعليه بكتاب «تحفة الإخوان» للعلامة الشيخ سالم بن عبد الرحمن باصهي، من ص ١٦٩ إلىٰ ص ١٧٦، من طبعة دار الفتح للدراسات والنشر بعمّان الأردن، بتحقيق راقم هذه السطور.

(٤) ومثال لواجبات العينية: تعلم أحكام الصلاة والصيام والحج والحيض، ونحو ذلك؛ وما عداه فليس واجباً عينياً، واللّه أعلم.

(٥) أي: عند من يحجم للشخص من بني جنسه، المرأة تحجم لها امرأة مثلها، والرجل يحجم له رجل مثله.

(٦) والشرط في ذلك: أن لا ينظر أحدهما من الآخر إلا بقدر الحاجة، ويحرم لهما نظر ما عدا ذلك.

والبَـوادي[١] ومَن ضاهاهُم بذلِك، لغَباوةِ بعضِهم)؛ فَتعلَّموا وعَلِّمـوا تَسْلَموا وتغنَموا.

فرْضٌ علىٰ الناس إمَامٌ ينْصِبُوا ... ومـا علـىٰ الإلٰـهِ شَـيءٌ يَجِـبُ
والفَرْضُ: مَا فِي فعْلِهِ الثَّوابُ ... كَـذَا علـىٰ تـارِكـهِ العِقَـابُ[٢]

❊❊❊

كيفَ السَّلامُ[٣] وفَرْضٌ[٤] بينَنا مترُوكْ ... لو أقْبَلَ الكُلُّ لكان لا جَرَمْ مَدْرُوكْ[٥]
لكِن لم يَرْعَ حقَّ المُوثَقِ المفكُوكْ[٦] ... ظَنَّ النَّجاةَ وهُوْ في لُجَّةِ العِصْيانْ[٧]
أمُّ المَناكِيرِ أرْضٌ مَا لَها سُلطَانْ

---

(١) قال في «تحفة الإخوان» (ص ١٧٥ ـ ١٧٦ من طبعة الفتح للدراسات): (السواد): من غير ياء بعد الدال، وهم: الساكنون بقرب المدينة، أو القرىٰ، أو بجنب سورها، أو بعُد قليلاً، ومنه سواد العراق الساكنون بقربها. فسواد بلدة شبام مثلاً: هم الساكنون في النخيل والنقر، وجوجة وجعيمة، ونحوها. وتعريف أهل السوادي؛ بالياء بعد الدال، وهم: أهل البادية. فينبغي تنبيه أهل السوادي، و(البوادي) علىٰ حرمة المظاهرة، وتبيينها لهم، وتعليمهم أن نظر الرجل إلىٰ المرأة الأجنبية حرام، وغير ذلك من مهمات الدين، لأنهم أبعد عن معرفة أمور الدين من أهل المدن والقرىٰ.

(٢) البيتان من «الزبد» لابن رسلان الرملي الشافعي، وليسا متواليين وإنما جمع المؤلف بينهما لمناسبة.

(٣) كذا بالأصل؛ ويصح السلام، والسلامة. أي: من الفتن والمنكرات.

(٤) الفرض المقصود في هذا البيت: إقامة الوالي العادل.

(٥) أي: لو أقبل كل الناس علىٰ إقامته لكان الأمر مدروكاً.

(٦) أي: لكن المفكوك أي الرجل المطلق، لم يراع حق أخيه الرجل المقيد، والمقصود: أن العالم لم ينبه الجاهل والعاصي ويحذره من مغبة العصيان، بمعنىٰ أن الناس لم يأخذوا علىٰ يد الظالم ويمنعوه من ظلمه، لأن كل واحد منهم منشغل بنفسه وماله عنهم.

(٧) أي: ذلك المفكوك (المطلق)، يظن النجاة وعدم المعصية وهو واقع فيها بعينها!

كلُّ مَنْ يتَّقي مولاَهُ ظَاهِرْ وخَافِي يعْمَل أَخْفَافْ لأهْله والخَوادِمْ ضَوَافي[١]
أو خِرَقْ طُبِّقَتْ مِن تحتْ سَرمُوجْ[٢] ضَافِي حُكْم ذَا عَامْ بين أَهْلِ الطُّرَر والكَوافِي
والحِرَفْ والسَّواد والبَوَادِي الجِلاَفِ

ثم يُنيمُ لِصَلاةِ الصُّبح.

وفي يومِ الجمُعة بعْدَ ذلك وقَبْلَ الإقامةِ[٣]: «أستغفِرُ اللّهَ الَّذي لاَ إلٰهَ إلا هوَ الحَيَّ القَيُّومَ وأتُوبُ إليهِ» (ثلاثَ مرَّات)[٤].

***

[اعتراضُ بعضِ الناسِ علىٰ الترتيبِ المذكور]

ووقَعَ مِن بعضِ الحاضرِينَ إنكارٌ صريحٌ: كيفَ يقَعُ هذا الكلامُ وهذه القصيدةُ في هذا الوقتِ الشَّريف والمكانِ الشَّريف، قبْلَ صلاةِ الصُّبْح؟ وأَيُّ

---

(١) الخفاف: جمع خف وهو معروف، والخوادم: جمع خادمة، والمعنىٰ: أن الرجل المتقيَ للّه يعمل أخفافاً لأهله تمنع الأجانب من رؤية أقدامهن إذا مشين في الشارع، وكذلك يعمل أخفافاً للخادمات، ويكون ثوبهن ضافياً علىٰ البدن، لأنه كان شائعاً أن الخادمة تلبس ثوباً يسمىٰ (ذيل وقدمه) يكون مرفوعاً من الأمام وقد تُرىٰ ساقها ومن خلفها ذيل طويل يسحب خلفها، فهذا من المنكرات، لأن الخادمة حرة وليست أمة، فعورتها كعورة الحرة تماماً.

(٢) السرموج: خف فوق خف، أو جورب غليظ.

(٣) أي: يأتي بما تقدم كله، ويزيد عليه الاستغفار.

(٤) الاستغفار الوارد في يوم الجمعة هو ما رواه ابن السني في «عمل اليوم والليلة» (٨٣) عن أنس رضي الله عنه، عن النبي ﷺ: «**من قال يوم الجمعة قبل صلاة الغداة: أستغفر اللّه الذي لا إله إلا هو الحيَّ القيومَ وأتوب إليه (ثلاث مرات)، غفر اللّه ذنوبه ولو كانت مثل زبد البحر**».

فائدةٍ في ذكْرِ الحَيْضِ والحِجَامةِ وأخْفَافِ الخوادِمِ؟[١].

فسمعَ ذلك سيِّدي فقال: (المقْصُودُ منْ ذلك: بيانُ الحُكْمِ والعَمَلُ به، والإرشادُ إلىٰ العمَلِ به، قال بعْضُ السَّلفِ: كلُّ يومٍ لا أزدادُ فيه علْماً لا بُورِكَ لِي في طُلُوعِ شَمْسِ ذلك اليوم).

وأيضاً، بعضُ الحاضرين ــ بلْ أكثرُهم ــ جاهِلُونَ بهذه الأحكام، وإذا عرَفُوها تابوا عن كُلِّ مذْمُوم، وفعَلُوا كلَّ محمودٍ من هذهِ التنْبيهات، واسْتقبَلُوا نهارَهُم بالتَّوْبةِ عن المُخالَفات، فيحْصُلُ للقارِئِ والسَّامعِ والمسْتَمعِ والآمِرِ الثوابُ علىٰ ذلك عسَىٰ اللّه يُصْلحُ النيَّاتِ والمقاصِد، ويُبَارِكُ في الأعْمَالِ الصَّالحات[٢].

وكذلِك أيْضاً حصَلَ مِن ذلكَ الشخْصِ ــ ومِن غيرِه ــ اعتراضٌ في قراءةِ سُورةِ (يسٓ) قبْلَ صلاةِ الصُّبْح، بأنَّ فيها تطويلاً علىٰ الحاضرين، ورُبَّما تتأخَّرُ الصَّلاةُ عن وقتِ الفَضيلة[٣]! وكذلكَ في وقتِ العشاء[٤] كان سيِّدي يأمُرُ

---

(١) ولعل هذا المُنكر المعترض غاب عنه أن المساجد كما أنها بنيت للعبادة، فهي أيضاً منارات علم، وهدىً وتذكير، وفيها تُتَعلَّمُ الأحكام ويهتدي الضال، وما المانع من ذكر أخفاف الخوادم والحجامة وغيرها من الأحكام الشرعية والآداب المرعية؟ والصحابة رضوان اللّه عليهم إنما تعلموا أحكامها من رسول اللّه داخل المسجد ثم بلّغوها، وهل الدين إلا معرفة الحلال والحرام والأحكام!

(٢) وهذا هو المقصود الأعظم من التذكير، وهو تعليم الجاهل وإرشاد الضال. ورحم اللّه الحبيب أحمد بن عمر ما أبعد نظره!

(٣) كنا قد قلنا: إن هذا المعترض متفقِّه، لأنه يعرف مراتب أوقات الصلاة، ولم يكن اعتراضه اعتباطاً وإلا لما بالىٰ به الإمام أحمد بن عمر، لأن مقصوده أعظم من أن يماري جاهلاً! لأن العالم يتوقف أمام النصوص وأقوال الفقهاء وأحكامهم، بخلاف الجاهل، فلهذا استفتِي علماءُ تريم كما سيأتي.

(٤) أي: قد تخرج عن وقت الفضيلة كالصبح. وها هنا نذكر أوقات هاتين الصلاتين؛ أما=

المعَلِّمَ المذكورَ بالانتظارِ بعدَ الأذان، فشَقَّ علىٰ الحاضرينَ الانتظار، ورُبَّما يخرُجُونَ من المسجدِ بعدَ الأذانِ بسببِ الانتظار، ويُصَلُّونَ في مسجدٍ آخَر، فيقَعُونَ في الكَرَاهة[1].

[رفْعُ المؤلِّفِ سُؤالاً لمُفْتي تَرِيم]

فأَمَرني سيِّدي برَفْعِ سؤالٍ في ذلك إلىٰ الحبيبِ العَلَّامةِ عبْدِ اللّه بنِ حُسَينٍ بَلْفَقِيه[2]، إلىٰ تَرِيم، فسألْتُه عن ذلك، فأجابَ عن ذلكَ بما صُورَتُه:

[السؤال]:

ما قولُكُم ـ أيَّدَكُم اللّه ـ في قولِ «الإحياءِ»: (والمؤذِّنُ يؤَخِّرُ الإقامةَ عن الأَذانِ بقَدْرِ استعدادِ الناس، ففي الخَبَر: «لِيُمْهِلِ المؤذِّنُ»)... إلىٰ قولِه: (حتىٰ يَفْرُغَ الآكِلُ مِن أكْلِه، والمعتصِرُ منَ اعْتِصارِه) إلىٰ آخره، هل هُوَ موافِقٌ لما قَرَّرهُ العلماءُ أم لا؟

وإذ قلتُم: موافقٌ؛ هل هُو مُطَّردٌ في الصَّلواتِ الخَمْس؟ أم تُسْتَثْنىٰ

= الصبح فوقتها من طلوع الفجر الصادق المنتشر ضوؤه معترضاً بالأفق إلىٰ طلوع الشمس؛ وهو ينقسم إلىٰ ستة أوقات: وقت فضيلة وهو أول الوقت، ووقت اختيار، ووقت جواز بلا كراهة إلىٰ الاحمرار، ووقت كراهة، ووقت حرمة، ووقت ضرورة.
وأما صلاة العشاء؛ فوقتها من مغيب الشفق الأحمر، إلىٰ طلوع الفجر، والاختيار أن لا تؤخر عن ثلث الليل؛ وينقسم إلىٰ سبعة أوقات: وقت فضيلة، ووقت اختيار، ووقت جواز، ووقت حرمة، ووقت ضرورة، ووقت عذر وهو وقت المغرب لمن يجمع، ووقت كراهة. وتفصيلها في كتب الفقه المطولة كشروح «المنهاج».

(١) وهي: الخروج من المسجد بعد الأذان.

(٢) هو الإمام العلامة الفقيه، مفتي تريم بل حضرموتَ في عصره. مولده بتريم، وبها وفاته سنة ١٢٦٥هـ، له مؤلفات عديدة، طبع بعضها. وهو أحد العبادلة السبعة المشهورين في عصره.

المغـربُ كما في «التحفة»؟ وهل يُطْلَبُ تأخيرُ العِشاءِ إلىٰ مُضِيِّ ذلك القَدْرِ، وإنْ تضَـرَّرَ المنتظِـرُونَ للصَّلاةِ لإحياءِ ما بيْنَ العشَاءينِ وذهَبُوا منَ المسجدِ بسَبَبِ الانتظار؟ أم يُرَاعُونَ المبادَرةَ بالصَّلاةِ بعدَ الأَذان؟

وإن قلتُمْ: لا يُرَاعونَ؛ فهل يُقابَلُ بينَ الآتِينَ بالأذان، والذَّاهِبينَ بسَبَبِ الانتظار[١]؟ أم يُطْلَقُ وإن قَلَّ الآتُونَ وكثُرَ الذَّاهِبُون؟ وهل يكُونُ في الخروجِ منَ المسجدِ بعدَ الأذَانِ ـ بسَبَبِ الانتظار ـ عُذْرٌ في نَفْيِ الكَرَاهة؟

وهل يُطْلَبُ تأخيرُ الجمُعةِ إلىٰ هذا القَدْرِ[٢] وإن كثُرَ الانتظارُ بسَبَب كثْرةِ النّاس ـ قياساً علىٰ بَاقي الصَّلَواتِ ـ أم لا تؤخَّرُ الجمُعةُ قياساً علىٰ عدَم سَنِّ الإبْرَادِ بها[٣]؟ أفْتُونا أثابكُمُ اللّهُ الجنَّـةَ.

[جوابُ مفْتي تَريمَ علىٰ سُؤالِ المؤلِّفِ]

اللَّهُمَّ اجمَعْ لنا بينَ الصَّوابِ والثَّواب.

نعَمْ؛ هُوَ[٤] مُوافِقٌ لما قرَّرهُ الفقهاء، ومَطَّرِدٌ في جميعِ الصَّلَوات، ما عَدَا المغربَ لضِيْقِ وقتِها[٥].

---

(١) أي: ينظر ويقابل بينهم، مراعاة للأكثرية.

(٢) أي: بقدر الانتظار حتىٰ يكثر الناس.

(٣) الإبراد في الظهر: هو تأخيرها عن وقتها حال اشتداد الحر إلىٰ أن يصير للجدران ظل يستظِل به الماشي، بشرط كون ذلك في قطر حار لمن يأتي إلىٰ المسجد من مسافة بعيدة، خرج به: القطر البارد، ومَن بيتُه قريب من المسجد، فلا يسن الإبراد في حقه علىٰ المعتمد، واللّه أعلم.

(٤) أي: ما ورد في «الإحياء».

(٥) لأن وقتها علىٰ الجديد ينقضي بمضي قدر وضوء وستر عورة وأذان وإقامة وخمس ركعات، تشمل السنة والفرض، أما القديم ـ وهو المعتمد ـ فوقتها من الغروب=

فَفي «التُّحفة»[١] ــ من آخِرِ (الأَذان) ــ: (ويُسَنُّ تأخيرُهُ قدْرَ ما يَجْتمعُ النَّاسُ إلاَّ في المغرِب). أي: للخِلافِ القَويِّ في ضِيقِ وقتِها. ومِن ثَمَّ، أطْبَقَ العُلماءُ علىٰ كَرَاهةِ تأخيرِها عن أوّلِه كما مَرّ.

وفيها[٢] ــ منَ (المواقيتِ) ــ: (ويُنْدَبُ للإمامِ الحرْصُ علىٰ [أوّلِ] الوَقْتِ، لَكنْ بعدَ مُضيِّ قَدْرِ اجْتماعِ الناسِ وفعْلِهم لأسبابِها عادةً، وبعدَهُ يُصَلِّي بمن حَضَر، وإن قَلَّ آتِيْها، لأنَّ الأَصَحَّ: أنَّ الجماعةَ القليلةَ أَوَّلَه أفضَلُ منَ الكثيرةِ آخِرَه). ونحْوُه ما فِي «العُبَابِ»[٣] و«القلائِدِ»[٤] وغيرِهما مِن كُتُبِ الفرُوعِ[٥].

ثمَّ اعْلَمْ أنه ليس في هذا كثيرُ انتظارٍ يُتَضَرَّرُ به، إذ غايةُ زمَنِه: نَحْوٌ من درَجةٍ ونصْف، وذلك قَدْرَ تلاوَةِ نصْفِ جُزْءٍ تقريباً[٦]، معَ أنَّ فيه منَ التعرُّضِ

= إلىٰ غياب الشفق الأحمر، وهو الأظهر والمفتىٰ به. ومراعاة الخلاف أولىٰ مِن عدمه. ووقتها علىٰ المعتمد يتجزأ إلىٰ سبعة أوقات: وقت فضيلة أوله وهو وقت الاختيار، وهو وقت جواز بلا كراهة، ووقت كراهة وهو تأخيرها عن وقت الجديد، ووقت حرمة، ووقت عذر، ووقت ضرورة.

(١) «تحفة المحتاج»: (١ : ٤٨٣).

(٢) أي: «تحفة المحتاج»: (١ : ٤٣١).

(٣) يعني به: كتاب «العباب المحيط بمعظم نصوص الأصحاب» للإمام العلامة أحمد بن عمر المزجد، وهو من أهل القرن العاشر، توفي سنة ٩٣٠هـ.

(٤) يعني به: «قلائد الخرائد وفرائد الفوائد» للعلامة عبد اللّه بن محمد باقُشير الحضرمي المتوفىٰ سنة ٩٥٨هـ، والمسألة بعينها فيه: (١ : ٧٣ ــ ٧٥).

(٥) وللعلامة عبد الحميد الشرواني ــ المتوفىٰ أواخرَ القرن الثالثَ عشر ــ فتوىٰ في عين المسألة في «حاشيته علىٰ التحفة» (١ : ٤٨٣)، في آخر باب الأذان.

(٦) قدّره العلامة عبد الحميد الشرواني بمقدار ربع ساعة فلكية، وعبارته: (ويظهر أن المقدار الذي يسع عادة ما تقدم ــ في غير المغرب ــ لا ينقص ذلك عن ربع ساعة فلكية، فيندب للإمام أن ينتظر في غير صلاة المغرب ربع الساعة مطلقاً، ثم إن=

للنَّفَحات، والمعاونةِ علىٰ القرُبَات، وتكْثيرِ الجماعَات، والاقْتِداءِ بسَيِّدِ السَّادات، ووُرَّاثِهِ وأتباعِهم في غالبِ الأماكنِ والأوقات، ما لا يَخْفَىٰ علىٰ أهلِ الاصْطِفَاءِ والعِنايات.

والحديثُ المشَارُ إليه[١] هُوَ: ما أخرَجهُ الترمذيُّ عنِ ابنِ عَبَّاسٍ رضيَ اللّهُ عنهُما مِن قولِه ﷺ لبلالٍ رضيَ اللّه عنه: «إذا أَذَّنْتَ فترَسَّلْ، وإذا أقمْتَ فاحْدُرْ، واجْعَل بينَ أذانِكَ وإقامتِك قدْرَ مَا يَفْرُغُ الآكِلُ مِن أكْلِه، والشَّارِبُ مِن شُرْبِه، والمُعْتَصِرُ مِنَ اعتصَارِه إذا دخَلَ لقَضاءِ حاجَتِه»، قال: «ولا تَقُومُوا حتَّىٰ ترَوْني»[٢]. انتهىٰ. وقولُه ﷺ هُوَ القولُ الفصْلُ، والمسْلَكُ العدْلُ). انتهىٰ المقصُودُ منَ الجواب، في غايةِ الحُسْنِ والإطناب.

* * *

ثم يصَلِّي[٣] الصُّبح، وإذا سلَّمَ أتىٰ بالأذكارِ الواردةِ بعدَ الصَّلاةِ[٤]، ويَجْمَعُ الدُّعَاء[٥]، وبعدَ الدُّعاءِ يقَرأُ فصْلاً مِنْ «فتحِ الرحمنِ»[٦]

= اقتضت سعة المحلة زيادة عليه فيزيد علىٰ ذلك قدر ما تقتضيه سعتها، بحيث يقع جميع الصلاة في وقت الفضيلة، والله أعلم). انتهىٰ.

(١) أي: في قول الإمام الغزالي في «الإحياء» المذكور بعضه في السؤال.

(٢) قدمنا تخريجه فيما سبق.

(٣) أي: المعلم سديس (المؤلف) المذكور.

(٤) وهي معروفة، تؤخذ من نحو كتاب «الأذكار» للإمام النووي، ففيه ما يشفي.

(٥) أي: يدعو بصيغة الجمع، وليس بالإفراد، فيقول: اللهم اغفر لنا وارحمنا.. وهكذا.

(٦) هو: كتاب «فتح الرحمن فيما يلزم معرفته من أركان الإسلام والإيمان»، متن موجز احتوىٰ علىٰ المهم والضروري من الفروض العينية، احتفل الإمام أحمد بن عمر بن سميط به جداً، وأشاعه في شبام ونواحيها قراءةً في المجامع الكبيرة وعقب الصلوات وخلف الجنائز حفظاً للناس من الاشتغال بالترهات والثرثرة والكلام الفارغ.

لابْنِ زيادٍ الوَضَّاحي[١].

ويُذَاكِرُ المعلِّمُ بما تيَسَّرَ حَسْبَ مقدِرتِهِ ومعرِفتِهِ من حَلِّ ألفَاظِه بما هُوَ في شُرُوحِه[٢] لِلحاضرين، ومذاكَرةً. يفتتحُ ذلك بهذا الدُّعَاء:

(اللهُمَّ فَقِّهْنا ونساءنا وجميعَ المسلمينَ والمسلماتِ في الدِّين، واسْلُكْ بنا وبِهِم مَسالِكَ عِبادِكَ الصَّالحين، واجمَعْ قلُوبَنا وقُلوبَهُم علىٰ التقوَىٰ، ووفِّقْنا وإيَّاهُمْ أجمَعِينَ لما تُحِبُّه وتَرْضاه، واخْتِمْ لنا ولَهُمْ بالحُسْنَىٰ في عافِيةٍ يا رَبَّ العالَمين، وصَلَّىٰ اللّهُ علَىٰ النَّبِيِّ محمَّدٍ وآلِهِ وصَحْبِهِ وسَلَّم).

وفي **يَوْم الجمُعَة** يأتي بدَلَ الفَصْلِ المذْكُور بـ «عقِيدةِ الإمامِ الغزالي»[٣].

* * *

---

(١) المتوفىٰ بزبيد سنة ١١٣٥هـ.

(٢) ذكرت أن له نحوَ عشرة شروح، طبع منها: «مواهب الديان» للعلامة الشيخ الفقيه المحقق سعيد بن محمد باعشن المتوفىٰ برباط باعشن بدوعن سنة ١٢٧٠هـ، و«تحفة الإخوان» للعلامة الفقيه المتفنن الشيخ سالم بن عبد الرحمن باصهي الشبامي المتوفىٰ بها سنة ١٣٣٦هـ، وقد طبع هذا الأخير طبعةً أنيقة بتحقيق راقم هذه السطور.
لكن ها هنا ملاحظة، وهي: أن متن «فتح الرحمن» المتداولَ في شبام يحتوي علىٰ زيادات زادها الإمام أحمد بن عمر، والشيخ عبد اللّه باسودان، والشيخ عبد اللّه بن سمير. وشرح باعشن لم يشمل هذه الزيادات، وإنما الذي شرحها وتفرد شرحه بها هو الشيخ سالم باصهي، واللّه أعلم.

(٣) وهي ملحقة بكتاب «بداية الهداية» له، وعليها شرح للإمام الجليل الشيخ أحمد زروق تلميذ الشيخ أحمد بن عقبة، الذي تقدم ذكره في المقدمة.

السُّورُ المرتَّبةُ في الصَّلاة[١]

* ليلةَ السَّبْتِ:

المغْـرب: ﴿قُلْ أَعُوذُ بِرَبِّ ٱلْفَلَقِ﴾، و﴿قُلْ أَعُوذُ بِرَبِّ ٱلنَّاسِ﴾. والعشاء: الضُّحىٰ، و﴿أَلَمْ نَشْرَحْ﴾. والصُّبْح: الشمس[٢]، والقارعة.

* ليلةَ الأَحد:

المغـرب: الفيـل، و﴿لِإِيلَٰفِ﴾. والعشَـاء: ﴿إِذَا زُلْزِلَتِ﴾، و﴿أَلْهَىٰكُمُ﴾. والصُّبْح: الضُّحىٰ، و﴿أَلَمْ نَشْرَحْ﴾.

* ليلةَ الاثنيْنِ:

المغرِب: ﴿أَرَءَيْتَ﴾، و﴿إِنَّآ أَعْطَيْنَٰكَ ٱلْكَوْثَرَ﴾. العشَاء: التِّين، و﴿إِنَّآ أَنزَلْنَٰهُ﴾. الصُّبْح: ﴿وَٱلْفَجْرِ﴾[٣]، والعاديات.

---

(١) إنما رُتِّبَتْ هذه السور من باب التخفيف علىٰ الناس، وضبط الإمام لئلا يطول عليهم، كما أنها موافقة للسنة من حيث الإتيان بسور من المطول والمفصل في مواضعها كما جاء في السنة المطهرة، والباب في هذا واسع ولا نطيل بإيراد الأدلة، وليس هناك تحجير ولا إلزام بهذا، والحصيف يساير زمنه ووقته، والبعد عن الشقاق والخلاف أولىٰ. والله أعلم. وهذا الترتيب موافق لما كان يمشي عليه الإمام الحداد نفع الله به، سوىٰ اختلافات يسيرة سنذكرها.

(٢) عمل الإمام الحداد: العاديات والقارعة.

(٣) عمل الإمام الحداد: الشمس، والعاديات.

*** ليلةَ الثّلُوثِ :**

المغرِب : ﴿قُلْ يَٰٓأَيُّهَا ٱلْكَٰفِرُونَ﴾ ، و﴿قُلْ هُوَ ٱللَّهُ أَحَدٌ﴾ . والعشَاء : ﴿أَلَمْ نَشْرَحْ﴾ ، و﴿إِذَا جَآءَ﴾ . والصُّبْح : ﴿وَٱلسَّمَآءِ وَٱلطَّارِقِ﴾ ، والتِّين .

*** ليلَةَ الرَّبُوعِ :**

المغرِب : المعوَّذتين . والعشاء : ﴿وَيْلٌ﴾ ، و﴿أَلَمْ تَرَ﴾ . والصُّبْح : ﴿وَٱلَّيْلِ﴾ ، والضُّحىٰ .

*** ليلةَ الخميس :**

المغرِب : ﴿أَرَءَيْتَ﴾ ، و﴿إِنَّآ أَعْطَيْنَٰكَ﴾ . والعشاء : والتِّين ، و﴿إِنَّآ أَنزَلْنَٰهُ﴾ . والصُّبح : ﴿لَمْ يَكُنِ﴾ ، و﴿إِذَا زُلْزِلَتِ﴾(١) .

*** ليلةَ الجُمُعة :**

المغرِب : الكافرون ، والإخلاص . والعِشاءَ والصُّبح : ﴿سَبِّحِ﴾ ، و﴿هَلْ أَتَىٰكَ﴾ . أو : ﴿الٓمٓ * تَنزِيلُ﴾ ، والمنافقون(٢) .

تمَّت

والحمْدُ للّه ربِّ العَالَمِينَ(٣)

---

(١) عمل الإمام الحداد في صبح الخميس : البينة ، والعاديات .

(٢) عمل الإمام الحداد في عشاء ليلة الجمعة : الجمعة ، والمنافقون ، وفي صبحها : السجدة ، والإنسان .

(٣) وكان الفراغ من وضع التعليقات علىٰ هذه الرسالة النافعة وخدمتها ، ضحىٰ يوم الأحد ١٣ من شهر اللّه المحرم من عام ١٤٢٤ للهجرة ، جعله اللّه مفتتحاً باليُمْن والبركة والتوفيق ، والنصر للمسلمين آمين ، والحمد للّه رب العالمين .

ثَبَتُ مَصادرِ ومراجع التحقيق

كتب الحديث

١ ــ **الإتحافات السنية بالأحاديث القدسية**: للمناوي، مع شرح محمد منير الدمشقي، دار ابن كثير، ١٤٢٠.
٢ ــ **الأدب المفرد**: للإمام البخاري، مصوَّرة دار البشائر الإسلامية، ط٣، ١٤٠٩، ترقيم: محمد فؤاد عبد الباقي.
٣ ــ **الأذكار**: للإمام النووي، دار القبلة الإسلامية، تحقيق: سبيع حاكمي، ١٤١٢.
٤ ــ **تنزيه الشريعة المرفوعة عن الأحاديث الشنيعة الموضوعة**: علي بن محمد بن عراق، دار الكتب العلمية، ١٣٩٩.
٥ ــ **حلية الأولياء**: لأبي نعيم الأصبهاني، دار الكتاب العربي، بيروت، ١٤٠٥.
٦ ــ **الزهد**: لابن المبارك، دار الكتب العلمية، بيروت.
٧ ــ **السنة**: لابن أبي عاصم، المكتب الإسلامي، بيروت، ١٤٠٠.
٨ ــ **سنن ابن ماجه**: دار الفكر، بيروت، ترقيم: محمد فؤاد عبد الباقي.
٩ ــ **سنن أبي داود**: دار الفكر، تحقيق: محمد محيي الدين عبد الحميد.
١٠ ــ **سنن الترمذي**: دار إحياء التراث العربي، بيروت، تحقيق: أحمد شاكر وغيره.
١١ ــ **سنن سعيد بن منصور**: دار الصميعي، الرياض، ١٤١٤.
١٢ ــ **سنن النسائي**: مكتب المطبوعات الإسلامية بحلب، ١٤٠٩، ترقيم: أبو غدة.
١٣ ــ **شعب الإيمان**: للحافظ البيهقي، دار الكتب العلمية، بيروت، ١٤١٠.
١٤ ــ **صحيح البخاري**: دار ابن كثير، بيروت، ١٤٠٧.
١٥ ــ **صحيح مسلم**: دار إحياء التراث العربي، بيروت، ترقيم: محمد فؤاد عبد الباقي.

١٦ ــ **العلل المتناهية في الأحاديث الواهية**: للحافظ ابن الجوزي، دار الكتب العلمية، بيروت، ١٤٠٣.
١٧ ــ **عمل اليوم والليلة**: لابن السني.
١٨ ــ **الكامل في الضعفاء**: لابن عدي، دار الفكر، بيروت، ١٤٠٩.
١٩ ــ **كشف الخفا ومزيل الإلباس عما اشتهر من الأحاديث علىٰ ألسنة الناس**: للمحدِّث إسماعيل العجلوني، مكتبة دار التراث، القاهرة، بدون تاريخ.
٢٠ ــ **مسند الإمام أحمد**: مؤسسة قرطبة، مصر.
٢١ ــ **مسند أبي يعلىٰ الموصلي**: إدارة العلوم الدينية، فيصل أباد، الهند، ١٤٠٧.
٢٢ ــ **مجمع الزوائد ومنبع الفوائد**: للحافظ نور الدين الهيثمي، دار الريان ودار التراث، القاهرة، بيروت، ١٤٠٧.
٢٣ ــ **المستدرك علىٰ الصحيحين**: للإمام الحاكم، دار الكتب العلمية، بيروت، ١٤١١.
٢٤ ــ **المعجم الأوسط**: للحافظ الطبراني، دار الحرمين، ١٤١٥.
٢٥ ــ **المعجم الكبير**: للحافظ الطبراني، مكتبة العلوم والحكم، الموصل، ١٤٠٤.

كتب التراجم والتاريخ

٢٦ ــ **إدام القوت**: لابن عبيد الله السقاف، مكتبة الإرشاد، صنعاء، ١٤٢٢.
٢٧ ــ **البدر الطالع بمحاسن من بعد القرن السابع**: للإمام محمد بن علي الشوكاني، دار المعرفة، بيروت.
٢٨ ــ **بغية الأريب في تاريخ آل باذيب**: محمد أبو بكر باذيب.
٢٩ ــ **البنان المشير إلىٰ تراجم آل أبي كثير**: محمد بن محمد باكثير، ١٤٠٥.
٣٠ ــ **تاريخ بغداد**: للحافظ الخطيب البغدادي، دار الكتب العلمية، بيروت.
٣١ ــ **تاريخ الدولة الكثيرية**: السيد محمد بن هاشم.
٣٢ ــ **سلك الدرر في أعيان القرن الثاني عشر**: محمد خليل المرادي، دار الكتاب الإسلامي، مصر، (تصوير).
٣٣ ــ **سيرة ومناقب عمر بن عبد العزيز الخليفة الزاهد**: للحافظ ابن الجوزي، دار الكتب العلمية، تحقيق: نعيم زرزور، ١٤٠٤.
٣٤ ــ **شرح العينية**: الحبيب أحمد بن زين الحبشي، مطبعة كرجاي، سنغافورة، ١٤٠٧.
٣٥ ــ **الضوء اللامع في أخبار القرن التاسع**: للحافظ السخاوي، دار المعرفة.

٣٦ ــ **العدة المفيدة**: سالم بن حميد التريسي، مكتبة الإرشاد، صنعاء، ١٤١١.

٣٧ ــ **قرة العين في مناقب الحبيب أحمد بن زين (الحبشي)**: للحبيب محمد بن زين بن سميط (مخطوط).

٣٨ ــ **المجتمع الشبامي، سير وتراجم أعلام الأسر العلمية في مدينة شبام**: محمد أبو بكر باذيب.

٣٩ ــ **مجمع البحرين في مناقب الحبيب محمد بن زين (بن سميط)، (مخطوط)**: للشيخ معروف بن محمد باجمّال.

٤٠ ــ **المحاسن المجتمعة في مآثر الإخوة الأربعة**: محمد أبو بكر باذيب، دار الفتح للدراسات والنشر، عمّان ــ الأردن، ط١، ١٤٢٦ ــ ٢٠٠٥.

٤١ ــ **مناقب الإمام أحمد بن حنبل**: للحافظ ابن الجوزي، دار الآفاق الجديدة، بيروت، ١٣٩٣.

٤٢ ــ **المواهب والمنن في ترجمة قطب الزمن الحسن**: للعلامة علوي بن أحمد الحداد، ترجمة جده حسن بن عبد الله الحداد، (مخطوط).

٤٣ ــ **نشر محاسن الأوصاف في مناقب الحبيب سقاف**: لابنه حسن بن سقاف، دار الحاوي، ١٤٢٢.

٤٤ ــ **النور السافر في أخبار القرن العاشر**: عبد القادر بن شيخ العيدروس، دار صادر، ٢٠٠١.

كتب الرقائق

٤ ــ **التذكير المصطفىٰ**: أبو بكر العطاس بن علوي الحبشي، دار الحاوي، ١٤١٧.

٤٦ ــ **الحديقة الأنيقة شرح العروة الوثيقة**: محمد بن عمر بحرق، دار الحاوي، ١٤٢٣.

المنوعات

٤٧ ــ **تقريب الشاسع في ترتيب وظيفة الجامع**: للشيخ عوض بن محمد عقبه سديس، تحقيق: محمد أبو بكر باذيب، دار الفتح للدراسات والنشر، عمّان ــ الأردن، ط١، ١٤٢٦ ــ ٢٠٠٥.

٤٨ ــ **حدائق الأنوار في سيرة النبي المختار ﷺ**: محمد بن عمر بحرق، دار المنهاج، جدّة.

٤٩ ـ **ديوان الإمام عبد الله بن علوي الحداد (الدر المنظوم)**: نشرة السيد عبد القادر الخرد، الطبعة الثانية من نوعها، **١٤٢٢** .

٥٠ ـ **ديوان الحبيب أحمد بن عمر بن سميط**: المطبعة السلفية، القاهرة، **١٣٤٦** .

٥١ ـ **غاية البيان شرح زُبد ابن رسلان**: للعلامة محمد بن أحمد الرملي، مطبعة مصطفىٰ البابي الحلبي، مصر .

* * *

فهرس المحتويات

الموضوع	الصفحة
بين يدي «المجموع»	٥
الأسرة السميطية في شبام وإشارةٌ إلىٰ تاريخها العلمي والدعوي المجيد	٨
السيد زين بن سميط وأولاده	١٠
الإمام الحبشي	١١
ولماذا شبام؟	١٢
الهجرة السميطية إلىٰ شبام	١٤
صاحب «المجموع»: الحبيب أحمد بن عمر بن سميط	١٦
نسبه الشريف	١٦
نشأته	١٧
حليته	١٨
شيوخه	١٩
إجازة مفتي زبيد له	٢٢
فائدة	٢٤
ذريته	٢٥
تلامذته	٢٦
آثاره	٢٨
بعض ما قيل فيه من مدائح وقصائد شعر	٣٠
وفاته والمراثي التي قيلت فيه	٣١

الموضوع	الصفحة

دعوته ٣٥
مقتطفات من قصائده الدعوية ٣٩
تشجيعه علىٰ التأليف ٤٠
هذا «المجموع» ٤٤
تقريظ الشيخ أحمد بن عمر باذيب علىٰ هذا «المجموع» ٤٩
ترجمة كاتب «المجموع» الشيخ دحمان بن عبد اللّٰه لعجم باذيب ٥١
مولده ٥١
نشأته ٥١
دعوته وشعره ٥٢
قصيدته الوعظية ٥٤
تلامذته ٥٦
وفاته ٥٦
عملي في هذا «المجموع» ٥٧
صور من الأصول الخطية المعتمدة في التحقيق .... ٥٩ ـ ٦٤

* * *

النصّ المحقق لِـ «المجموع» .... ٦٧ ـ ٥٣٩

* * *

ملحقٌ: تقريب الشاسع في ترتيب وظيفة الجامع، للمعلِّم عوض بن عقبة سديس ٥٤٣
تصدير المحقق ٥٤٥
جامع شبام ٥٤٩
جامع هارون الرشيد ٥٥٠
عمارات المسجد ٥٥١
في أواسط القرن الثالث عشر ٥٥١
عمارة الساس عام ١٣٤١هـ ٥٥٢
ومن عماراته الأخيرة: عمارة سنة ١٣٦٠هـ ٥٥٢

الموضوع	الصفحة

العمارة الجديدة ٥٥٣
منبر جامع شبام القديم ٥٥٤
آل بن عقبة الشباميون ٥٥٥
ترجمة المؤلف الشيخ عوض بن عقبة سديس ٥٥٧
نسبه ونشأته ٥٥٧
والده الشيخ محمد بن أحمد عقبة ٥٥٧
جده الحاج أحمد بن عقبة ٥٥٩
عودة لترجمة المؤلف ٥٦٠
شيوخه ٥٦٠
وظائفه ٥٦٠
لقب (سديس) ٥٦١
وفاته وذكر أعلام ذريته ٥٦١
إمامة الجامع وخطابته ٥٦٢
هذه الرسالة ٥٦٤
عملي في هذه الرسالة ٥٦٦
النص المحقق للرسالة ٥٦٧
مقدمة ٥٦٩
تفصيل ترتيب الأذان والأذكار والقراءة الذي أمر به الحبيب أحمد بن
عمر بن سميط ٥٧٠
تتمة ٥٧٣
اعتراض بعض الناس علىٰ الترتيب المذكور ٥٧٥
رفع المؤلف سؤالاً لمفتي تريم ٥٧٧
جواب مفتي تريم علىٰ سؤال المؤلف ٥٧٨
السور المرتبة في الصلاة ٥٨٢
فهرس المراجع والمصادر ٥٨٥
فهرس المحتويات ٥٨٩